

فهـــــــرست

الجـــزء الخـامس

من كتاب صبح الأعشى للقلقشندى

صفحة

صفحة

(١) كذا فى الأصول وحقيقتها الثالثة ثم يتسلسل العدد .

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

المقالة الثالثة

صفحة

صفحة

صفحة

استلفات القارئ — وقع فى ص ٣٣ س ٦ من هذا الجزء بياض وحقيقته كما ذكره فى "بغية المستفيد" (وولى بعده ابنه الملك الناصر أحمد ابن الملك الاشرف الخ)

(تم فهرست الجـــزء الخامس من كتاب صبح الأعشىٰ)



الجـــــزء الخامس



كتاب

صبح الأعشى

تأليف

الشيخ أبي العباس أحمد القلقشندي

الجـــــزء الخامس

حقوق إعادة طبعه محفوظة لدار الكتب الخديوية

طبـــع
بالمطبعة الأمـــيرية بالقاهرة
سنة ١٣٣٣ هـ
١٩١٥ م

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله وسلم علىٰ سيدنا محمد وآله وصحبه

المقصد الثانى

(فى ممالك جزيرة العرب الخارجة عن مضافات الديار المصرية)

قد تقدّم فى الكلام علىٰ مملكة الديار المصرية ومُضَافاتها ذكرُ جزيرة العرب، وأنه يحدّها: من جهة الغرب بحر القُلْزُم، ومن جهة الجَنُوب بحر الهند، ومن جهة الشرق بحر فارس، ومن جهة الشَّمال الفُراتُ. وأنها تحتوى الحجاز ونجدا وتهامة واليمن واليمامة والبحرين، وقطعةً من بادية الشام، وقطعةً من بادية العراق.

وتقدّم هناك الكلامُ علىٰ ماهو مضاف إلىٰ مملكة الديار المصرية منها. منها مكة، والمدينة، علىٰ الحالّ بها أفضل الصلاة والسلام، والتحية والإكرام، واليَنْبُع، وما هو من بادية الشام كتَدْمُر ونحوها.

والمقصود هنا الكلام علىٰ باقى أقطارها، التى لم تدخل فى مضافات الديار المصرية.

ويتوجه القصد منها إلىٰ ثلاثة أقطار:

القُطْـــــــر الأوّل

(اليَمَــن)

قال فى "اللباب" : بفتح المثناة التحتية والميم وفى آخرها نون . قال : وينسب إليـه يَمنِىٌّ ويمـانِىٌّ . وهو قطعة من جزيرة العرب : يَحُدّها من الغرب بحر القُلْزُم، ومن الجنوب بحر الهنـد ، ومن الشَّمال بحر فارس، ومن الشرق حدود مكةَ حيث الموضعُ المعروفُ بطَلْحة المَلِك، وما على سَمْت ذلك إلى بحر فارس .

وقد وردت السنّة بتفضيله بقوله صلّى الله عليه وسلم: "الإيمـانُ يمـانٍ" .

وٱختُلِف فى سبب تسميته باليمن فقيل : سمى بيَمَنِ بن قحطان . وقيل: إن قحطان نفْسَه كان يسمّى بيَمَن . وقيل : سمى بيَمَنِ بن قَيْدار . وقيل : سمى بذلك لأنه عن يمين الكعبة . قال "ٱبن الكلبى" : سميت بذلك لتيامُنِهم إليها . قال "ٱبن عباس" ٱستتب النـاس وهم العرب فتيامَنُوا إلى اليمن فسميت بذلك (١) . وقيل: تيامنَتْ بنو يَقْطُن إليهـا فسمِّيت بذلك . وقيل : لمـا كَثُر الناس بمكة وتفرّقوا عنها، التأمت بَنُو يَمَن إلى ايمن وهو أيْمَنُ الأرض .

وهو إقليم متسع له ذِكْر فى القديم، وبه كان قومُ سبإٍ المنصوصُ خبرُهم فى سورة "سبإ" وبِلْقِيسُ المذكورُ عرشُها فى سورة "النمل" .

وقد ذكر "البكرى" أن عَرْضه ستَّ عشرةَ مرحلة، وطولَه عشرون مرحلة .

قال فى "مسالك الأبصار" : وله ذكر قديم . قال : وهو كثير الأمطار، ولكن لاتَنْشأ منه السُّحُب، ويمطُر المطرُ فى الغالب من وقت الزوال إلى أُخْرَيَات النهار .

---

(١) عبارة "ياقوت" عن ٱبن عباس تفرقت العرب فمن تيامن منهم سميت اليمن .

قال الحكيم "صلاح الدين محمد بن البرهان": وأكثر مطره فى أُخْرَيات الربيع إلى وَسَط الصيف . وهو إلى الحرّ أميلُ ؛ وبه الأنهارُ الجاريةُ ، والمُرُوج الفيحُ ، والأشجار المتكاثِفة فى بعض أماكنه ؛ وله آرتفاعٌ صالح من الأموال ؛ وغالب أمواله مُوجَبات التُّجّار الواصلين من الهند ومصر والحبشة ، مع مالها من دَخْل البلاد .

وذكر عن الحكيم صلاح الدين المذكور ، أن لأهل اليمن سِياداتٍ بينهم محفوظه ، وسعاداتٍ عندهم ملحوظه ؛ ولأكابرها حَظٌّ من رَفَاهِيَـة العيش والتنعم والتفنن فى المآكل : يُطْبَخ فى بيت الرجل منهم عِدّةُ ألوان ، ويُعْمَلُ فيها السكَّرُ والقلوب ، وتُطيَّب أوانيها بالعِطر والبَخُور ؛ ويكون لأحدهم الحاشيةُ والغاشيةُ ؛ وفى بيته العَدَد الصالحُ من الإماء ؛ وعلى بابه جملةٌ من الخَدَم والعبيد والخِصْيان من الهند والحُبُوش ، ولهم الدّيارات الجليلةُ ، والمبانى الأَنِيقة ، إلا الرُّخام ودِهانَ الذهب واللازوَرْد ، فإنه من خواصّ السلطان ، لايشاركه فيه غيره من الرَّعايَا . وإنما تُفرَش دُورُ أعيانهم بالخافِقيّ ونحوه ؛ على أن آبن البرهان قد غَضّ من اليمن فى أثناء كلامه فقال : وآسم اليمنِ أكبرُ منه ، لا تُعدّ فى بلاد الخِصْب بلادُه .

وذكر فى "مسالك الأبصار" أنه ليس باليمن أسواق مرضية دائمة ، إنما يُقَام لها سوق يوم الجمعة : تُجْلَبُ فيه الأجلابُ ، ويُخْرِج أربابُ الصنائع والبضائع بضائعَهم وصنائعَهم : فيبيع من يبيع ، ويشترى من يشترى ، من أعْوزه شىء فى وسط الجمعة لايكاد يجده إلا المآكل .

ثم اليمن على قسمين :

القســـم الأوّل

(التّهـائم)

وهى المنخفض من بلاده . قال فى "مسالك الأبصار" : وهى باردة الهواء طيِّبة المَسْكَن . وفيه أربعُ جُمَلٍ :

الجمـــلة الأولىٰ

(فى ذكر ما آشتمل عليه من القواعد والمُدُن)

قال فى "مسالك الأبصار" : وهو يشتمل علىٰ عِدّة بلاد، وقلاع، وحصون حصينة، ولكن يفصل البَرُّ ما بين بعضها عن بعض . وبه قاعدتان :

القـاعدة الأولىٰ

(تعـز)

وهى مَصِيفُ صاحب اليمن . قال فى "تقويم البُلْدان" : بكسر[(1)] المثناة من فوقُ والعينِ المهملةِ وزاى معجمة فى الآخر . وموقعُها فى الإقليم الأوّلِ من الأقاليم السبعة. قال : والقياس حيثُ الطولُ خمس وستون درجةً وثلاثون دقيقةً، والعَرْض ثلاثَ عشرةَ درجة وأربعون دقيقــة . قال : وهى فى زماننا هــذا مَقَرُّ ملوك اليمن (يعنى من أولاد رسول الآتى ذكْرُهم فى الكلام علىٰ ملوكه) .

ثم قال : وهى حِصْن فى الجبال، مُطِلٌّ علىٰ التهائم وأراضى زَبِيدَ، وفوقها منتزه يقــال له صهلة، قد ساق له صاحبُ اليمن الميــاهَ من الجبال التى فوقها، وبنىٰ فيها أبنيةً عظيمة فى غاية الحسن فى وسط بستانٍ هناك .

---

(١) ضبطها ياقوت فى معجم البلدان بفتح التـاء وكسر العين وقال المجد كتَقِلٌ .

قال فى "الروض المِعْطار" : ولم تزل حصنا للملوك . قال : وهو بلد كثير المـاء، بارد الهواء، كثير الفاكهة . قال : ولسلطانهم بسـتانٌ يعرف باليَنَعات ، فيه قُبَّـة ملوكية، ومَقْعَد سلطانيّ ، فُرُشهما وأُزُرهما من الرُّخام الملوّن، وبهما عَمَد قليلة المِثْل، يجرى فيهما المـاء من نفثات تملأ العينَ حُسْنا ، والأذن طَرَبا ، بصـفاء نميرها ، وطِيب خَريرها، وترمى شبابيكُهما علىٰ أشجار قد نُقلت إليه من كل مكان : تجمع بين فواكه الشام والهنـد، لا يقف ناظر علىٰ بستان أحسنَ منـه جمعا ، ولا أجمع منه حُسْنا، ولا أتمّ صورة ولا معنى .

القاعدة الثانيـــــة

(زَبِيـــدُ)

وهى مَشْـتىٰ صاحب اليمن من بنى رسول . قال فى "تقويم البُلْدان" : بفتح الزاى المعجمة وكسر الباء الموحدة وسكون المثناة من تحتُ ودال مهملة . وهى مدينة من تَهَائم اليمن . قال فى "العبر" : بناها محمد بن إبراهيم، بن عبيد الله، بن زياد، ابن أبيه فى خلافة المأمون . وموقعُها فى أوائل الإقليم الأوّل من الأقاليم السبعة . قال فى "الأطوال" حيث الطولُ أربعٌ وستون درجةً وعشرون دقيقة، والعرضُ أربعَ عشرةَ درجة وعَشْرُ دقائقَ . قال فى "العبر" : وهى مدينـة مسوّرة ، وبها كان مُقامُ بنى زيادٍ ملوكِ اليمن، وهم الذين بنَوْها ، ثم غلب عليها بنُو الصُّلَيْحىّ ، ثم صارت قاعدةَ بنى رسول . وهى قَصَبة التهائم، وهى مبنيَّة فى مستوٍ من الأرض، عن البحر علىٰ أقلَّ من يوم، وماؤها من الآبار، وبها نَخِيـل كثيرة، وعليها سور ، وفيها ثمـانية أبواب .

قال البيروني : وهي فُرْضة اليمن ، وبها مجتمَع التُّجّار من الحِجاز ومصر والحبشة ؛ ومنها تخرج بضائعُ الهند والصين . قال المهلَّبيّ : ولهـا ساحل يعرف بغَلاَفِقَةَ ، و بينهما خمسةَ عشرَ ميلا .

قال في "مسالك الأبصار" : وهي شديدة الحرّ لا يبْرُد ماؤها ولا هواؤها، وهي أوسعُ رُقْعة وأكثر بناء ؛ ولهـا نهر جارٍ بظاهرها، ومساكن السلطان فيها في نِهاية العَظَمة من فَرْش الرخام والسُّقُوف .

و باليمن عدّة مُدُن سوى القواعد المتقدّمة الذكر .

منها (عَدَنُ) . قال في "تقويم البُلْدان" : بفتح العين والدال المهملتين ونون في الآخر . وهي من تهائم اليمن . قال : وهي خارجة إلى الجَنُوب عن الإقليم الأوّل من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" : حيثُ الطولُ سبع وستون درجةً ، والعرضُ تسعَ عشْرَة درجةً . قال في "الروض المِعْطار" : وأوّل من نزلها عَدَنُ ابن سبإٍ فعُرِفت به . قال في "تقويم البُلْدان" : ويقال لها عَدَنُ أبْيَنَ ـ بفتح الهَمزة وسكون الباء الموحدة وفتح المثناة التحتية ثم نون ـ وقال في "المشترك" : عن سيبويه بكسر الهمزة ، وهو رجل من حِمْير أُضيفت إليه عَدَن . قال في "العبر" : وهو أبْيَنُ ابن زُهَيْر، بن الغَوْث، بن أيْمَنَ، بن الهَمَيْسَع، بن حِمْير .

وذكر "الأزهري" أن سبب تسميتها بذلك أن الحبشة [عبرت](١) في سُفُنهم إليها ، وخرجوا منها فقالوا (عدونه) يريدون خرجنا، فسميت عَدَن لذلك . وقيل مأخوذة من قولهـم عَدَن بالمكان إذا أقام به . وهي على ساحل البحر ذاتُ حَطٍّ و إقلاع . قال في "مسالك الأبصار" : وهي أعظم المَرَاسي باليَمَن، وتكاد تكون ثالثـةَ تَعِزَّ

(١) الزيادة عن "معجم البلدان" لياقوت .

وزَبِيدَ فى الذِّكر؛ وبها قلعــة حَصينة مبنية، وهى خِزَانة مال ملوك اليمن، إلا أنه ليس بها زَرْع ولا ضَرْع؛ وهى فُرْضة اليمن، ومَحَطُّ رحال التُّجَّار، لم تزل بلدَ تجارة من زمن التَّبَابعة وإلىٰ زماننا، عليهــا تَرِد المراكبُ الواصلة من الحجاز والسِّنْد والهند والصِّين والحبشــة؛ ويمتار أهلُ كل إقليم منها ما يحتاج إليه إقليمُهم من البضائع.

قال "صلاح الدين بن الحكيم": ولا يخلو أُسْبوع من عدّة سُفُن وتُجَّار واردين عليها، وبضائعَ شــتَّى ومتاجِرَ منوّعة، والمقيم بها فى مكاسبَ وافرة، وتجائرَ مُرْبِحة؛ ولِحَطِّ المراكب عليها وإقلاعها مواسمُ مشهورة؛ فإذا أراد ناخُوذَةُ[1] السـفرَ بمَرْكَب إلىٰ جهة من الجهات، أقام فيها عَلَما يَرْنك خاصٌّ به، فيعلمُ التجّار بسـفره، ويتسامعُ الناسُ فيبقىٰ كذلك أيّاما، ويقع الاهتمام بالرحيل، وتُسارع التجار فى نقل أمتعتِهم، وحولهم العبيد بالقماش السرىّ والأسلحة النافعــة، وتُنْصَب علىٰ شاطئ البحر الأســواقُ، ويخرج أهل عَدَنَ للتفرّج هناك.

قال فى "العبر": ويُحيط بها من جهة شماليها علىٰ بُعْدٍ جبلٌ دائر إلىٰ البحر يَنْثَقِب فيه من طَرَفيه ثَقْبان كالبابين، بينهما علىٰ ظَهْر الجبل مَسيرةُ أربعة أيام؛ وليس لأهلها دُخول ولا خُروج إلا علىٰ هذين الثَّقْبـين أو من البحر. وكان مُلْكُها لبَنِى مَعْن ابن زائدةَ، ثم لبَنِى زِيَاد: أصحابِ زَبِيدَ، ثم انتزعها منهم أحمدُ بنُ المكَرَّم الصُّلَيْحىّ، وصفا المُلْك فيها لبنى الزُّرَيْع منهم؛ وبقيت بأيديهم حتّى ملكها منهم (تُورانْ شاه) ابن ايوب: أوّلُ ملوك اليمن من الأيُّوبِيَّة؛ ومن الأيُّوبِيَّة انتقلت لبنى رَسُول ملوك اليمن الآن.

وذكر فى "مسالك الأبصار" عن الحكيم "صلاح الدين بن البرهان" أنه أقام بها مدّة، وقال إن المقيم بها يحتاج إلىٰ كُلْفة فى النَّفَقات: لارتفاع الأسعار بها فى المآكل

(١) فى مادة (ن خ ذ) من القاموس "النواخذة ملاك سفن البحر أو وكلاؤهم معرّبة الواحدة ناخذاة" فانظره.

والمَشَارب ، ويحتــاج المقيمُ بها إلىٰ ما يتبرَّدُ به فى اليوم مرَّاتٍ فى زمن قوّة الحَرّ . قال : ولكنهم لايُبالُون بكثرة الكُلَف ، ولا بسُوء المُقام لكثرة الأموال النامية .

ومنها (ظَفَارِ) . قال فى "تقويم البُلْدان" : بفتح الظاء المعجمة والفاء وألف وراء مهملة . قال : وهى من تَهائم اليمن، من أوائل الإقليم الأوّل من الأقاليم السبعة . قال فى " القــانون " : حيثُ الطولُ سبع وســتون درجةً، والعَرْضُ ثلاثَ عشْرةَ درجة وثلاثون دقيقة .

قال السُّهَيلىّ : وهى مدينــة عظيمة ، بناها مالك بن أَبْرهةَ ذى المَنَار . وذكر فى "العبر" أنها كانت دارَ مُلْك التَّبَابعة ، وخَرَّبها أحمد الناخُوذةُ ســنة تسعَ عشرةَ وستمــائة لأنهــا لم يكنْ لهــا مَرْسًى ، وبنىٰ علىٰ الساحل مدينــةَ ظفار بالضم[1] ، وسَمَّــاها الأحمديَّةَ .

قال فى " تقويم البُلْدان " : وهى مدينــةٌ علىٰ ساحل خَوْر قد خرج من البحر الجَنُوبىّ وطعن فى البر فى جهــة الشَّمال نحو مائة مِيل ، ومدينة ظَفارِ علىٰ طَرَفه، ولا تخرج المراكب من ظَفَار فى هذا الخَوْر إلا بريح البَرِّ، ويُقْلَع منها فى الخَوْر المذكور إلىٰ الهند . قال : وهى قاعدة بلاد الشِّحْر، ويُوجَد فى أرضها كثير من نَبَات الهند كالرَّانج والتَّنْبُل، وشمالىّ ظَفارِ رمالُ الأحقاف التى كان بها قوم عاد، وهى المذكورة فى القرءان؛ وبينها وبين صنعاء أربعةٌ وعشرون فرسخا . قال : وعن بعضهم أن لها بساتينَ علىٰ السَّوَانِى .

قال فى "مسالك الأبصار" : وهى فى زماننا لأولاد الواثق ٱبن عم صاحب اليمن . قال : وهم وإن أُطْلِق عليهم ٱسمُ المَلِك نُوّابٌ له . وذكر أن البضائع منهــا تُنْقَــل

(١) عبارة "العبر" (ج ٤ ص ٢٢٦) مدينة ضفا بضم الضاد المعجمة اهـ .

فى زوارِق حتّى تخرج من خَوْرها، ثم تُوسَق فى السفن . قال فى "العبر" : وكانت منزلةَ الملوك فى صدر الدولتين .

ومنها (حَلْىٌ) . قال فى "تقويم البُلْدان" : بفتح الحاء المهملة وسكون اللام ثم ياء مثناة من تحتُ . وهى بَلْدة من اليمن، واقعة فى الإقليم الأوّل . قال فى "الأطوال" حيث الطولُ ستٌّ وستون درجة، والعرضُ ثلاثَ عشرةَ درجةً وثلاثون دقيقة . قال فى "تقويم البُلْدان" : وهى من أطراف اليمن من جهة الحجاز وتعرف بحَلْى ٱبن يعقوب .

ومنها (المَهْجَم) . قال فى "تقويم البُلْدان" : بفتح الميم وسكون الهاء وجيم وميم . وهى مدينة من تِهَائم اليمن، واقعة فى الإقليم الأوّل . قال فى "الأطوال" حيث الطولُ أربعٌ وستون درجة، والعرضُ ستَّ عشرةَ درجة . قال فى "تقويم البُلْدان" : وهى من أجلِّ مدن اليمن، وهى عن زَبِيدَ ثلاثة أيام [وهى] فى الشرق والشمال عن زَبِيدَ؛ وعن صنعاءَ علىٰ ستِّ مراحل . قال الإدريسىّ : ومن عَدَنَ علىٰ ست مراحلَ .

ومنها (حصن الدّمْلوة) . قال فى "تقويم البُلْدان" : بكسر الدال[1] المهملة وسكون الميم ثم لام وواو وهاء فى الآخر. وهو حصن من حصون اليمن، واقعٌ فى الإقليم الأوّل من الأقاليم السبعة . قال ابو العقول : حيث الطولُ أربع وستون درجة وأربعون دقيقة، والعرضُ أربعَ عشرةَ درجة . قال فى "تقويم البُلْدان": وهو حصن فى شَمَال عَدَنَ فى جبال اليمن . قال ٱبن سعيد : وهو علىٰ الجبل الممتدّ من الجنوب إلىٰ الشمال، وهو خِزَانة صاحب اليمن؛ ويُضْرب بامتناعه وحَصَانته المَثَل .

(١) ضبطها ياقوت فى معجمه فقال ــ بضم أوّله وسكون ثانيه وضم اللام وفتح الواو .

ومنها (الشَّرْجة) . قال فى "تقويم البُلْدان" : بفتح الشين المعجمة وسكون الراء المهملة وجيم وهاء . وهى مِينا علىٰ ساحل البحر، واقعة فى الإقليم الأوّل من الأقاليم السبعة . قال فى " القانون " : حيث الطول خمس وستون درجة ، والعرضُ سبعَ عَشْرةَ درجة وثلاثون دقيقة . قال فى " تقويم البُلْدان " : وهى صغيرة وبيوتها أخصاص .

ومنها (جُبْلةُ) . قال فى " تقويم البُلْدان " : بضم الجيم وسكون الباء الموحدة ولام مفتوحة وهاء . وهى مدينة بين عَدَنَ وصنعاءَ ، واقعة فى الإقليم الأوّل . قال : وقياس قول أبى العقول أنها حيثُ الطولُ خمس وستون درجة ، والعرضُ ثلاثَ عشرةَ درجة وعشر دقائقَ . قال : وهى علىٰ نهرين ولذلك يقال لها مدينة النَّهْرَيْن . قال بعض الثقات : وبينها وبين تَعِزَّ دونَ يوم ، وهى عن تَعِزَّ فى الشرق بمَيْلة يسيرةٍ إلىٰ الشَّمال .

ومنها (الجَنَد) . قال فى " اللباب " : بالجيم والنون المفتوحتين ودال مهملة فى الاخر . وهى مدينة شمالِيَّ تَعِزَّ ، علىٰ نحو نصف مرحلة منها ؛ واقعةٌ فى الإقليم الأوّل من الأقاليم السبعة . قال فى " الأطوال " : حيثُ الطولُ خمس وستون درجة ، والعَرْض أربعَ عشرةَ درجة وثلاثون دقيقة . وهى عن صنعاء علىٰ ثمانية وأربعين فرسخا ، وعن ظَفارِ علىٰ أربعة وعشرين فرسخا .

وقال الشريف الإدريسىّ : هى بين ذَمارٍ وبين زَبِيدَ . وهو بلد جليل به مسجد جامعٌ يُنْسَب لمُعاذ بن جَبَل الصحابىّ رضى الله عنه ، وعلىٰ القرب من الجَنَد وادى سَحُولٍ ، ومنه يسير فى صحارىٰ إلىٰ جبل عَرْضُه أحد وعشرون فرسخا ؛ ثم يسير فى صحراءَ ورمال إلىٰ مدينة زَبِيد . والجَنَد بلد وَخِم فى غاية الوَخَامة ، وأهله شيعة .

ومنها (سِرَّيْن) . قال فى "اللباب" : بكسر السين المهملة وفتح الراء المهملة المشدّدة وسكون المثناة من تحت ونون فى الآخر . وهى بلدة علىٰ تسعةَ عشَرَ فرسخا من حَلْيٍ، فى جهة الشمال منها، واقعةٌ فى آخر الإقليم الأوّل . قال فى "الأطوال": حيثُ الطولُ ستٌّ وستون درجة وأربعون دقيقة، والعَرْضُ عشرون درجة . وقال المهلبىّ : هى مدينــة علىٰ ساحل البحر علىٰ اربعة أيام من مكة . قال الإدريسىّ : وهى علىٰ القرب من قرية يَلَمْلَمَ : ميقاتِ أهل اليمن للإحرام .

ومنها (مِرْباطُ) . قال فى "تقويم البُلْدان" : بكسر الميم وسكون الراء المهملة ثم باء موحدة وألف بعــدها طاءٌ مهملة . وهى بُلَيْدة علىٰ ساحل خَوْر ظَفَارِ المقــدّمِ ذكره . قال : وهى خارجة عن الإقليم الأوّل من الأقاليم السبعة إلىٰ الجنوب أو منه . قال "فى الأطوال" : حيث الطولُ آثنتان وسـبعون درجةً، والعرضُ آثنتا عَشْرةَ درجة . قال آبن سعيد : وهى فى الشرق والجَنوب عن ظَفارِ . قال الإدريسى : وقبر هودٍ عليه الســلام منها علىٰ خمســة أيّام . قال فى "نزهة المشتاق" : وبجبال مِرْباطَ ينبُتُ شجرُ اللُّبَان، ومنها يجهّز إلىٰ البلاد .

ومنهــا (بلاد مَهْرَة) . قال فى "تقويم البُلْدان" : بفتح الميم ثم هاء ساكنة وراء مهملة مفتوحة وهاء فى الآخر . والمراد بمَهْرةَ بنُو مَهْرةَ بنِ حَيْدانَ : قبيلة من قبائل اليمن؛ وقد بسطت القول علىٰ ذلك فى كتابى المسمّٰى "بنهاية الأرب فى معرفة قبائل العرب" . وموقعها فى الإقليم الأوّل . قال "فى الأطوال" : وآخرها حيث الطولُ خمسٌ وسبعون درجة، والعرضُ ستَّ عشرةَ درجة . قال فى "تقويم البُلْدان" : وليس بها نخيــل ولا زرع وإنمــا أموالُ أهلها الإبلُ . قال : وألسنتهم مستعجِمة لا يكاد يُوقَف عليها؛ ويُنْسَب إليها البُخْتُ المفَضَّلة، ويحمل منها اللُّبان إلىٰ الآفاق .

ومنها (الشِّحْر) بكسر الشين المعجمة وسكون الحاء المهملة وراء مهملة فى الآخر.
قال ياقوت الحموى : وهى بُلَيْدة صغيرة، ولم يزد علىٰ ذلك . والذى يظهر أن لها
إقليما ينسب إليها، وإليها يُنْسَب العَنبَرُ الشِّحْرىُّ علىٰ ماتقدّم القولُ عليه فى الكلام علىٰ
ما يحتاج الكاتب إلىٰ وصفه فى المقالة الأولىٰ .

الجمـــلة الثانيـــة

(فى ذكر حيوانه، وحبوبه، وفواكهه، ورياحينه ومعاملاته، وأسعاره)

وأنا أذكر جملة من ذلك علىٰ ماذكره فى "مسالك الأبصار" عن أبى جعفر أحمد
ابن محمد المقدسىّ المعروف بابن غانم كاتب الإنشاء بها، وأبى محمد عبد الباقى بن
عبد المجيد اليمنى الكاتب

أما حيوانه — فبه من الحيوان الخيلُ العربيـة الفائقةُ، والبِغَال الجيِّدة للركوب
والحمل، والحُمُر، والإبلُ، والبقر، والغنم؛ ومن الطير الدَّجاج، والإوَزُّ، والحمام؛
وفيها من الوحوش الزرافة والأَسَد، والغِزْلانُ، والقِرَدة؛ وغيرُ ذلك .

وأما حُبوبه — فبه من الحُبوب الحِنْطة والشعير والذُّرَة والأَرُزّ والسِّمْسِم؛ وغالب
قُوتهم الذُّرة وأقلُّه الحنطةُ والشعير .

وأما فواكهُه فبه العنبُ، والرُّمّان، والسَّفَرْجَل، والتُّفّاح، والخَوْخ، والتُّوت،
والمَوْز، واللَّيمون، والأُتْرجُّ، فى أنواع أخرىٰ من الفاكهة قليلة المقدار؛ وبه البِطِّيخ
الأخضرُ والأصفر .

قال ابن البرهان : وغالب ما يوجَدُ بمصر من الفواكه يُوجَدُ باليمن ، إلا أنه بالَغَ في وصف السَّفَرْجَل به .

وأما أسعاره فَرخيَّة في الغالب . وذكر ابن البرهان أن الحنطة فيه تغْلُو، والحوم فيه رخيصة .

الجملة الثالثة

(في الطريق الموصِّلة إلى اليمن)

وله طريقان : طريقٌ في البَرِّ، وطريق في البحر .

أما طريقه في البر، فالطريق من مِصْرَ إلى مكة معروفةٌ. قال في "تقويم البُلْدان" : ومن مكةَ إلى عَدَن نحوُ شهر . قال : ولها طريقان : أحدهما على ساحل البحر، وهو الأبعدُ . والثاني على نَجْرانَ، وجُرَش، وصَعْدة، وصَنْعاء، وهو الأقرب .

وأما في البحر، فمن مِصْرَ إلى السُّوَيس ثلاثةُ أيام في البَرّ، ثم يُركب في البحر إلى زَبِيدَ وعَدَن. وربما عدل المسافرُون عن السُّوَيس إلى الطُّور فتطول الطريقُ في البر، وتقصُر في البحر، وربما وقع السفر إلى قُوصَ في النيل أو في البر، ثم من قُوصَ إلى عَيْذابَ أو إلى القُصَيْر، فيُرْكب في البحر إلى زَبِيدَ أو عَدَنَ .

الجملة الرابعة

(في ذكر ملوكه : جاهليَّةً وإسلاما)

أما ملوكه في الجاهلية فعلى عَشْر طبقات :

الطبقـــــة الأولىٰ

(العـاديّة)

وهم بنو عادِ بن عَوْص ، بن إرَمَ ، بنِ سامٍ ، بن نوحٍ عليه السلام .

وكانت منـازلهم بالأحقاف من اليمن ، وعُمَان مرـ البحرين إلىٰ حَضْرموت والشِّـــحْر .

وأوّل من ملكها منهم (عاد) المقدّم ذكره . ويقـال : إنه أوّلُ مَـنْ ملك من العرب وطال عُمُـره وكثُر ولُده ، حتّى يقـال إنه ولد أربعـةَ آلاف ولدٍ ذكرٍ لصُـلْبه ، وتزوّج ألف آمرأة ، وعاش ألف سـنة ومائتَىْ سـنة . وقال البيهقى : عاش ثلثمائة سنة .

ثم ملك بعده آبنه (شدِيد) بن عاد .

ثم ملك بعده آبنه الثانى (شَدَّاد) بن عاد وسار فى الممالك، وآستولىٰ علىٰ كثير من بلاد الشام والعراق والهند ويقال إنه ملك مصر أيضا .

ثم ملك بعده آبنه (إرَم) بن عاد .

والذى ذكره المسعودى" أنه ملك بعد عاد بن عوص ابنُه عاد بن عاد وأن جَيْرُون ابنَ سَعْد بن عاد كان من ملوكهم، وأنه الذى آختطّ مدينة دِمَشْقَ ومَصَّرها، وإليه يُنْسب باب جيْرُونَ بها كما تقدّم فى الكلام عليها فى مضافات الديار المصرية .

وذكر آبن سعيد : أنـ شَدَّاد بن بَدَّاد، بن هَدَّاد، بن شَـدَّاد، بن عاد غلب قفط بن قبط علىٰ أسافل الديار المصرية، ثم هلك هنالك، ويقال ان مَلِكَهم علىٰ عهد

هود عليه السلام كان اسمه الخَلَجان بن عاد، بن رقيم، بن عاد الأكبر، ولقمان بن عاد. ٱبن عاديا بن صداقا بن لقمان، وكَفَر الخلجان، وأهلك الله من كفر منهم بالريح العَقيم.

وٱنتقل ملك لقمان إلىٰ ولده (لُقَيْم) وٱتصل ملك لقمان ورهطه ألفَ سنة أو أكثر إلىٰ أن غلبهم عليه يَعْرُبُ بن قحطان الآتى ذكره.

الطبقـــة الثانيـــة
(القَحْطانيّـــة)

وأول من ملك منهم (قَحْطانُ) بن عابَر، بن أرنخشذ، بن سام، بن نوح عليه السلام. قال المؤيد صاحب حماة: وهو أوّل من ملك اليمن ولبس التاج.

ثم ملك بعده ٱبنــه (يَعْرُبُ) بن قحطانَ، وغلب عادا علىٰ اليمن، وعَظُمَ مُلْكه. وهو أوّل من حَيَّاه قومه بتحيــة المُلْك؛ وولّى أخاه حَضْرَمَوْتَ بن قحطانَ علىٰ بلاد حَضْرموتَ فعرفت به؛ وولّى أخاه عُمَان بنَ قحطان علىٰ بلاد عُمَان من البحرين فعُرفت به.

ثم ملك بعده ٱبنه (يَشْجُب) بن يَعْرُب.

ثم ملك بعده ٱبنه (عَبْدُ شمس) وأكثر الغَزْو والسبْىَ، فسمى سَبَأ؛ وبنىٰ قصر سبإ ومدينةَ مأْرِبَ باليمن. ويقال: إنه غزا مصر، وبنىٰ بها مدينــةَ عَيْنِ شمس، التى أثرُها بالقرب من المطرية الآنَ.

ثم ملك بعده ٱبنه (حِمْيَرٌ) خمسين سنة، وهو أوّل مَنْ تتوّج بالذهب.

ثم ملك بعده ٱبنه (وائل). وقيل: بل ملك بعده أخوه (كَهْلان).

ثم ملك بعد وائل ابنه (السَّكْسَكُ) .

ثم ملك بعده ابنه (يَعْفُر) بن السَّكْسَك .

ثم غلب على المُلْك (عامر) بن بارانَ، بن عوف، بن حِمْير؛ ويعرف بذى رِيَاش .

ثم ملك بعده ابنه (المُعَافِر) واسمه النعمان بن يَعْفُر المقدّم ذكره .

ثم ملك بعده ابنه (أسمح)(١) بن النعمان؛ فاضطرب أمرُ حِمْير، وصار ملكهم فى طوائف إلى أن ظهرتْ ملوك التَّبَابِعة .

ويقال: إنه ملك منهم (أبْيَنُ) بن زُهَير، بن الغَوْث، بن أيْمُن، بن الهَمَيْسَع، وإليه تنسب عَدَنُ أبْيَنَ على ماتقدّم ذكره .

وملك منهم أيضا (عبد شمس) بنِ وائل، بن الغوث، بن حَيْدان، بن قَطَن، ابن عُرَيْب، بن زُهَير، بن أيْمُن، بن الهمَيْسَع، بن حمير .

وملك منهم أيضا (حَسَّانُ) بن عمرو، بن قيس، بن معاوية، بن جُشَم، ابن عبد شمس .

ثم ملك بعده أخوه (لُقْمان) . ثم أخوه (ذو شدد) : وهو ذو مَرَاثد . ثم ابنه (الصَّعْب) ويقال : إنه ذو القرنَيْنِ . ويقال : إن بَنِى كَهْلانَ بن سبإٍ داوَلُوا بنى حِمْير فى الملك .

وملك منهم (جَبَّار) بن غالب، بن زيد، بن كَهْلانَ؛ وانه ملك من شُعُوب قحطان أيضا (نَجْرانُ) بن زيد، بن يَعْرُب، بن قحطان؛ وبه عرفت نَجْرانُ المقدّم ذكرها .

---

(١) فى "العبر" أسحم بتقديم الحاء على الميم .

الطبقـــة الثالثـــة

(التبابعـــة)

إمَّا بمعنى أن النـاس يَتْبَعُونهم كما قاله السهيلى والزمخشرى ؛ وإما بمعنى أنه يَتْبَع بعضهم بعضا كما قاله ابن سيده . قال فى " العبر " : وكانت منازلُهم ظَفَارِ .

وأول من ملك منهم (الحارث) بن ذى شـدد، بن المِلْطاط، بن عمرو، بن ذى يقدم، بن الصوار، بن عبد شمس، بن وائل، بن الغوث، بن حيدان، بن قَطَن، ابن عُرَيْب بن زُهَير، بن الغوث بن أَيْمُن بن الهَمَيْسع، بن حمير، بن سبإ . وسمى الرائش لأنه لمـا ملك الناس راشهم بالعطاء . قال السهيلى وكان مؤمنا .

ثم ملك بعده ابنه (أبرهة ذو المَنَار) مائة وثمـانين سنة قاله المسعودى . وقال ابن هشام هو أبرهةُ بن الصَّعْب ، بن ذى مرائد، بن المِلْطاط المقدّم ذكره، وسمّى ذا المنار لأنه رفع منارا يهتدى به

ثم ملك بعده ابنه (إفْرِيقش) بن أبرهة مائة وستين سنة .

وقال هشام ابن الكلبى هو إفريقش، بن قَيْس، بن صَيْفِى أخى الحارث الرائش وسار إلى بلاد المغرب وفتح أفريقية فعرفت به .

ثم ملك بعده أخوه (عَمْرو العبد) بن أبرهة المعروف بذى الأذعار خمسا وعشرين سـنة . قال المسعودى : وسُمّى ذا الأذعار لكثرة ذُعْر الناس منه . قال وكان على عهد سليمان عليه السلام أو قبله بقليل .

وقال الطـبرى : عَمْرو بنُ أبرهة ذى المَنَار ، بنِ الحارث الرائش ، بن قيس ، ابن صَيْفى، بن سبإ الأصغر .

ثم ملك بعـده (الهَدْهاد) بن شُرَحْبِيـل ، بن عمرٍو ذى الأذعار ستّ سنين أو عشر سنين ، وهو ذو الصَّرْح .

ثم ملك بعده آبنتُه (بِلْقِيس) بنت الهَدْهاد بن شُرَحْبِيل سبع سنين وهى صاحبة القصة مع سليمان عليه السلام .

وقال الطبرىّ : بِلْقِيس هى يَلْقَمة بنت لَيشْرَح بن الحارث بن قيس .

ثم ملك بعدها (سليمان) عليه السلام . ثم أقاموا فى مُلْكه ومُلْك بنيه أربعا وعشرين سنة .

ثم ملك (ناشِر) بن عمرو ذى الأَذْعار، ويقال له ناشر ينعم ،وربما قيل ناشر أنعم ، سُمِّى بذلك لإنعامه عليهم . وقال السهيلىّ : ناشِرُ بن عمرو . ثم قال : ويقـال له ناشِر النِّعم . وقال المسـعودىّ ناشر بن عَمْرو ذى الأذعار . وقيل ناشر بن عمرو ، آبن يعـفر ، بن شُرَحْبِيلَ ، بن عمرٍو ذى الأذعار ، وسـار إلىٰ وادى الرمل بأقصىٰ الغَرْب ، فلم يجد وراءه مَذْهَبا ، فنصب صَنَمـا من نُحَاس ، وزَبَر عليـه بالمُسْنَد "هذا الصنم لناشِر أنعم ، ليس وراءه مَذْهَب ، فلا يتكلَّف أحد ذلك فيَعْطَب" .

ثم ملك بعده آبنه (شَمِر) مائة وستين سنة[1] . ويقال له شَمِر مَرْعَش ، سُمِّى بذلك لآرتعاش كان به . وقال السهيلىّ : شَمِر بن مالك ، ومالك هو الأُمْلُوك . ويقـال إنه وَطِئ أرض العراق وفارِس وخُرَاسان وآفتتح مدائنَهـا ، وخَرَّب مدينـة الصُّغْد وراءَ نهر جَيْحُون ، فقالت العجم : شَمِر كَنْد أى شمر خَرَّب ، وبنىٰ هناك مدينـة فسميت بذلك ، ثم عُرِّبَتْ سَمَرْقَنْد . ويقال : إنه الذى بنىٰ الحيرةَ بالعراق . وملك بلاد الروم وآستعمل عليها مَاهَانَ قَيْصَر .

(١) كذا فى "العبر" أيضا وفى "السبائك" ثلاثا وخمسين سنة .

ثم ملك بعده (تُبَّعٌ الأَقْرن) ثلاثا وخمسين سنة ، وقيل ثلاثا وستين سنة وآسمه زيد ، قال المسعودىّ : وهو آبن شَمِر مَرْعَش ، وقال الطبرىّ : آبن عمرو ذى الأذعار . قال السهيلىّ : وسمى الأقرن لشامة كانت فى قَرْنه .

ثم ملك بعده آبنه (كُليكَرِب) .

ثم ملك بعده (تبان) أسعد أبو كَرِب، بن قيس، بن زيد الأقْرَن، بن عمرو ذى الأذعار، وهو تُبَّع الآخِر. ويقال له الرائد، وكان علىٰ عهد يستاسف أحد ملوك الفُرْس الكَيَانية وحافده أردشير؛ وملك اليمن والحجاز والعراق والشام، وغزا بلاد الترك والتبّت والصين، ويقال : إنه ترك ببلاد التبت قوما من حمير، هم بها إلىٰ الآن، وغزا القسطنطينية ومَرَّ فى طريقه بالعراق فتحير قومه فبنىٰ هناك مدينة سماها الحيرة، وقد مرّ الكلام عليها مع العراق فى الكلام علىٰ مملكة إيران، ويقال إنه أوّل من كسا الكعبة المُلَاء وجعل لبابها مفتاحا وأوصىٰ وُلَاتها من جرهم بتطهيرها ودام ملكه ثلثمائة وعشرين سنة .

ثم ملك من بعده (رَبيعةُ) بن نصر، بن الحارث، بن نمارة، بن لَخْم. ويقال ربيعة، ابن نصر، بن أبى حارثة، بن عمرو، بن عامر. وبعضهم يعكس فيقول نصر بن ربيعة، ثم رأىٰ رؤيا هالته فسار بأهله إلىٰ العراق وأقام بالحيرة ؛ ومن عقبه كان النُّعْمان آبن المنذر ملك الحِيرة وهو النعمان بن المنذر بن عمرو بن عدىّ بن ربيعة بن نصر .

ثم ملك بعده (حَسَّان ذو معاهر) بن تبان أسعد أبى كَرِب .

ثم ملك بعده أخوه (عمرو) بن تبان أسعد أبى كرب ويسمى الموثبان ثلاثا وستين سنة، ومات عن أولاد صغار وأكبرهم قد آستهوته الجن، فوثب علىٰ مُلْك التبابعة (عبد كلال) بن مثوب ، فملك أربعا وتسعين سنة وهو تُبَّع الأصغر، وله مغاز وآثار بعيدة .

ثم ملك بعده اخوه لأمه (مَرْثَد) بن عبد كُلَال سبعا وثلاثين سنة .

[ثم ملك من بعده آبنه وَلِيعة بن مرثد](١) .

ثم ملك بعده (أبرهةُ بن الصَّـباح) بن لَهِيعة ، بن شيبة ، بن مرثد ، بن نيف آبن مَنْدِى كرب ، بن عبد الله ، بن عمرو ، بن ذى أصبح الحارث ، بن مالك ؛ وقيل إنمـا ملك تِهَامةَ فقط .

ثم ملك بعده (حَسَّان بن عمرو) بن تُبَّع ، بن كُلَيكَرِب سبعا وخمسين سنة .

ثم ملك بعده (لُخَيْعة) بن ينُوف ذو شَنَاتر سبعا وعشرين سنة .

ثم ملك بعده (ذو نُوَاس زُرْعةُ) تُبَّع بن تبان أسـعد أبى كرب ثمـانين سـنة ، ويسمَّى يُوسفَ ، وكان يَدين باليهودية وحَمَل الناسَ عليه .

ثم ملك بعده (ذو جَدَن) وآسمُه عَلَس بن زيد ، بن الحارث ، بن زيد الجُمْهور . وقيل : عَلَس بن الحارث ، بن زيد ، بن الغوث ، بن سعد ، بن عَوْف ، بن عَدِىّ ، ابن مالك ، بن زيد الجُمْهور ، وهو آخرُ ملوك اليمن من العَرَب . وقيل غيرُ ذلك من تقديم وتأخير وتبديل آسم بآسم .

و بالجملة فأخبار التَّبَابعة غيرُ مضبوطة ، وأمورهم غير محقَّقة . قال المسعودىّ : ولا يسـمَّى أحدٌ منهم تُبَّعًا حتى يملك اليمنَ والشِّحْر وحَضْرَموتَ ؛ على أن الطبرىّ قد ذكر أن المَلِك من ملوك اليمن لا يتجاوز مِخْلافَه ، وإن تجاوزه فبمسافة يسيرة .

---

(١) الزيادة من العبر .

الطبقة الرابعة
(الحَبَشة)

وأوّل من ملك منهم (أرياط) بعثه صاحب الحبشة مقدّما على جيوشه حين تَهَوّد ذو نُوَاس وأحرق الإنْجيلَ ؛ ففتح اليَمَن وٱستقرّ فى ملكه .

ثم ملك بعده (أبرهةُ الأشرمُ) وهو صاحب الفِيل الذى جاء به لتخريب الكعبة .

ثم ملك بعده ٱبنه (يَكْسُومُ) .

ثم ملك بعده أخوه (مَسْروقٌ) وهو آخر ملوك اليمن من الحبشة .

الطبقة الخامسة
(الفُـرْس)

وأوّلُ من ملك منهم (وَهْرَز) وذلك أن سَيْفَ بن ذى يَزَن، بن عابرَ، بن أَسْلَمُ، ٱبن زيد، بن غَوْث، بن سَعْد، بن عَوْف، بن عَدِىّ، بن مالك، بن زيد الجمهور الحِمْيرىّ ، ٱستجاش كِسْرىٰ أَنُو شِرْوان : ملكَ الفُرْس علىٰ مسروق بن أبرهة آخر ملوك الحبشة باليمن فأسْعفه بجيش ، ففتح به اليمن وٱستنابه فيه، فقتله بعض من ٱستخلصه من الحَبَشة ، فولّى كسرىٰ (وَهْرَز) مكانَه وهلك، فأقام كسرىٰ مكانَهُ ٱبنه (المَرْزُبانَ) ثم هلك ؛ فأقام مكانه (خذخُسْرَو) بن السيحان بن المَرْزُبان ؛ ثم عزله وولى علىٰ اليمن (باذَانَ) فلم يزل به إلىٰ أن كانت البِعْثة فأسلم وفشا الإسلام باليمن ، وتتابعت الوفود منه علىٰ رسول الله صلّى الله عليه وسلم .

الطبقة السادســـــة

(عُمَّـال النبيّ صلّى الله عليه وسلم والخُلفاءِ بعده)

لـمـا أسلم (باذَانُ) نائبُ كسرىٰ، وَلّاه النبيّ صلّى الله عليه وسلم علىٰ جميع مَخَاليف اليمن، وكان منزله بصنعاءَ : دارِ مملكة التبابعة، وبقِى حتّى مات بعد حَجَّة الوَدَاع، فولَّى النبيّ صلى الله عليه وسلم آبنه (شَهْر) بن باذانَ علىٰ صنعاء، وولّى علىٰ كل جهة واحدا من الصحابة رضوانُ الله عليهــم إلىٰ أن خرج (الأسودُ العَنْسىُّ) فقَتَـل شَهْرَ آبن باذانَ، وأخرج سائرَ عُمَّال النبيّ صلّى الله عليه وسلم من اليمن . فلما قُتِل العَنْسىُّ رجع عُمَّال النبيّ صلّى الله عليــه وسلم إلىٰ أعمالهم، وآستولىٰ (قيْس بن عبدِ يَغُوثَ) المرادىُّ علىٰ صنعاءَ، وتُوفِّىَ رسول الله صلّى الله عليه وسلم والأمرُ علىٰ ذلك .

ثم وَلّى أبو بكر الصدّيقُ رضى الله عنه (فيْروزَ الدَّيْلَمِىَّ) .

ثم وَلّى بعده (المهاجِرَ) بن أبى أُمَيَّة ، و(عكرمةَ) بنَ أبى جهل، علىٰ قتال أهل الرِّدَّة، ثم آستقرّ اليمن فى ولاية (يَعْلَى بن مُنَبِّه) .

ثم ولّى علىٌّ بن أبى طالب رضى الله عنه فى خلافته (عُبَيدَ الله) بن عباس، ثم أخاه (عبدَ الله) .

ثم ولّى معاويةُ علىٰ صــنعاءَ (فَيْروزَ) الديلمىَّ، ومات ســنة ثلاث وخمسين من الهجرة .

ثم جعل عبدالملك بنُ مروان اليمنَ فى ولاية الحَجَّاج بن يوسف، حين بعثه لقتال ابن الزبير سنة ثنتين وسبعين .

ثم كان به (يوسف) بنُ عمرو سنة ثمـان ومائة .

ثم لما جاءت دولة بنى العبَّاس ، ولَّى السفَّاحُ : أوَّلُ خلفائهم على اليمن عَمَّه (داود) وتوفى سنة ثلاث وثلاثين ومائة، فولّى مكانه (عمر) بن زيد، بن عبد الله، آبن عبد المَدَان، وتُوُفِّى سنة أربع وثلاثين ومائة، فولَّى السفاح مكانه (علىّ بن الربيع) آبن عبيد الله .

ثم فى سنة ثلاث وخمسين ومائة كان عليها (يزيد) بن منصور؛ ثم عزله المهدىّ فى خلافته، وولّى مكانه (رجاءَ بن رَوْح) .

ثم ولّى بعده (علىَّ بن سليمان) ثم عزله سنة آثنتين وستين ومائة ، وولى مكانه (عبد الله بن سليمان) . ثم عزله سنة ثلاث وستين ومائة، وولى مكانه (منصور بن يزيد) . ثم عزله فى سنة ست وستين ومائة، وولى مكانه (عبد الله بن سليمان الربعى) . ثم ولى سليمان بن يزيد[1] ثانيا .

ثم ولّى الرشيد سنة أربع وثمانين ومائة حَمَّادا اليزيدى .

الطبقة السابعة

(ملوكها من بنى زِياد)

لم تزل نوّابُ الخلفاء متواليةً على اليمن إلى أيام المأمون، فاضطرب أمرُ اليمن، فوجّه المأمون إليه (محمدَ بنَ إبراهيم) بنِ عبيد الله، بن زِيادِ، بنِ أبيه، ففتح اليمن وملكه، وبنى مدينةَ زَبِيدَ فى سنة أربع ومائتين؛ وولّى مولاه جعفراً على الجبال، فعُرِفت بمخلاف جعفر إلى الآنَ .

ثم ملك اليمن بعده آبنه (إبراهيم) بن محمد [ثم آبنهُ[2] زياد بن إبراهيم] .

---

(١) كذا فى الأصول ولم يسبق ذكر سليمان بن يزيد فى ولاتها فلعله من زيادة الناسخ وأن ثانيا راجع إلى عبد الله بن سليمان الخ كما يؤخذ من الكامل .

(٢) الزيادة عن "العبر وأبى الفداء" ليستقيم الكلام .

ثم ملك بعده أخوه (أبو الجَيْش) إسحاقُ بن إبراهيم وطالت مدّته، وتوفى ســنة إحدىٰ وتسعين وثلثمائة، وخلّف طفلا فتولت أخته هندٌ بنتُ أبى الجيش كَفَالته، وتولّى معها عبدٌ لأبى الجيش آسمه رشيد فبقى حتّى مات ؛ فتولّى مكانه حسين بن سلامة (وسلامة آسم أمه) وصار وزيرًا لهند وأخيها حتى ماتا .

ثم مَلَّكوا عليهم طفلا آسمُه (إبراهيم) وقيل (عبد الله) بن زياد، وقام بأمره عَمّتُــه وعبد من عبيد حُسَين بن سلامة آسمه (مَرْجانُ) ثم قبض (قيسٌ) عبد مَرْجانَ علىٰ الطفل وعمته فى سنة سبع وأربعمائة وآستبدّ بالملك؛ ثم قُتِل قيس بزَبِيدَ .

وملك بعده (نَجاحٌ) عبدُ مرجانَ أيضا وعظُم شأنه، وركب بالمِظَــلّة وضُربت السكّةُ باسمه، وبقى حتّى توفى سنة آثنتين وخمسين وأربعمائة .

وملك بعده آبنه (سَعِيد الأحول) بن نجاح .

ثم غلب علىٰ المُلْك الملِكُ المكرَّم (أحمد بن علىّ الصُّلَيْحِىّ) فى سنة إحدىٰ وثمانين وأربعمائة . وقيل سنة ثمــانين، وأقام بزبيد .

ثم ملكها (جيَّاش بن نَجَاح) فى بقايا ســنة إحدىٰ وثمــانين، ومات سنة ثمــان وتسعين وأربعمائة .

[ثم ملك بعده آبنه فاتك] (١) ثم ملك بعده (منصور بنُ فاتِك) بن جَيَّاش بن نجاح .

ثم ملك بعده آبنه (فاتِك) بن منصور بن فاتك .

ثم ملك بعده آبنُ عمه (فاتِك بن محمد) بن فاتك، بن جَيَّاش، بن نَجَاح فى سنة إحدىٰ وثلاثين وخَمْسِمائة، وقتل فى سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة. وهو آخر ملوك بَنِى نَجَــاح .

(١) الزيادة من خطط المقريزى .

الطبقة الثامنة

(ملوكها من بنى مَهْدىّ)

لما قُتِل فاتك، ملك بعده (على بن مهدىّ) وٱستقرّ فى دار المُلْك بزَبِيدَ فى رابع عشر شهر رجب سنة أربع وخمسين وخَمْسِمائة ، ومات بعد شهرين وأحد وعشرين يوما ، وكان مذهبُه التكفيرَ بالمعاصى وقتلَ من خالف مذهبه .

ثم ملك بعده ٱبنه (مَهْدِى بن على) بن مهدىّ .

ثم ملك بعده ٱبنه (عبد النبى) بن مهدى .

ثم ملك بعده عمه(١) (عبد الله) بن مهدى .

ثم عاد (عبد النبى) ثانيا ، وهو آخرهم .

الطبقة التاسعة

(ملوكها من بنى أيوبَ ملوكِ مصر)

وأوّل من ملكها منهم (شمسُ الدولة تُورانْ شاه بن أيوب) سيَّره إليها أخوه السلطان "صلاح الدين يوسف بن أيوب" صاحب الديار المصرية فى سنة تسع وستين وخمسمائة ، ففتح زَبِيدَ وأَسَرَ صاحبها (عبد النبى). ثم ملك عَدَن وأسر صاحبها (ياسر) وٱستولىٰ علىٰ اليمن لأخيه صلاح الدين، ثم ٱستناب تُوران شاه علىٰ زبيد حِطَّان بن كامل بن منقذ الكنانى ، ورجع إلىٰ الشام فى سنة إحدىٰ وسبعين وخمسمائة ، فأضاف إليه أخوه السلطان صلاح الدين الإسكندريةَ ، وبقيت نوّابه باليمن يحملون إليه الأموالَ من زَبِيدَ إلىٰ أن تُوفِّى بالإسكندرية فى سنة ست وسبعين

(١) صوابه "أخوه" كما فى تاريخى أبى الفداء والقرمانى .

وخمسمائة، فاضطرب أمرُ اليمن، فوجَّه السلطانُ صلاح الدين إليه أميرا، فعزل عنه حطَّانَ بن كامل وتولَّى مكانه، ثم توفى الأمير فعاد حِطَّانُ إلى ولايته .

ثم بعث السـلطان صلاح الدين أخاه (سيف الإسلام طغتكين) بن أيوب إلى اليمن فقبض على حطَّان وآستقرّ فى مملكة اليمن، وبقى به حتّى مات بزبيد فى سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة .

ثم ملك بعده آبنه (الملك العزيز إسماعيل) فأساء السيرة فقتله أمراؤه .

وملك بعده أخوه (الناصرُ) صغيرا، فقام بتدبير مملكته سـنقر مملوكُ أبيه أربع سنين ثم مات، فتزوّج أمَّ الناصر غازى بن جبريل : أحد أمراء دولتـه وقام بتدبيرها، ثم مات الناصر وبقى (غازى) فى المملكة فقتـله جماعة من العرب، فغلبتْ أم الناصر على زَبِيدَ .

وكان (سليمان بن شاهنشاه) بن المظفر تقىّ الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب قد خرج فقيرا، فاتفق أن وافى اليمنَ فتزوّج أمَّ الناصر وملك اليمن فأسـاء السـيرة، فبعث إليه عمُّه الملك الكامل محمد بن العادل أبى بكر، آبنَه (الملك المسعود) أطسز المعروف باقسيس، فى جيش فملك اليمنَ من سليمان، ثم كَرِه المُقامَ فيه فسار قاصدا الشام فتوفى بمكة، وهو آخر ملوكها من بنى أيوب .

الطبقـــة العـاشرة

(دولة بنى رَسُول . وهم القائمون بها الان)

وأوّلُ من ملكها منهم علِيُّ بن رسول . وذلك أنه لما تُوُفِّى الملكُ المسعودُ أقْسيس ابن الملك الكامل محمد، كان معه أميراخور لأبيه آسمه رسول، فلمـا خرج الملك

المسعود يريد الشام ، آستخلف على اليمن (علىّ بن رسول) المذكور ؛ فاستقر نائبا باليمن لبنى أيوب حتى مات سنة ثلاثين وستمائة ، ووقع فى "التعريف" : أن المستقرّ فى اليمن أوّلا هو رسولٌ والدُ علىّ المذكور، ولم أره فى تاريخ .

ثم آستقر بعد علىّ بن رسول المذكور فى النيابة ولدُه الملك المنصور (عُمَر آبن علىّ) . ثم تغلب على اليمن وخرج عن طاعة بنى أيُّوبَ ملوك مصر ، وآستقلّ بمُلْك اليمن ، وتلقب بالملك المنصور ؛ ثم قُتِل فى سنة ثمان وأربعين وستمائة .

وملك بعده آبنه الملك المظفَّر شمس الدين (يوسف بن عمر) بن على بن رسول ، وصَفَا له ملك اليمن وطالت مدّتُه ، وأرسل إلى الملك المنصور قلاوون صاحب الديار المصرية حينئذ هديةً نفيسةً ، وسأل أن يكتُب له أمانا ، فقُبِلَتْ هديته وكُتِب له بالأمان ، وقُرِّرتْ عليه إتاوةٌ لملوك مصر ، وأعيدت رُسُله فى سنة ثمانين وستمائة . ومات بقلعة تَعِزَّ سنة أربع وتسعين وستمائة .

وملك بعده آبنه الأشرفُ ممهِّد الدين (عمر بن المظفَّر يوسف) وبقِىَ حتّى مات سنة ست وتسعين وستمائة .

ثم ملك بعده أخوه الملك المؤيد (هزبر الدين داود) وآستمرّ على مواصلة ملوك مصر بالهدايا والتُّحَف والضريبةِ المقرّرة عليه . وتَمَذْهب بمَذْهب الشافعى رضى الله عنه وآشتغل بالعلم وآعتنى بجمع الكتب ، حتّى آشتملت خزائنُه على مائة ألف مجلَّد ؛ وبَرَّ العلماءَ ، وكانت تُحَفُه تصل إلى الشيخ تقىّ الدين بن دقيق العيد رحمه الله فى كل وقت ؛ وتوفى سنة إحدى وعشرين وسبعمائة .

وملك بعده آبنه الملك المجاهد (سيف الدين على) وكان فى الأيام الناصرية

"محمد بن قلاوون" صاحب الديار المصرية ، فأساء السيرة ، فقُبِض عليه وخُلِع وحُبِس فى سنة ثنتين وعشرين وسبعمائة .

وملك بعده عمه الملك المنصور (أيوب بن المظفَّر يوسف) ثم قتله شِيعة المجاهد، وأعادوا الملكَ المجاهدَ . وكان الظاهر أسد الدين عبد الله بن المنصور أيوب بحصن الدُّمْلُوة المقدّم ذكره فعصىٰ عليـه ، وملك عَدَنَ وغيرها . وبعث الملك المجاهد للملك الناصر "محمدبنقلاوون" يستصرخه علىٰ الظاهر عبد الله . فجهز إليه العساكر فوصلت إليه ســنة خمس وعشرين وســبعمائة ، فأوقعوا الصلح بينهما علىٰ أن تكون الدُّمْلُوة للظاهر المذكور ، وتَمهَّـد اليمنُ للمجاهد ، وآســتنزل الظاهرَ عن الدُّمْلُوة ، ثم قبض عليه وقتــله .

ثم حج المجــاهد سنة إحدىٰ وخمســين وسبعمائة فى أيام الملك "الناصر حسن" ابن محمد بن قلاوون صاحب مصر .

وكان الأمير طاز أحدُ أكابر أمراء الديار المصرية قد حج ، وأُشِيعَ أن المجاهد يريد كسوة الكعبة فى تلك الســنة ، فوقعت الفتنـة بين العسكر المصرىّ والمجاهد ، فانهزم المجــاهد ونُهِبت عساكره وسائر أهل اليمن ، وأُسِر المجاهد صاحب اليمن وحُمِل إلىٰ مصر فاعتُقِل بها ، ثم أُطْلِق سنة ثنتين وخمسين وسبعمائة فى دولة الصالح ، ووُجِّه معه بالأمير قشتمر المنصورى ليوصله إلىٰ بلاده ، فلما بلغ به اليَنْبُعَ ، آرتاب منه فى الهرب ، فرجع به إلىٰ مصر ، فحُبِس فى الكَرَك (١) من بلاد الشام ، ثم أُطْلِق وأُعِيدَ إلىٰ مُلْكه ، وأقام علىٰ مداراة صاحب مصر إلىٰ أن توفى سنة ست وستين وسبعمائة .

---

(١) عبارة "العبر" فرده وحبسه بالكرك .

وملك بعده ابنه الملك الأفضل (عباس) بن المجاهد على، فاستقام له مُلْك اليمن وبقى حتى مات سنة ثمان وسبعين وسبعمائة .

وملك بعده ابنه الملك المنصور (محمد) ومات .

وملك أخوه الملك الأشرف (إسماعيل) بن الأفضل عباس ، فاستقام أمره بها ، ثم مات .

وولى بعده ابنه [1] وهو بن الأشرف إسماعيل ، بن الأفضل عباس ، ابن المجاهد على ، بن المؤيد داود ، بن المظفر يوسف ، بن المنصور عمر ، بن على ، ابن رسول ، وهو باق باليمن إلى آخر سنة اثنتى عشرة وثمانمائة .

وله مكاتبة عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية ، يأتى ذكرها فى المكاتبات إن شاء الله تعالى .

الجملة السادسة

(فى ترتيب هذه المملكة على ما هى عليه فى زمن بنى رسول : ملوكها الآن : فى مقدار عساكرها ، وزِىّ جُنْدها ، وبيان أرباب وظائفها ، وحال سلطانها) .

أما مقدار عساكرها . فقد قال فى "مسالك الأبصار" : أخبرنى أقضى القُضاة ، أبو الربيع : سليمان بن محمد ، بن الصدر سليمان (وكان قد توجه إلى اليمن ، وخدم فى ديوان الجيوش به) أن جميع جُنْد اليمن لا يبلغ ألفَىْ فارس . قال : وينضاف إليهم من العرب المدافعين فى طاعته مثلُهم ، وأرانى جَرِيدةً للجيش تشهد بما قال .

(١) بياض فى الاصل .

وذكر أن غالب جُنْده من الغُرَباء . ونَقَل عن الحكيم "صلاح الدين بن البرهان" أن الإمرة عنـدهم قد تُطْلَق علىٰ من ليس بأمير، وأما الإمرة الحقيقيـة التى ترفع بها الأعلام والكُـوسات ، فإنها لمَنْ قَلَّ ؛ وربمـا أنه لا يتعدّى عدّةُ الأمراء بها عشرةَ نفر .

وأما زِىُّ السلطان والجُنْد بها ، فقد ذكر فى "مسالك الأبصار" أنـ لِبَاس السلطان وعامَّةِ الجند باليمنـ أقْبِيةٌ إسلامية ، ضَيِّقة الأكمام ، مزَنَّدة علىٰ الأيدى ، وفى أوساطهم مَناطِقُ مشـدودةٌ ، وعلىٰ رءوسهم تَخـافِيفُ لانس ، وفى أرجلهـم الدلاكسات ، وهى أخفاف من القماش الحرير الأطلس والعَتَّابىّ وغير ذلك .

قال المقر الشهابىّ بن فضـل الله : وقد حضر علىّ بن عمر بن يوسف الشهابىّ : أحدُ أمراء الملك المجاهد باليمن إلىٰ الديار المصرية ، فى وحْشَـة حصلت بينه وبين سلطانه ، وهو بهـذا الزِّىّ خلا الدلاكس فإنه قلعـه ولبس الخُفَّ المعتـاد بالديار المصرية ؛ وكان يحضُر المَوْكب السلطانىّ بالديار المصرية ، وهو علىٰ هذا الزِّىّ .

وأما شـعار السلطنة ، فقد ذكر عن الحكيم بن البرهان أيضا أن شِـعَار سلطان اليمن وَرْدةٌ حمراء فى أرض بيضاء . قال المقر الشهابىّ بن فضـل الله : ورأيت انا السَّنْجق اليمنىّ ، وقد رُفِع فى عَرَفات سـنة ثمـان وثلاثين وسبعمائة ، وهو أبيضُ فيه وَرْدات حُمْر كثيرة .

وأما أرباب الوظائف ، فنقل عن ابن البرهان أنـ باليمن اربابَ وظائفَ : من النائب ، والوزير ، والحاجب ، وكاتب السر ، وكاتب الجيش وديوانِ المـال . وبها وظائف الشادّ والولاية ، وأنه يتشبه بالديار المصرية فى أكثر أحواله . قال : أما كُتَّاب الإنشاء ثَمَّ ، فإنه لا يجمعهـم رئيس يرأس عليهم يقرأ ما يرد علىٰ السـلطان

ويُجاوب عنه ويتلقّى المراسيم وينفّذها، وإنما السلطان إذا دعت حاجته إلى كتابة كُتُب، بعث إلى كل منهم مايكتبه . فإذا كتب السلطان مارَسَم له به، بعثه على يد أحد الخِصْيان فقدّمه إليه، فيُعلّم فيه وينفّذه .

قال المقر الشهابى بن فضل الله : وعادةُ ما يُكْتَب عنه فى ديوان الإنشاء كعادة الديار المصرية فى المصطلَح . قال : ورأيت علامة الملك المؤيَّد داودَ على توقيع مثالها "الشاكر لله على نعمائه" فى سطر، وتحته "داود" فى سطر آخر .

وأما ترتيب أحوال السلطان ، فقد ذكر فى "مسالك الأبصار" : أن صاحب اليمن قليلُ التصدّى لإقامة رسوم المَواكب والخدمة والاجتماع بولاة الأمور ببابه ، فإذا احتاج أحد من أمرائه وجنده إلى مراجعته فى أمر، كتب إليه قصة يستأمره فيها، فيكتب عليها بخطه مايراه ؛ وكذلك إذا رُفعت إليه قِصَص المظالم هو الذى يكتب عليها بخطه بما فيه إنصاف المظلوم .

ونقل عن ابن البرهان : أن ملوك اليمن أوقاتُهم مقصورةٌ على لذّاتهم، والخلوة مع حَظَاياهم وخاصّتهم من النُّدَماء والمُطْرِبين، فلا يكاد السلطان يُرى، بل ولا يسمع أحد من أهل اليمن خبرا له على حقيقته ، وأهلُ خاصّته المقرّبون الخِصْيانُ ؛ وله أرباب وظائفَ للوقوف بأموره ؛ وهو ينحو فى أموره مَنْحَى صاحب مصر : يتسَمَّع أخباره ، ويحاول اقتفاء آثاره فى أحواله ، وأوضاع دولته ؛ غيرأنه لايصل إلى هذه الغايه ، ولا تَخْفق عليه تلك الرايه ؛ لقصور مَدَد بلاده، وقلّة عَدَد أجناده ؛ وللتُّجّار عندهم موضع جليل ، لأن غالب متحَصِّلات اليمن منهم وبسببهم، وغالب دَخْله من التُّجّار والجَلّابة بَرًّا وبحرا . ولذلك كانت مملكة بنى رسول هذه أكثرَ مالا من مملكة الشُّرَفاء بصنعاء وما والاها لمجاورة مملكة بنى رسول البحر .

وصاحب اليمن لاينزل فى أسفاره إلا فى قُصور مبنيَّةٍ له فى منازلَ معروفة من بلاده، فحيثُ أراد النزول بمنزلة وجد بها قصرا مبنيًّـا ينزل به . قال : وإنمـا تجتمع لهم الأموال لقـلة الكُلَف فى الخَرْج والمصـاريف والتـكاليف ؛ ولأن الهنـد يُمِدُّهم بمراكبه، ويواصلهم ببضائعه .

قال فى "مسالك الأبصـار" : ولا تزال ملوكُ اليمن تسـتجلِب من مصر والشام طوائفَ من أرباب الصناعات والبضائع ببضائعهم علىٰ اختلافها . قال أقضىٰ القضاة أبو الربيع سـليمان بن الصـدر سليمان : وصاحبُ هـذه المملكة أبدا يَرْغَب فى الغُرَباء، ويُحْسِن تَلَقِّيَهم غاية الإحسان، ويستخدمهم بمـا يناسب كُلًّا منهـم ، ويتَفَقَّدُهم فى كلِ وقت بمـا يأخُذُ به قلوبَهُم ويوطِّنُهم عنده .

وذكر فى "مسالك الأبصار" عن ملوك هـذه المملكة : أنهم لم يزالوا مقصودين من آفاق الأرض ، قَلَّ أن يبقىٰ مُجِيـدٌ فى صنعة من الصنائع إلا ويصـنع لأحدهم شيئا علىٰ آسمه ، ويُجِيد فيـه بحسب الطاقة ، ثم يجهِّزه إليـه ويقصـده به فيقدّمه إليه، فيُقْبِل عليـه ويَقْبَل منه، ويُحْسِن نُزُله، ويُسْنِي جائزته؛ ثم إن أقام فى بابه، أقام مُكْرَما محتَرَما ، أو عاد مَحْبوّا محبورا ؛ يُجْزِلون من نِعَمهم العَطايا ، ويُثْقِلون بكرمهم المَطَايا ؛ ماقصدهم قاصد إلا وحصـل له من البِرِّ والإيناس وتنويع الكرامة مايُسْليهم عن الأوطان؛ ولكنهم لايسْـمَحون بعَوْدِ غريب، ولا يَصْفَحون فى زَلَلٍ عن بعيـد ولا قريب ؛ فإن أراد الآرتحالَ عن دارهم، مَكَّنُوه من العَوْد كما جاءهم؛ وخرج عنهم علىٰ أسـوإ حال ، مسلوبًا ما آسـتفاد عندهم من نعمة ، عقابًا له علىٰ مفارقته لأبوابهـم لابُخْلا بمـا جادُوا به . أما من قدّم إليهم القولَ بأنه أتاهم راحلًا

لامُقيما، وزائرا لامُستديما، فإنهم لايُكلِّفونه المُقامَ لديهم، ولا دواما فى النزول عليهم؛ بل يُجْزِلون إفادته، ويُجْمِلون إعادته .

ثم بعد أن ذكر مابين صاحب اليمن هذا وبين إمام الزَّيْدية باليمن من المشاجرة والمهادنة تارةً والمفاسخة أخرىٰ ، قال : وصاحبُ اليمن لاعدوَّ له ، لأنه محجوب ببحرٍ زاخر وبرٍّ منقطِع من كل جهة ، وللمسالمة بينه وبينهم ، فهو لهذا قرير العين ، خالى البال، لايُهِمُّه إلا صيد، ولا يَهِيجه إلا بَلْبال . قال : وهم مع ذلك علىٰ شدّة ضبطٍ لبلادهم ومَنْ فيها ، وآحترازهم علىٰ طُرُقها بَرًّا وبحرا من كل جهة ، لا يخفىٰ عليهم داخل يدخل إليها، ولا خارج يخْرج منها؛ ومع ذلك فهو يُدارى صاحبَ مصر ويُهاديه، لمكان إمكان تسلُّطه عليه من البر والبحر الحِجازىّ؛ ولذلك آكتتب الملك "المؤيد داود" وصيةً أوصىٰ فيها الملك الناصرَ "محمد بن قلاوون" صاحب الديار المصرية علىٰ آبنه الملك المجاهد علىّ . فلما مات المؤيد نَجَم على آبنه المجاهد ناجِم ، فبعث بوصيةِ أبيه إلىٰ السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون ، فجهز معه عسكرا إلىٰ اليمن فمنعه من عدوّه الناجم عليه، ومكّن له فى اليمن وبسط يَدَه فيه .

القسم الثانى
(من اليمن النُّجُود)

وهى ما آرتفع من الأرض؛ وبها مستَقَرّ أئمة الزيدية الآن .

قال فى "مسالك الأبصار" : وهى شديدة الحرّ،وقد آنطوىٰ فيها جُزْء من اليمن، وإن كان ما بيد أولاد رسول هو الجزء الوافرُ الأعظمُ .

وفيه أربع جمل :

الجمـــــلة الأولىٰ

(فيما آشتملت عليه من النواحى، والمُدُن، والبلاد)

قال فى "مسالك الأبصار" حدّثنى الحكيم صلاح الدين بن البرهان : أن اليمن منقسم إلىٰ قسمين : سواحلَ ، وجبالٍ ؛ وأن السواحل كلَّها لبنى رسول ، والجبالَ كلَّها أو غالبها للأشراف . قال : وهى أقلُّ دَخْلا من السواحل : لَمَدَد البحر لتلك وآتصالِ سبيلها عنه ، وآنقطاع المَدَد عن هذه البلاد لأنقطاع سبيلها من كل جهة .

قال : وحدّثنى أبو جعفر بنُ غانم : أن بلاد الشُّرَفاء هؤلاء متصلةٌ ببلاد السَّراة، إلىٰ الطائف، إلىٰ مكة المعظَّمة .

قال : وهى جبال شامخة ، ذاتُ عيون دافقَة ومياهٍ جارية ، علىٰ قُرًى متصلة ، الواحدةُ إلىٰ جانب الأخرىٰ ؛ وليس لواحدة تعلق بالأخرىٰ بل لكل واحدة أهلٌ يرجع أمرُهم إلىٰ كبيرهم ، لا يضمُّهم مُلْك مَلِك ، ولا يجمعهم حُكْم سلطان ؛ ولا تخلو قرية منها من أشجار وعُرُوش ذوات فواكهَ أكثرُها العنبُ واللوز ؛ ولها زروع أكثرها الشعير؛ ولأهلها ماشية أعْوزَتْها الزرائبُ، وضاقت بها الحظائر .

قال : وأهلها أهلُ سلامة وخير وتمسُّك بالشريعة ووقوفٍ معها، يعَضُّون علىٰ دينهم بالنَّواجِذ، ويَقْرُون كلَّ مَنْ يمرّ بهم ، ويُضَيِّفُونه مدّةَ مَقامه حتّى يفارقهم . وإذا ذَبَحوا لضيفهم شاةً، قدّموا له جميعَ لحمها ورأسَها وأكارعَها وكبدَها وقلْبَها وكَرِشَها، فيأكل ويحمِلُ معه ما يحمِل . ولا يسافر أحد منهم من قرية إلىٰ أخرىٰ إلا برفيق يسترفِقُه منها فيخْفُره، لوقوع العداوة بينهم .

ثم هى تشتمل علىٰ عدّة حصون وبلاد مُخْصبة .

وقاعدتها مدينة (صَنْعاَ) . قال فى "تقويم البُلْدان": بفتح الصاد المهملة وسكون النون وعين مهملة وألف ممدودة. وهى مدينة من نُجُود اليمن، واقعةٌ فى أوائل الإقليم الأوّل من الأقاليم السبعة . قال فى "الاطوال" حيث الطولُ سبعٌ وستون درجة، والعرض أربعَ عشرةَ درجة وثلاثون دقيقة . قال فى "الروض المعطار" : وآسمها الأوّل « أُوَال »(١) يعنى بضم الهمزة وفتح الواو من الأوّلية بلغتهم . فلما وافتْها الحبشة ونظروا إلىٰ بنائها ، قالوا : هذه صنعة، ومعناه بلغتهم حصينة فسمِّيت صنعاءَ من يومئذ . قال : والنسبة إليها صَنْعانِىٌّ علىٰ غير قياس . ويقال : إنها أوّل مدينة بُنيتْ باليمن .

ثم اختلف : فقيل بناها سامُ بن نوح عليه السلام ؛ وذلك أنه طلب مكانا معتدلَ الحرارة والبُرودة فلم يجد ذلك إلا فى مكان صنعاءَ فبنىٰ هذه المدينةَ هناك . وقيل بنَتْها عادٌ .

قال فى "تقويم البُلْدان" : وهى من اعظم مُدُن اليمن ؛ وبها اسواق ومتاجِرُ كثيرة؛ ولها شَبَه بدِمَشْق : لكثرة مياهها وأشجارها ؛ وهواؤها معتدل؛ ونتقارب فيها ساعات الشتاء والصيف؛ وفى أطول يوم فى السنة يكون الشاخصُ عند الآستواء لاظِلّ له .

وقال فى موضع آخر : تُشْبِه بَعْلَبَكَّ فى الشام، لتَمَامها الحَسَن وحُسْنِها التَّمام؛ وكثرة الفواكه، تقع بها الأمطار والبَرَد . وهى كرسىٌّ ملوك اليمن فى القديم ، ويقال إنها كانت دار ملك التَّبابعة . قال فى "الروض المعطار" : وهى علىٰ نهر صغير يأتى

(١) كذا فى "العبر" أيضا والذى فى معجم البلدان والقاموس فى مادة أزل أن آسم صنعاء "أزال" كسحاب أى بالزاى المعجمة فتأمل .

إليها من جبل فى شمالها، ويمرّ مُنْحَدِرا إلىٰ مدينة ذَمَار، ويصب فى البحر الهندىّ، وعِمارتُها متصلة؛ وليس فى بلاد اليمن أقدَمُ منها عمارةً، ولا أوسعُ منها قُطْرا .

قال فى "تقويم البُلْدان" : وكانت فى القديم كرسىَّ مملكة اليمن . قال : وبها تلٌّ عظيم يعــرف بغُمْدانَ، كان قصرا ينزِلُه ملوكُها . قال فى "الروض المِعْطار" : وهو أحد البيوت السبعة التى بُنِيت علىٰ آسم الكواكب السبعة ، بناه الضَّحَّاك علىٰ آسم الزُّهَرة ؛ وكانت الأمم تحُجُّه فهــدمه عثمانُ رضى الله عنــه فصار تلًّا عظيما . قال فى "تقويم البُلْدان" : وهى شرقىَّ عدَنَ بشَمَال فى الجبال .

ولهــا عِدَّة بلاد وحصون مضافةٍ إليها، جاريةٍ فى أعمالها .

منهــا (كَحْلانُ) ـــ بفتح الكاف وسكون الحــاء المهــملة ثم لام ألف ونون فى الآخر . وهى قلعة من عمل صنعاءَ علىٰ القرب منها . قال آبن سعيد : كان بها فى أوّل المــائة الرابعة بنو يَعْفُر مــن بقايا التبابعــة . قال : ولم يكن لهــا نَبَاهة فى المُلْك إلىٰ أن سكنها بنو الصُّلَيْحىّ، وغلب عليهــا الزيديَّة، ثم السُّلَيْمانِيُّون بعد بنى الصُّلَيْحىّ .

ومنها (نَجْرانُ) . قال فى "اللبــاب" : بفتح النون وسكون الجيم وراء مهملة وألف ونون فى الآخر . قال الأزهرى : وسميت بنَجْــرانَ بنِ زيد ، بنِ سبإ ، آبن يَشْجُب ، بن يَعْرُب ، بن قحطان . وهى بلدة من بلاد قبيــلة هَمْدانَ ، واقعةٌ فى الإقليم الأوّل . قال فى "الأطوال" حيث الطول سبع وستونــ درجة ، والعرض تسعَ عشرةَ درجة .

قال فى "تقويم البُــلْدان" : وهى بُلَيْــدة فيها نخيل ، بين عدَنَ وحَضْرموتَ، فى جبال بين قرًى ومدائنَ وعمــائِرَومياهٍ ؛ تشتمل علىٰ أحياءٍ من اليمن ؛ وبها يُتَّخَذ

الأَدَم ؛ وهى شرقىّ صنعاء بشَمال ؛ وبها أشجار ، وبينها وبين صنعاء عشرُ مراحلَ ، ومنهـا إلىٰ مكة عشرون يومًا فى طريق معتـدلٍ . وجعلها صاحب الكِمَام صُقْعا مفردا عن اليمن .

ومنها (صـعدةُ) . قال فى "تقويم البُـلْدان" : بفتح الصـاد وسكون العين المهملتين ودال مهملة وهاء فى الآخر . قال فى "الروض المِعْطار" : والنسبة إليها صاعدىٌّ علىٰ غير قياس . قال فى "القانون" : وتسمى (غَيْلَ) أيضا . وهى بلدة علىٰ ستين فرسخا من صنعاء ؛ وموقعها فى الإقليم الأول من الأقاليم السـبعة . قال فى "الأطوال" حيث الطولُ سبع وسـتون درجة وعشرون دقيقةً ، والعرضُ ستَّ عشرةَ درجة . قال فى "العزيزىّ" : وهى مدينة عامرة آهلة خِصْبة ، وبها مدابغ الأَدَمِ وجلودِ البقر ، التى تُتَّخذ منها النِّعَال .

ومنها (خَيْوانُ) . قال فى "تقويم البُلْدان" : بفتح الخـاء المعجمة وسـكون المثناة من تحت وفتح الواو ، ثم ألف بعدها نون . وهى صُقْع معروف باليمن ، واقعٌ فى الإقليم الأول . قال فى "الأطوال" : حيث الطولُ سـبع وستونـ درجةً وإحدىٰ وعشرون دقيقة ، والعرض خمسَ عشرةَ درجة وعشرون دقيقـةً . قال فى "تقويم البُلْدان" : وهى بلاد تشتمل علىٰ قُرًى ومَزارعَ ومياه ، معمورةٌ بأهلها ؛ وبها أصـناف من قبائل اليمن . قال المهلبىّ : وهى طَرَف منازل بنى الضَّحَّاك من بنى يَعْفُر من بقَايَا التبابعـة ؛ وماؤها من السماء . قال الإدريسىّ : وبينهـا وبين صَعْدةَ ستةَ عشرَ فرسخا . وقال المهلبىّ : بينهما أربعة وعشرون ميلا .

ومنها (جُرَشُ) . قال فى "تقويم البُلْدان" : بضم الجيم وفتح الراء المهملة وشين [معجمة][1] فى الآخر . وهى بلدة باليمن ، موقعها فى الإقليم الأول من الأقاليم السبعة .

---

(١) الزيادة عن التقويم .

قال فى "الأطوال" : حيثُ الطولُ سبع وستون درجةً وخمسون دقيقة ، والعرضُ سبعَ عشْرةَ درجة . وهى بلدة بها نَخِيل ، مشـتملةٌ علىٰ أحياء من اليمن ، ويُتَّخَذ بها الأدَمُ الكثير . قال فى "العزيزى" : وهى بلدة صالحة ، وحولهـا من شجر القَرَظ مالا يُحْصىٰ ، وبها مَدَابِغُ كثيرة . قال الإدريسىّ : وهى ومدينـة نَجْرانَ متقاربتان فى المقدار والعمارة ؛ ولها مزارعُ وضياعٌ وبينهما ستُّ مراحل .

ومنها (مَأْرِبُ) . قال فى "تقويم البُـلْدان" : بفتح الميم وهمزة ساكنة وراء مهملة مكسورة وفى آخرها باء موحدة . وذكر أنه رآها مكتوبةً فى الصحاح كذلك ؛ ثم قال : والمشهور فتح الهمزة ومدّها . وهى مدينة علىٰ ثلاثِ مراحلَ من صنعاءَ ، واقعةٌ فى الإقليم الأوّل من الأقاليم السبعة . قال فى "الأطوال" : حيثُ الطولُ ثمانٌ وستون درجة ، والعرضُ أربعَ عشْرةَ درجة . قال فى "تقويم البُـلْدان" : وهى فى آخر جِبَال حَضْرَمَوْتَ ، ويقال لها مدينة سَبَإ ، تسميةً لهـا باسم بانيها ، وبها كان السَّدّ . قال : وكانت قاعدةَ التبابعة وهى اليومَ خرابٌ .

ومنها (حَضْرَموتَ) . قال فى "اللبـاب" : بفتح الحاء المهملة وسكون الضاد المعجمة وفتح الراء المهملة ، وبعـدها ميم مفتوحة وواو ساكنة وتاء مثناة من فوقها فى الآخر . وهى ناحية من نَوَاحى اليمن ؛ وأعمـالُها أعمـال عريضـةٌ ، ذاتُ شجر ونخل ومزارع .

قال الأزهرىّ : وسميت حَضْرَمَوْتَ بحاضر[1] ، بن سـنان ، بن إبراهيم ، وكان أوّل مَنْ نزلهـا .

(١) كذا فى تاريخ أبى الفدا أيضا . وفى معجم ياقوت "سميت بحاضرميت وهو أوّل من نزلها" .

قال صاحب "العبر" : وكانت بلادُ حضرموْتَ لعادٍ مع البحريْنِ وعُمَانَ ، ثم غلبهم عليها بنو يَعْرُبَ بنِ قحطانَ ، حين ولّى أولادَه البلادَ أعطىٰ هذه ٱبنَه حضرموتَ فعُرِفتْ به . والنسبة إليها حَضْرَمِىٌّ ، وقصبتها مدينة "شِبَامَ" . قال فى "اللباب" : بكسر الشين المعجمة وفتح الباء الموحدة وألف وميم ، ووهم ٱبن الأثير فى "اللباب" (١) : فجعل شِبامَ قبيلةً لا بلدا . قال فى "تقويم البُلْدان" : وهى خارجة عن الإقليم الأوّل من الأقاليم السبعة إلىٰ الجَنُوب . قال فى "الأطوال" : وهى حيثُ الطولُ إحدىٰ وسبعون درجةً ، والعرضُ ٱثنتَا عشْرةَ درجة وثلاثون دقيقة ، وهى قلعة فوق جبل منيع فيه قُرًى ومزارعُ كثيرةٌ . قال فى "العزيزى" : وفيه سُكّان كثيرة . قال : وفيه مَعْدن العَقيق والجَزْع . وبينها وبين صنعاء أحدٌ وعشرون فرسخا ، وقيل إحدىٰ عشرةَ مرحلةً ، وبينها وبين ذَمارِ مرحلةٌ واحدة .

الجملة الثانية

(فى الطرق الموصلة إلىٰ هذه المملكة)

قد تقدّم أن الطريق من مصر إلىٰ مكة معروفة . قال ٱبن خرداذبه : ثم من مكة إلىٰ بئر ابن المرتفع ، ثم إلىٰ قَرْن المَنَازل : قرية عظيمة ، وهى ميقاتُ أهل اليمن للحجِّ منه يُحْرِمون ، ثم إلىٰ الفُتُق : وهى قرية كبيرة ، ثم إلىٰ صَقْر ، ثم إلىٰ تُرَبَةَ : وهى قرية كبيرة ، ثم إلىٰ كُدَىٌّ ، وفيها نخيل وعيون ، ثم إلىٰ رَنْيَةَ ، وفيها نخيل وعيون أيضا ، ثم إلىٰ تَبَالةَ ، وهى مدينة كبيرة فيها عيون جارية ، ثم إلىٰ جَسَداءَ وفيها بئر ولا أهلَ فيها ، ثم إلىٰ كشة ، وهى قريةٌ عظيمة فيها عيون وحَرَس ، ثم إلىٰ

---

(١) عبارة "معجم البلدان" وغلط ٱبن الاثير فى تغليطه للسمعانى حيث قال شبام قبيلة وليست بمكان [فلعل لفظ فى اللباب من زيادة الناسخ] .

بيشة يَقْطان ، وفيها ماءٌ ظاهر وكَرْم ، والحَرَس منهـا على ثلاثة أميال ؛ ثم إلى المَهْجَرة، وهى قرية عظيمة فيها عيون وفيما بين سروم راح والمَهْجرة طَلْحة المَلِك : وهى شجرة عظيمة . وهنـاك حَدٌّ مابين عَمَل مكة المشرّفة وعَمَل اليمن؛ ثم منها إلى عَرِقَةَ ، وماؤها قليل ولا أهْـلَ فيها ؛ ثم إلى صَـعْدَةَ ، وقد تقدّم ذكرها ؛ ثم إلى الأعْمَشِيَّة، وفيها عين صغيرة ولا أهْلَ فيها؛ ثم إلى خَيْوانَ، وقد تقدّم ذكرُها؛ ثم إلى أثافت، وهى مدينة فيها زرع وكَرْم وعيون؛ ثم إلى مدينة صَنْعاءَ، وهى قاعدة هذه المملكة على ماتقدّم .

الجمـــلة الثـالثة

(فيمَنْ ملك هذه المملكةَ إلى زماننا)

قد تقدّم فى الكلام على صنعاءَ أنها كانت قاعدةَ مُلْك التبابعة، وقد مَرَّ القولُ عليهم فى الكلام على ملوك اليمن فى مملكة بنى رَسُول، فى القسم الأوّل من اليمن .

أما حَضْرَمَوْتُ ، فقد قال علىّ بن عبد العزيز الجُرْجانى (١) : إنه كان لهم فى الجاهلية ملوك يُقارِبون مُلوكَ التّبابعـة فى عُلُوّ الصِّيت ونَبَـاهة الذِّكر . ثم قال : وقد ذكر جماعةٌ من العلماء أن أوّل من آنبسطت يَدُه منهم، وآرتفع ذكره (عَمْرو بنُ الأَشنب) آبن رَبِيعة، بن يرام، بن حَضْرَمَوْتَ ؛ ثم خلفه آبنـه (نَمِر الأَزَجُّ) فملكهم مائة سنة، وقاتل العمالقة .

ثم ملك بعده آبنه (كُرَيب،ذو كراب) بن نمر الأزج مائة وثلاثا وثلاثين سنة .

ثم ملك بعـده (مَرْثَد ذومران) بن كُرَيْب مائة وأربعين سـنة ؛ وكان يسكن مَأرِبَ، ثم تحوّل إلى حَضْرَمَوْتَ .

---

(١) نقل فى "العبر" ج ٢ ص ٣٠ هذه العبارة بزيادة فى الملوك و بعض تغيير فى أسمائهم فارجع اليه .

ثم ملك بعده آبنه (عَلْقمة، ذوقِيقَان) بن مرثد ذى مُرَّان ثلاثين سنة .

ثم ملك بعده آبنه (ذوعيل) بن ذى قيقان عشرين سنة . ثم تحوّل من حضرموت إلىٰ صنعاءَ وآشتدّت وَطْأته . وهو أوّل من غزا الرُّوم من ملوك اليمن ، وأدخل الحرير والدِّيباجَ اليمن .

ثم ملك بعده آبنه (بدعيل بن ذى عيل) أربع سنين ، وبنىٰ بها حصونا وخَلَّف آثارا .

ثم ملك بعده آبنه (يدنو ذوحمار) بن بدعيل بحضرموت و بحر فارس، وكان فى أيام سابُورَ ذى الأكتاف من ملوك الفرس، ودام ملكه ثمانين سنة ؛ وهو أوّل من آتخذ الحُجَّابَ من ملوكهم .

ثم ملك بعده آبنه (ليَشْرَح) ذو المُلْك، بن ودب، بن ذى حمار، بن عاد من بلاد حضرموت مائةَ سنة، وهو أوّل من رتب المراتب، وأقام الحَرَس من ملوكهم .

ثم ملك بعده (ينعم) بن ذى الملك دثار بن جذيمة .

ثم ملك بعده (ساجى) بن نمر؛ وفى أيامه تغلبت الحبشةُ علىٰ اليمن، وقد مرّ القول علىٰ ملكهم ثم مُلْكِ الفُرْسِ بعدهم إلىٰ ظهور الإسلام فى الكلام علىٰ ملوك اليمن فى القسم الأوّل من اليمن؛ فأغنىٰ عن إعادته هنا .

وأما نَجْرانُ وجُرَشُ، فإنهما [كانا] بَيدِ جُرْهُمٍ من القحطانية ؛ ثم غلبهم علىٰ ذلك بنو حِمْير، وصاروا وُلاةً للتبابعة ؛ فكان كلُّ مَن ملك منهم يسمَّى أفْعىٰ . ومنهم كان الأفعىٰ الذى حكم بين أولاد نِزَارِ بن مَعَدّ بنِ عَدْنان فى قصتهم المشهورة .

ثم نزل نَجْرانَ بنو مَذْحِج، وآستولَوْا عليها؛ ثم نزل فى جِوَارهم الحارثُ بن كعب الأزديّ فغلبهم عليها، وآنتهت رياسة بنى الحارث فيها إلىٰ بنى الدَّيَّان؛ ثم صارت

إلىٰ بنى عبد المَدَان، إلىٰ أن كان منهم فى زمن النبىّ صلى الله عليه وسلم يزيدُ، فأسلم علىٰ يد خالد بن الوليد رضى الله عنه .

وكان منهم زيادُ بن عبد الله بن عبد المَدَان خالُ السَّفَّاح، وَلَّاه نجرانَ واليمامةَ، وخلَّف ٱبنه محمدا ويحيىٰ ، ودخلت المـائة الرابعة والملك بهـا لبنى أبى الجُـود بن عبد المَدَان، وٱتصـل مجيئهم وكان آخِرُهم عبدَ القيس الذى أخذ علىُّ بن مهـدىٍّ الملك من يده .

أما فى الإسلامِ فقد تقـدّم فى الكلام علىٰ القسم الأوّل من اليمن أيضا أنه لَمَّا ظهر الإسلامُ أسـلم باذانُ نائبُ الفُرْس علىٰ اليمن، وتتابع أهـلُ اليمن فى الإسلام، وولَّى النبىُّ صلى الله عليه وسلم علىٰ صنعاءَ شَهْرَ بنَ باذانَ المذكورِ، فلما خرج الأسود العَنْسِىُّ، أخرجَ عُمَّال النبىّ صلى الله عليه وسلم من اليمن علىٰ ما تقدّم ، وزحف إلىٰ صنعاءَ فملَكها وقتل شَهْرَ بن باذانَ وتزوّج ٱمرأته . فلما قُتِل العَنْسِىُّ ورجع عُمَّـالُ النبىّ صلى الله عليـه وسلم إلىٰ اليمن ، ٱستبدَّ بصنعاء قيسُ بن عبد يَغُوثَ المرادىُّ ، وتوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والأمر علىٰ ذلك .

ثم كانت خلافة أبى بكر رضى الله عنـه، فولَّى علىٰ اليمن (فَيْروزَ الديْلَمِىَّ) ثم ولَّى بعده (المُهَاجِرَ بن أبى أُمَيَّة) . ثم توالت عُمَّال الخلفاء علىٰ اليمن علىٰ ما تقدّم فى الكلام علىٰ القسم الأوّل من اليمن . ولم يزل الأمر علىٰ ذلك إلىٰ أن كان أوّل المـائة الرابعة بعـد الهجرة أو ما قاربها ، فغلب علىٰ صنعاءَ وما والاها بنو يَعْفُر من بقايا التبابعة . قال ٱبن سعيد : وكان دارُ ملكهم كَحْلانَ، وهى قلعة من عمل صنعاءَ بالقرب منها، ولم أقف علىٰ تفاصيل أحوالهم وأسمـاء ملوكهم .

ثم كانت دولة أئمة الزيدية القـائمين بها إلىٰ الآن ، وهم بنو القاسم الرَّسِّىّ ،

آبن إبراهيم طباطبا، بن إسماعيل الديباج، بن عبد الله (١)، بن الحسن المثنّى، بن الحسن السبط، آبن أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب كرم الله وجهه .

وكان مبدأ أمرهم أن محمد بن إبراهيم طَبَاطَبا خرج بالكوفة فى خلافة المأمون ، فى سنة تسع وتسعين ومائة ودعا إلىٰ نفسه ، وكان شيعته من الزَّيْدِيَّة وغيرهم يقولون : إنه مستحِقٌّ للإمامة بالتوارث من آبائه عن جدّه إبراهيم الإمام ؛ وغلب علىٰ كثير من بلاد العراق ، ثم خَمَدتْ سَوْرَتُه ، فتطلَّب المأمون أخاه القاسم الرَّسِّىّ فهرب إلىٰ الهند ، ولم يزل به حتى هلك سنة خمس وأربعين ومائتين ، فرجع آبنه الحسين بن القاسم الرسىّ بن إبراهيم طباطبا إلىٰ اليمن، فكان من عقبه هؤلاء الأئمة .

وأوّل من خرج منهم باليمن (يحيىٰ بن الحسين الزاهد) بن القاسم الرسىّ ودعا لنفسه بصَعْدَةَ وتلقّب بالهادى، وبويع بالإمامة سنة ثمان وثمانين ومائتين فى حياة أبيه الحسين، وجمع الشيعةَ وغيرهم وحارب إبراهيمَ بن يَعْفُر، ويقال أَسَد بن يعفر، القائمَ من أعقاب التبابعة بصنعاء وكحلان، وملك صنعاء ونجرانَ وضرب السكّة باسمه .

قال فى "مسالك الأبصار" : وآستجاب الناسُ لندائه ، وصلَّوْا بصلاته وأَمَّنُوا علىٰ دعائه ؛ وقام فيهم مَقَاما عظيما ، وأثَّر فيهم من الصلاح أثرا مشهودا . قال : وفى ذلك يقول :

بَنِى حَسَنٍ إنِّى نَهَضْتُ بثأرِكُمْ * وثأرِ كتابِ اللهِ والحَقِّ والسُّنَنْ
وصَيَّرتُ نَفْسِى للحوادثِ عُرْضَةً * وغِبْتُ عن الإخْوانِ والأَهْلِ والوَطَنْ

ثم آرتجعهما بنو يَعْفُر منه ورجع هو إلىٰ صَعْدة، فتوفِّى بها سنة ثمان وتسعين ومائتين ، لعشر سنين من بَيْعته . قال آبن المحاب : وله مصنَّفات فى الحلال

(١) فى "كامل" آبن الاثير إبراهيم بدل عبد الله .

والحرام . وقال غيره، كان مجتهدًا فى الأحكام الشرعية؛ وله فى الفقه آراء غريبة، وتآليفُ بين الشِّيعة مشهورة . قال ٱبن حزم : ولم يبعُد فى الفقه عن الجماعة كلَّ البعــد .

قال الصولىّ : ثم ولى بعده ٱبنه (محمد المرتضىٰ) وتمَّت له البَيْعــةُ ، فاضطرب الناس عليه . قال فى "أنساب الطالبيين" : وٱضْطُرَّ إلىٰ تجريد السـيف بجرّده . وفى ذلك يقول :

كَدر الوِرْد علينا بالصَّدَر * فِعْلُ مَنْ بدّلَ حَقًّا أو كَفَرْ
أيُّها الأُمَّةُ عُودِى للهُدىٰ * ودَعِى عَنْكِ أحادِيثَ البَشَرْ
عَدِمَتْنِى البِيضُ والسُّمْرُ معًا * وتَبَــدَّلْتُ رُقادًا بسَــهَرْ
لأُجُرّنّ علىٰ أعــدائِنَا * نارَ حَرْبٍ بِضِرَام وَشَرَرْ

ومات سنة ثلاث وعشرين وثلثمائة لثلتين وعشرين سنةً من ولايته .

وولى بعده أخوه (الناصر) فاستقام ملكه .

ثم ولى بعده ٱبنه (الحُسَين) المُنْتَجَب (بالجيم) ومات سنة أربع وعشرين وثلثمائة .

وولى بعده أخوه (القاسم المختارُ) بعهد من أخيــه المذ كور، وقتله أبو القاسم بن الضحاك الهَمْدانىّ سنة أربع وأربعين وثلثمائة .

وولى بعده صَـعْدةَ (جعفر الرشيد) ثم بعــده أخوه (المختار) ثم أخوه (الحسن المنتجب) ثم أخوه (محمد المهدىّ) .

قال "ٱبن المحاب" : ولم تزل إمامتهم بصَعْدَةَ مطردةً إلىٰ أن وقع الخلافُ بينهم وجاء السليمانِيُّون أمراء مكة حين غلبة الهواشم عليهــم فغلبوا علىٰ صــعدة فى المــائة السادســـة .

قال ٱبن سعيد : وقام بها منهم (أحمد بن حمزة) بن سليمان ، بن داود ، ٱبن عبد الله ، بن الحسن المثنّى ، بن الحسن السبط ؛ وغلب على زَبِيدَ وملكها من بنى مهدىّ ؛ ثم ٱنتزعها بنو مهدىٍّ منه ، وعاد إلى صَعْدَة ومات .

فولِىَ بعده ٱبنه المنصور (عبد الله) بن أحمد بن حمزة ، وٱمتدّت يدُه مع الناصر لدين الله خليفة بنى العباس ببغداد ، وبعث دُعاتَهُ إلى الدَّيْلم والجَبَل ، فخُطب له بهما وأُقيم له بهما وُلاة . وكان بينه وبين سيف الإسلام بن أيوب ، ثم الملك مسعود ابن الملك الكامل حروب باليمن . وبقِىَ حتى توفى سنة ثلاثين وستمائة عن عمر طويل .

وولى بعده ٱبنه (أحمد) بن المنصور عبد الله بن أحمد بن حمزة ، ولقب بالمتوكل صغيرا ولم يُخْطبْ له بالإمامة لصغر سنه .

وكان بنو الرسىّ حين غلب عليهم السليمانيون بصَعْدَة أَوَوْا إلى جبل شرقىّ صَعْدَة ، فلم يبرحُوا عنه ، والخبر شائع بأن الأمر يرجع إليهم ، إلى أن كان المتوكل أحمد من السليمانيين ، فبايع الزيديةُ أحمدَ الموطِّئ ، بن الحسين المنتجب ، بن أحمد الناصر ، بن يحيى الهادى ، بن الحسين ، بن القاسم الرسىّ ، بن إبراهيم طباطبا ، المقدّم ذكره فى سنة خمس وأربعين وستمائة .

وكان الموطِّئُ فقيها أديبا عالما بمذهبهم ، قوّاما صوّاما ، فأهمَّ عمرَ بنَ علىّ بن رسول صاحبَ زبيد شأنُهُ ، فحاصره بحصن ملا سنةً فلم يصل إليه ؛ وتمكن أمر الموَطِّئ وملك عشرين حصنا ، وزحف إلى صعْدَةَ فغلب السُّلَيْمانيين عليها ، فنزل أحمدُ المتوكل : إمامُ السليمانيين إليه ، وبايعه فى سنة تسع وأربعين وستمائة ؛ وحج سنة خمسين وستمائة وبقِىَ أمرُ الزيدية بصَعْدَةَ فى عَقِبه .

وقد ذكر المقرّ الشهابىّ بن فضل الله فى "مسالك الأبصار" : أنه سأل تاج الدين عبد البـاقى اليمانىّ أحدَ كُتّاب اليمن عن تفاصيل أحوال هذه الأئمة فقال : إن أئمة الزيديين كثيرون، والمشهور منهم المؤيّد بالله، والمنصور بالله، والمهدىّ بالله، والمطهّر يحيى بن حمزة . قال : ويحى بن حمزة هو الذى كان آخرا على عهد الملك المؤيّد داود بن يوسف صاحب اليمن، وكانت الهدنة تكون بينهما .

وذكر فى "التعريف" أن الإمامة فى زمانه كانت فى بنى المطهّر . ثم قال : وآسم الإمام القائم فى وقتنا حمزةُ . ثم قال : ويكون بينه وبين الملك الرسولىّ باليمن مُهادَنات ومُفـاسَخات تارةً وتارةً . قال قاضى القضاة ولىّ الدين بن خلدون فى تاريخه : وقد سمعت بمصر أن الإمام بصَـعْدَةَ كان قبل الثمـانين والسبعمائة علىّ آبنَ محمد من أعقابهم، وتوفى قبل الثمـانين؛ وولى آبنُه صَلَاح، وبايعه الزيديةُ . وكان بعضهم يقول فيــه : إنه ليس بإمامٍ لعدم آجتماع شروط الإمامة، فيقول : أنا لكم على ما شئتم : إمامٌ أو سلطان .

ثم مات صَلاحٌ آخر سنة ثلاث وتسعين وسبعمائة، وقام بعده آبنه (نَجَاح) وآمتنع الزيدية من بيعته . فقال : أنا محتَسِب لله تعالى .

قلت : وقد وهم فى "التعريف" : بجعل هذه الأئمة من بقايا الحَسنِيين القائمين بآمُلِ الشَّط من بلاد طَبَرِسْتان، وأن القائم منهم بآمُل الشَّط بطبرستان هو الداعى المعروف بالعَلَوىّ من الزيدية، وهو الحسن، بن زيد، بن محمد، بن إسماعيل، بن الحسن السبط، بن علىّ، بن أبى طالب رضى الله عنه . خرج سنة خمس وخمسين ومائتين أو ما يقاربها، فملك طَبَرستان وجُرْجان وسائر أعمـالها ثم مات؛ وقام أخوه (محمد بن زيد) مقامه . وكان لشيعته من الزيدية دولةٌ هناك، ثم انقرضت وورثها

الناصر الأُطْروش ، وهو (الحسن) بن علىّ ، بن الحسين ، بن على ، بن عمر ، بن على زين العابدين ، بن الحسين السبط ، بن علىّ ، بن أبى طالب ، وكان له دولة هناك .

ثم خرج علىٰ الأُطروش من الزيدية الداعى الأصغرُ ، وهو (الحسن) بن القاسم ، آبن على ، بن عبد الرحمن ، بن القاسم ، بن محمد البطحائى ، بن القاسم ، بن الحسن ، آبن زيد ، بن الحسن السبط ؛ وجرىٰ بينه وبين الأُطْروش حروبٌ إلىٰ أن قتل سنة تسع عشرة وثلثمائة ؛ ويجتمع الداعى الأصغر مع الداعى الأكبر فى الحسن آبن زيد ؛ وليس بنو الرسىّ الذين منهم أئمةُ اليمن من هؤلاء بوجهٍ .

الجملة الثالثة

(فى ترتيب مملكة هذا الإمام)

قال فى "التعريف" بعد أن ذكر إمام زمانه : وهذا الإمامُ وكلُّ من كان قبله علىٰ طريقة ما عَدَوْها ، وهى إمارة أعرابية ، لا كِبْرَ فى صدورها ، ولا شَمَمَ فى عَرَانِينها ؛ وهم علىٰ مُسْكة من التقوىٰ ، وتَردٍّ بشِعار الزُّهد ، يجلس فى نَدِىّ قومه كواحد منهم ، ويتحدّثُ فيهم ويحكم بينهم ، سواءٌ عنده المشروف والشَّريف ، والقوىّ والضعيف . قال : وربما آشترىٰ سِلْعته بيده ، ومشىٰ بها فى أسواق بَلَده ؛ لا يُغَلِّظ الحِجَاب ، ولا يَكِلُ الأمور إلىٰ الوزراء والحُجَّاب ؛ يأخذ من بيت المال قدرَ بُلْغته من غير توسّع ، ولا تكثُّر [غير مشبع] (١) . هكذا هو وكل من سلف قبله ، مع عدلٍ شامل ، وفضلٍ كامل .

وذكر فى "مسالك الأبصار" عن تاج الدين عبد الباقى اليمانى الكاتب نحوَ ذلك ، فقال : وأئمتهم لا يُحْجَبون ولا يحتجبون ، ولا يَرَوْن التفخيم والتعظيم ؛ الإمام

(١) الزيادة عن التعريف .

كواحد من شيعته : فى مأكله ومشربه وملبسه، وقيامه وقعوده، وركوبه ونزوله، وعامّة أموره ؛ يجلس ويُجالس ، ويعود المرضى ، ويصلّى بالناس وعلى الجنائز، ويُشيّع الموتى، ويحضُر دفن بعضهم . قال : ولشيعته فيه حُسن اعتقاد، ويستشفون بدعائه، ويُمِرّون يده على مرضاهم، ويستسقون المطر به إذا أجدبوا، ويبالغون فى ذلك مبالغة عظيمةً . قال "المقرّ الشهابىّ بن فضل الله" : ولا يكثر لإمامٍ هذه سيرته (فى التواضع لله وحسن المعاملة لخلقه، وهو من ذلك الأصل الطاهر، والعنصر الطيب) أن يُجاب دعاؤه، ويتقبّل منه . وينادى ببلاد هـذا الإمام فى الأذان "بحىّ على خير العـمل" بدل الحيعلتين، كما كان ينادى بذلك فى تأذين أهل مصر فى دولة الخلفاء الفاطميين بها . قال فى "التعريف" : وأمراءُ مكة تُسرّ طاعته، ولا تُفارق جماعته . قال ابن غانم : هذا الإمام يعتقِد فى نفسه ويعتقِدُ أشياعُهُ فيه أنه إمامٌ معصوم، مفترَضُ الطاعه، تنعقد به عندهم الجمعةُ والجماعه؛ ويرون أنّ ملوك الأرض وسلاطينَ الأقطار يلزمهم طاعتُه ومبايعتُه، حتى خلفاء بنى العباس؛ وأن جميع من مات منهم مات عاصيا بترك مبايعته ومتابعته . قال : وهم يزعُمون ويُزعِمُ لهم أن سيكونُ لهم دولة يُدال بها بين الأُمَم، وتملك منتهى الهمم؛ وأن الإمام الحجةَ المنتظَر فى آخر الزمان منهم .

وذكر عن رسول هذا الإمام، الواصل إلى مصر : أن الأئمة فى هذا البيت أهلُ علم يتوارثُونه : إمامٌ عن إمام، وقائمٌ عن قائم . وذكر عن بعض مَنْ مَرّ بهم أنه فارقهم فى سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة وهم لا يشُكّون أنه قد آن أوانُ ظهورهم، وحان حينُ ملكهم . ولهم رعايا تختلف إلى البلاد، وتجتمع بمن هو على رأيهم . يتربّصون ضَعْفَ الدولة فى أقطار الأرض .

وحكى "المقرّ الشهابىّ بن فضل الله" عن قاضى القضاة كمال الدين محمد بن الزملكانى قاضى حلب : أنه مات رجلٌ من شيعتهم بحلب ، فوُجِد عنده صُنْدوقان ، ضِمْنهما كتبٌ من أئمة هذه البلاد إلىٰ ذلك الرجل وإلىٰ سَلَفه ، يستعرفون فيها الاخبارَ ، وأحوالَ الشِّيعة ، والسؤالَ عن أُنَاس منهم ؛ وأن فى بعضها : ولا يؤخِّر مددُ من هنا من إخوانكم المؤمنين فى هـذه البلاد الشاسعة ، وهو حق لله فيـه تزكية أموالكم ، ومَدَدُ إخوانكم من الضعفاء وٱتقوا الله و﴿ٱسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾ .

ونَقَـل عن الشيخ شهاب الدين بن غانم : أنه حدَّثه عنـد وُصوله من اليمن أنَّ هذا الإمامَ فى مَنَعة مَنِيعه ، وذِرْوة رفيعه ؛ وأنه يرْكب فى نحو ثلاثة آلاف فارس ، وأن عسكره من الرجَّالة ، خلق لاجسم . وذكر عمن أقام عندهم : أنهم أهل نَجْدة وبأْس ، وشجاعة ورأْى ؛ غير أنّ عددهم قليل ، وسِلاَحهم ليس بكثير : لِضيقِ أيديهم ، وقِلَّة دَخْل بلادهم . ونقل عن تاج الدين عبد الباقى اليمنى : أن قومه معه علىٰ الطَّواعيَة والانْقياد ، لا يخرج أحد منهم له عن نَصٍّ ، ولا يشاركه فيما يتميَّزُ به .

قال ٱبن غانم : وزِىّ هـذا الإمام وأتباعه زِىُّ العرب فى لبـاسهم والعمامـة والحَنَك ؛ بخلاف ما تقـدَّم من زِىّ صـاحب اليمن من بنى رسول . قال الشيخ شهاب الدين بن غانم : وهـذا الإمام لا يزال صاحبُ اليمن يَرْعىٰ جانبَه ، وفى كل وقت تُعْقَد بينهما العُقُود ، وتكْتَبُ الهُدَن ، وتُوثَّق المواثيق ، وتُشْتَرط الشروط .

قال فى "التعريف" : وقد وصل إلينا بمصر فى الأيام الناصرية (سقىٰ الله تعالىٰ عهدها) رسولٌ من هذا الإمام بكتاب أطال فيه الشكوىٰ من صاحب اليمن ، وعدّد قبـائحه ، ونَشر علىٰ عيون النـاس فضائحه ؛ وٱستنصر بمـدَدٍ يأتى تحت الأعلام

المنصورة لإجلائه عن دياره ، وإجرائه مُجْرىٰ الذين ظلموا فى تعجيل دَمَارِه .
وقال : إنه إذا حضَرت الجُيوشُ المؤيَّدة قام مَعَها ، وقادَ إليهـا الأشرافَ والعربَ أجمَعها ؛ ثم إذا ٱستنقذ منه ما بيده أُنْعِم عليه ببعضه ، وأُعْطِى منه ما هو إلىٰ جانب أرضــه . قال : فكتبتُ إليه مؤْذِنا بالإجابه ، مؤدِّيا إليه مايقتضى إعجابه ؛ وضمن الجواب أنه لا رغبـة لنا فى السَّلَب ، وأن النُّصْرة تكون لله خالصـةً وله كلُّ البلاد لاقَدْرُ ما طلب .

وسـيأتى ذكر المكاتبة إلىٰ هـذا الإمام عن الأبواب السلطانية ، فى الكلام علىٰ المكاتبات ، فى المقالة الرابعة فيما بعدُ إن شاء الله تعالىٰ .

القُطْـــــر الثـانى

(ممـا هو خارج من جزيرة العرب عن مُضَافات الديار المصرية
" بلادُ البحرين " تثنية بحر)

قال فى " تقويم البُلْدان " : بفتح الباء الموحدة وسكون الحاء المهملة وفتح الراء المهملة وسكون المثناة من تحت ثم نون . وهى قطعة من جزيرة العرب المذكورة .
قال فى " تقويم البُلْدان " : وهى ناحيــة من نواحى نَجْــد ، علىٰ شَطِّ بحر فارس ؛ ولهـا قُرًى كثيرة . قال : وهى (هَجَر) ونهايتُها الشرقيةُ الشمالية قال فى " الأطوال " ونهايتها من الشمال فى الإقليم الثـانى حيث الطولُ أربع وسـبعون درجة وعشرون دقيقة ، والعرضُ خمسٌ وعشرون درجةً وخمس وأربعون دقيقة .

قال فى " المشــترك " : ويقال للبحرين هَجَرُ أيضا ـ بفتح الهـاء والجيم ثم راء مهملة وليست هَجَرُ مدينــةً بعينها . قال الأزهرى : وإنمـا سمِّيت هَجَرُ بالبحرَيْن ببُحَيْرة بهـا عند الاحساء وبالبحر المِلْح يعـنى بحر فارس ، والنسـبة إلىٰ البحرين

بَحْرانِىّ . قال الجوهرى : والنسبة إلى هَجَر هاجِرِىّ على غير قياس . قال الأزهرىّ : وسميت هجر بهَجَر بنت المكنف ، وهى التى بنَتْها .

وفيها ثلاث جمل :

الجملة الأولى
(فيما تشتمل عليه من المُدُن)

وقاعدتها (عُمَانُ) قال فى "اللباب" : بضم العين المهملة وفتح الميم ونون فى الآخر بعد الألف . قال الأزهرىّ : وسميت بعُمَانَ بنِ نعسان بن إبراهيم(١) عليه السلام، وموقعها فى الإقليم الأول . قال : وهى على البحر تحت البَصْرة . قال المهلبىّ : وهى مدينة جليلة، بها مَرْسَى السُّفُن من السِّنْد والهند والزَّنْج، وليس على بحر فارس مدينةٌ أجلُّ منها، وأعمالها نحو ثلثمائة فرسخ . قال : وهى ديار الأَزْد قال فى "تقويم البُلْدان" : وهى بلدة كثيرة النخيل والفَوَاكه، ولكنها حارّة جدًّا . وكانت القَصَبة فى القديم مدينةَ صُحَارَ . قال فى "تقويم البُلْدان" : بضم الصاد وفتح الحاء المهملتين كما فى الصحاح . قال : وهى اليوم خَرَاب .

وبها بلاد أخرى غير ذلك .

منها (الأَحْساء) . قال فى "تقويم البُلْدان" : بفتح الهمزة وسكون الحاء وفتح السين المهملتين وألِفٍ فى الآخر . قال فى "المشترك" : والأحساءُ جمع حِسْى، وهو رمل يَغُوص فيه الماءُ، حتّى إذا صار إلى صَلَابة الأرض أمسَكَتْه فتَحْفِر عنه العرب وتستخْرِجه . وموقعها فى أوائل الإقليم الثانى من الأقاليم السبعة . قال فى "الأطوال" : حيث الطولُ ثلاثٌ وسبعون درجة وثلاثون دقيقة،

(١) فى معجم ياقوت "يفثان" وفى "العبر" سميت بعمان بن قحطان أوّل من نزلها بولاية أخيه يعرب .

والعَرْضُ اثنتان وعشرون درجة . قال فى " تقويم البُـلْدان " : ذاتُ نخيل كثير، ومياهٍ جارية، ومَنابِعُها حارَّة شديدةُ الحَرَارة، ونخيلُها بقدر غُوطةِ دِمَشْق، وهو مستدير عليها، وهى فى البرية، فى الغرب عن القَطِيف بمَيْلة إلىٰ الجنوب، علىٰ مرحلتين منها . قال : وتعرف بأَحساءِ بنى سَعْد .

ومنها (القَطِيف) . قال فى " اللباب ": بفتح القاف وكسر الطاء المهملة وسكون المثناة من تحت وفاء فى الآخر . وهى بلدة علىٰ مرحلتين من الأَحْساء من جهة الشَّرق والشَّمال، واقعــة فى الإقليم الثانى من الأقاليم السبعة . قال فى " تقويم البُلْدان " : والقياس أنها حيثُ الطولُ ثلاث وسبعون درجة وخمس وخمسون دقيقة، والعرض آثنتان وعشرون درجة وخمسٌ وثلاثون دقيقة . قال فى " تقويم البُلْدان " : وهى علىٰ شَطِّ بحر فارس، وبها مَغَاصُ لُؤْلؤٍ، وبهـا نخيلٌ دون نخيل الأَحْساء . قال : وعن بعض أهلها أن لها سورا وخَنْدقا ولهـا أربعة أبواب ، والبحر إذا مَدَّ يصل إلىٰ سُورِها وإذا جَزَر ينكشف بعضُ الأرض ؛ وهى أكبر من الأَحْساء . قال : ولهـا خَوْر فى البحر تدخل فيه المراكبُ الكبار المُوسَــقَة فى حالة المَدّ والجَزْر ، وبينها وبين البصرة ستة أيام، وبينها وبين عُمَان مسيرةُ شهر .

ومنهـا (كاظِمةُ) . قال فى " تقويم البُـلْدان " : بكاف وألف وظاء معجمة مكسورة وميم وهاء . قال : وهى جَوْن علىٰ ساحل البحر، بين البصرة والقَطِيف، فى سَمْت الجَنُوب عن البصرة، وبينها وبين البصرة مسيرةُ يومين ، وبينها وبين القَطيف أربعةُ أيام .

الجملة الثانية

(في ذكر ملوكها)

قد ذكر صاحب "العبر": أنها كانت فى القديم لعادٍ مع حَضْرَمَوْتَ والشِّحر وما والاهما، ثم غلب عليها بعد ذلك بنو يَعْرُبَ بنِ قحطان .

الجملة الثالثة

(فى الطريق الموصِّل إليها)

قد تقدّم فى الكلام علىٰ مملكة إيران الطريقُ من مملكة مصر إلىٰ البَصْرة . قال ٱبن خُرْداذْبه : ثم من البصرة إلىٰ عَبَّادان، ثم إلىٰ الحدوثة[1] ، ثم إلىٰ عَرْبخاء، ثم إلىٰ الزَّأْبُوقة، ثم إلىٰ المَغْز، ثم إلىٰ عَصَا، ثم إلىٰ المُعَرَّس ، ثم إلىٰ خُلَيْجة، ثم إلىٰ حَسَّان، ثم إلىٰ القُرىٰ، ثم إلىٰ مُسَيْلحة، ثم إلىٰ حَمَض، ثم إلىٰ ساحل هَجَر، ثم إلىٰ العُقَير، ثم إلىٰ القَطَن، ثم إلىٰ السَّبَخة، ثم إلىٰ عُمَان .

وذكر لها طريقا أخرىٰ من مكة إليها علىٰ الساحل : وهى من مكة، إلىٰ جُدّة، إلىٰ مَنزل، ثم إلىٰ الشُّعيبة، ثم إلىٰ المَرْجاب ، ثم إلىٰ أغيار، ثم إلىٰ السَّرَّيْن، ثم إلىٰ مَرْسىٰ حَلْي، ثم إلىٰ مَرْسىٰ ضَنْكان، ثم إلىٰ سِجِّين، ثم إلىٰ مِخْلاف الحَكَم، ثم إلىٰ الجَوْدة، ثم إلىٰ مِخْلاف عَكّ، ثم إلىٰ غَلافِقة، ثم إلىٰ مِخْلاف زَبِيد، ثم إلىٰ المَنْدَب، ثم إلىٰ مِخْلاف الرَّكْب ، ثم إلىٰ المنجلة ، ثم إلىٰ مِخلاف بنى مَجِيد، ثم إلىٰ مَغَاص اللُّؤْلؤ، ثم إلىٰ عَدَنَ، ثم إلىٰ مخلاف لَحْج، ثم إلىٰ قرية عبد الله بن مَذْحِج، ثم إلىٰ مِخْلاف كِنْدَة، ثم إلىٰ الشِّحْر، ثم إلىٰ ساحل هَمَاه، ثم إلىٰ عَوْكَلان، ثم إلىٰ فرق، ثم إلىٰ عُمَان . وهى طريق بعيدة .

---

(١) لم تتفق نسخ "ٱبن خرداذبه" فى بعض الأماكن فعوّلنا فى كثير منها على الأصل .

ولِعَربها مكاتَبات عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية، على ما سيأتى ذكره فى الكلام على المكاتَبَات فى المقـالة الرابعة إن شاء الله تعالى .

القُطْــــر الثـالث

(ممـا هو خارج من جزيرة العرب عن مُضَافات الديار المصرية "اليَمَـامةُ")

قال فى "تقويم البُـلْدان" : بفتح المثنّاة من تحت والميم وألف وميم وهاء فى الآخر . وهى قِطْعـة من جزيرة العرب من الحجاز، وعليـه جرى الفقهاءُ فحكَمُوا بتحريم مُقَـام الكُفْر بها كما بسائر أقطار الحجـاز ؛ وهى فى سَمْت الشرق عن مكة المُشَرَّفة . قال البيهقى : وهى مُلْك منقطِع بعمله ؛ ويُحُدّهـا من جهـة الشرق البَحْرَيْنِ،ومن الغرب أطرافُ اليمن والحجاز،ومن الجَنُوب نَجْرانُ من نواحى اليَمَن، ومن الشَّمال نَجْد والحجاز؛ وأرضها تسمَّى العَرُوض : لاعتراضها بين الحجاز والبحرين؛ وطولهـا عشرون مرحلةً . وهى فى جهة الغرب عن القَطِيف، و بينهما نحو أربع مراحلَ، و بينها و بين مكة أربعةُ أيام . وسمِّيت اليمامةَ باسم آمرأة : وهى اليمـامَةُ بنتُ سَهْم بن طَسْم، كانت تَنْزِلهـا إلى أن قتلها عبْدُ كُلَال وصلبها على بابها فسميت بهـا، سَمَّاها بذلك تُبَّعٌ الآخِر . قال فى "تقويم البُلْدان" : وكان آسمها فى القديم جَوّا بفتح الجيم وسكون الواو[1] . قال فى "تقويم البُلْدان" : وهى عن البصرة على ستَّ عشرةَ مرحلةً، وعن الكُوفة مثل ذلك . قال فى "تقويم البُلْدان" : وبهـا من القُرْب عينُ ماء متَّسِعةٌ وماؤها سارحٌ، وذكر أنها [أكثرُ نخيلا من][2] سائر الحجاز،

(١) لعل الصواب وشدّ الواو .

(٢) بياض فى الأصل والتصحيح من التقويم .

ثم نقل عمن رآها فى زمانه أن بها آبارا وقليلَ نَخْل ، وكأنه حكى ... ... [1] عما كانت عليه فى القِدَم ، وبها واد يسمّى ـ الخَرْج ـ بخاء معجمة مفتوحة وراء مهملة ساكنة وجيم فى الآخر ، كما هو مضبوط فى الصِّحاح .

وفيها ثلاث جُمَل :

الجملة الاولى

(فيما اشتملت عليه من البُلْدان)

قد ذكر فى "تقويم البُلْدان" عمن أخبره ممن رآها فى زمانه أن بها عِدّةَ قُرًى : وبها الحنطةُ والشعير كثير . وقاعدتُها دونَ مدينة النبيّ صلى الله عليه وسلم ، واقعةٌ فى أوائل الإقليم الثانى . قال فى "الأطوال" حيث الطولُ إحدى وسبعون درجةً وخمس وأربعون دقيقةً ، والعَرْضُ إحدى وعشرون درجةً وثلاثون دقيقةً .

ومن بلادها (حَجْر) قال فى "المشترك" : بفتح الحاء المهملة وسكون الجيم وراء مهملة فى الآخر . وهى فى الغَرْب عن مدينة اليمامة ، على مرحلتين منها ، وبعضهم يجعلها قاعدةَ اليمامة . وموقعها فى أوائل الإقليم الثانى . قال فى "تقويم البلدان" : والقياس أنها حيث الطولُ إحدى وسبعون درجةً وعَشْرُ دقائق ، والعرض اثنتان وعشرون درجة . قال : وبها قبورُ الشُّهَداء الذين قُتِلوا فى حرب مُسَيْلِمَةَ الكَذّاب .

---

(١) بياض فى الأصل ولعله حكى ذلك معبرا عما الخ .

الجمـــلة الثـانيـــة

(فى ذكر ملوكها)

قال صاحب "العبر" : كانت هى والطائف بيد بنى هزّان بن يَعْفُر بن السَّكْسَك، إلىٰ ان غلبهم عليها (طَسْم) . ثم غَلَبهم عليهـا (جَدِيس) ، ومنهم زرقاءُ اليمـامة . ثم ٱستولىٰ عليها (بنو حَنيفة) وكان منهم هَوْذَةُ بن علىّ ، وهو الذى كتب إليه النبىّ صلى الله عليه وسلم يَدْعُوه إلى الإسلام . ثم ملكها من بنى حنيفة (ثُمـامةُ) بن أُثال علىٰ عهد النبىّ صلى الله عليه وسلم ، وأُسِر ثم أسلم . ثم كان بها منهم (مسيْلِمة الكذّاب) زَمَنَ أبى بكر الصدّيق رضى الله عنه وقُتِل فى حرب المسلمين معه .

وكان لبنى (الأُخَيْضر) من الطالبيين بها دولةٌ .

وأوّل من ملكها منهم (محمد بن الأُخَيْضر) بن يوسف ، بن إبراهيم ، بن موسىٰ الجَوْن ، بن عبد الله ، بن الحسن المُثَنّى ، بن الحسن السِّبْط ، ٱبن أمير المؤمنين علىّ ٱبن أبى طالب رضى الله عنه . وكان ٱستيلاؤه عليها أيامَ المستعين الخليفة العبّاسىّ . ثم ملكها بعده ٱبنه (يوسف) ثم (ٱبنه الحسن) ثم ٱبنه (أحمد) ولم يزل مُلْكُها فيهم إلىٰ أن غلب عليهم القرامطةُ علىٰ ما تقدّم ذكره فى الكلام علىٰ بلاد البَحْرَيْن .

قال ٱبن سعيد : وسألت عرب البحرين فى سنة[1] ، لمَن اليمـامةُ اليوم؟ فقالوا لعرب من قيس عَيْلان وليس لبنى حنيفة بهـا ذكر .

قلت : ولم أَقِفْ لعربها علىٰ ذكر فى المكاتبات السلطانية بالديار المصرية .

---

(١) فى "العبر" بدل قوله فى سنة "وبعض مذحج" .

الجملة الثالثة
(فى الطريق الموصل إليها)

قد تقدّم أنها فى جهة الشرق عن مكة ، وأنّ بينهما أربعةَ أيام ، وطريق مكة معروف على ما تقدّم .

أما ماذكره آبن خُرْداذبه من طريقها على البصرة — فمن البصرة[1] إلى المَنْجَشَانِيَة ، ثم إلى الكُفَير ، ثم إلى الرُّحَيْل ، ثم إلى الشَّجِى ، ثم إلى الحَفَر ، ثم إلى ماويَّة ، ثم إلى ذات العُشَر ، ثم إلى اليَنْسوعة ، ثم إلى السُّمَيْنة ، ثم إلى النِّباج ، ثم إلى العُمُومية ، ثم إلى القَرْيتين ، ثم إلى سُوَيقةَ ، ثم إلى صداة ، ثم إلى السُّد ، ثم إلى السق ، ثم إلى المنبية ، ثم إلى السَّفْح ، ثم إلى المريقة ، ثم إلى اليمَامة ، والبصرة قد تقدّم أكثر الطريق إليها فى الكلام على مملكة إيران .

القُطْر الرابع
(مملكة الهِنْد ومُضَافاتها)

قال فى "مسالك الأبصار" : وهى مملكة عظيمة الشأن ، لاتُقَاس فى الأرض بمملكة سواها : لآتساع أقطارها ، وكثرة أموالها وعساكرها ، وأُبَّهة سلطانها فى رُكُوبه ونُزُوله ، ودَسْت مُلْكه ؛ وفى صِيتها وسُمْعتها كفايةٌ . ثم قال : ولقد كنت أسمعُ من الأخبار الطائحة والكُتُب المصنَّفة مايملأ العين والسمع ؛ وكنت لاأقفُ على حقيقة أخبارها لبُعْدها منا ، وتَنَائِى ديارها عَنّا ، ثم تتبّعت ذلك من الرُّواة ، فوجدت أكثَرَ مما كنت أسمع ، وأجلّ مما كنت أظُنّ . وحَسْبُك ببلاد فى بحرها الدُّرّ ، وفى برّها الذَّهَب ، وفى جبالها الياقُوت والمَاس ، وفى شعابها العُود والكافُور ،

(١) اختلفت نسخ "آبن خرداذبه" فى أسماء البلدان فأثبتها طابعه فى هامشه ولكنا عوّلنا فى الكثير على مافى الأصل .

وفى مُدُنها أَسِرّة الملوك ، ومن وُحُوشها الفيــلُ والكَرْكَدّن ، ومن حديدها سُيوفُ الهند ، وأسعارها رَخيَّة ، وعساكرها لاتُعدّ ، وممالكها لاتُحَدّ ، ولأهلها الحِكْمة ووُفورُ العقل ، وهم أملَكُ الأمم لشَهَواتِهم ، وأبذَلُهم للنفوس فيما يُظَن به الزُّلْفىٰ .

قال : وقـد وصف محمد بن عبـد الرحيم الاقليشى هـــذه المملكة فى كتابه "تحفة الألبـاب" فقال : المُلْك العظيم ، والعَـدْل الكثير ، والنعمة الجزيلةُ ، والسِّياسة الحَسَــنة ، والرضا الدائم ، والأَمْنُ الذى لاخَوفَ معــه فى بلاد الهِنْـد . وأهلُ الهنــد أعلمُ النــاس بأنواع الحكمة والطِّب والهَنْدسة والصِّناعات العجيبة . ثم قال : وفى جبــالهم وجزائرهم ينْبُت شجرُ العُود والكافُور وجميع أنواع الطِّيب : كالقَرَنْفُل والسُّـنْبُل والدارصِينى ، والقِرْفة ، والسَّـليخة ، والقاتلة ، والكبَابة ، والبَسْباسة ، وأنواع العقاقير . وعندهم غَزَال المِسْك وسِنَّور الزَّبَاد ؛ هذا مع ماهذه المملكة عليه من ٱتساع الأقطار ، وتباعد الأرجاء ، وتنائى الجوانب .

فقد حكىٰ فى "مسالك الأبصــار" : عن الشيخ مبارك بن محمود الأنْباتِى : أن عَرْض هذه المملكة مابين سُومنات وسَرَنْديبَ إلىٰ غَزْنة ، وطُولَهــا من الفُرْضة المقابلة لعَدَن إلىٰ سَــدّ الإسكندر عند مَخْرَج البحر الهندىّ من البحر المحيط ، وأن مسافة ذلك ثلاثُ سنين فى مثلها بالســير المعتاد ، كلُّها متصلة المُدُن ذوات المنــابر والأسِرَّة ، والأعمــال ، والقُرىٰ ، والضِّياع ، والرَّساتيق ، والأسواق ؛ لا يفصل بينها خراب . بعد أن ذكر عنه أنه ثِقة ثَبْت عارفٌ بما يحكيه إلا أنه ٱستبعد هــذا المقْدار ، وقال : إن جميع المعمور لايَفِى بهذه المسافة ، اللهم إلا أن يُرِيد أن هذه مسافةُ من يتَنَقَّل فيها حتى يحيطَ بجميعها مكاناً مكاناً ، فيحتمل علىٰ مافيه .

وفيه إحدىٰ عشرةَ جملةً :

الجملة الأولى
(فيما آشتملت عليه هذه المملكة من الأقاليم)

وتحتوى هذه المملكة على إقليمين عظيمين :

الإقليم الأوّل
(إقليم السِّنْد وما آنخرط فى سلكه من مُكْران، وطُوران، والبُدْهة، و بلاد [القُفْس] والبَلُوص)

فأما السِّند، فبكسر السين المهملة وسكون النون ودال مهملة فى الآخر . قال آبن حوقل : ويُحِيط به من جهة الغَرْب حدودُ كَرْمان، وتمامُ الحدّ مفازةُ سِجِسْتان؛ ومن جهة الجنوب مَفَازةٌ هى فيما بين كَرْمانَ والبحر الهندىّ، والبحر جَنُوبِىّ المفازة؛ ومن جهة الشرق بحر فارس أيضا : لأن البحر يتقوّس على كَرْمان والسِّند، حتى يصير له دَخْلة شرقىّ بلاد السند ؛ ومن جهة الشمال قِطْعة من الهند . قال آبن خرداذبه : و بالسند القُسْط، والقَنَا، والخَيْزُران .

وقاعدته (المنصورة) — قال فى "تقويم البُلْدان" : بفتح الميم وسكون النون وضم الصاد المهملة وسكون الواو وفتح الراء المهملة وهاء فى الآخر . وهى مدينة بالسِّند واقعة فى الإقليم الثانى من الأقاليم السبعة قال آبن سعيد : حيثُ الطولُ خمس وتسعون درجة وثلاثون دقيقة، والعرضُ أربع وعشرون درجة وآثنتان وأربعون دقيقة . قال فى "القانون" : وآسمها القديم بَمَنْهُو وإنما سمِّيت المنصورةَ لأن الذى فتحها من المسلمين قال نُصِرْنا . وقال المهلبىّ : إنما سميت المنصورة لأن عُمَر بن حفص المعروف بِهَزارَمَرْد بناها فى أيام أبى جعفر المنصور ثانى خلفاء بنى العباس وسماها بلقبه .

قال ٱبن حوقل : وهى مدينة كبيرة يُحِيط بها خَلِيجٌ من نهر مِهْرانَ (وهو نهرٌ يأتى من المُلْتان) فهى كالجزيرة ولكنها بَلْدة حارّة وليس بها سِوىٰ النخيل ؛ وبها قصب السُّكَّر، وبها أيضا ثَمَر علىٰ قدر التُّفَّاح شـديدُ الحُموضة، يسمى اليمومة .

وبها عدّة مُدُن وبلاد أيضا .

منها (الدَّيْبُل) — قال فى "اللبـاب" : بفتح الدال المهـملة وسكون المثناة من تحتها وضم البـاء الموحدة ولام فى الآخر . وهى بلدة علىٰ ساحل البحر، واقعـةٌ فى الإقليم الثانى من الأقاليم السـبعة قال ٱبن سعيد : حيث الطولُ ٱثنتان وتسعون درجة وإحدىٰ وثلاثون دقيقـة، والعرضُ أربع وعشرون درجة وعشرون دقيقة . قال فى "تقويم البُلْدان" : وهى بلدة صغيرة علىٰ ساحل ماء السند شديدةُ الحرّ . قال ٱبن حوقل: وهى شرقىّ مِهْران، وهى فُرْضة تلك البلاد . وقال فى"اللباب" : إنها علىٰ البحر الهندىّ قريبة من السند . قال ٱبن سـعيد : وهى فى دَخْلة من البَرِّ فى خليج السِّـند؛ وهى أكبر فُرَض السند وأشهرُها ؛ ويجلب منها المتاع الدَّيْبُلِىُّ . قال فى "تقويم البُلْدان" : وبها سِمْسِم كثير، ويُجْلَب إليها التَّمْر من البصرة، وبينها وبين المنصورة ست مراحل .

ومنها (البِيرُون) . قال فى "اللباب" : بكسر الباء الموحدة وسكون الياء آخر الحروف وضم الراء المهملة وبعـدها واو ونون فى الآخر . وهى مدينة من أعمـال الدَّيْبُل بينهـا وبين المنصورة ، واقعـةٌ فى الإقليم الثـانى من الأقاليم السـبعة قال فى "القانون" : حيث الطولُ أربع وتسعون درجة وثلاثون دقيقة، والعرضُ أربع وعشرون درجة وخمس وأربعون دقيقة . قال ٱبن سـعيد : وهى من فُرَض بلاد السِّند التي عليها خليجُهم المـالح الخارج من بحر فارس . قال فى"العزيزى" :

وأهلها مسلمون ، ومنها إلى المنصورة خمسةَ عشرَ فرسخا . قال ابن سعيد : وإليها ينسب أبو الرَّيْحان البِيْرُونيّ ، يعني صاحب "القانون" في أطوال البلاد وعروضها .

ومنها (سَدُوسانُ) . قال في "تقويم البُلْدان" : بفتح السين وضم الدال المهملتين وواو ثم سين مهملة ثانية مفتوحة وألف ونون . وهي مدينة غربيّ نهر مِهْرانَ ، واقعة في أوائل الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة قال في "القانون" : حيث الطولُ أربع وتسعون درجة وخمسون دقيقة ، والعرضُ ثمانٌ وعشرون درجة وعشر دقائق . قال ابن حوقل : وهي خِصْبة كثيرةُ الخير وحولها قُرًى ورُسْتاق ، وهي ذات أسواق جليلة .

ومنها (المُولْتان) قال في "تقويم البُلْدان" : بضم الميم وسكون اللام ثم تاء مثناة فوقية وألف ونون . قال : وهي في أكثر الكتب مكتوبة بواو . وهي مدينة من السند فيما ذكره أبو الرَّيحان البِيرُونيّ ، وإن كان ابن حَوْقل جعلها من الهند وعليه جرى في "مسالك الأبصار" لأن البِيرونيّ أقعدُ بذلك منه : لأن السند بلاده فهو بها أخبر ، واقعةٌ في الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة . قال في "القانون" : حيث الطولُ ست وتسعون درجة وخمسٌ وعشرون دقيقةً ، والعرضُ ثمانٌ وعشرون درجة وأربعون دقيقة . قال ابن حوقل : وهي أصغر من المنصورة .

وقد ذكر في "مسالك الأبصار" عن بعض المصنَّفات أن قُرى المُلْتان مائةُ ألف قرية وستة وعشرون ألفَ قرية . قال المهلَّبيّ : وأعمال المُلْتان واسعةٌ من قرب حدّ مُكْران من الجنوب إلى حدّ المنصورة ، وبينها وبين غَزْنةَ ثمانية وستون فرسخا .

ومنها (أَزُورُ) . قال ابن حوقل : وهي مدينة تقارب المُلْتانَ في الكِبَر ، وعليها سُوران وهي على نهر مِهْران . وقال في "العزيزيّ" : هي مدينة كبيرة وأهلُها

مسلمون فى طاعة صاحب المنصورة وبينهما ثلاثون فرسخا ، قال فى "القانون" : حيث الطول خمس وتسعون درجة وخمس وخمسون دقيقة ، والعرضُ ثمان وعشرون درجة وعشر دقائقَ .



وأما مُكْران ، فقال فى "اللبـاب" : بضم الميم وسكون الكاف وفتح الراء المهملة وألف ونون . قال ابن حوقل : وهى ناحية واسعة عريضة ، والغالب عليها المَفَاوِز والقَحْط والضِّيق . وقد اختلَفَ كلام صاحب تقويم البُلْدان فيها فذكر فى الكلام على السِّند أنها منه ، وذكر فى كلامه على مُكْرانَ فى ضمن بلاد السند أنها من كَرْمان .

وقاعدتها (التِّـيز) قال فى "اللبـاب" : بالتاء المثناة الفوقية الممـالة ثم ياء آخر الحروف وزاى معجمة فى الآخر ، وموقِعُها فى الإقليم الثـانى من الأقاليم السـبعة قال ابن سعيد : حيث الطولُ ستٌّ وثمانون درجة ، والعرضُ ست وعشرون درجة وخمسَ عشرةَ دقيقة . قال ابن حوقل : وهى فُرْضة مُكْرانَ وتلك النواحى ، وهى على شَطِّ نهر مِهْران فى غربيِّـه بقرب الخليج المنفتح من مِهْران على ظهر المنصورة .



وأما طُورَانُ . فناحية على خمسَ عشرةَ مرحلةً من المنصورة . قال فى "القانون" : وقَصَبَتها (قَنْدابِيلُ) قال : وهى حيثُ الطولُ خمس وتسـعون درجةً ، والعرضُ ثمـانٌ وعشرون درجة .

وذكر ابن حوقل أن قَصَـبة طُورانَ (قُزْدارُ) قال فى "اللبـاب" : بضم القاف وسكون الزاى المعجمة وفتح الدال المهـملة وألف وراء مهملة . وقد نقل فى "تقويم البُـلْدان" عن إخبار من رءاها أنها قُلَيْعة . قال فى "تقويم البُلْدان" :

وهى كالقرية لصغرها، وهى فى وَطَاءَة من الأرض على تُلَيْل، وحولها بعض بساتين. وذكر فى "اللباب" أن قُزْدارَ ناحيةٌ من نواحى الهند. قال فى "تقويم البُلْدان": وبينها وبين المُلْتان نحو عشرين مرحلة.



وأما البُـدْهة، فقال ابن حوقل: وهى مفترِشةٌ ما بين حدود طُورانَ ومُكْرانَ والمُلْتان ومُدُن المنصورة؛ وهى فى غربىِّ نهر مِهْران وأهلها أهل إبل كالبادية، ولهم أخصاصٌ وآجامٌ. قال فى "تقويم البُلْدان": ومن المنصورة إلىٰ أوّل البُدْهة خمس مراحل، ومن أراد البُدْهة من المنصورة احتاج إلىٰ عُبُور نهر مِهْران.

الإقلـــيم الثـانى

(إقليم الهنـــد)

قال فى "الأنساب": بكسر الهـاء وسكون النون ودال مهملة فى الآخر. قال فى "تقويم البُلْدان": والذى يُحِيط به من جهة الغرب بحرُ فارس، وتمامُه حدود السِّند؛ ومن جهة الجنوب البحرُ الهندىّ؛ ومن جهة الشرق المَفَاوِزُ الفـاصلةُ بين الهند والصين؛ ولم يذكر الحدّ الذى من جهة الشَّمال. وذكر فى "مسالك الأبصار" أن حدّه من جهـة الشَّمال بلادُ التُّرك. وذكر عن الشيخ مبارَك الأنْبَاتىّ: أنه ليس فى هذه المملكة خراب سوىٰ مسافة عشرين يوما ممـا يلى غَزْنَةَ، لتجاذُب صاحب الهنـد وصاحب تُرْكُسْتان وما وراءَ النهر بأطراف المُنازَعة، أو جبال معَطَّلة، أو شعواء[1] مشتبكة.

---

(١) كذا فى الأصل بالواو وصوابه بالراء كما فى المسالك والشعراء الأرض ذات الشجر أو كثيرته.

قال صاحب "مسالك الأبصار" : وسألت الشيخ مبارك الأنباتيّ عن برّ الهند وضواحيه فقال : إن به انهارا ممتدّة تُقارِب الف نهر كِبار وصغار، منها ما يضاهى النيلَ عِظَما ، ومنها ما هو دُونه ، ومنها ما هو مثلُ بَقِيَّة الأنهار . وعلىٰ صغار الأنهار القُرىٰ والمُدُن، وبه الأشجار الكثيفة والمُرُوج الفِيح . قال : وهى بلاد معتدلة لاتتفاوت حالاتُ فصولها ، ليست مفرطةً فى حرّ ولا بَرْد؛ بل كأنَّ كلَّ أوقاتها ربيع؛ وتَهُبُّ بها الأهويةُ والنسيم اللطيف ، وتتوالىٰ بها الأمطارُ مدّةَ أربعة أشهر؛ وأكثرها فى أُخْرَيَات الربيع إلىٰ ما يليه من الصيف .

ثم لمملكة الهند قاعدتان :

القاعــدة الأولىٰ
(مدينة دَلِّى)

قال فى "تقويم البُلْدان" : بدال مهملة ولام مشدّدة مكسورة ثم مثناة تحتية، ولم يتعرّض لضبط الدال والناس يَنطقون بها بالفتح و بالضم . وسماها صاحب "تقويم البُلْدان" فى تاريخه دَهْلِى بابدال اللام هاء . وهى مدينة ذات إقليم متّسِع ، وموقعها فى الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة قال فى " القانون " : حيث الطولُ مائةٌ وثمانٍ وعشرون درجة وخمسون دقيقة، والعرض خمس وثلاثون درجة وخمسون دقيقة . قال فى " تقويم البُلْدان " : وهى مدينة كبيرة فى مستوٍ من الأرض ، وتُرْبتها مختلطة بالحَجَر والرمل ، وعليها سور من آجُرٍّ، وسورها أكبر من سور حَماةَ، وهى بعيدة من البحر، ويمرّ علىٰ فرسخ منها نهر كبير دُونَ الفُرات ، وبها بساتينُ قليلة وليس بها عنب، وتُمْطَر فى الصيف؛ وبجامعها مَنَارة لم يُعْلَم فى الدنيا مثلها، مبنية من حجر أحمر ودَرَجها نحو ثلثمائة درجةٍ؛ وهى كبيرة الأضلاع ، عظيمة الارتفاع ، واسعة الأسفل وارتفاعها يقارب مَنَارة الإسكندرية .

وذكر فى "مسالك الأبصار" عن الشيخ برهان الدين بن الخلال البزى الكوفى:
أن علوها فى نحو ستمائة ذراع. وذكر عن الشيخ مبارك الأنباتى أن دَلّى مدائنُ جمعت ولكل مدينة منها اسم يخصها ودَلّى واحدة منها. قال الشيخ أبو بكر بن الخلال: وجملة ما يطلق عليه الآن اسم دَلّى إحدى وعشرون مدينةً.

قال الشيخ مبارك: وهى مُمَيَّلة طولا وعرضا، يكون دَوْرُ عُمْرانها أربعين ميلا، وبناؤها بالحجر والآجُرّ، وسقوفها بالخَشَب، وأرضها مفروشة بحجرٍ أبيضَ شبيهٍ بالرُّخام، ولا يُبْنىٰ بها أكثرُ من طبقتين وربما اقتُصر علىٰ طبقة واحدة، ولا يَفْرُشُ دُورَه فيها بالرُّخام إلا السلطانُ. قال: وفيها ألف مدرسة، منها مدرسةٌ واحدة للشافعية وباقيها للحنفية؛ وبها نحو سبعين بيمارستانا، وتسمّى بها دُورَ الشفاء؛ وبها وببلادها من الرُّبُط والخوانق نحوُ ألفين؛ وفيها الزيارات العظيمة، والأسواق الممتدّة، والحَمّامات الكثيرة؛ وشربُ أهلها من ماء المطر، تجتمع الأمطار فيها فى أحواض وسيعة كلُّ حوض قُطْره غَلْوةُ سهم أو أكثر. أما مياه الاستعمال وشرب الدواب فمن آبار قريبة المستقىٰ، أطول مافيها سبعة أذرع. وقد صارت دَلّى قاعدةً لجميع الهند [ومُستقرَّ السلطان] وبها قُصور ومنازلُ خاصّةٌ بسكَنه وسكَن حريمه، ومقاصيرُ جواريه وحَظَاياه وبيوتُ خدمه ومماليكه، لايسكن معه أحد من الخانات ولا من الأمراء، ولايكونُ بها أحد منهم إلا إذا حضر للخدمة ثم ينصرف كلُّ واحد منهم إلىٰ بيته. ولها بساتين من جهاتها الثلاث: الشرق، والجَنُوب، والشَّمال علىٰ استقامة، كل خط اثنا عشر ميلا، أما الجهة الغربية فعاطلة من ذلك لمقاربة جبل لهاية. ووراء ذلك مُدُن وأقاليم متعدّدة.

القــاعدة الثانيـــــة

(مدينة الدّواكِير)

ومدينة الدّواكير بفتح الدال المهملة والواو وألِف بعــدها كاف مكسورة ثم ياء مثناة تحتية وراء مهملة فى الآخر . وهى مدينـــة ذات إقليم متّسِع . وقد ذكــر فى "مسالك الأبصار" عن الشيخ مبارَك الأنباتى : أنها مدينة قديمة جدّدها السلطان محمد بن طغلقشاه، وسمّــاها " قبة الإسلام " . وذكر أنه فارقها ولم تتكامَلْ بعدُ، وأن السلطان المذكور كان قد قسمها علىٰ أن تبنىٰ مَحَلّاتٍ لأهل كل طائفة مَحَلّة : الجُنْد فى مَحَلّة، والوزراء فى مَحَلّة، والكُتّاب فى مَحَلّة، والقُضاة والعلمــاء فى مَحَلّة، والمشايخ والفقراء فى مَحَلّة ، وفى كل مَحَلّة ما يُحتاج إليــه من المساجد، والأسواق، والحَمّامات ، والطواحين، والأفران ، وأرباب الصنائع من كل نوع حتى الصُّوّاغ والصَّــبّاغين ، والدّبّاغين ، بحيث لا يحتاجُ أهل مَحَلّة إلىٰ أخرىٰ فى بيع ولا شراء ، ولا أخذ ولا عطاء : لتكون كل مَحَلّة كأنها مدينة مفْرَدة قائمة بذاتها .

واعلم أن صاحب "تقويم البُلْدان" : قد ذكر عن بعض المسافرين إلىٰ الهنــد أن بلاد الهند علىٰ ثلاثة أقسام :

القســـم الأوّل ـــ بلاد الجُـــزُرات

قال فى " تقويم البُــلْدان " : بالجيم والزاى المعجمة والراء المهملة ثم الف وتاء مثناة فوق . وبها عدّة مدن وبلاد .

منها (نَهْــلُوارة) بالنون والهــاء واللام والواو ثم ألف وراء مهملة وهاء . وقال ابن ســعيد : نَهْرُوالة، فقدّم الراء وأخّر اللام ، وكذلك نقله فى " تقويم البُلْدان "

عن بعض المسافرين . وفى " نزهة المشتاق" نَهْرُوارة براءين . وموقعها فى الإقليم الثانى من الأقاليم السبعة قال فى " القانون " : حيث الطولُ ثمانٌ وتسعون درجة وعشرون دقيقة، والعرض ثلاث وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة . وهى غربىّ إقليم المَنيبار الآتى ذكره . قال : وهى أكبر من كَنْبايِتْ ، وعمارتها مفرّقة بين البساتين والمياه؛ وهى عن البحر على مسيرة ثلاثة أيام . قال صاحب حماة فى " تاريخه " : وهى من أعظم بلاد الهند .

ومنها (كَنْبايِت) قال فى " تقويم البُلْدان": بالكاف ونون ساكنة وباء موحدة ثم ألف وياء مثناة تحتية وتاء مثناة من فوقها، ومقتضىٰ ما فى "مسالك الأبصار" : أن يكون آسمها أنبايت بإبدال الكاف همزة ، فإنه يُنْسَب إليها أنباتىّ . وهى مدينة علىٰ ساحل بحرالهند، موقعُها فى الإقليم الثانى من الأقاليم السبعة قال فى "القانون" : حيثُ الطولُ تسع وتسعون درجةً وعشرون دقيقة، والعرضُ آثنتان وعشرون درجة وعشرون دقيقة . وذكر فى " تقويم البُلْدان " عمن سافر إليها أنهـا غربىٌّ المَنيبار علىٰ خَوْر من البحر طولُه مسيرةُ ثلاثة أيام . قال : وهى مدينة حَسَـنة ، أكبر من المَعَرّة من بلاد الشام فى المِقْـدار، وأبنيتها بالآجُرّ، وبها الرُّخَام الأبيض، وبها بساتينُ قليلة .

ومنها (تانَةَ) . قال فى " تقويم البُلْدان " : قال أبو العقول نقلا عن عبد الرحمن الريّان الهندى ــ بفتح المثناة الفوقية ثم ألف ونون وهاء . وهى بلدة علىٰ ساحل البحر، واقعـةٌ فى الإقليم الأوّل من الأقاليم السـبعة قال فى " القانون " : حيث الطولُ مائة وأربعَ عشرةَ درجة وعشرون دقيقـةً ، والعرضُ تسـعَ عشرةَ درجة وعشرون دقيقة . قال فى " تقويم البُـلْدان " : وهى من مَشَارق الجُزُرات . قال آبن سعيد : وهى مشهورة علىٰ ألْسُن التُّجّار . قال : وأهل هـذا الساحل جميعُهُم

كُفّار يعبــدون الأنداد ، والمسلمون ساكنون معهم . قال الإدريسىّ : وأرضها وجبالهـا تُنْبت القَنَا والطَّباشيرَ ويُحْمَل منها إلىٰ الآفاق . قال أبو الرَّيْحان : والنسبة إليها تانِشىّ ومنها الثياب التانِشيّة .

ومنها (صُومَنَاتُ) قال فى "تقويم البُـلْدان" : بالصاد المهملة ويقال بالسين المهــملة ثم واو ساكنة وميم ونون مفتوحتين ثم ألف وتاء مثناة فوقيــة فى الآخر، وموقعها فى الإقليم الثـانى من الأقاليم الســبعة قال فى "القانون" : حيثُ الطولُ ســبع وتسعون درجة وعشرُ دقائق ، والعرضُ آثنتان وعشرون درجة وخمسَ عشرةَ دقيقة . قال فى "القانون" : وهى علىٰ الساحل فى أرض البَوَازِيج . قال آبن سعيد: وهى مشهورة علىٰ ألسِنة المسافرين ، وتعرف ببلاد اللّار ، وموضعها فى جهة داخلة فى البحر فَينْطَحُها كثير من مراكب عَدَن لأنها ليستْ فى جَوْن ؛ ولهـا خَوْر ينزل من الجبل الكبير الذى فى شَمَـالِيِّها إلىٰ شرقيِّها ؛ وكان بها صَنَم تعظمه الهنودُ يُضاف إليها ، فيقال : "صَنَم صُومَنات" فكسره يمين الدولة "محمود بن سُبُكْتِكِين" عند فتحها كما هو مذكور فى التواريخ .

ومنها (سَنْدانُ) بالسين المهملة والنون والدال المهملة والألف والنون ، هكذا ذكره فى "تقويم البُلْدان" : ونقل لفظَه عن المهلبىّ فى "العزيزى" . وقال بعض المسافرين إنها (سَنْدَابُور) بالسين المهملة والنون والدال المهملة وألف و باء موحدة وواو وراء مهملة فى الآخر . وهى مدينة علىٰ ثلاثة أيام من تانة، موقعُها فى الإقليم الأوّل من الأقاليم السبعة قال فى "القانون" : حيثُ الطولُ مائة وأربعُ دَرَج وعشرون دقيقة ، والعرضُ تسعَ عشرةَ درجة وعشرون دقيقــة . قال فى "تقويم البلدان" عن بعض المســافرين : وهى علىٰ جَوْن فى البحر الأخضر ، وهى آخر إقلــيم الجُزُرات . قال فى "القــانون" : وهى علىٰ الساحل . قال فى "العزيزى" :

وبينها وبين المنصورة خمسةَ عشر فرسخًا، وهى مَجْمَعُ الطُّرُق . قال : وهى بلاد القُسْط والقَنَا والخَيْزُران، وهى من أجلّ الفُرَض التى على البحر .

ومنها (نَاكُورُ) قال فى "تقويم البُلْدان" : بفتح النون وألف وكاف مضمومة وواو وراء مهملة فى الآخر . وهى مدينة على أربعة أيام من دَلّى .

ومنها (جالُورُ) بفتح الجيم ثم ألف ولام مضمومة وواو وراء مهملة . وهى على تَلّ تُرَاب نحو قلعة مِصْياف بين ناكُور وبين نَهْر والة . ويقال إنه لم يَعْصِ على صاحب دَلّى من الجُزُرات غير جالُورَ .

ومنها (منورى) (١) . قال فى "القانون": وهى بين الفُرْضة وبين المَعْبَر إلى سَرَنْديبَ حيث الطولُ مائةٌ وعشرون درجة، والعرضُ ثلاثَ عشرةَ درجة .

القسم الثانى — من إقليم الهند بلاد المَنِيبَار

قال فى "تقويم البُلْدان" : بفتح الميم وكسر النون (٢) وسكون الياء آخر الحروف وفتح الباء الموحدة ثم ألف وراء مهملة فى الآخر . وهى إقليم من أقاليم الهند فى الشرق عن بلاد الجُزُرات المقدّم ذكْرُها . قال : والمَنِيبار هى بلاد الفُلْفُل . ثم قال : والفُلْفُل فى شجره عناقيدُ كعناقيد الدُّخْن، وشجرُه ربما التَفّ على غيره من الأشجار كما تلتف الدَّوَالِى، وبها بلاد ... ... (٣) وجميعُ بلاد المَنِيبار مخضَرَّة كثيرةُ المياه والأشجار الملتفَّة .

---

(١) وقعت فى "التقويم" بالدال المهملة بدل الواو ولم يضبطها .

(٢) ذكرها ياقوت باللام بدل النون .

(٣) بياض فى الأصل ولعله "كثيرة" .

منها (هَنَّوْر) قال فى " تقويم البُلْدان " : بفتح الهـاء والنون المشدّدة والواو وراء مهملة . وهى غربىّ سَنْدابُورَ من بلاد الجُزُرات المقدّم ذكُرها، فتكون أوّلَ بلاد المَنيبار من الغرب . قال : ولها بساتينُ كثيرة .

ومنها (بَاسَرُور) بالباء الموحدة وبالسـين المفتوحة والراءين المهـملات . وهى بلدة صغيرة شرقىّ هَنَّوْر المقدّمة الذكر .

ومنهـا (مَنْجَرُور) قال فى " تقويم البُلْدان " : بفتح الميم وسكون النون وفتح الجيم وضم الراء المهملة ثم واو ساكنة وراء مهملة . وهى شرقىّ باسَرُورَ المقـدّمة الذكر . قال : وهى من أكبر بلاد المَنيبار، ومَلِكها كافر، ووراءها بثلاثة أيام جبلٌ عظيم داخِلٌ فى البحر، يُرىٰ للسافرين من بُعْد ، يسمّى " رأسَ هَيْلِى " بفتح الهاء وسكون الياء المثناة من تحت وكسر اللام ثم ياء مثناة تحتية فى الآخر .

ومنها (تَنْدَيُور) بالتـاء المثناة الفوقيـة المفتوحة وسكون النون ثم دال مهملة وياء آخر الحروف مضمومة وواو وراء مهملة . وهى بُلَيْدة شرقى " رأسِ هَيْلِى " لها بساتينُ كثيرةٌ .

ومنهـا (الشَّالِيات) بفتح الشين المعجمة وألف ولام مكسورة وياء آخرَ الحروف ثم ألف وتاء مثناة فوقية .

ومنها (الشِّنْكلى) بالشـين المعجمة المكسورة [وسكون النون][1] وكاف ولام وياء آخر الحروف . وهى بلدة بالقرب من الشَّالِيات .

ومنها (الكَوْلَم) قال فى " تقويم البُلْدان " : بالكاف المفتوحة والواو الساكنة

(١) الزيادة من تقويم البلدان .

ثم لام مفتوحة وميم فى الآخر . وموقعها فى الإقليم الأول من الاقاليم السبعة قال فى "الأطوال" : حيثُ الطولُ مائة وعَشْرُ درجات ، والعرضُ ثمانَ عشرةَ درجة وثلاثون دقيقة . قال ٱبن سعيد : وهى آخر بلاد الفُلْفُل من الشرق ، ومنها يُقْلَعُ إلىٰ عَدَنَ . قال صاحب "تقويم البُلْدان" : وحكىٰ لى بعضُ المسافرين أنها علىٰ خَوْر من البحر فى مستوٍ من الأرض وأرضها مُرْمِلة ؛ وهى كثيرة البساتين ، وبها شجر البَقَّم : وهو شجر كشجر الرّمّان ، و ورقُه يُشْبِه ورق العُنّاب ؛ وفيها حارة للسلمين وبها جامعٌ .

القسم الثالث — من إقليم الهند بلادُ المَعْبَر

قال فى "تقويم البُلْدان" : بفتح الميم وسكون العين المهملة وفتح الباء الموحّدة ثم راء مهْمَلة . وهى شرقىّ بلاد الكَوْلَم بثلاثة أيام أوأربعة . قال فى "تقويم البُلْدان" : وينبغى أن تكون بمَيْلة إلىٰ الجنوب . قال ٱبن سعيد : وهو مشهور علىٰ الألْسُن ، ومنه يُجْلَب اللاذِنُ ، وبها يُضْرب المثلُ فى قَصّاريها . قال : وفى شَمَالِيِّها جبال متصلة ببلاد بلهرا مَلِك ملوكِ الهند ، وفى غربيها يصُبُّ نهرُ الصوليان فى البحر . وذكر فى "مسالك الأبصار" عن قاضى القضاة سراج الدين الهندى : أن بلاد المَعْبَر تشتمل علىٰ عِدّة جزائرَ كِبارٍ .

وبه عدّة مُدُن وبلاد .

منها (بِيرْداول) قال فى "تقويم البُلْدان" : بكسر الباء الموحدة وتشديد الياء المثناة التحتية وسكون الراء وفتح الدال المهملتين وألف وواو ولام . قال : وهى قصبة بلاد المَعْبَر ، وموقعها فى الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة قال ٱبن سعيد :

حيث الطولُ مائةٌ وآثنتـانِ وأربعون درجة ، والعرض سـبعَ عشرةَ درجة وخمس وعشرون دقيقة . قال فى "تقويم البُلْدان" : وهى مدينة سُـلطان المَعْبَر، وإليه تُجْلَب الخيول من البلاد .

ثم آعلم أن وراء ماتقدّم بلادا أخرىٰ ذكرها فى "تقويم البُلْدان" .

منهـا (ماهُورةُ) قال فى "تقويم البُـلْدان" : بفتح الميم والألف والهاء والواو ثم راء مهملة وهاء . وموقعها فى الإقليم الثانى من الأقاليم السبعة قال فى "القانون" : حيثُ الطولُ مائةُ درجة وأربعُ درج ، والعرض سـبعٌ وعشرون درجة . قال آبن سـعيد : وهى علىٰ جانبَىْ نهرِ كُنْك فى آنحدارِه من قِنَّوْجَ إلىٰ بحر الهند . قال فى "تقويم البُلْدان" : وهى بلد البَرَاهمة، وهم عُبَّاد الهند ينسبون إلىٰ البَرْهَمَن أوّل حكمائهم . قال آبن سعيد : وقلاعُهم بها لاتُرام .

ومنها (لَوْهَوْرُ) قال فى "اللباب" : بفتح اللام وسكون الواوين بينهـما هاء مفتوحة وفى الآخر راء مهملة . قال : ويقال لها أيضا لَهَـاوُر . وموقعها فى الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة قال فى "الأطوال" : حيثُ الطول مائةُ درجة والعرضُ إحدىٰ وثلاثون درجةً . قال فى "اللباب" : وهى مدينة كبيرة كثيرة الخير، خرج منها جماعة من أهل العلم .

ومنها (قِنَّوَج) قال فى "تقويم البُلْدان" : بكسر القاف وفتح النون المشـدّدة والواو ثم جيم . وموقعها فى الإقليم الثـانى من الأقاليم السـبعة قال آبن سـعيد : حيثُ الطولُ مائةٌ وإحدىٰ وثلاثون درجة وخمسون دقيقة، والعرضُ تسعٌ وعشرون درجة . وذكر فى "الأطوال" الطولَ بنقْص سـبع وعشرين درجةً ، والعرضَ بزيادة ستِّ درج . قال آبن سعيد : وهى قاعدةُ لَهَـاوُر، وهى بين ذراعين من نهر

كِنْك . وقال المهلبيّ : هى فى أقَاصِى الهنـد فى جهة الشرق عن المُلْتان علىٰ مائتين وآثنين وثمانين فرسخا . قال : وهى مِصْر الهنـد وأعظمُ المُدُن بهـا . ثم قال : وقد بالغ الناسُ فى تعظيمها حتّىٰ قالوا : إنــ بها ثلثَمائة سُوق للجوهر، ولمَلِكها ألفان وخمسمائة فِيلٍ؛ وهى كثيرة مَعَادن الذهب . قال فى "نزهة المشتاق" : هى مدينةٌ حَسَـنة ، كثيرةُ التجارات، ومن مُدُنها قِشْمِيرُ الخارجة ، وقِشْمِير الداخلة . قال : ومَلِكها يسمّىٰ القِنَّوج باسمها .

ومنها (جِبالُ قَامَرُون) قال فى "تقويم البُـلْدان" : بفتح القاف وألف وميم وراء مهمـلة ثم واو ونون . وهى حِجَاز بين الهند والصِّين، وعدّها فى "القانون" من الجزَائر . قال : وهى خارجة عن الإقليم الأوّل من الأقاليم السبعة إلىٰ الجَنُوب قال فى "القانون" و"الأطوال" : حيث الطولُ مائةٌ وخمس وعشرون درجة ، والعرض عشْرُ دَرَج ، ومدينة المَلِك شرقِيَّها ، وبها مَعْدِن العُود القامَرُونىّ .

قلت : وذكر فى "مسالك الأبصار" عن قاضى القُضاة سراج الدين الهندى : أن فى مملكة صاحب الهنـد ثلاثةً وعشرين إقليما ، عدّ منهـا بعضَ ماتقدّم ذكره ، وهى : إقليم دَهْلِى ، وإقليم الدَّوا كِير ، وإقليم المُلْتان ، وإقليم كَهْران ، وإقليم سامانا ، وإقليم سبوستان ، وإقليم وَجّا ، وإقليم هاسى ، وإقليم سرستى ، وإقليم المَعْبَر ، وإقلـيم تلنك ، وإقليم كجرات ، وإقليم بدلون ، وإقليم عوض ، وإقليم القِنَّوج ، وإقليم لكنوتى ، وإقليم بَهَـار ، وإقليم كره ، وإقليم ملاوه ، وإقليم لَهَـاوُر ، وإقليم كلانُور ، وإقليم جاجنكر ، وإقليم تلنج ، وإقليم دور سمند .

ثم قال : وهذه الأقاليم تشتمل علىٰ ألف مدينة ومائتى مدينة ، كلُّها مُدُن ذواتُ نيابات : كبَارٍ وصغار ، وبجميعها الأعمال والقرىٰ العامرة الآهلةُ . وقال إنه لايعرف

عددَ قُراها ، إلا أن إقليـم القِنَّوج مائةٌ وعشرون لُكًّا ، كل لُكٍّ مائة ألف قرية، فتكون ٱثنَيْ عشر ألف ألف قرية؛ وإقليم تلَنْك سـتة وثلاثون لُكًّا ، فيكون ثلاثة آلاف ألف وستمـائة الف قرية؛ وإقليم ملاوه أكبر من إقليم القِنَّوج فى الجملة .

وحكى عن الشيخ مبارك الأَنْبـاتى : أن علىٰ لكنوتى مائتى ألف مركب صغار خِفَاف للسير، إذا رمىٰ الرامى فى إحداها سهما وقع فىوسطها لسرعة جَرَيانها . ومن المراكب الكبار مافيه الطواحين والأفران والأسواق، وربمـا لم يعرف بعضُ ركابه بعضا إلا بعد مدّة لاتّساعه وعِظَمه إلىٰ غير ذلك ممـا العهدة فيه عليه .

وٱعلم أن بحر الهند جزائرَ عظيمةً معدودةً فى أعماله ، يكون بعضُها مملكةً منفردةً.

منهـا (جزيرة سَرَنْديبَ) قال فى "تقويم البُـلْدان" : بفتح السـين والراء المهملتين وسكون النون وكسر الدال المهملة وسكون الياء المثناة من تحتُ ثم باء موحدة . قال : ويقال لهـا جزيرة سِنْكاديب ، كأنه باللسان الهنـدى" ، وموقعها خارجٌ عن الإقلـيم الأول من الأقاليم السـبعة إلىٰ الجنوب قال "فى الأطوال" : حيث الطولُ مائة وعشرون درجةً، والعرضُ عشرُ دَرَج . قال ٱبن سعيد : ويشُقُّ هـذه الجزيرةَ جبلٌ عظيم علىٰ خط الاستواء، ٱسمه جبل الرُّهُون، يزعمون أن عليه هُبوطَ آدم عليه السلام . قال ٱبن خرداذبه : وهو جبل ذاهبٌ فى السماء، يراه أهل المراكب علىٰ مسيرة عشرين يوما وأقلّ وأكثرَ .

وذكرت البراهمةُ : أن علىٰ هذا الجبل أثَرَ قدم آدمَ عليـه السلام : قَدَم واحدةٌ مغموسة فى الحجر، وأنه خطا الخَطْوة الأخرىٰ إلىٰ الهند، وهو منها علىٰ مسيرة يومين أو ثلاثة . قال : وعلىٰ هذا الجبـل شبيهٌ بالبرق أبدًا ، وعليـه العُودُ وسائر العِطْر والأَفَاوِيه ، وعليه وحواليـه الياقوتُ وألوانُه كلُّها؛ وفى واديه المـاسُ والسُّنْباذَج،

وغزالُ المِسك ، وسِنَّور الزَّبَاد؛ وفى أنهار هـذه الجزيرة البِلَّورُ، وحولَها فى البحر مَغَاصاتُ اللؤلؤ ، ونهرها هو المعَظَّم عند الهُنُود . قال ابن سعيد : ومدينتها تسمَّى أَغْنا . وهى حيثُ الطولُ مائة وأربع وعشرون درجة .

ومنها (جزيرة الرَّانَج) . قال فى " تقويم البُلْدان " : والظاهر أنها بالراء المهملة والألف والنون ثم جيم فى الآخر، وموقعها فى الجنوب عن الإقليم الأوّل . قال فى " الأطوال " : وطولُها مائةٌ وثلاثَ عشْرةَ درجةً ، ولا عَرْض لها؛ وفيها عِمَارة وزرع ونارَجيل وغير ذلك . قال فى " كتاب الأطوال " : وجبالهـا تُرىٰ من جبال ايمن، وبها جبال تشتَعِل النارُ فيها دائمـا، وتُرىٰ تلك النار فى البحر من مسيرة أيام، وبها حَيَّات تبتلع الرجلَ والجاموس، وفى البحر عند لَهَاوُر "دَوْر" وهو مكان يدور فيه المـاء ، ويُخْشىٰ علىٰ المراكب عنـده . قال ابن خرداذبه : وفيها حَيَّات عظام تبتلع الرجل والجاموس والفيلَ ؛ وفيها شجر الكافُور ، تُظلُّ الشجرةُ منه مائةَ إنسان وعجائبُ لاتُحْصىٰ .

ومنها (جزيرة لَامْرِى) قال فى " تقويم البُلْدان" : بلام وألف وميم وراء مهملة ثم ياء آخر الحروف ، وموقعها فى الجنوب عن الإقليم الأوّل قال فى " الأطوال " : حيث الطولُ مائة وستٌّ وعشرون درجة، والعرضُ تسـعُ دَرَج . قال فى " تقويم البُلْدان " : وهى مَعْدِن البَقَّم والخَيْزُران .

ومنها (جزيرة كلة) قال فى "تقويم البُلْدان" : بالكاف واللام وهاء فى الآخر . وموقعها فى الجنوب عن الإقليم الأوّل قال فى " القانون " : حيث الطول مائة وثلاثون درجة ، ولا عَرْضَ لهـا . قال فى " تقويم البُلْدان " : وهى فُرْضَةُ ما بين عُمَانَ والصِّين . قال المهلبيّ : وفيها مدينـة عامرة يسكُنها المسلمون وغيرهم

وبها مَعَادن الرَّصـاص ومَنَابت الخَيْزُران وشَجَرِ الكافور ، و بينها و بين جزائر المِهْراج عشرون مَجْرى .

ومنها (جزيرة المِهْراج) . قال فى "تقويم البُلْدان" : الظاهر أنهـا بالميم والهاء والراء المهـملة ثم ألف وجيم فى الآخر . قال فى "كتاب الأطوال" : وهى جزيرة سَرِيرَةَ ، وموقعُها فى الجنوب من خطّ الآسـتواء قال فى الأطوال : حيث الطول مائة وأربعون درجة ، والعرض فى الجنوب درجةٌ واحدة . قال آبن سعيد : وهى عِدّة جزائر، وصاحبها من أغنىٰ ملوكِ الهند وأكثرِهم ذهبا وفِيـلَةً . وجزيرتُه الكبيرةُ هى التى فيها مقرّ مُلْكه ؛ وعدّها المهلبيّ فى جزائر الصين ؛ وقال : إنها عامرةٌ آهلة ، وإنه إذا أقلع المَرْكَب منها طالبًا للصين واجهه فى البحر جبالٌ ممتدّة ، داخلة فى البحر مسيرةَ عشرةِ أيام ، فإذا قَرُب المسافرون منهـا وجدُوا فيها أبوابا وفُرَجا فى أثناء ذلك الجبل ، يُفْضِى كلُّ باب منها إلىٰ بلد من بُلْدان الصين . وعدّ آبن سعيد سَرِيرَةَ من جزائر الزَّانَج ، وقال : إنـ طولها من الشَّمال إلىٰ الجنوب أربعُمائة ميل ، وعَرْضَها فى كلِّ طَرَف من الجنوبىّ والشمالىّ نحوُ مائة وستين مِيلا ؛ وسَرِيرةُ مدينة فى وَسَطها ، ثم يدخُل منها جَوْن إلىٰ البحر وهى علىٰ نهر .

ومنها (جزيرة أَنْدَرابِى) قال فى "تقويم البُـلْدان" : بفتح الهمزة وسكون النون وفتح الدال والراء المهملتين ثم ألف و باء موحدة و فى الآخر ياء مثناة من تحتها .

ومنها (جزيرة الجَـاوَةِ) . قال فى "تقويم البُلْدان" : وهى جزيرة كبيرة مشهورة بكثرة العَـقَاقير . قال : وطَرَف هـذه الجزيرة الغربىُّ حيثُ الطولُ مائةٌ وخمس وأربعون درجة ، والعرضُ خمسُ دَرَج . قال : وفى جنوبىّ جزيرة الجاوة مدينـة

فَنْصُور ، التى ينسب إليهـا الكافور الفَنْصُورىّ ؛ وهى حيث الطولُ مائة وخمس وأربعون درجة ، والعرضُ درجةٌ واحدة ونصفٌ .

ومنها (جزيرة الصَّنْف) ، التى يُنْسَب إليها العُودُ الصَّنْفىّ . وهى من أشهر الجزائر الموجودة فى الكُتُب ، وطولها من الغرب إلى الشرق نحو مائتىْ ميل ، وعَرْضها أقلُّ من ذلك ، ومدينتها حيث الطول اثنتان وستون درجة .

ومنها (جزيرة قِمَار) التى يُنْسَب إليها العُود القِمَارىّ وهو دونَ الصَّنْفىّ ، ومدينتها قِمَار حيث الطولُ ستٌّ وستون درجة ، والعرضُ درجتان ، وشرقيها جزائر الصين .

ومنها (جزيرة الرامى) . قال ابن خرداذبه : وبها الكَرْكَدَّن وجواميسُ لاأذنابَ لهـا ، وبها البَقَّم ، وفيها ناسٌ عُرَاة فى غِيَاض لا يُفْهَم ما يقولون ، كلامهم صَـفير ، يستَوْحشون من الناس ، طولُ كلِّ إنسان منهم أربعةُ أشبار ، للرجل منهم ذكر صغير ، وللمرأة فرج صغير ، وشعرُ رءوسهم زَغَبٌ أحمرُ ، يتَسَلَّقون على الأشجار بأيديهم . وفى البحر هناك ناسٌ بِيض ، يلْحَقُون المراكب سِباحةً والمراكب فى شِدّة جَرْيهـا ، يبيعون العَنْـبَر بالحديد يحملونه فى أفواههم ؛ وجزيرة فيها ناسٌ سـود يأكُلُون الناس أحياءً ، وجبلٌ طِينُه فِضَّةٌ تظهر بالنار .

الجمـــلة الثـانيـــة

(فى حيـــوانها)

قد ذكر فى "مسالك الأبصار" عن الشيخ مبارك الأنْباتى : أنَّ بها الخيلَ على نوعين : عِرَابٍ وبَرَاذِينَ ، وأكثرها ما لا يحمد فعله . قال : ولذلك تُجْلَب الخيلُ إلى الهنـد من جميع ماجاوَرَه من بلاد التُّرك ، وتُقاد له العِرَاب من البحرين وبلاد اليَمَنِ والعِراق ، وإن كان فى داخل الهند خيـلٌ عِرَاب يُتغالى فى أثمانها ولكنها

قليلة. قال : ومتىٰ طال مُكْثُ الخيل بالهند انحلّت . وعندهم البِغَال والحمير، ولكنها مذمومةُ الرُّكوب عندهم، حتّى لا يَسْتَحْسِن فقيه ولا ذو علم رُكوبَ بغلة .

أما الحمار فإن ركوبه عندهم مَذَلّة وعارٌ عظيم؛ وخاصّتُهم تحمِل أثقالهم علىٰ الخيل، وعامتهم تحمل علىٰ البقر من فوق الأنف(1)، وهى عندهم كثيرة، وبها الجمالُ قليلة لا تكون إلا للسلطان وأتباعه : من الخانات، والأمراء، والوُزَراء، وأكابر الدولة؛ وبها من المواشى السائمـة ما لا يُحصىٰ : من الجواميس والأبقار والأغنام والمَعَز؛ وبهـا من دَوَاجِن الطير الدَّجاجُ والحمـام والإوَزُّ وهو أقل أنواعه، وان الدجاج عندهم فى قَدْرِ خلق الإوزّ . وبها من الوُحوش الفِيل، والكَرْكَدَّنُ . وقد تقدّم ذكرهما فى الكلام علىٰ الوحوش فيما يحتاج الكاتب إلىٰ وصفه من الحيوان فى المقالة الأولىٰ، فى غير ذلك من الوحوش التى لا تُعَدّ .

الجمـــــلة الثـالثـــــة

(فى حبوبها، وفوَاكِهها، ورَيَاحِينها، وخَضْراواتها، وغير ذلك)

أما الحبوب فقد ذُكِرعن الشيخ مُبارك الأنباتِى أن بها الأرُزّ علىٰ أحد وعشرين نوعا؛ وبهـا من سائر الحبوب الحنطةُ، والشعيرُ، والحِمِّص، والعَدَس، والمـاش، واللُّوبِياء، والسِّمْسِم؛ أما الفُول فلا يُوجَد عندهم . قال فى "مسالك الأبصار" : ولعل عدمه من حيث إنهم قوم حكماء، والفول عندهم ممـا يُفْسِد جوهرَ العقل، ولذلك حَرَّمت الصابئة أكله .

وأما الفواكه ففيه التِّين، والعنب علىٰ قلّة، والرُّمّان الكثير : من الحُلْو، والمُزّ، والحامض إلىٰ غير ذلك من الفواكه : كالمَوْز، والخَوْخ، والتُّوت المسمّى بالفِرْصاد،

---

(1) لعله مصحف عن الكتف .

وبهـا فواكهُ أخرىٰ لا يُعْهَد مثلها بمصر والشام ، كالعِنبَاء وغيرها ؛ والسَّـفَرْجلُ علىٰ قلة ، والكُمَّثْرىٰ ، والتُّفَّاحُ ، وهما أقل من القليل ، ولكنهما والسفرجل تُجلَب إليه . وبها من الفوا كه المستحسنة الرَّانَجُ ، وهو المسمَّى عنـدهم بالنارَجيل ، والعامة تسميه جَوْز الهند . وبه البِطِّيخ الأخضَرُ والأصفر ، والخيَار ، والقِثَّاء ، والعَجُّور ، وبه من المحمضـات الأُتْرُجُّ ، واللَّيْمون ، واللِّيم ، والنَّـارَنْج . أما الحُمَرُ(١) وهو التمر الهندىّ فكثير ببواديها .

وأما الخَضْراواتُ فقصبُ السكَّر ببلادها كثيرٌ للغاية ، ومنـه نوعٌ أسـودُ صُلْب المَعْجَم ، وهو أجوده للامتصاص لا الاعتِصار ، ولا يوجد فى غيرها ، ويُعـمَل من بقيَّة أنواعه السـكَّر الكثير : من النَّبَات وغيره ، ولكنه لا يجمُدُ بل يكون كالسَّميذ الأبيض . وعنـدهم من الخَضْراوات اللِّفْت ، والجَزَر ، والقَرْع ، والباذنْجان ، والهِلْيَوْن ، والزَّنْجَبِيل ، والسِّلْق ، والبَصَل ، والفُوم وهو الثُّوم ، والشَّمَار ، والصَّعْتَر .

وأما الرياحين ، فبها الورد ، واللَّيْنوفر ، والبَنَفْسَج ، والبانُ ، والخِلاَف ، والعَبْهَر ، والنَّرْجِس ، والفاغِيَة وهى التَّامِر حِنَّاء .

وأما غير ذلك فعندهم العَسَل أكثر من الكثير ، والشَّيْرَج ومنه وَقُودُهم ، والزيتُ يأتيهم مجلوبا . أما الشَّمَع فلا يُوجَد إلا فى دُور السلطان ، ولا يُسْمَح فيه لأحد ؛ والحَلْوىٰ علىٰ خمسة وستين نوعا ، والفُقَّاع ، والأَشْربة ، والأطعمة علىٰ ما لا يكاد يوجد فى غير ما هنـا لك . وبه من أرباب الصنائع صُـنَّاع السُّيوف ، والقِسِىّ ، والرِّمَاح ، والزَّرَد ، وسائر أنواع السلاح ؛ والصُّوَّاغُ ، والزَّرا كِشَة ، وغيرهم من سائر أرباب الصنائع .

(١) ويقـال له الحومر أيضا .

وللسلطان بدلّى دارُ طِرَاز، فيها أربعة آلاف قزّاز، تَعْمَل الأقمشة المنوّعة للخِلَع والكَسَاوى[(١)] والإطْلاقات، مع مايحمل إليه من قُمَاش الصين والعراق والإسْكندرية.

الجمــــلة الرابعـــــة

(فى المعـاملات)

أ ١ نقودهم، فقد ذكر الشيخ مبارك الأنْبَاتىّ: أن لهم أربعَ دراهم يتعاملُون بها.

أحدها — الهشتكانى. وهو وزن الدِّرهم النُّقْرة بمعاملة مصر، وجَوَازه جَوَازه، لايكاد يَتفاوتُ ما بينهما، والدِّرهم الهشتكانى المذكور عنه ثمـان جتيلات، كل جتيل أربعة أفْلُس، فيكون عنه اثنين وثلاثين فَلْسا.

الثـانى — الدِّرْهم السُّلْطانى. ويسمّى وكانى، وهو رُبعُ دِرْهَم من الدراهم المِصريّة، وكل درهم من السلطانية عنـه جتيلان، ولهذا الدرهم السلطانىّ نِصْف يسمّى جتيل واحد.

الثالث — الششتكانى. وهو نصفُ وربعُ درهم هشتكانى، ويكون تقـديره بالدراهم السلطانية ثلاثةَ دراهم.

الرابع — الدرهم الدرازد هكانى. وجوازه بنصفِ وربعِ درهم هشتكانىّ أيضا، فيكون بمقدار الششتكانى؛ ثم كل ثمـانية دراهم هشتكانيّة تسمّى تنكه.

أما الذهب عنـدهم فبالمِثْقال، وكل ثلاثة مثاقيلَ تسمّى تنكه، ويعبر عن تنكة الذهب بالتنكة الحمراء، وعن تنكة الفضّـة بالتنكة البيضاء؛ وكل مائة ألف تنكة

---

(١) جارىٔ العامّة فى هذا الجمع والا فجمعها كُسًا وكِسَاء كما فى القاموس.

من الذهب أو الفضة تسمّى لُكًّا ، إلا انه يعبر عن لك الذهب باللُّك الاحمر ، وعن لُكّ الفضّة باللك الأبيض .

وأما رِطْلهم فيسمّى عندهم ستر، وزنته سبعون مثقالا ، فتكون زنته بالدراهم المصرية مائةَ درهم ودرهمين وثلثَىْ درهم ، وكل أربعين ستراً مَنٌّ واحد ؛ وجميع مبيعاتهم بالوزن أما الكيل فلا يعرف عندهم .

الجملة الخامسة

(فى الأسعار)

قد ذكر فى "مسالك الأبصار" أسعارَ الهند فى زمانه نَقْلا عن قاضى القضاة سراج الدين الهندى" وغيره فقال : إن الجارية الخدّامة لاتتعدّىٰ قيمتُها بمدينة دَهْلِي ثمانَ تنكات، واللواتى يصْلُحْنَ للخدمة والفِرَاش خمسَ عَشْرة تنكة . وفى غير دَهْلِي أرخص من ذلك حتى قال القاضى سراج الدين : إنه اشترىٰ عبدا مراهقا نَقّاعا بأربعة دراهم . ثم قال : ومع هذا الرُّخص إن من الجَوَارى الهنديّات مَنْ تبلُغ قيمتُها عشرين ألفَ تنكة وأكثرَ لحُسْنهن ولُطْفهن .

ونقل عن الشيخ مُبارَك الأنباتى (وكان فيما قبل الثلاثين والسبعمائة) فقال : إن أوساط الأسعار حينئذٍ أن تكون الحنطةُ كلُّ مَنٍّ بدرهم ونصفِ هشتكانى"؛ والشعيرُ كلُّ مَنٍّ بدرهم واحد هشتكانى" ؛ والأرُزُّ كل مَنٍّ بدرهم ونصف وربع هشتكانى ، إلا أنواعا معروفة من الأرُزّ فإنها أغلىٰ من ذلك ؛ والحِمّص كلُّ مَنَّيْنِ بدرهم هشتكانىٍّ؛ ولحمُ البَقر والمَعَز كلُّ أربعة أستار بدرهم سلطانى" ؛ والإوَزُّ كل طائر بدرهمين هشتكانية ؛ والدَّجاج كلُّ أربعة أطيار بدرهم هشتكانى" ؛ والسكر كلُّ

خمسة أستار بدرهم هشتكانى ؛ والرأس الغنم الجيدة السمينة بتنكة (وهى ثمانية دراهم هشتكانية) والبقرة الجيدة بتنكتين (وهما ستة عشر درهما هشتكانية) وربما كانت بأقل، والجاموسُ كذلك .

أما الحَمَام والعُصْفور وأنواع الطير فبأقلّ ثمن ؛ وأنواعُ الصيد من الوحش والطير كثيرة ؛ وأكثر ما يأكلهم لحمُ البقر والمَعَز مع كثرة الضأن عندهم إلا انهم اعتادُوا أكل ذلك .

وقد حكىٰ فى "مسالك الأبصار" عن الخُجَنْدِىّ أنه قال : أكلت أنا وثلاثةُ نَفَر رِفَاق فى بعض بلاد دَلِّى لحما بَقَرِياً وخبزا وسمنا حتى شبعنا بجيتل : وهو أربعة افلس كما تقدّم .

الجملة السادسة

(فى الطريق الموصلة إلىٰ مملكتَىِ السِّنْد والهِنْد)

اِعلم أن لهذه المملكة عدّة طرق :

الطريق الأوّل — طريق البحر، قد تقدّم فى الكلام علىٰ الطريق الموصلة إلىٰ اليمن ذِكْرُ الطريق من سواحل مصر : من السُوَيْس ، والطُّور، والقُصَيْر، وعَيْذَابَ إلىٰ عَدَنَ من اليمن فى هذا البحر، ومن عَدَنَ إلىٰ أن يركب فى بحر الهند المتصلِ ببحر القُلْزُم، إلىٰ سواحل السند والهند ، ويخرج إلىٰ أىّ البلاد أراد من الفُرَض الموصلة إليها .

الطريق الثانى — طريق بحر فارِس، قد تقدّم فى الكلام علىٰ مملكة إيران ذِكْرُ الطريق الموصِّلة من حلَبَ إلىٰ بغدادَ، ثم من بغدادَ إلىٰ البصرة . قال ابن خرداذبه :

ثم من البصرة إلىٰ عَبَّادانَ آثنا عشر فَرْسخا، ثم إلىٰ الخَشَبات[1] فَرْسخَان ، ومنها يُرْكَب في بحر فارس :

فمن أراد طريقَ البر إلىٰ السِّند والهِنْد ، جاز هـذا البحر إلىٰ هُرْمُزَ : مدينة كَرْمان، ومنها يتوصل إلىٰ السند ثم الهند ثم الصين .

ومن أراد الطريق فى البحر، فقد ذكر آبن خرداذبه : أن من أُبُلَّة البصرة فى نهر الأُبُلَّة إلىٰ جزيرة خارَكَ فى نخيل فارس سبعين فرسخا ، ومنها إلىٰ جزيرة لابن ثمانين فرسخا ، ثم إلىٰ جزيرة أبرون سبعة فراسخ ، ثم إلىٰ جزيرة خَيْن سبعة فراسخ ، ثم إلىٰ جزيرة كِيش سبعة فراسخ، ثم إلىٰ جزيرة أبركاوان ثمانيةَ عشرَ فرسخا، ثم إلىٰ جزيرة أرموز سبعة فراسخ ، ثم إلىٰ بار سبعة أيام ، وهى الحدّ بين فارس والسند ، ثم إلىٰ الدَّيْبُل ثمانية أيام ، ثم إلىٰ مَصَبِّ مِهْران فى البحر فرسخان ، ثم من مِهْران إلىٰ بَكين أوّل أرض الهند أربعة أيام، ثم إلىٰ المَنْد فرسخان ، ثم إلىٰ كُول فرسخان، ثم إلىٰ سَنْدانَ ثمانيةَ عشرَ فرسخا ، ثم إلىٰ ملى خمسة أيام ، ثم إلىٰ بُلّين يومان .

ثم يفترق الطريق فى البحر :

فمن أخذ علىٰ الساحل — فمن بُلّين إلىٰ باس يومان، ثم إلىٰ السِّنْجلى وكَبْشكان يومان، ثم إلىٰ كودا مصب نهر فريد ثلاثة فراسخ، ثم إلىٰ كَيْلكان يومان، ثم منها إلىٰ سَمَنْدَر ، ومن سَمَنْدر إلىٰ أورسير اثنا عشر فرسخا ، ثم إلىٰ أبينه أربعة أيام ، ثم إلىٰ سرنديب يومان .

(١) الخشبات علامات فى البحر للراكب تنتهى إليها ولا تجاوزها خوفا من الجزر لئلا تلحق الارض .
أنظر التقويم (ص ٣٠٩) .

ومن أراد جهـــة الصين عدل من بُلّين وجعــل سَرَنْديبَ عن يساره . فمن جزيرة سَرَنْديب إلىٰ جزيرة لنكبالوس عشرة أيام إلىٰ خمســة عشر يوما ، ثم إلىٰ جزيرة كِلّه ســتة أيام . وعن يســارها جزيرة بالوس علىٰ يومــين ، ثم علىٰ خمســة عشر يوما بلاد تُنبِت العِطْر .

الجمـــــلة السابعة

(فى ذكـر مــلوك الهنـــد)

جماعةٌ[1] منهم ملوك الكُفْر ، أسمــاؤهم أعجمية لا حاجةَ إلىٰ ذكرهم ، فأضربنا عنهـــم .

وأمّا فى الإسلام فأوّلُ من أخذ فى فَتْح ما فُتِح من الهند بنو سُبُكْتِكِين : ملوك غَزْنَة ، المتقدّم ذكرهم فى مملكة خُوارزم والقَبْجاق وما مع ذلك .

ففتح يمينُ الدولة (محمودُ بنُ سُبُكْتِكِين) منه مدينة بَهَاطِيَةَ . وهى مدينة حَصينة عاليةُ السُّور وراءَ المُلْتان ، فى سنة ستٍّ[2] وتسعين وثلثمائة ، وسار إلىٰ بيدا مَلِك الهند ، فهرب منه إلىٰ مدينته[3] المعروفة بكالِيجَار ، فحاصره فيها حتّى صالحه علىٰ مال ، فأخذ المــال وألبسه خِلْعته ، وآستعفىٰ من شَدّ وسطه بالمِنْطقــة فلم يُعْفِه من ذلك ، فشدّها علىٰ كُرْه .

ثم فتح (إبراهيمُ بنُ مســعود) منهم حصوناً منــه فى سنة إحدىٰ وخمسين وأربعمائة .

---

(١) بياض فى الأصل ولعله أما قبل الإسلام فلكها جماعة من الخ .

(٢) ذكر أبو الفداء فتحها فى حوادث سنة ٣٩٥ ومسيره إلىٰ ملكها فى سنة ٣٩٦ .

(٣) عبارة أبى الفدا "قلعته" .

ثم كانت دولةُ الغُوريَّة بغَزْنةَ أيضا . ففتح شهابُ الدِّين أبو المظفَّر (محمدُ بن سام) ابن الحُسَيْن الغُورِى منه مدينة لَهَاوُر[1] فى سنة سبع وأربعين وخمسمائة ، وأتبعها بفتح الكثير من بلادهم ، وبلغ من النِّكاية فى ملوكهم مالم يبلُغْه أحدٌ من ملوك الإسلام قبله ، وتمكن من بلاد الهند ، وأقطَعَ مملوكَهُ قطبَ الدين أيبك مدينةَ دَهْلى التى هى قاعدة الهند ، وبعث أيبكُ المذكور عساكِرَه ، فملكت من الهند أماكِنَ مادخلها مسلمٌ قبله حتّى قاربت جهة الصين .

ثم فتح (شهاب الدين محمد) المذكور أيضا بعد ذلك نَهْرواله فى سنة سبع وتسعين وخمسمائة ، وتوالت ملوكُ المسلمين وفُتُوحاتُهم فى الهند إلىٰ أن كان (محمد بن طغلقشاه) فى زمن الملك الناصر محمد بن قلاوون صاحب الديار المصرية ، فقوِىَ سلطانه بالهند ، وكثرت عساكره ، وأخذ فى الفتوح حتّى فتح معظم الهند .

قال فى "مسالك الأبصار" قال الشيخ مبارك الأنباتى : وأوّل مافتح منه مملكة تلنك ؛ وهى واسعة البلاد ، كثيرة القُرىٰ ، عدّة قراها تسعمائة ألف قرية وتسعمائة قرية . ثم فتح بلاد جَاجْنَكر ، وبها سبعون مدينة جليلة كلُّها علىٰ البحر ، دَخْلُها من الجَوْهر والقُمَاش المنوّع ، والطِّيب ، والأَفَاوِيه ؛ ثم فتح بلاد لكنوتى ، وهى كرسىّ تسعة ملوك . ثم فتح بلاد دَوَاكِير . ويقال لها دَكير ، ولها أربع وثمانون قلعة جليلات المِقْدار . ونقل عن الشيخ برهان الدين أبى بكر بن الخلال البزى : أن بها ألف ألف قرية ومائتى ألف قرية . ثم فتح بلاد دَوْر سمند ، وكان بها السلطان بلال الدبو وخمسة ملوك كُفّار . ثم فتح بلاد المَعْبَر : وهو إقليم جليل له تسعون مدينة بَنَادر علىٰ البحر ، يجيىٔ من دَخْلها الطِّيبُ ، واللّاذِن ، والقُمَاش المنوّع ، ولطائفُ الآفاق .

---

(١) الذى فى العبر وتاريخ ابن الأثير أنه فتحها فى سنة تسع وسبعين وخمسمائة وهو الصواب .

وذكر أنه حصل له من الأموال بسبب الفتوح التى فتحها مالا يكاد السامع يصدّقه . فحكىٰ عن الشيخ برهان الدين أبى بكر بن الخَلَّال المقدّم ذكره : أنه حاصر مَلِكا علىٰ حدّ بلاد الدواكير، فسأله أن يكُفَّ عنه علىٰ أن يُرْسِل إليــه من الدّوابِّ مايختار ليُحَمِّله له مالا ، فسأله عن قدر ماعنده من المـال فأجابه فقال : إنه كان قبلى سبعةُ ملوك، جمع كلٌّ واحد منهم سبعين ألف صهريج متسعةً من المال، فأجابه إلىٰ ذلك ، وختم علىٰ تلك الصهاريج باسمه وتركها بحالهـا ؛ وأقرَّ المُلْكَ باسم ذلك المَلِك، وأمر بإقامته عنده، وجعل له نائبا بتلك المملكة .

وحكى عن علىّ بن منصور العُقَيلى من عرب البحْرَيْنِ أنه تواتر عنـدهم من الأخبار أن هذا السلطانَ فتح مدينةً بها بُحَيرة ماء ، فى وسطها بيتُ برٍّ معظم عندهم يقصدونه بالنذر، وكلما أُتِى له بنذر رُمِى فى تلك البُحيرة ، فصرف المـاء عنها وأخذ ماكان بها من الذهب ، فكان وَسْقَ مائتَىْ فِيـل وآلافٍ من البقر ، إلىٰ غير ذلك ممـا يكادُ العقل أن يُنْكِره، ولذلك حصـل عنده من الأموال مالا يأخُذه الحصرُ ؛ وآتسعت أموالُ عساكره حتّى جاوزتِ الوصفَ ، حتى حكى الشـيخ تاج الدين بن أبى المجاهد السَّمَرْقندىّ : أنه غَضِب علىٰ بعض خاناته لشُرْبه الخمرَ فأمسكه وأخذ ماله ، فكان جمـلةُ ماوُجِد له من الذهب ألفَ ألفِ مثقال وسـبعةً وثلاثين ألف مثقال ، ومقدار ذلك ثلاثة وأربعون ألف قنطار وسبعون قنطارا ، وهو مع ذلك يُعطِى العطاءَ الجزيل ويَصِل بالأموال الجَمَّة .

فقد حكى آبن الحكيم الطيـارى : أن شخصا قدّم له كتبا ، فَحَثَىٰ له حَثْيــةً من جوهر كان بين يدَيْه، قيمتُها عشرون ألفَ مثقالٍ من الذهب .

وحكىٰ الشريف السَّمَرْقندىّ : أن شخصا قدّم له آثنتين وعشرين حبّةً من البِطِّيخ الأصفر، حملها إليه من بُخارىٰ، فأمر له بثلاثةِ آلافِ مثقالٍ من الذهب .

وحكى الشيخ أبو بكر بن أبى الحسن المُلْتانىّ أنه آستفاض عنه أنه الْتَزم أنه لايَنْطِق فى إطلاقاته بأقلّ من ثلاثة آلاف مثقال، إلىٰ غير ذلك من العطاء الذى يخرق العقول .

وحكى عن قاضى القضاة سراج الدين الهندى : أنه مع كثرة البَذْل وسَعَة العطاء فى هِبَاته وما يُنْفِقه فى جُيوشه وعساكره لا يُنْفِق نصفَ دَخْل بلاده .

قلت : ثم بعد محمد شاه ولى هذه المملكةَ من أقاربه سلطان آسمه (فَيْرُوزشاه) وبقىَ فى الملك نحوَ أربعين سنة . ثم تنقلت المملكة فى بيتهم إلىٰ أن كان من تُمُرلنك ما كان من فتح دَلّى ونَهْبها .

ثم آل الأمْرُ بعده إلىٰ سلطان من بيت الملك ، آسمه (محمود خان) وهو القائم بها إلىٰ الآنَ . وقد صارت الدواكيرُ منها لسلطان بمفرده ، وآسمه اليوم السلطان (غِيَاث الدين) .

الجملة الثامنة

(فى ذكر عساكر هذه المملكة ، وأرباب وظائفها علىٰ ماذكره فى "مسالك الأبصار" عن دولة السلطان محمد بن طغلقشاه المقدّمذكره ، نقلا عن الشيخ مبارك الأنباتىّ وغيره)

أما عساكره ، فقد ذكر أنها تشتمل علىٰ تِسْعِمائة ألف فارس : منهم مَنْ هو بحضرته ، ومنهم مَنْ هو فى سائر البلاد ، يَجْرِى عليهم كلِّهم ديوانُه ، وأن عسكره مجتَمِع من التُّرك والخِطا والفُرْس والهنود وغيرهم من الأجناس . وكلُّهم بالخيل المُسَوَّمة ، والسلاح الفائق ، والتجَمُّل الظاهر ، وأن أعلىٰ عسكره الخاناتُ ، ثم الملوكُ، ثم الأمراءُ، ثم الاصفهسلارية ، ثم الجُنْد .

وذكر أن فى خدمته ثمـانينَ خانا أو أكثرَ ، وأن لكل واحد منهم من الأتْبـاع ماينـاسـبه : للخان عشرةُ آلافِ فارس ، وللمَلِك ألفُ فارس، وللأمير مائةُ فارسٍ ، وللاصفهسلارية دون ذلك . وأن الاصفهسلارية لا يؤهَّلُ أحد منهـم للقُرْب من السلطان، وإنما يكون منهم الوُلَاة ومن يجْرِى مَجْراهم ؛ وأن له عشرة آلافِ مملوكٍ أتْراك ، وعشرة آلاف خادمٍ خِصِىّ ، وألف خزندار ، وألف بَشْمِقْدار، وله مائتا ألف عبدٍ رِكابِيَّة، تلْبَس السلاح وتمشى فى رِكَابه، وتقاتل رَجَّالةً بين يديه، وأن جميع الجُنْـد تختَصُّ بالسلطان، ويجرى عليهم ديوانُه حتّى مَنْ فى خِدْمة الخانات والمُلُوك والأمراء ، لا يجرى عليهم إقطاعٌ من جهةِ مَنْ هم فى خِدْمته كما فى مِصْرَ والشام .

وأما أربابُ الوظائف من أرباب السيوف، فله نائبٌ كبير، يسمَّى بلغتهم امريت وأربعةُ نُوابٍ دُونَه ، يسمَّى كل واحد منهم شق ؛ وله الحُجّاب ومن يجرى مَجْراهم من سـائر أرباب الوظائف . وأمّا من أرباب الأقلام، فله وَزِيرٌ عظيم، وله أربعة كُتَّاب سر، يسمَّى كل واحد منهم بلغتهم ديبران ، ولكل منهم تقدير ثلثمائة كاتب .

وأما القضاة فله قاضى قضاةٍ عظيمُ الشأن، وله محتَسِب وشيخُ شيوخ، وله ألفُ طبيب ومائتا طبيب .

وأما غير هؤلاء فله ألف بازْدار، تحمل الطيورَ الجوارحَ للصـيد راكبةً الخيـلَ، وثلاثة آلافِ سَوَّاق لتحصيل الصـيد ، وخمسمائةِ نَديم ، وألفان ومائتان من الملَاهى غير مماليكه الملَاهى ،وهى ألفُ مملوك برسم تعليم الغِناء خاصةً، وألفُ شاعر بالعربيَّة، والفارسيَّة، والهندية، من ذوى الذَّوق اللطيف . يَجْرِى على جميع أولئك ديوانُه مع طهارة الذَّيْل والعِفّة فى الظاهر والباطن .

الجملة التاسعة
(في زِيِّ أهل هذه المملكة)

أمّا أربابُ السُّيوف فنُقِل عن الشيخ مُبَارَك الأنباتي : ان لِبْس السلطان والخانات والملوك، وسائر أرباب السيوف تَتريّات، وتَكْلاواتٌ ، وأقْبِيَةٌ إسلامية، مُخَصَّرة الأوساط خُوارزْميّة، وعمائمُ صغار لاتتعدّى العِمامةُ منها خمسةَ أذرع أوستةً، وأن لِبْسهم من البياض والجُوخ .

وحكى عن الشريف ناصر الدين محمد الحسينيّ الأَدَمى أن غالب لِبْسهم تترية مُزَرْكَشةٌ بالذهب؛ ومنهم مَنْ يلبَس مطرَّز الكمين بزَرْكَش؛ ومنهم من يعمل الطِّراز بين كتفيه مثل المُغْل؛ وأقْباعُهم مربَّعة الأنْبِساط ، مُرَصَّعة بالجواهر، وغالب ترصيعهم بالياقوت والمْاس ، ويَضْفِرُون شعورَهم ذوائبَ، كما كان يُفْعَل بمصر والشام في أوّل الدولة التركية ، إلا أنهم يجعلون في الذوائب شَراريبَ من حَرير؛ ويُشُدّون في أوساطهم المَنَاطِقَ من الذهب والفِضّة، ويلْبَسون الأخفافَ والمَهَامِيز، ولا يشُدّون السيوفَ في أوساطهم إلا في السَّفَر خاصّة .

وأما الوُزَراء والكُتّاب ، فزِيُّهم مثل زِيّ الجُنْد ، إلا أنهم لا يَشُدُّون المَنَاطِقَ؛ وربما أرخىٰ بعضُهم العذَبةَ الصغيرةَ من قُدّامِه كما تفعل الصُّوفيّة .

وأما القُضَاة والعلماءُ، فلِبْسهم فرجِيّات شَبيهاتٌ بالجندات ودَرَارِيعُ .

وحكى عن قاضي القضاة سراج الدين الهنديّ أنه لا يَلْبَس عندهم ثيابَ الكَتّان المجلوبةَ من الرُّوس والإسكندرية إلا مَنْ ألبسه له السلطان، وإنما لباسهم من القُطْن الرفيع الذي يفوقُ البَغْداديّ حُسْنا ؛ وأنه لا يَرْكَب بالسُّروج المُلَبَّسة والمُحَلّاة بالذهب إلا مَنْ أنعم عليه بها السلطان .

الجمـــلة العـــاشرة

(فى أرزاق أهلِ دَوْلة السلطان بهذه المملكة)

أما الجُنْد، فنقل عن الشيخ مبارك الأنباتِيّ أنه يكون للخانات والملوك والأمراء والاصفهسلارِيَّة بلادٌ مقرَّرة عليهم من الديوان إقطاعًا لهم .

وذكر أن إقطاع النائب الكبير المسمَّى بأمريت يكون إقليما عظيما كالعِرَاق . ولكلِّ خان لُكَّانٍ ، كلُّ لكّ مائةُ ألف تنكة ، كل تنكة ثمـانية دراهم ؛ ولكل ملك من ستين ألفَ تنكة إلىٰ خمســين ألف تنكة ؛ ولكل أمير من أربعين ألفَ تنكة إلىٰ ثلاثين ألف تنكة ؛ وللاصفهسلارية من عشرين ألفَ تنكةٍ إلىٰ ما حولها؛ ولكل جُنْدىّ من عشرة آلاف تنكة إلىٰ ألف تنكة؛ ولكل مملوكٍ من المماليك السلطانيَّة من خمسة آلاف تنكة إلىٰ ألف تنكة ، مع الطعام والكُسْوة وعَليق الخيل لجميعهم علىٰ السلطان . ولكل عبد من العَبيد السلطانية فى كل شهر عشرُ تنكات بَيْضاء، ومَنَّان من الحِنْطة والأُرُزّ، وفى كل يوم ثلاثةُ أستار من اللحم، وفى كل سنة أربع كساوٍ .

وأما أرباب الأقلام ، فإن الوزير يكون له إقليم عظيمٌ نحو العِراق إقطاعًا له ؛ ولكل واحد من كُتَّاب السرّ الأربعة مدينةٌ من المُدُن البَنَادر العظيمةِ الدَّخْل؛ ولأكابر كُتَّابهم قُرًى وضِياعٌ . ومنهم مَنْ يكون له خمسون قريةً . ولكلٍّ من الكُتَّاب الصِّغار عشرةُ آلافِ تنكة . ولقاضى القُضــاة المعبَّرعنه بصَــدْرجهان عشْرُ قُرًى ، يكون متحصِّلها نحوَ ستينَ ألفَ تنكة؛ ولشيخ الشيوخ مثلُه ؛ وللمحتَسِب قريةٌ يكون متحصِّلها نحوَ ثمـانيةِ آلافِ تنكة .

وأما غير هؤلاء من سائر أرباب الوظائف ، فذكر أنه يكون لبعض النُّدَماء قريتانِ ولبعضهم قريةٌ ؛ ولكل واحد منهــم من أربعينَ ألفَ تنكة إلىٰ ثلاثين ألف تنكة

إلىٰ عشرين ألف تنكة علىٰ مَقَادير مَرَاتِبهم ، مع الكَسَاوى والخِلَع والإِفْتِقادات ، ولْيُقَس علىٰ ذلك .

الجملة الحادية عَشْرَة
(فى ترتيب أحوال هذه المملكة)

وتختلِفُ الحال فى ذلك باختِلاف أحوالِ السلطان .

أما الخِدْمة ، فخدمتان : إحداهما الخِدْمة اليَوْمِيّة ، فإنه فى كل يوم يُمَدّ الخِوانُ فى قصر السلطان : ويأكل منه عشرون ألفَ نَفَر من الخانات ، والملوك ، والأُمَراء ، والاصفهسلارية ، وأعيان الجُنْد ، ويُمَدُّ للسلطان خِوَانٌ خاصٌّ ، ويحضُرهُ معه من الفُقَهاء مِائتَا فقيهٍ فى الغَدَاء والعَشَاء ليأكُلوا معه ويَبْحثُوا بين يدَيْه .

وحكى عن الشيخ أبى بكر بن الخَلَّال : أنه سأل طَبَّاخ هذا السلطان عن ذبيحته فى كل يوم — فقال : ألفان وخمسُمائة رأس من البقر ، وألفَا رأس من الغنم ، غير الخيل المسمَّنة وأنواع الطير .

والثانية — الجُمَعِيَّة ، فحكى عن الشيخ محمد الخُجَندىّ : أن لهذا السلطان يومَ الثَّلاثاء جلوسًا عامًّا فى ساحةٍ عظيمةٍ متسعةٍ إلىٰ غاية ، يُضْرَب له فيها خَيْرٌ كبير سلطانىّ ، يَجْلِس فى صدره علىٰ تَخْت عالٍ مصَفَّح بالذهب ، وتَقِف أربابُ الدَّوْلة حولَهُ يمينًا وشِمالا ، وخلْفَه السِّلاح دارِيَّة وأربابُ الوظائف قِيامٌ بين يديه علىٰ مَنَازلِهم ؛ ولا يَجْلِس إلا الخاناتُ وصَدْر جهان « وهو قاضى القضاة » والدبيران «وهو كاتب السرّ الذى تكون له النَّوْبة » ويقِف الحُجَّاب أمامَه ، ويُنادىٰ مناداة عامَّة : إن من كان له شكوىٰ أو حاجةٌ فلْيَحْضُر ، فيَحْضُر من له شكوىٰ أو حاجةٌ ، فيَقِف بين يديه فلا يمنع حتّى يُنْهى حاله ، ويأمر السلطان فيه أمره .

ومن عادته أن لا يدخُل عليه أحدٌ ومعه سِلاحُ البتّـةَ حتّى ولا سِكّين صـغيرةٌ؛ ويكون جلوسه داخِلَ سبعة أبواب ، ينزِلُ الداخلُون عليه علىٰ الباب الأوّلِ، وربما أُذِن لبعضهم بالركوب إلىٰ الباب السادس . وعلىٰ الباب الأوّل منها رجل معه بُوق، فإذا جاء أحدٌ من الخانات أو الملوك أو أكابر الأُمَراء، نفخ فى البُوق إعلامًا للسلطان أنه قد جاءه رجل كبير : ليكون دائما علىٰ يَقَظة من أمره . ولا يزال ينفُخ فى البُوق حتّى يقـارب الداخلُ البابَ السابعَ ، فيجْلِس كلُّ مَنْ دخل عنـد ذلك البـاب حتّى يجتمع الكلُّ ، فإذا تكاملوا أُذِن لهم فى الدخول، فإذا دخلوا جلس مَنْ له أهليّـةُ الجلوس ووقف البـاقُونَ ، وجلس القُضاة والوزيرُ وكاتب السرِّ فى مكان لا يَقَع فيه نظرُ السلطان عليهم ، ومُدَّ الخُوَانُ . ثم يُقـدّم الحجّـابُ قِصص أرباب المَظَالم وغيرهـم ، ولكل قوم حاجبٌ يأخذ قِصصَهم ، ثم يرفَعُون جميع القِصَص إلىٰ حاجب مُقدَّم علىٰ الكل ، فيَعْرِضها علىٰ السـلطان ويسمَعُ ما يأمر فيها . فإذا قام السـلطان جلس ذلك الحـاجبُ إلىٰ كاتب السرّ فأدّىٰ إليـه الرسائلَ فى ذلك فينفِّذُها . ثم يقوم السلطان من مجْلِســه ذلك ويدخل إلىٰ مجلِسٍ خاصٍّ ، ويدخل عليه العلمـاءُ فيجالِسُهم ويحادِثُهم ويأكُل معهم ؛ ثم ينصرفون ، ويدْخُل السلطان إلىٰ دُوره .

أما حاله فى الركوب، فإنه كان فى قُصوره يركب وعلى رأسه الجتر والسلاح داريّة وراءه محمولا بأيديهم السلاحُ . وحوله قريبُ اثنَىْ عشَرَ ألفَ مملوكٍ ، جميعُهم ليس فيهم راكبٌ إلا حامِلَ الجتر والسِّـلاح داريّة والجمْداريّة حملةُ القماش إن كان فى غير قُصُوره . وعلىٰ رأسـه أعلامٌ سـودٌ فى أوساطها تِنِّين عظيم من الذهب ؛ ولا يحمِل أحدٌ أعلاما سُودا إلا له خاصّـةً . وفى ميسرته أعلامٌ حُمْر ، فيهـا تِنِّينان ذهب أيضا . وطبوله الذى يُدَقّ بهـا فى الإقامة والسَّـفَر علىٰ مثل الإسكَنْدر ؛

وهو مائتا حمل نَقّارات ، وأربعون حملا من الكُوسات الكِبَار ، وعشرون بُوقًا ، وعشرة صُنُوج .

قال الشيخ مبارك الأنباتىّ : ويُحْمَل على رأسه الجتْر إن كان فى غير الحرب ، فإن كان فى الحرب حُمِل علىٰ رأسه سبعة جُتُورة ، منها اثنان مرصّعان لا يُقوّمان لنَفَاستهما . قال : ولدَسْته من الفَخَامة والعَظَمة والقَوانينِ الشاهِنْشاهِيَّة ما لا يكون مثلُه إلا للإسكَنْدر ذى القرنيْنِ أو لملك شاه بن ألْب أرسلان .

ثم إن كان فى الصيد فإنه يخُرج فى خِفٍّ من اللباس فى نحو مائة ألف فارس ، ومائتَىْ فيل ، ويحمَل معه أربعةُ قصور علىٰ ثمانمائة جمل ، كلُّ قصر علىٰ مائتَىْ جمل مُلَبَّسةً جميعها بستُور الحرير المُذْهَبة ، وكل قصر طبقتان غير الخِيَم والخركاوات . فان كان يتنقَّل من مكان إلىٰ مكان للتنزُّه وما فى معناه ، فيكونُ معه نحوُ ثلاثين ألفَ فارس ، وألف جَنِيب مُسْرَجة مُلْجَمة ، مابين مَلَبَّس بالذهب ومُطَوق وفيها المُرصَّع بالجواهر واليَواقيت .

وإن كان فى الحرب ، فإنه يركَبُ وعلىٰ رأسه سبعةُ جُتورة ، وترتيبُه فى الحرب علىٰ ماذكره قاضى القضاة سراج الدين الهندىّ : أن يقف السلطان فى القَلْب وحَوْلَه الأئمـةُ والعلماءُ ، والرُّماة قدّامَه وخَلْفه ، وتمتدّ المَيْمنةُ والميسَرةُ موصولةً بالجناحين ، وأمامه الفِيَلة المَلَبَّسة البركصطوانات الحديد وعليها الأبراجُ المستَّرة فيها المقاتِلةُ ، وفى تلك الأبراج منافذُ لرمى النُّشَّاب وقَوَارير النِّفْط ، وأمامَ الفِيَلة العبيدُ المُشاة فى خِفٍّ من اللِّباس بالسُّتُور والسلاح ، فيسحَبُون حِبالَ الفِيَلة والخيلُ فى الميمنة والميسَرة ، تضُم أطراف ... ...(١) من حَوْل الفِيَلة ومن ورائها حتّىٰ لا يجدَ هاربٌ له مَفَرّا .

(١) بياض بالأصل ولعله تضم أطراف "الجيش من آخر" .

أما غيرُ السلطان من عساكره ، فقد جرتْ عادتُهم أنَّ الخانات والملوكَ والأمراء لا يركبُ أحد منهم فى السَّفَر والحَضَر إلا بالأعلام ؛ وأكثرُ مايحمِلُ الخانُ معه سبعةُ أعلام ، وأقلُّ ما يحمل الأمير ثلاثةٌ ؛ وأكثر ما يجُرّ الخانُ فى الحَضَر عشرُ جنائبَ ، وأكثرُ مايجرُّ الأمير فى الحَضَر جَنِيبانِ ، وفى السفر يتعاطىٰ كلُّ أحد منهم قدْرَ طاقتِه .

وأما آتصال الأخبار بالسلطان ، فذكر قاضى القُضَاة سراجُ الدين الهندىّ : أن ذلك يختلِفُ بآختلاف الأحوال : فأحوالُ الرعيَّة له ناس يخالِطُون الرعيَّةَ ، ويَطَّلِعُون علىٰ أخبارهم ، فمن آطَّلع منهم علىٰ شىءٍ أنهاه إلىٰ مَنْ فوقه ، ويُنْهِيه الآخَرُ إلىٰ من فوقَه حتى يتَّصِل بالسلطان . وأحوالُ البلاد النائية لآتصال الأخبار منها من السرعة ما ليس فى غيرها من الممالك ، وذلك أن بين أُمَّهات الأقاليم وبين قصر السلطان أماكِنَ متقاربةً ، مشبَّهة بمراكز البريد بمصرَ والشأم إلا أن هذه الأماكنَ قريبةُ المَدىٰ بعضُها من بعض ، بين كل مكانَيْنِ نحوُ أربع غَلَوات سهم أو دُونَها ، فى كل مكان عشرةُ سُعاةٍ ممن له خِفَّة وقُوّة ، ويحمل الكُتُبَ بينه وبين مَنْ يليه ، ويَعْدُو بأشدِّ ما يمكنه إلىٰ أن يُوَصِّله إلىٰ الآخر ليَعْدُوَ به كذلك إلىٰ مَقْصِده ، فيصل الكِتَابُ من المكان البعيد فى أقربِ وقتٍ . وفى كل مكان من هذه الأمكنَة مسجِدٌ وسُوق وبِرْكةُ ماء . وبين دَلّى وقُبَّة الإسلام اللتين هما قاعدتا المملكة طبولٌ مرتَّبة فى أمكنة خاصَّة ، فحيثما كان فى مدينة وفُتِح بابُ الأخرىٰ أو أُغلق يَدُقُّ الطبل ، فإذا سمعه مايجاوره دَقَّ ، فيُعْلَمُ خبرُ فتح المدينة وفتحُ باب الأخرىٰ وغَلْقه .

الفصـــل الثـانى

من الباب الرابع من المقالة الثانية

(فى المسالك والبُلْدان الغربيَّة عن مملكة الديار المصرية، وما سامَتَ ذلك ووالاه من الجهة الشَّمالية . وفيه أربعُ ممالك)

المملكة الأولى

(مملكة تُونُس وما أُضيف إليها . وفيه اثنتان وعشرون جملة)

الجمـــلة الأولى

(فى بيان موقعها من الأقاليم السبعة [وحدودها])

[أما موقعُها من الأقاليم السبعة] فإن أكثرها واقع فى الإقليم الثالث ، وبعضها واقعٌ فى أواخر الثانى .

وأما حدودها فعلى ماأشار إليه فى" التعريف": حَدُّها من الشرق العَقَبة الفاصلة بينها وبين الدِّيار المصرية؛ ومن الشَّمال البحر الرُّومىّ؛ومن الغرب جزائرُ بنى مَزْغنَّان الآتى ذكرها؛ ومن الجَنُوب آخر بلاد الجَرِيد والأرض السَّوَّاخة إلى مايقال إن فيه المدينةَ المسماةَ بمدينة النُّحاس .

قال فى" مسالك الأبصار" : وحدّها من الجنوب الصَّحراء الفاصلةُ بينها وبين بلاد جباوة المسكونة بأُمَم من السُّودان . وحدُّها من الشرق آخرُ حدود أَطْرابُلُس ، وهى داخلة فى التحديد. وحدُّها من الشمال البحر الشامىُّ : وهو الرومى . وحدّها من الغرب آخر حُدود بَدْليس المجاورة لجزائر بنى مَزْغنَّان،آخر عُمَالة صاحب برّ العُدْوة .

وقد نقل فى "تقويم البُلْدان" فى الكلام علىٰ بُونةَ عن ٱبن سعيد أنَّ آخر سلطنة بِجاية من الشرق مدينةُ بُونةَ الآتى ذكرُها، وأنها أوّلُ سلطنة أفْريقِيَّةَ من الغرب . قال فى "مسالك الأبصار": وطولُها خمس وثلاثون يوما، وعرضها عشرون يوما .

الجمـــلة الثانيـــة
(فى بيان ما ٱشتملت عليه هـــذه المملكةُ من الأعمـــال وما ٱنطوىٰ عليـــه كلُّ عمل)

وهذه المملكة تشتمل علىٰ عملين :

العمل الأوّل — أفريقِيَّة . قال فى "تقويم البُـلْدان"[1] : بفتح الهمزة وسكون الفاء وكسر الراء المهملة وسكون الياء المثناة تحت وكسر القاف ومثناة تحتُ بعـدها هاء فى الآخر . وقد ٱختُلف فى سبب تسميتها أفريقِيَّــة . فقيل إن أفْرِيقس[2] أحد تَبَابعــة اليمن ٱفتتحها وٱســتولىٰ عليها فسمِّيت بذلك . وقيل إنمـا سميّت بفارق بن [بيصر بن حام بن نوح عليه السلام][3] .

وكانت قاعدتُها القديمةُ (سُبَيْطَلَةَ) بضم السين المهملة وفتح الباء الموحدة وسكون المثناة من تحتها وفتح الطاء[4] المهملة واللام وفى آخرها هاء . وهى مدينة أزليَّة فى الإقليم الثالث من الأقاليم السـبعة، حيثُ الطولُ ثلاثون درجة، والعرضُ ثلاثون درجة وثلاثون دقيقة . وبها آثار عظيمة تدُلُّ علىٰ عظم أمرها .

(١) ضبطها ياقوت بكسر الهمزة وتبعناه فيما تقدم و يظهر أن فيه لغتين .

(٢) فى المعجم والسبائك أفريقيس بياء بعد القاف وسـين مهملة فى الآخر . وفى العبر كالأصل إلا أنه بالمعجمة وقد تقدّم بها كثيرا .

(٣) بياض بالأصل والتصحيح عن معجم البلدان لياقوت .

(٤) فى معجم ياقوت وطاء مكسورة .

قال الإدريسىّ : وكانت قبل الإسلام مدينةَ افريسيس[١] ملك الروم الأَفارِقَةِ ، فتحها المسلمون فى صدر الإسلام وقتلوا مَلِكَها المذكور .

ثم صارت قاعدتُها فى أوّل الإسلام (القَيْرَوَانَ)[٢] . بفتح القاف وسكون المثناة تحتُ وفتح الراء المهملة وواو وألف وفى آخرها نون . وهى مدينة فى الإقليم الثالث أيضا حيث الطول ثمان وعشرون درجة وإحدىٰ وثلاثون دقيقة[٣] ، بنيت فى صدر الإسلام بعد فتح أفْرِيقِيَّة فى جنوبىّ جبلٍ شمالِيًّا ؛ وهى فى صحراءَ ، وشُرْب أهلها من ماء الآبار وقال فى " العزيزى " : من ماء المطر ؛ وليس لها ماءٌ جارٍ ، ولها وادٍ فى قبلة المدينة به ماءٌ مالِحٌ يستعمله الناس فيما يحتاجونه . قال فى " العزيزى " : وهى أجلُّ مُدُن الغرب (يعنى فى القديم) . وكان عليها سُور عظيم هدمه زيادةُ الله بن الأغلب . قال الإدريسى : وبينها وبين سُبَيْطلَةَ سبعون ميلا .

ثم صارت قاعدتُها بعد ذلك (المَهْدِيَّةَ) بفتح الميم وسكون الهاء وكسر الدال المهملة نسبة إلىٰ المَهْدىّ . وهى مدينة بناها عُبَيد الله المهدىّ جدّ الخلفاء الفاطميين بمصر فى سنة ثلاث وثلثمائة ؛ وموقعها فى الإقليم الثالث أيضا من الأقاليم السبعة حيث الطولُ ثلاثون درجة وأربعون دقيقة ، والعرض آثنتان وثلاثون درجة فيما ذكره آبن سعيد . وهى علىٰ طَرَف داخلٍ فى البحر كهيئة كفٍّ متصل بزَنْد ، والبحر محيطٌ بها غيرَ مَدْخَلِها ، وهو مكان ضيق كما فى سَبْتَةَ . ولها سُور حَصين شاهقٌ فى الهواء ، مبنىّ بالحجر الأبيض بأبراجٍ عِظَام . وبها القُصور الحسنةُ المُطِلَّة علىٰ البحر .

(١) فى التقويم "جرجيس" وفى المعجم جرجير .

(٢) من هنا الى الكلام على الطبقة الثانية من القياصرة قبل ظهور دين النصرانية مقابل أيضا على قطعة وجدت بدار الكتب الأزهرية .

(٣) لم يذكر العرض ، وذكر فى " تقويم البلدان " عن ابن سعيد أنه إحدىٰ وثلاثون درجة .

ثم صارت قاعدتُها بعد ذلك (تُونُسَ) بضم المثناة من فوقُ وسكون الواو وضم النون وفى آخرها سين مهملة ، وهى قاعدة هذه المملكة الآن ، ومُسْتَقَرّ سلطانها .
وهى مدينة قديمـةُ البناء ، واقعة فى الإقليم الثالث قال آبن سـعيد : حيث الطولُ آثنتـان وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة ، والعرض ثلاث وثلاثون درجة وإحدىٰ وثلاثون دقيقة . وهى علىٰ بُحَيرة مالحة خارجةٍ من البحر الرُّومىّ ، طولُها عشرة أميال وتُونُس علىٰ آخرها .

قال البكرى : ودَوْر هذه البُحَيرة نحوُ أربعة وعشرين ميلا . قال فى "العزيزى": وهى مدينة جليلة ، لهـا مياهٌ ضـعيفةٌ جاريةٌ يُزْرَع عليها ؛ وفيها الخصب وكثرة الغَلَّات . وهى فى وطاءةٍ من الأرض فى سَفْح جبل يُعْرف بأمّ عَمْرو ، يَسْتدِيرها خَنْدقٌ وسُور حَصِين ، ولها ثلاثة أرباض كبيرة من جهاتها ، وأرضُها سَبِخة ، وجميع بنائها بالحجر والآجُرّ ، وأبنيتُها مسقَّفة بالأخشاب ، ودُورُ أكابرها مفروشةٌ بالرُّخَام . وذم فى "الروض المعطار" بيوتَهـا فقال هى كما يقال : ظاهرُها رُخَام ، وباطنُهـا سُخَام . وشُربُ أهلها من الآبار ، وببيوتها صَهارِيجُ يُجْمع فيها ماءُ المطر لغَسْل القُماش ونحوه ؛ وبها الحَمَّـامات والأسواقُ الجليلة ؛ وبها ثلاثُ مَدارِسَ : وهى الشماعيـة والفرضية ، ومدرسة الهواء ، وبها البساتين البعيدة والقريبة منها ، والبساتين محيطة بُحَيرتها المقدّم ذكرها من جنوبيها .

قال فى "مسالك الأبصـار" : ومذ خَلَا الأندَلُس من أهله ، وأوَوْا إلىٰ جَنَاح ملوكها ، مَصَّروا إقليمها ، ونَوَّعوا بها الغِراسَ ، فكثُرت مستنْزَهاتها ، وآمتدّ بَسِـيط بساتينها . قال : وبها يُعْمَل القُمَاش الأفْرِيقىّ : وهو ثياب رِقَاع من القُطْن والكَتَّان معا ومِن الكَتَّان وحده ، وهو أمتع من النِّصافىّ البغدادىّ وأحسَنُ ، ومنه جُلُّ كَسَاوى أهل المَغْرِب . وللسلطان بها قلعةٌ جليلة يَسْكُنها ، يُعَبِّرون عنهـا بالقَصَبة كما هو

مصطلَح المَغاربة فى تسمية القلعة بالقَصَبة ، وللسلطان بها بستانان : أحدهما مُلاصق أرباضَ البلد يسمّى برأس الطابية ؛ والثانى بعيدٌ من البساتين يسمّى بأبى فِهْر ، بينه وبين البلد نحو ثلاثةِ أميال ، والماء مُنْساقٌ إليهما من ساقية بجبل يعرف بجبل زَغْوان بفتح الزاى وسكون الغين المعجمتين ونون فى الآخر ، على مَسِيرةِ يومين من تُونُس .

وأما ما ٱشتملَتْ عليه من المُدُن سوى القواعدِ المتقدّمةِ الذكر .

فمن مشارق تونس (سُوسَةُ) بضم السين المهملة وسكون الواو وفتح السين الثانية ثم هاء . وهى مدينةٌ على ساحل البحر ، واقعةٌ فى الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة ، حيث الطولُ أربعٌ وثلاثون درجة وعشْرُ دقائقَ ، والعرض ٱثنتان وثلاثون درجة وأربعون دقيقة . وهى فى جَنُوبىّ تُونُس وشرقِيّها فى طَرَفٍ داخلٍ فى البحر . قال فى "العزيزى" : وهى مَدينة أزَليَّة بها سُوقٌ وفنادق وحَمَّامات . قال الإدريسىّ : وهى عامرة بالناس ، كثيرةُ المَتَاجر ، والمسافرون إليها قاصِدُون وعنها صادِرُون ، وعليها سورٌ من حجر حَصِينٌ .

وذكر فى "مسالك الأبصار" : أن عليها سُورا من لَبِن ، وأنها قليلةُ العِمارة لاستيلاء العرب عليها .

ومنها (صَفَاقُسُ) بفتح الصاد المهملة ثم فاء وألف وقاف مضمومة وفى آخرها سين مهملة . وهى مدينة على ساحل البحر شَرْقِىّ المَهْدِيَّة ، واقعةٌ فى الإقليم الثالث قال ٱبن سعيد حيثُ الطولُ خمس وثلاثون درجةً وثلاثون دقيقة ، والعَرْضُ إحدى وثلاثون درجةً وخمسون دقيقةً . قال فى "تقويم البُلْدان" : وهى مدينة صغيرة فى مستوٍ من الأرض ، وجَنُوبيّها جبل يسمّى جبل السَّبْع بفتح السين المهملة

والباء الموحدة وعين مهملة فى الآخر . يستدير عليها سُورٌ، وشُرْب أهلها من الآبار؛
ولها بساتِينُ قليلة؛ ومن بحرها يُستخْرَج الصُّوف المعروفُ عند العامّة بصُوف السَّمَك
المُتَّخَذُ منه الثيابُ النَّفيسةُ. قال آبن سعيد: أنا رأيته كيف يُخْرَج، يغوص الغَوَّاصون
فى البحر فيُخْرِجون كمائم شبيهةً بالبصل بأعناق، فى أعلاها زُوَيْرة، فتُنْشَر فى الشمس
فَتَنْفتح تلك الكمائمُ عن وَبَر، فيُمْشَط و يؤخَذ صوفُه فيُغْزل، و يعمل منه طعمة لقيام
من الحرير، وتُنْسَج منه الثيابُ .

ومنها (قابِس) بفتح القاف وألف ثم باء موحدة وفى آخرها سينٌ مهملة . وهى
مدينة فى الإقليم الثالث ، حيثُ الطولُ آثنتان وثلاثون درجة وأربعون دقيقة،
والعرض آثنتان وثلاثون درجة، علىٰ ثلاثة أميال من البحر . قال فى "العزيزى":
وعليها سُور وخَنْدق . قال فى "تقويم البُلْدان" : وهى فى أفْرِيقِيَّة كدِمَشْق فى الشام،
يَنْزِل إليها نهرانِ من الجبـل فى جَنُوبِيِّها، يخترقان فى غُوطَتِها . قال : وقد خُصَّت
من بلاد أفرِيقِيَّةَ بالمَوْز وحَبِّ العزيزوالخِيَار .

ومنها (أَطْرابُلُس) بفتح الهمزة وسكون الطاء وفتح الراء المهملتين وألف وباء
موحدة بعدها لام مضمومتان وسين مهملة فى الآخر . وهى مدينة شرقىَّ تونُس علىٰ
البحر، واقعةٌ فى الإقليم الثالث قال آبن سعيد حيثُ الطولُ ثمـانٌ وثلاثون درجة،
والعرضُ آثنتان وثلاثون درجة وعشرون دقيقـة . قال فى "تقويم البُلْدان" : وهى
آخِرُ المُدُن التى شرقِىَّ القَيْرَوَانِ، وإذا فارقها المسافر مشرِّقا لا يجد مدينـةً فيها حَمَّام
حتّىٰ يصل الإسكَنْدرِيةَ . وبناؤها بالصَّخْر، وهى واسعةُ الكُورة، وبها الخِصْب
الكثير؛ وليس بها ماءٌ جارٍ، بل بهـا جِبَاب عليها سواق . قال فى "العزيزى" :
وبها مَرْسًى للمراكب .

ومنها (قَصْر أحمد) وضبطه معروف . وموقعه فى أوّل الإقليم الرابع ، حيث الطولُ إحدى وأربعون درجة وآثنتان وعشرون دقيقة ، والعرضُ ثلاثٌ وثلاثون درجة وسبعٌ وثلاثون دقيقة . قال آبن سعيد : وهو حدّ أفريقيَّةَ من الشرق وحدّ بَرْقةَ من الغرب . وهو قرية صغيرة ، وحَوْلَه قُصور نحو آثنَىْ عشر ميلا ؛ وهى بلادُ زيتونٍ ونخيلٍ ، وأهلها يَجْلُبون الخيلَ للإسْكندريّة ، ومنها يركب المسافرُ البَرِّيّةَ إلى الشرق .

ومن مَغَارب تُونُس على مسيرة يومين (باجَةُ) قال فى "المشترَك" بفتح الباء الموحدة وألف وتخفيف الجيم ثم هاء . وهى مدينة بالإقليم الثالث قال فى "الأطوال" حيث الطولُ تسع وعشرون درجة وخمسٌ وأربعون دقيقة ، والعرضُ إحدى وثلاثون درجة . وهى مدينة كبيرة ، ولها بساتينُ قليلة وعيونُ ماء ، وعليها سورٌ حصين ، مبنيّةٌ فى مستوٍ من الأرض ، على نحو يوم من البحر ، ويقابلها على البحر مَرْسَىٰ الخَرَز .

ومنها (نَبْزَرْت) بفتح النون وسكون الباء الموحدة وفتح الزاى المعجمة والراء المهملة وفى آخرها تاء مثناة من فوق ، وقيل هى بتقديم الموحدة على النون . وهى مرسى تُونُس ، وموقعها فى الإقليم الثالث قال آبن سعيد حيث الطولُ ثلاثون درجة وخمسون دقيقة ، والعرضُ ثلاث وثلاثون درجةً وثلاثون دقيقةً . وهى مدينة على نهرٍ يجرى فى شَرْقيِّها وعليه مستَنْزَهاتها . قال فى "تقويم البُلْدان" : ولها بُحَيْرة حُلْوة فى جَنُوبيِّها ، وبُحَيْرة مالحةٌ فى شرقيِّها ، تَصُبُّ كلُّ واحدة منهما فى الأخرى ستةَ أشهر ، فلا الحلوةُ تفسُد بالمالحة ولا المالحة تعْذُب بالحُلْوة . قال الشيخ عبد الواحد : أما زيادة الحُلْوة فبكثرة السُّيُول أيامَ الشتاء ، وتقلُّ عنها السيولُ فى أيام الصيف فتَعْلُو عليها المالحة .

ومنها (بُونة) قال فى "اللباب" بضم الباء الموحدة وسكون الواو ثم نون وهاء . قال فى "مسالك الأبصار" : وهى المسمّاة الآنَ بلَدَ العُنّاب، وهى مدينة على ساحل البحر فى أوّل الإقليم الرابع قال ابن سـعيد حيثُ الطولُ ثمـان وعشرون درجة ، والعرضُ ثلاثٌ وثلاثون درجةً وخمسون دقيقة . قال فى "العزيزى" : وهى مدينة جليـلة عامرة خِصْبةُ الزَّرع ، كثيرةُ الفواكه ، رَخِيَّة ؛ بظاهرها مَعادِنُ الحديد ؛ ويُزْرَع بها الكَتَّان الكثيرُ . قال : وحَدَث بهـا عن قريب مَغَاصُ مَرْجانٍ، ولكن ليس كمَرْجانِ مَرْسَى الخَرَز .

ومن قِبْلِيّ تُونُس للجَنُوب (بلادُ الجَرِيد) .

ومنها (تُوزَرُ) . قال فى "تقويم البُلْدان" عن الشيخ عبد الواحد : بضم المثناة من فوقُ وسكونِ الواو وفتح الزاى المعجمة وراء مهملة فى الآخر . وموقعها فى الإقليم الثالث قال ابن سـعيد حيثُ الطولُ ستٌّ وثلاثون درجة وسبعُ دقائقَ ، والعرضُ تسـعٌ وعشرون درجة وثمـانُ دقائقَ . وهى قاعدة بلاد الجَرِيد ، وبها بساتينُ ومَحْمَضات ونخيلٌ وزيتونٌ ؛ ولهـا نهر يَسْقِى بساتينها ؛ والمطر بها قليل ؛ ويُزْرَع بها الكَتَّان والحِنَّاء . قال فى "تقويم البُلْدان" : وبذلك وبِقِلَّة المطر تُشْبِه مِصْرَ . وقد عابها فى "الروض المِعْطار" بأن أهلها يبيعون ما يَتَحَصَّل فى مَرَاحِيضهم من رَجِيع النـاس، يُفَحِّلون به بُقُولهم وبساتينهم؛ ولكنهم لا يَرْغَبون فيـه إلا إذا كان جافًّا، فيحمِلُهم ذلك على عَدَم الاستنجاء فى مَرَاحِيضهم ، ويخرج أحَدُهم من بيته حتّى يأتى القَناةَ فيستَنْجِىَ من مائها ؛ وربمـا اتَّخذ أحدُهم المراحيضَ على قارعة الطريقِ للواردين عليها ليأخُذ ما يتحصَّلُ من ذلك فيبيعَه .

ومنها (قَفْصَةُ) بفتح القاف وسكون الفاء ثم صاد مهملة وهاء فى الآخر. وموقعُها فى الإقليم الثالث قال فى "الأطوال" حيث الطولُ إحدىٰ وثلاثون درجةً، والعَرْضُ ثلاثون درجةً وخمسون دقيقةً . قال آبن سعيد : وهى قاعدةٌ مشهورةٌ من بلاد الجَرِيد بها النَّخيل والفُسْتُق . قال : ولا يكون الفُسْتُق ببلاد المَغْرب إلا فى قَفْصةَ . وبها من الفَوَاكه والمشمومات أنواع كثيرة ؛ ومنها يُجْلَب دُهْن البَنَفْسَج وخَلُّ العُنْصُل ؛ وإليها يُنْسَب جلدُ الأَرْوىٰ المتخذُ منه النِّعال الشديدةُ اللُّيُونة .

ومنها (المَسِيلة) قال فى "تقويم البُلْدان" عن الشيخ عبد الواحد : بكسر الميم والسين المهملة وسكون المثناة من تحت وفى آخرها لام ألف، والجارى علىٰ الألْسِنة فتح الميم وهاء فى الآخر . وهى مدينة من بلاد الجَرِيد، موقعُها فى الإقليم الثالث قال آبن سعيد حيثُ الطولُ ثلاث وعشرون درجة وأربعون دقيقة ، والعرضُ تسعٌ وعشرون درجةً وخمس وأربعون دقيقةً . قال فى "العزيزىّ" : وهى مدينة مُحْدَثة ، بناها القائمُ الفاطمىُّ سنةَ خمسَ عشرةَ وثلثمائة . قال آبن سعيد : ولها نَهَرٌ يمُرّ بغربيِّها ويغُوص فى رِمال الصَّحارىٰ .

ومنها (بِسْكَرَةُ) قال فى "اللباب" بكسر الباء الموحدة وقيل بفتحها وسكون السين المهملة وكاف وراء مهملة بعدها هاء . وهى مدينة من بلاد الجَرِيد ، فى أواخر الإقليم الثانى قال آبن سعيد حيثُ الطولُ أربع وعشرون درجةً وخمس وعشرون دقيقة ، والعرضُ سبع وعشرون درجةً وثلاثون دقيقةً . قال آبن سعيد : وهى قاعدةُ بلاد الزَّابِ ، ولها بلادٌ ذاتُ نخيل وفواكه وزروع كثيرة؛ ومنها يُجْلَب الثمرُ الطيِّب إلىٰ تونُس وبِجاية .

ومنها (طُرّا) قال فى "تقويم البُلْدان" عن عبد الواحد : بضم الطاء وتشديد الراء المهملتين وفى آخرها ألف ، ونُقِل عن بعضهم إبدال الألف هاءً . وهى مدينة من بلاد الجَرِيد فى الإقليم الثالث قال ابن سعيد : حيث الطولُ سبع وثلاثون درجةً وعشرون دقيقــة ، والعرضُ تسعٌ وعشرون درجة . قال فى "تقويم البُلْدان" : وبها يُعْمَل الزُّجاج الصافِى وتفاصيل الصوف، ومنها يُجْلَب إلى الإسكندرية .

ومنها (غَذَامِسُ) بفتح الغــين والذال المعجمتــين[1] وألف وميم مكسورة وسين مهملة . وهى مدينة فى الصحراء جَنُوبِىّ بلاد الجَرِيد، على طريق السُّودان المعروفين بالْكانِم . قال : فى "العزيزى" : وهى مدينة جليلة عامرة، فى وَسَطها عينٌ أَزَلِيَّة عليها أثَرُ بُنْيانٍ رُومىٍّ عجيب، يَفيض الماءُ منها ويقتسمُه أهــلُ المدينة بأقساط معلومة وعليه يَزْرَعون . وأهلها قوم من البربر مسلمون . قال فى "تقويم البُلْدان" : وبها الجلود المُفَضَّلة، وليس لهم رئيس سِوَى مشايخهم .

ومنها (قلعة سِنَان) . قال فى "مسالك الأبصار" : وهو قصر لا يُعْرَف على وجه الأرض أحصَنُ منه ، على رأس جبل منقطع عن سائر الجبال فى غاية العُلُوّ، بحيث يقصُر سهــم العَقَّار عن الوصول إليه ، يرتقى إليــه من سُــلَّم نُقِر فى الحجر طوله مائة وتسعون درجة ، وبه مَصَانِـعُ يجتمع فيها ماء المطر ، وبأســفله عينُ ماء عليها أشجار كثيرةُ الفواكه .

---

(١) أوردها ياقوت بإهمال دالها ونص على فتح الغين وضمها ونحوه فى القاموس .

العمـــــل الثـانى

(بلاد بجـاية)

وبِجَايَةُ بكسر البـاء الموحدة وفتح الجيم وألف ثم ياء مثناة تحت وهاء فى الآخر مدينةٌ من مُدُن الغرب الأوسط ، واقعةٌ فى أوائل الإقليم الرابع من الأقاليم السـبعة قال ابن سعيد : حيثُ الطولُ اثنتان وعشرون درجة ، والعرضُ أربع وثلاثون درجة وخمس وخمسون دقيقة . قال فى " تقويم البُلْدان " : هى قاعدة الغَرْب الأوسط ، وهى مُقَابِل طُرْطُوشـةَ من الأنْدَلُس ، وعرضُ البحر بينهما ثلاثُ مَجَـارٍ . قال فى " مسالك الأبصار " : وهى مدينـةٌ قديمة مسوّرةٌ ، أضيف إلىٰ جانبهـا رَبَض أُدِيرعليـه سُور ضامٌّ لِنطاق المدينـة فصـارا كالشىء الواحد . قال : والرَّبَض فى وَطاءَة ، والمدينة القديمة فى سَفْح جبل ، يدخل إليها خَوْر من البحر الرومىّ تدخُل منـه المراكب إليها . قال فى " تقويم البُلْدان " : ولها نَهَر فى شرقيها ، علىٰ شاطئه البساتينُ والمَنَازِهُ . قال فى "مسالك الأبصار" : وبها عينان من المـاء : إحداهما كبيرة ومنها شُرْب أهلها ، ولها نَهَر جار علىٰ نحو ميلين منها ، تَحُفُّ به البساتينُ والمناظرُ علىٰ ضَفَّتيه ممتدّة نحوَ اثنَىْ عشرَ ميلا ، متصِـلا بعضُها ببعض لا انفصالَ بينهـا إلا ما يُسْلَكُ عليـه إلىٰ البساتين ، إلىٰ أن يَصُبَّ فى بحر الروم . وبضَفَّتيْـه للسلطان بُستانانِ متقابِلان شرقاً وغربا الشرقىّ منهما يسمّى الربيع .

وغربىّ بجاية (جزائرُ بنى مَزْغِنَّانَ) بفتح الميم وسكون الزاى وكسر الغين المعجمتين ثم نونان بينهـما ألف الأولىٰ منهما مشدّدة ، كما فى " تقويم البُلْدان " عن الشـيخ شُـعَيب ، وبعضهم يُسْقط النون الأخيرة . وفى " مسالك الأبصار " : مَزْغِنَّانَةُ بزيادة هاء فى الآخر . وهى فُرْضةٌ مشهورةٌ هناكِ . قال فى " مسالك الأبصار " :

وهى بلدة حسنةٌ على ساحل البحر ، تقابل (مَيُورْقَةَ) من بلاد الأنْدَلُس ، بانحراف يسير ، وبُعْدُها عن بجاية ستةُ أيام .

ومن المُدُن التى بأعمـال البِجَاية (قُسْطِينةُ) قال فى " تقويم البُلْدان " : بضم القاف وسكون السين وكسر الطاء المهملتين وسكون المثناة من تحتُ ثم نون وهاء . قال : وعن بعض المتأخرين أن بعـد السين وقبلَ الطاء نونا ، وحينئذ فتكون بضم السـين وسكون النون . وهى مدينة من الغرب الأوسط فى أواخر الإقليم الثـالث قال آبن سـعيد حيثُ الطولُ ستٌّ وعشرون درجة وأربعون دقيقـةً ، والعرضُ ثلاثٌ وثلاثون درجةً وآثنتان وعشرون دقيقة . قال فى " تقويم البُلْدان " : وهى علىٰ آخر مملكة بِجَايةَ وأوّلِ مملكة أفْرِيقِيَّـةَ . قال الإدريسىّ : وهى علىٰ قطعة جبل منقطع مربّعٍ فيه بعضُ آستدارة ، لايُتوصَّل إليه إلا من جهة بابٍ فى غربيِّها ليس بكثير السَّعَة ، ويُحيط بها الوادى من جميع جهاتها . قال فى " تقويم البُـلْدان " : ولها نَهَر يصُبُّ فى خَنْـدَقِها يُسْمَع له دَوِىّ هائل ، ويُرىٰ النهر فى قعر الخَنْدَقِ مثلَ ذُؤابة النجم لشدّة آرتفاع البلد عن الخَنْدق . قال الإدريسىّ : وهى مدينة عامرة ، وبها أسواق وتِجَاراتٌ . قال : وتُقِيم الحنطةُ فى مَطَامِيرها مائةَ سنة لا تَفْسُد .

وشرقىّ قُسْطِينةَ فى آخر مملكة بِجايةَ (مَرْسىٰ الخَرَز) بفتح الخـاء المعجمة والراء المهملة وزاى معجمة فى الآخر . ومنه يستخرج المَرْجانُ من قعر البحر علىٰ ماتقدّم فى الكلام علىٰ الأحجار النفيسة فيما يحتاج الكاتب إلىٰ وصفه من المقالة الأولىٰ .

ومنها (سَطِيفُ) بفتح السين وكسر الطاء المهملتين ثم ياء مثناة من تحت ساكنة بعدها فاء . وهى مدينة من الغرب الأوسط فى الإقليم الثالث قال فى " الأطوال " حيثُ الطولُ سبع وعشرون درجةً ، والعرضُ إحدىٰ وثلاثون درجةً . وهى مدينة

حَصينة، بينها وبين قُسْطِينةَ أربعُ مراحل، ولها حِصْن فى جهة الجنوب، عن بجاية علىٰ مرحلتين منها؛ ولهـا كُورَة تشـتمل علىٰ قُرًى كثيرةٍ غزيرة المياه كثيرة الشـجر المُثْمِر بضروب من الفواكه؛ وبها الجَوْز الكثير، ومنها يُحْمل إلىٰ سائر البلاد .

ومنها (تَاهَرْتُ) ــ قال فى "اللباب" : بفتح التاء المثناة فوقُ وألف وهاء وسكون الراء المهملة وفى آخرها تاء ثانية . قال فى " تقويم البُـلْدان " : ونقلتُ من خط ٱبن سـعيد عوض الألف ياء مثناة تحتُ قال وهو الأصح لأن ٱبن سـعيد مَغْرِبىّ فاضلٌ . وهى مدينـة من الغربِ الأوسط ، وقيـل من أفْرِيقِيَّةَ فى الإقليم الثالث قال فى " الأطوال " حيث الطولُ خمس وعشرون درجةً وثلاثون دقيقةً، والعرضُ تسعٌ وعشرون درجة . قال ٱبن حوقل : وهى مدينة كبيرةٌ خِصْبة ، كثيرةُ الزَّرْع ، كانت قاعدةَ الغرب الأوسط وبهـا كان مُقَام مُلوك " بنى رُسْـتُمْ " حتى ٱنقرضت دولَتُهم بدولة الفاطميين خُلَفاء مصر . وذكر الإدريسىُّ أنها كانت فى القديم مدينتين : القديمةُ منهما علىٰ رأس جبل ليس بالعالى . قال فى "العزيزىّ" : وتاهَرْتُ القديمةُ تسمَّى "تاهَرْتَ عبدالخالق" وهى مدينة جليلة كانت قديما تسمَّى "بغداد المَغْرِب" وتاهَرْتُ الجديدة علىٰ مرحلة منها، وهى أعظم من تاهَرْتَ القديمة ؛ والمياه تخترق دُورَ أهلها . وهى ذاتُ أسواق عامرة؛ وبأرضها مَزَارعُ وضِيَاع جَمَّة، ويمرّ بها نَهَر يأتيها من جهة المغرب؛ ولها نهر آخَرُ يجرى من عيون تجتمع فيه، منه شُرْب أهلها ؛ وبها البساتينُ الكثيرةُ المُونِقة، والفواكه الحسنةُ، والسَّفَرْجل الذى ليس له نظير : طَعْمًا وشَمًّا ؛ ولها قلعة عظيمة مُشْرِفة علىٰ سُوقها . وتاهَرْتُ كثيرة البَرْد، كثيرة الغُيوم والثَّلج؛ وسُورها من الحَجَر؛ ولها ثلاثة أبواب[1] : باب الصَّفَا، وهو باب الأَنْدَلُس ؛ وباب النازل، وباب المَطَاحن .

(١) فى "المعجم" أربعة أبواب باب الصفا وباب الاندلس الخ .

وأما الطريق الموصل إليها ، فقد ذكر صاحب "الذيل" على كامل ابن الأثير في التاريخ عن ايدغدى التليلى وايدغدى الخوارزمى ، حين توجها رسولين إلى الغرب في سنة ست وسبعمائة : أن من إسكندرية إلى طُلْمَيْثا ، ومنها إلى سُرْت ، ومنها إلى سَرَاتة ، ومنها إلى طهجُورة ، ومنها إلى طَرَابُلُس ، ومنها إلى قابِس ، ومنها إلى صَفَاقُس ، ومنها إلى المَهْدِيَّة ، ومنها إلى سُوسة ، ومنها إلى تُونُس .

وأما طريقها في البحر، فمن إسكندرية إلى تُونُس .

الجمـــلة الرابعـــة

(في ذكر زُرُوعها ، وحُبُوبها ، وفواكهها ، وبُقُولها ، ورَيَاحينها)

أما زُرُوعها ، فقد ذكر في "مسالك الأبصار" : أنها تُزْرَع على الأمطار ، وأن بها من الحبوب القمحَ ، والشعير ، والحِمَّص ، والفُولَ ، والعَدَس ، والذُّرَة ، والدُّخْن ، والجُلْبان ، والبِسِلَّا ، وآسمها عندهم البسين . أما الأرُزُّ فجلوب إليها .

وأما فواكهها ، فبها من الفواكه العنبُ والتين ، كل منهما على أنواع مختلفة والرُّمَّان : الحُلْو والمُزّ والحامض ، والسَّفَرْجَلُ ، والتُّفَّاح ، والكُمَّثْرَى ، والعُنَّاب ، والزُّعْرُور ، والخَوْخ ، والمِشْمِش على أنواع ، والتُّوت الأبيضُ ، والفِرْصاد ، وهو التُّوت الأسودُ ، والقَرَاصِيا ، والزَّيتونُ ، والأُتْرُجُّ ، واللَّيمون ، والليم ، والنارَنْج . أما الجوز بها فقليل ، وكذلك النَّخيل ، والفُسْتُق ، والبُنْدُق مفقودٌ بها وكذلك المَوْز . قال في "مسالك الأبصار" : وبها فاكهة تسمَّى مضغ فوق قدر البُنْدُقة ، لونها بين الحُمْرة والصُّفْرة ، وطَعْمها بين الحُمُوضة والقَبْض شبيهٌ بطعم السَّفَرْجل ، يُوجَد في الشتاء ، يقطف من شجره غَضًّا فيدفي ، ويتَقّل كما يُفْعَل بالمَوْز فينْضَج ويؤكل

حينئذ . ويُوجَد بها قَصَب السُّكَّر علىٰ قِلَّة ولا يُعْتَصَر بها . وبها البِطِّيخ الأصفر علىٰ أنواع ، والبطيخ الأخضر مع قِلَّة ، وآسمه عندهم الدُّلاع ، وكذلك الخِيار والقِثّاء . وبها اللُّوبيا ، واللِّفْت ، والباذِنْجان ، والقُنَّبيط ، والكُرُنْب ، والرِّجْلة ، والبَقْلة اليمانيَة ، وآسمها عندهم بلندس ، والخَسّ ، والهِنْدِباء علىٰ أنواع ، وسائر البُقُول والمُلُوخيا علىٰ قِلَّة ، والهِلْيَوْن ، والصَّعْتَر .

وبها من الرَّيَاحين الآس ، والوَرْد ومعظمه أبيض ، والياسَمين ، والنَّرْجِس ، واللَّيْنُوفر الأصفر والتُّرُنْجاني ، والمنثور ، والمَرْزَنْجُوش ، والبَنَفْسَج ، والسَّوْسَن ، والزَّعْفَران ، والحَبَق ، والنَّمَّام .

الجملة الخامسة

(في مواشيها ، ووُحُوشها ، وطيورها)

أما مواشيها ، ففيها الخيل العِرَاب المشابهة لخيل بَرْقَة ، والبغال ، والحمير ، والإبل ، والبقر ، وغنم الضأن والمَعَز .

وأما وحوشها ، ففيها الغِزْلان ، وبقر الوَحْش وحُمُره ، والنَّعام ، وغير ذلك .

وأما طيورها ، ففيها الدَّجاج ، والحَمَام كثيرا ، والإوَزّ بقِلَّة ، وبها الكَرَاكيّ ، وهي صَيْد الملوك كما بمصر ، وكذلك غيرها من طُيور الصيد .

الجملة الســادســـة

(فيما يتعلق بمعــاملاتهــا : من الدنانير، والدراهم، والأرطال، والمكاييل، والأسعار)

أما الدنانير، فإنها تُضْرَب باسم مَلِكهم، وزِنَةُ كلِّ دينار من دنانيرهم (١) ... ... ويعبِّرون عنه بالدينار الكبير، وذهبُهم دُونَ الذهب المصرىّ فى الجَوْدة، فهو ينقُص عنه فى السِّعر .

وأما الدراهم، فقد ذكر فى "مسالك الأبصار" عن ابى عبد الله بن القُوَيع : أن دراهمهم علىٰ نوعين: أحدهما يُعْرَف بالقديم، والآخر بالجديد؛ ووزنهـما واحد إلا أن الجديد منهما خالصُ الفِضَّـة والقـديمَ مغشوشٌ بالنُّحاس للعاملة، وتفاوُتُ ما بينهما أنَّ كل عشرة دراهِم عتيقة بثمانية دراهم جديدة؛ وإذا أُطْلِق الدرهمُ عندهم فالمراد به القديمُ دونَ الجديد ؛ ثم مُصْطَلَحُهم أن كل عشرة دراهم عتيقـة بدينار ، وهذا الدِّينار عندهم مسمًّى لا حقيقةَ له، كالدينار الجَيْشى بمصر، والرائج بإيران .

وأما أرطالها، فزنة كلِّ رِطْل ستَّ عشرةَ أوقيةً، كل أوقيَّة أحد وعشرون درهما من دراهمها .

وأما كيلها، فلهم كيلان : أحدهما يسـمَّى القفيزَ، وهو ستَّ عشرة وَيْبَةً، كل وَيْبَـة اثنا عشر مُدًّا قَرَوِيًّا، وهو يقارب المُدّ النبوىّ، علىٰ صاحبه أفضل الصـلاة والسلام والتحية والإكرام . وهو أيضا ثمـانية أمدادٍ بالكيل الحَفْصِىّ : وهو كيل قدّره ملوكها الحَفْصِيُّون : آباء ملوكها القائمين بها الآن ، بقدر مُدّ ونصف من المدّ المقدّم ذكره . والثانى يسمَّى الصَّحْفة، وكل صَحْفة اثنا عشر مُدًّا بالحَفْصِىّ .

(١) بياض بأصلى المكتبة الخديوية والمكتبة الازهرية .

الجملة السابعة

(فى ذكر أسعارها)

قد ذكر فى "مسالك الأبصار" : أن أوْسَطَ الأسعار بها فى غالب الأوقات أن يكون كلُّ قفيز من القمح بخمسين درهما ، والشعيرُ دون ذلك . قال : وغالب سعر اللحم الضأن عندهم كلُّ رِطْل أفْرِيقىّ بدرهم قديم ؛ وبقيَّةُ اللحوم دُونَه فى القيمة ، وفى الرَّبيع يَنحطُّ السِّعْر عن هذا القدر . وذكر أن الدَّجاجة الجَيِّدة عندهم بدِرْهمين جديدين . ثم قال : وأحوالُها مقاربة فى ذلك للديار المِصْرية لقرب المجاوَرَة . وقد ذكر فى "مسالك الأبصار" : أن تُونُس وبِجاية فى المعاملة والسعر متقاربتان .

الجملة الثامنة

(فى صفات أهل هذه المملكة فى الجملة)

قال فى "مسالك الأبصار" : ولأهل أفْرِيقيَّة لطفُ أخلاق وشمائلَ بالنسبة إلىٰ أهل برِّ العُدْوة وسائرِ بلاد المغرب : بمجاورتهم مصر وقُرْبهم من أهلها ، ومخالطتهم إيَّاهم ، ومخالطةِ مَنْ سكن عندهم من أهل إشْبِيلِيَةَ من الأنْدَلُس . وهُمْ مَنْ هُمْ ! خِفَّةَ رُوح ، وحلاوةَ بادرةٍ . قال : وهم علىٰ كل حال أهلُ انْطباع ، وكرم طِبَاع ، وناهيك من بلاد من شِعْر مِلكها السلطان أبى العبَّاس قولُه :

مَوَاطِنُنَا فى دَهْرِهِنّ عجائِبُ * وأزمانُنَا لم تَعْدُهُنّ الغَرائِبُ
مَوَاطِنُ لم تَحْكِ التواريخُ مِثْلَها * ولا حدّثتْ عنها اللَّيالِى الذواهِبُ

وقوله :

أُنْظُر إلينـا [تَجِدْنا] مابنا دَهَشٌ، * وكيف يَطْرُق أُسْدَ الغابة الدَّهَشُ؟
لاتَعْرِفُ الحادِثَ المَرْهُوبَ أنفُسُنا! * فاننـا بارتكاب المـوت نَنْتَعِشُ!

وقوله :

عسىٰ اللهُ يُدْنِى لِلْمُحِبِّين أَوْبةً * فَتُشْفىٰ قلوبٌ منهُـمُ وصُـــدُورُ
وكَمْ من قَصِىِّ الدارِ أَمْسىٰ بحُزْنه، * فأَعْقَبه عنـــد الصَّبَاح سُرُورُ

وإذا كان هذا رِقَّةَ طبع السلطان، فما ظَنُّك بغيره من العلماء والأُدَباء؟ .

الجملة التاســـــعة

(فى ذكر مَنْ ملكها جاهليَّةً وإسلاماً)

أما مُلوكُها فى الجاهليَّة قبل الإسلام، فإن بلاد المَغْرِب كلَّها كانت مع البَرْبر، ثم غلبهم الرُّوم الكيتم عليها، وآفتتحوا قاعدتها (قَرْطَاجَنَّةَ) وملكوها، ثم جرىٰ بين الرُّوم والبربر فِتَنٌ كثيرة كان آخِرُها أنْ وقَع الصُّلحُ بينهم علىٰ أن تكون المُدُن والبِلاد الساحليَّة للرُّوم، والجبالُ والصَّحارىٰ للبَرْبَر، ثم زاحم الفَرَنْجُ الرُّومَ فى البلاد، وجاء الإسلام والمستولِى علىٰ بلاد المغرب من ملوك الفَرَنْجة "جِرْجِيس" ملكهم، وكان مُلْكُه متصــلًا من طَرَابلُس من جهــة الشرق إلىٰ البحر المحيط من جهة الغرب، وكرسىّ مُلْكه بمدينة (سُبَيْطَلَةَ)، وبقيتْ فى يده حتى آنتزعها المسلمُونَ منه فى سَرِيَّة عبدِ الله بن أبى سَرْح، فى خلافة عثمانَ بنِ عَفَّان .

وأما ملوكها فى الإسلام، فعلىٰ أربع طَبَقات :

الطبقـــة الأُولىٰ

(الخلفـاء)

قد تقدّم أنَّ أوّل من آفتتحها (عبدُ الله بن أبى سَرْح) فى خلافة عُثْمان بن عَفَّان رضى الله عنه ، زحف إليها فى عشرين ألفًا من الصحابة وكِبَار العرب ، ففرّق جموعَ النَّصرانية الذين كانوا بها : من الفرَنجة ، والروم ، والبربر ؛ وهَدَم سُبَيْطَلَة : قاعدَتَها وخرّبها ؛ وعاثت خُيُول العرب فى ديارهم إلىٰ أن صالَحُوا عبدَ الله بن أبى سَرْح بثلثمائة قنطار من الذهب ، وقَفَل عنهم سنة سبع وعشرين من الهجرة ، بعد فتح مصر بسبْع سنين او ثمانٍ .

ثم أغزاها معاويةُ بنُ أبى سُفْيان (مُعاوية بنَ حديج السَّكُونى) سنة أربع وثلاثين .

ثم ولّى معاويةُ (عقبةَ بنَ نافع) بنِ عبد قيس الفِهْرىّ سنة خمس وأربعين ، فبنىٰ عُقبةُ القَيْروانَ .

ثم آستَعْمل معاويةُ على مصر وأفريقيَّةَ (مَسْلَمَةَ بن مُخَلَّد) فعزل عقبةَ عن أفريقِيَّة ، وولى عليها (مولاه أبا المُهاجِر دينارا) سنة خمس وخمسين . ولما آستقلَّ يزيدُ بن معاوية بالخلافة ، رجع عقبةُ بنُ نافع إلىٰ أفْرِيقِيَّة سنة ثنتين وستين .

[ثم ولّى عبدُ الملك بن مَرْوان عليها زُهَيْرَ بنَ قيس البَلَوِىَّ فى سنة سبع وستين إلىٰ أن قُتِل فى سنة تسع وستين فولّى عليها] (1) (حَسَّان بن النعمان) الغَسَّانى ، فسار ودخل القَيْرَوانَ ، وآفتتح قَرْطَاجَنَّةَ عَنْوة وخَرَّبها ، فخرجت عليه الكاهِنةُ مَلِكة

(1) الزيادة عن آبن الأثير فى مواضع منه ليستقيم الكلام .

الغرب فهزمته ، ثم عاد إليها وقتلها، وآستولىٰ علىٰ بلادها [ثم رجع إلىٰ عبد الملك وآستخلف علىٰ أفريقية رجلا آسمه صالح .

ثم ولّى الوليد بن عبدالملك][1] (موسىٰ بن نُصَير) بضم النون، فقَدِم القَيْروانَ وبها صالحٌ . ثم قفل موسىٰ إلىٰ المَشْرِق وآستخلف علىٰ أفريقيَّة آبنه عبد الله .

ثم عزله سليمانُ بنُ عبد الملك فى خلافته، وولّى مكانه (محمد بن يزيد) .

ثم ولّى عمرُ بن عبد العزيز فى خلافته (إسماعيلَ) بن عبيد الله بن ابى المهاجر .

ثم ولّى يزيدُ بن عبد الملك (يزيدَ بن أبى مُسْلم) مولىٰ الحجاج وكاتبه، فقَدِمها سنة إحدىٰ ومائة فقتله البربرُ، وردُّوا محمدَ بن يزيد الذى كان عليهم قبله إلىٰ ولايته، وكتبوا إلىٰ يزيدَ بن عبد الملك بذلك فأقرّه عليهم .

ثم ولّى يزيدُ بن عبد الملك (بشرَ بن صَفْوانَ الكَلْبىّ) فقَدِمها سنة ثلاث ومائة، ومات سنة تسع ومائة .

ثم عزله هشامُ بنُ عبد الملك[2]، وولّى مكانه (عُبَيْـدةَ بنَ عبد الرحمن السُّلَمىّ) فقَدِمها سنةَ عشر ومائة، ثم عزل هشام عُبيدةَ، وولّى مكانه (عبدَ اللهِ بن الحَبْحاب) مولىٰ بَنى سَلُول، فقدِمها سنة أربعَ عشْرةَ ومائة، وبنى جامع تُونُس، وآتخذ بها دارَ الصِّناعة للمراكب البحريَّة .

ثم عزله هشامُ بن عبدالملك وولّى مكانه (كُلْثومَ بنَ عِياض) ثم قُتل فبعث هشام آبن عبدالملك علىٰ أفريقيَّة (حنظلةَ بن صَفْوانَ الكلبى) فقدِمها سنة أربع وعشرين

(١) الزيادة عن آبن الاثير .

(٢) كذا فى "العبر" أيضا وعبارة "الكامل" فاستعمل هشام بعده عبيدة الخ وهو المناسب .

ومائة، فخرج عليه (عبد الرحمن بنُ حبيب) سنةَ ستٍّ وعشرين ومائة، فقفل حنظلةُ إلى المشرق سنة سبع وعشرين، وآستقل عبد الرحمن بملك أفريقيَّة .

وولِيَ مَرْوان بن محمد آخرُ خلفاء بنى أمية، فكتب له بوِلَايتها .

ثم كانتْ دولة بنى العَبَّاس فأقره عليها السَّفَّاح، ثم المنصورُ، ثم قُتِل سنة سبع وثلاثين لعشر سنين من إمارته وآشترك فى إمارتها (حبيبُ بن عبد الرحمن، وعمُّه عمران بنُ حبيب، وأخوه إلياسُ بنُ عبد الرحمن) ثم قتله عبد الملك بن ابى الجعد ثم غلب عليها (عبد الأعلى بن السَّمْح المَعَافِرى) .

ثم ولَّى أبو جعفر المنصورُ (محمدَ بن الأشعث) الخُزَاعى، فقَدِم القَيْروانَ سنة خمس وأربعين ومائة، وبنى سُورها .

ثم ثارت عليه المُضَرِيَّة وأخرجوه منها سنة ثمان وأربعين، وولَّوْا عليهم (عيسى بن موسى) الخُراسانى .

ثم وَلَّى أبوجعفر المنصورُ عليها (الأغلبَ بنَ سالم) بن عقال بن خفاجةَ بن سَوَادةَ التميمى بعده، فقدم القَيْروانَ وسَكَّن الناس، ثم قُتل سنة خمسين ومائة، وقام بأمر أفريقيَّةَ المخارق بن غفار .

ولما بلغ المنصورَ قتْلُ الأغلب، بعث مكانَهُ عمرَ بن حفص بن قَبِيصة، ابن أبى صُفْرة التميمى أخى المهلَّبِ، فقدمها سنة إحدى وخمسين . ثم آنتقضت عليه البربر فضَعُف أمرُه، فولَّى (يزيدَ بنَ حاتم) بن قَبِيصة بن المهلب، آبن أبى صفرة التميمى، ودخل القَيْروانَ منتصَفَ سنة خمس وخمسين، وهلك سنةَ سبعين ومائة فى خلافة هرون الرشيد، وقام بأمره بعده آبنُه (داود) .

ثم ولّى الرشيدُ أخاه (رَوْحَ بن حاتم) فقدِمها منتصفَ سنة إحدىٰ وسبعين ومائة، ومات فى رمضان ســنة أربع وسبعين ، فقام حبيبُ بن نصر مكانه ، وســار ٱبنه (الفضلُ) إلىٰ الرشيد فولَّاه مكان أبيه ، فعاد إلىٰ القَيْروان فى المحرَّم سنة سبع وسبعين ومائة، ثم قتله ٱبنُ الجارُود فى منتصَف سنة ثمان وسبعين ومائة فولّٰى الرشيد مكانه (هَرْثَمةَ بن أعْيَن) فسار إلىٰ القَيْروان، وقَدِمها سنة تسع وسبعين ومائة،ثم ٱستعفىٰ فأعفاه الرشيدُ لسنتين ونصفٍ من وِلَايته .

وولّٰى مكانه (محمدَ بن مقاتل الكَعْبى) فقدِم القَيْروانَ فى رمضان ســنة إحدىٰ وثمانين، وكان سيئ السيرة .

ثم ولّٰى الرشيد (إبراهيمَ بن الأغلب) فقدم أفريقيَّة منتصَفَ سنة أربع وثمــانين ومائة، وٱبتنىٰ مدينــة العَبَّاسيَّة بالقُرْب من القَيْروان وٱنتقل إليهـا . وفى ولايتــه ظهرتْ دعوةُ الأدَارِســة من العَلَويَّة بالمغرب الأقصىٰ . ثم مات إبراهيم فى شــوّال سنة ست وتســعين ومائة بعد أن عهد لٱبنه أبى العَبَّاس (عبدِ الله بن إبراهيم) بن الأغلب بالولاية ، فقدِم القَيْروانَ فى صفر سنة سبع وتســعين ومائة . ثم مات فى ذى الحجة سنة إحدىٰ ومائتين .

ووَلِى مكانَهُ أخوه (زيادةُالله بن إبراهيم) وجاءه التقليد من قِبَل "المأمون"، وفى ولايته كان ٱبتداء فتح صِقِلِّيَّةَ علىٰ يد أسَدِ بن الفُرات، وتُوُفِّىَ فى رجب سنة ثلاث وعشرين ومائتين لإحدىٰ وعشرين سنةً ونصفٍ من ولايته .

ووَلِىَ مكانَهُ أخوه (أبو عِقال الأغلبُ) بن إبراهيم بن الأغلب، وتوفى فى ربيع سنة ست وعشرين ومائتين .

وولِيَ بعده ٱبنه (أبو العَبَّاس محمد بن الأغلب بن إبراهيم) فدانتْ له أفريقيَّةُ، وبنىٰ مدينةً بقُرْب تاهَرْتَ وسَمَّاها العباسيَّة، سنة سبع وثلاثين ومائتين، وبنىٰ قصر سُوسَةَ وجامِعَها سنة ست وثلاثين ومائتين، وتوفى سنة ثنتين وأربعين.

وولى مكانَه ٱبنُه أبو إبراهيم (أحمدُ بن أبى العباس محمد بن الأغلب) فأحسن السيرة، وكان مُولَعا بالعِمارة، فبنىٰ بأفريقيَّة نحوا من عشرة آلاف حصن، وتُوفِّيَ آخِرَ سنة تسع وأربعين لثمانِ سنينَ من وِلَايته.

ووَلِيَ مكانه ٱبْنُه (زيادةُ الله الأصغرُ) بن أبى إبراهيم أحمد، وتوفى آخِرَ سنة خمسين ومائتين.

وولى مكانه أخوه (محمد أبو الغَرَانيق) بنُ أبى إبراهيم أحمد، ففتح جزيرة مالِطَةَ سنة خمس وخمسين ومائتين، وبنىٰ حُصُونا ومَحَارِس علىٰ مسيرة خمسةَ عشَر يوما من بَرْقَةَ فى جهة المغرب وهى الآن معروفة به. وفى أيامه كان أكثرُ فُتُوح صِقِلِّيَةَ. فلما مات حمل أهلُ القَيْروان أخاه إبراهيمَ بن أحمد أخى أبى الغَرَانيق علىٰ الوِلَاية عليهم لحُسْن سِيرته فٱمتنع، ثم أجاب وٱنتقل إلىٰ قَصْر الإمارة وقام بالأمر أحسَنَ قيام. وكان عادلًا حازمًا فقطع أهل البَغْى والفساد وجلس لسَماع الظُّلَامات، وبنىٰ الحُصونَ والمَحَارِسَ بسواحل البحر، حتى كانت النارُ تُوقَد فى ساحل سَبْتَةَ للإنذار بالعدوّ فيتصل إيقادُها بالإسكندرية فى الليلة الواحدة، وبنىٰ سُور سُوسَةَ وٱنتقل إلىٰ تُونُس فسكنها. وفى أيامه ظهرتْ دعوة العُبَيْدِيِّين بالغَرْب، ثم مات سنة تسع وثمانين ومائتين.

ووَلِيَ ابنُه أبو العَبَّاس (عبدُ الله بن إبراهيم) أخى محمدٍ أبى الغَرانيق، وكان عادلا،

حَسَن السيرة ، بصيرا بالحروب ، فنزل تُونُس مكانَ أبيه(١) ودخلوا فى أمره جملةً وجرىٰ بينه وبينه حروب ، ثم قتل فى شعبان سنة تسعين ومائتين .

وولى ٱبنه أبو مضر (زيادة الله) فأقبل علىٰ اللَّذَّات واللَّهْو، وأهمل أمورَ المُلْك ، وقتل أخاه وعمومته وأخواته ، وقوى حال الدعاة لعبيدالله المهدى جدّ الخلفاء الفاطميين بمصر فحمل زيادةُ الله أمواله وأثقاله ولحق بمصر ، فمنعه عاملها من الدُّخُول إليها إلا بأمر المقتدر الخليفة ، فسار إلىٰ العراق فاستأذن عليه ، فأتاه كتاب المقتدر بالرجوع إلىٰ القَيْروان وإظهار الدَّعْوة ، فوصل إلىٰ مصر فأصابه بها علّة سقط منها شَعرُه ، ورجع إلىٰ القُدْس فمات بها ، وٱنقرضت دولة بنى الأغلب بالمغرب .

الطبقـــة الثـانيـــة
(العُبَيْدِيُّونَ)(٢)

وكان مَبْدأُ أمرهم أن محمدا الحبيبَ بن جعفر المُصَـدّق ، بن محمد المكتوم ، بن إسمـاعيل الإمام ، بن جعفر الصادق ، بن محمد الباقر ، بن علىّ زين العابدين ، بن الحُسَين السِّبْط ، بن علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه ، كان مقيما بسَلَمْيَةَ من أعمال حِمْص ؛ وكان أهلُ شِيعتهم بالعِراق واليَمَن وغيرهما يتعاهدُونه بالزيارة إذا زاروا قبر الحسين عليه السلام ؛ فلمـا أدركته الوفاةُ عَهِد إلىٰ ٱبنـه عُبَيدالله وقال له : أنت المهدىُّ وتُهاجر بعدى هِجرةً بعيدة وتلقىٰ مِحْنة شـديدةً ، وشاع خبرُ ذلك فى الناس ،

(١) فى الكلام سقط أو اختصار مخل والذى يؤخذ من "العبر" أن أبا عبد الله الشيعى استولى فى عهد أبى العباس هذا علىٰ كتامة ودخلوا فى أمره كافة وحصلت بينه وبين أبى العباس حروب كانت نهايتها انهزام الشيعى وهدم قصره . ثم إن زيادة الله بن أبى العباس هذا صانع بعض الخدم علىٰ قتـل أبيه فقتل نائمـا فى شعبان سنة تسعين ومائتين اه ملخصا من ج ٤ ص ٢٠٥ .

(٢) فى نسخة المكتبة الأزهرية زيادة [من الفاطميين وأتباعهم] .

وآتصل بالمكتفي خليفةِ بنى العَبَّاس ببغداد فطلبه ففرّ من الشام إلىٰ العراق، ثم لحق بمصر ومعه آبنُه أبو القاسم غلاما حَدَثا وخاصَّتُه؛ وكان أبو عبد الله الشِّيعى قد بعث إليه يخبره بما فتح اللهُ عليهم من البلاد الغربيَّة، فعزم علىٰ اللُّحوق به، وخرج من مصر إلىٰ أفريقيَّة فى زِىِّ التُّجَّار، وسار حتّٰى وصل إلىٰ سِجِلْمـاسةَ من بلاد المغرب، فورد علىٰ عاملها كتابٌ بالقبض عليـه، فقَبَض عليه وحبسـه هو وآبنَه أبا القاسم. ولمـا آسـتفحل أمر أبى عبدالله الشِّيعى، آستخلف علىٰ أفريقيَّة أخاه أبا العباس وآرتحل إلىٰ سِجِلْمـاسةَ، فأخرج المهدىَّ وآبنَه من الحبس وبايع للمهْـدِىِّ؛ ثم آرتحلوا إلىٰ أفريقيَّة ونزلوا رُقادةَ فى ربيع سنة سبع وتسعين ومائتين، وبُويِـع للمهدىِّ البيعةَ العامَّةَ وآستقام أمره وبعث العُمَّال علىٰ النواحى.

وولّٰى عهدَه آبنَه (ابا القاسم محمَّدًا) ويقال نِزَار، وبنىٰ مدينة المهدِيَّة، وجعلها دار مُلْكه. ولمـا فرغ منها صَعِد علىٰ سُورها ورمىٰ بسهم فى جهة المَغْرب، وقال: إلىٰ هنا ينتهى صاحبُ الحِمار [فكان الأمر كذلك. وذلك أنه خرج بالمغرب خارجىّ اسمه أبو يزيد يعرف بصاحب الحمـار وتبعه الناس فقصد مدينة المهدية يريد فتحها فانتهىٰ إلىٰ حيث انتهىٰ سهم المهدى ثم رجع من حيث أتىٰ فعظم أمر المهدى] (١). وآستولى علىٰ فاس، ودخَل ملوكُها من الأَدَارسة تحت طاعته فى سنة ثمان وثلثمائة؛ ومَهَّد المغرب، ودَوَّخ أقطـاره، وتُوفِّى فى ربيع الأوّل سـنة ثنتين وعشرين لأربع وعشرين سنة من خلافته.

وولى بعده آبنُـه (القائمُ بأمر الله أبو القاسم) المتقـدّم ذكره، وفى أيامه خرج أبو يزيد صـاحبُ الحمار. وتوفِّى سنةَ أربع وثلاثين وثلثمائة؛ وكان قد عهد إلىٰ آبنه المنصور بالله إسماعيل، فقام بالأمر بعده، وكَتَمَ موتَ أبيه فلم يتَسَمَّ بالخليفة ولا غيَّرَ

(١) الزيادة من النسخة الازهرية.

السِّكَّةَ والخطبةَ والبُنودَ، وتُوفِّيَ سلخَ رمضان سنة إحدىٰ وأربعين وثلثمائة لسَبْع سنينَ من خلافته .

وولِيَ الأمرَ بعده ٱبنُه (المعِزُّ لدين الله مَعَدّ) فاستقام له الأمر، وٱنتهت مملكته بالغرب إلىٰ البحر المحيط، وٱفتتح مصرَ علىٰ يد قائده "جَوْهر" فى منتصَف شعبان سنة ثمـان وخمسين وثلثمائة، وٱختطَّ له القاهرة، ثم قدم المُعِزُّ إلىٰ مصر، ودخل القاهرة لخمس من رمضان ســنة ثنتين وستين وثلثمائة علىٰ ما سبق فى الكلام علىٰ مملكة الديار المصرية .

الطبقة الثالثـــــة

(ملوكها من بنى زِيرِى)

كان المُعِزُّ مَعَــدٌّ الفاطمىّ حين قَدِم مصرَ علىٰ ما تقــدّم ٱستخلف علىٰ أفريقيَّةَ والمغرب (بُلُكِّينَ بن زِيرى) بن مَنَّاد البربرى، ويقال : الحِمْيرىّ وأنزله القَيْروان، وسمَّــاه يُوسفَ، وكنَّاه أبا الفُتُوح، ولَقَّبه سيفَ الدّولة وبقى حتّىٰ تُوُفِّيَ سنة ثلاث وسبعين وثلثمائة ومات المعزُّ بالقاهرة، وٱنتقلت الخلافةُ بعده إلىٰ ٱبنه العزيز نزار، فولَّى علىٰ أفريقيَّةَ والمغرب بعد بُلُكِّين ٱبنَه (المنصورَ بن بُلُكِّين) بولاية عهد من أبيه وبقى حتى تُوُفِّيَ سنة خمس وثمـانين وثلثمائة .

وقام بأمره بعده (ٱبنه باديسُ) بن المنصور فبقِيَ حتّىٰ تُوُفِّيَ سنةَ ست وأربعمائة بمَعْسكَره فَجْأة وهو نائم بين أصحابه .

وبويع ٱبنه (المُعِزُّ بن باديس) وهو ٱبن ثمـانى سنين، وٱستمرّ مُلْكُه بأفريقيَّة وعظُم مُلْكُه بها؛ وكان المُعِزُّ مُنْحرِفا عن الرَّفْض والتشيُّع، مُنْتَحِلًا للسُّــنَّة، وأعْلَن بذلك فى أوّل وِلايَته؛ ثم كان آخِرُ أمره أنْ خَلَع طاعةَ العُبَيْدِيِّينَ، وقطَعَ الخطبةَ لهم

بأفريقيةَ سنة أربعين وأربعمائةٍ علىٰ عهد المستنصر العُبَيدىّ خليفة مصر، وخطب للقائم بن القادر الخليفة العبّاسىّ ببَغْداد، فاضطرب لذلك مُلْكه، وثارت عليه الثُّوار، وملكوا منه النَّواحىَ؛ ومات المُعزّ سنةَ أربع وخمسين وأربعمائة .

وقام بأمره من بعده آبنُه (تميمُ بن المُعزّ بن باديس) وغلبه العَرَب علىٰ أفْريقيَّة، فلم يكن له إلا ما ضَمَّه السُّور؛ وآستمرّت الثُّوّار فى أيامه وبقىَ حتّىٰ هلك سنة إحدىٰ وخمسمائة .

وملك بعده آبنه (يحيىٰ بن تميم) فراجع طاعةَ العُبَيْديِّين خُلَفاءِ مصرَ، ووصلَتْه منهم المخاطَبَات والهَدَايا والتُّحَف؛ وأكثر فى غَزْو النصارىٰ من الفرَنْجة وغيرهم، حتّىٰ لقَّبُوه بالجرية من وراء البحر، ومات فَجْأةً فى قصره سنة تسع وخمسمائة .

وملك بعده آبنه (علىّ بن يحيىٰ) وقام بالأمر علىٰ طاعة خُلَفاء العُبَيْديين بمصر، ومات سنة خمسَ عشرةَ وخمسمائة .

وملك بعده آبنه (الحسنُ بن علىّ) وهو آبن آثنتى عَشْرةَ سنةً، وقام بأمره مولاه صَنْدل، ثم مولاه مُوَفَّق؛ وغلبه النصارىٰ علىٰ المهديَّة وبلاد الساحل كلِّها إلىٰ أن آستنقذها منهم عبدُ المؤْمن شيخ الموحِّدين؛ ولَحِق الحسنُ بالجزائر ونزل بها إلىٰ أن فتح الموحِّدون الجزائرَ سنةَ سبع وأربعين وخَمْسِمائة بعد مِلْكهم المغربَ والأَنْدَلُس، فخرج إلىٰ عبد المُؤْمن فأحسن إليه وبقىَ معه حتّىٰ آفتتح المهديَّةَ فأنزله بها، فأقام بها ثمانى سنين، ثم سار إلىٰ مَرّاكُش فمات فى طريقه، وآنقرضتْ دولةُ بنى باديسَ من أفريقية فى أيامهم عند وقوع الفتَن[1] .

---

(١) فى قطعة المكتبة الأزهرية بدل هذه الكلمات [وزالت بها دعوة العبيديين] .

الطبقة الرابعـــــة

(المُوَحِّدون أصحابُ المهدِيِّ بنِ تُومَرْت ،وهم القائمون بها إلىٰ الآنَ)

وكان أوّلَ من آفتتحها منهم (عبـدُ المؤمن بنُ علىّ) أحد أصحاب آبن تُومَرْت والخليفةُ بعـده . وذلك أنه لمـا وقع بها ما تقدّم من الاضطراب وقيـام الثُّوّار وآستيلائهم علىٰ النَّواحى ، وكان الموحِّدون قد آستَوْلَوْا علىٰ الأنْدَلُس والغربِ الأقصىٰ والغربِ الأوسـط إلىٰ بِجَايةَ ، بعث عبـدُ المؤمن المذكورُ العساكرَ إلىٰ أفريقيَّـةَ مع آبنه عبد الله فى سنة سبع وأربعين وخمسمائة ، فافتتح أفريقيَّةَ ، وآستكمل فتحَها سـنة ستٍّ وخمسين . وولّىٰ عليها آبنه السـيدَ أبا موسى (عمرانَ بنَ عبد المؤمن) وأسره علىٌّ بن يحيىٰ المعروف بابن غانيـةَ عند فتحه بِجايةَ ، وآعتقله بها فى صفر سنة إحدىٰ وثمـانين وخمسمائة .

ولما وَلِىَ (المنصورُ يعقوبُ بنُ عبدالمؤمن) بعد أبيه عبدالمؤمن ، وَلّىٰ علىٰ أفريقيَّة فى أوّل ولايته أبا سـعيد ابنَ الشيخ أبى حفص عمر ، ثم غلب ابنُ غانِيَةَ علىٰ أكثر بلاد أفريقيَّة وآستولىٰ علىٰ تُونُس ، وخطب للخليفة العبَّاسى ببغداد ؛ ثم جهَّز الناصر آبنُ المنصور بنِ عبد المؤمن الشـيخَ أبا محمد عبد الواحد ابن الشيخ أبى حفص من مرَّاكُش إلىٰ أفريقيَّةَ سنة ثنتين وستمائة فانتزعها من آبن غانِيَةَ ؛ ثم وصل الناصر آبن المنصور إلىٰ أفريقيَّة بعـد ذلك ودخل تُونُس ، وأقام بهـا إلىٰ منتَصَف سنة ثلاث وستمـائة ، وعزم علىٰ الرحيل إلىٰ مَرَّاكُش فروّى نظره فيمن يوليـه أمرها فوقع آختيارُه علىٰ الشيخ أبى محمد عبد الواحد آبن الشيخ أبى حفص ، ورحل الناصرُ إلىٰ المغرب وقعـد مَقْعَد الإمارة بقَصَبة تُونُس يومَ السبت العاشر من شوّال سـنة ثلاث وستمائة وبقِى حتى تُوُفِّىَ مُفتَتَح سنة ثمانَ عشرةَ وستمائة .

وولى بعده ٱبنُه الأميرُ (أبو زيد عبدُ الرحمن) وقعد بمجلس أبيه فى الإمارة، وورد كتابُ المستنصر بن الناصر خليفةِ بنى عبد المؤمن بعزله لثلاثة أشهر من وِلَايته .

وولّى المستنصر مكانه السيدَ أبا العُلىٰ (إدريسَ بن يوسف) بن عبد المؤمن ، ودخل إلىٰ تُونُس فى ذى القَعْدة من السنة المذكورة، فنزل بالقَصَبة ورتَّب الأُمورَ، ومات بتُونُس سنة عشرين وستمائة .

ثم مات المستنصر وصار الأمر (لعبد الواحد المخلوع) ابن يوسف بن عبد المؤمن، فبعث بوِلَاية أفريقيَّةَ إلىٰ (أبى زيد) بن أبى العلىٰ .

ثم صار الأمر إلىٰ العادل فولَّى (أبا محمد عبدَ الله) بنَ أبى محمد عبد الواحد ٱبنِ الشيخ أبى حفص، ودخل تونُس سنة ثلاث وعشرين وستمائة ، وأقام فى إمارته إلىٰ أن ثار عليه أخوه الأمير (أبو زَكرِيَّا يحيىٰ) بن أبى محمد عبد الواحد وولِىَ مكانَهُ، ودخل تُونُس فى رجب سنة خمس وعشرين وستمائة ، وٱفتتح قُسَنْطِينةَ وبِجَايةَ سنة ست وعشرين وٱنتزعهما من بَنِى عبد المؤمن .

ثم ملك تِلِمْسانَ من يَدِهم بعد ذلك وبايعه أهلُ الأنْدلُس، ومات ببونة لسبع بَقِينَ من جمادىٰ الآخرةِ سنةَ سبع وأربعين وستمائة لثنتين وعشرين سنة من وِلَايته .

وبويع بعده ٱبنه ووليُّ عهده المستنصرُ بالله (أبو عبد الله محمد) ودخل تُونُس فى رجب من السنة المذكورة، فجدّد بيعته بها وهو أوّل من تلقب من الحَفْصِيِّين بألقاب الخِلَافة كما سيأتى . وٱنتهىٰ أمرُه إلىٰ أن بُويِع له بمكّةَ المعظَّمةِ، وبُعِث بالبيعة إليه ، وٱستولىٰ علىٰ ما كان بيد أبيه من الغرب الأوسط ببجايةَ وقُسَنْطِينةَ، وفتح الجزائرَ، وبقِىَ حتّى مات يوم الأضحىٰ سنةَ خمس وسبعين وستمائة .

وبُويِـع بعده ٱبنُه (الواثق يحيىٰ) بن المستنصر ليلةَ موتِ أبيه، فأحسن السِّيْرة، وبسط فى الرعية العدلَ والعطاء، وبعث إليه أهلُ بِجَـايةَ بالبَيْعة، وخرج عليه عمُّه (أبو إسحاق) أخو المستنْصر ودخل بِجَـايةَ، وبايعه أهلها فى ذى القَعْدة سنة سبع وسبعين وسبعمائة وٱسـتولىٰ علىٰ قُسَنْطِينةَ، وقَوِىَ أمره بجايةَ وما معها، وبلغ ذلك الواثقَ بنَ المستنصر، فتيقَّن ذَهَابَ الملك منـه فٱنخلع عن الأمر لعمـه أبى إسحاق إبراهيمَ بنِ يحيىٰ، ومن هنالك عُـرِف بالمخلوع وأَشْهد علىٰ نَفْسـه بذلك فى أوّل ربيع الأوّل سنة ثمـان وسبعين وستمائة؛ وبلغ ذلك السـلطانَ أبا إسحاقَ فسار إلىٰ تُونُس، ودخلها فى نصف ربيع الآخِرِ من السـنة المذكورة، وٱستولىٰ علىٰ المملكة جميعها، وٱعتَقَل الواثقَ وبَنِيـه، ثم دَسَّ عليهم مَنْ ذَبَحهم فى الليل فى صـفر سنة تسع وسبعين وستمائة؛ وبقى حتّى خرج عليه (أحمد بنُ رَوْق)(١) بن أبى عمارة من بيوتات بجاية الطارئين عليها من المَسِيلةِ سنة إحدىٰ وثمـانين وستمائة، وكان شبيهاً بالفضل ٱبن يحيىٰ المخلوع فعُرِف بالدَّعِىّ، وٱستولىٰ علىٰ تُونُس بعد خروج السلطان أبى إسحاق منها، ولحق أبو إسحاق بجايةَ فمنعه ٱبنه الأمير أبو فارس (عبد العزيز) من الدُّخُول إليها فانخلع له عنها وأَشْهَد عليه بذلك، ودعا الناسَ إلىٰ بيعته فى آخر ذى القَعْدة من السنة المذكورة فبايعوه وتلقَّب بالمعتَمِد، ثم كان بين الدعىّ والأمير أبى فارس واقعة قتل فيها الأمير أبو فارس فى سنة ثنتين وثمانين وستمائة. وخرج السلطان أبو إسحاق فلَحِق بتِلِمْسانَ ومعه ٱبنُه الأمير أبو زكريا؛ ودخل أهلُ بِجَايةَ فى طاعة الدَّعِىّ.

ثم خرج علىٰ الدَّعِىّ الأميرُ (أبو حفص عمرُ بن يحيى) بن عبدالواحد بن أبى حفص، فكانت بينهما حربٌ ٱنهزم الدَّعِىّ فى آخرها. وٱستولىٰ أبو حفص علىٰ تُونُس وسائر

(١) فى "العبر" أحمد بن مرزوق وهو تصحيف.

المملكة، وتلقب بالمستنصر وآختفى الدَّعىُّ ؛ ثم ظَفِر به أبو حفص بعد ذلك وقتله، وبايعه أهلُ تِلِمْسان وطَرابُلُس وما بينهما .

وخرج الأميرُ (أبو زكريَّا يحيىٰ) آبن السلطان أبى إسحاق علىٰ بِجاية وقُسَنْطِينة فملكهما وآقتطعهما عن مملكة أفريقيَّة، وقسم دولةَ الموحدين بدولتين، ولم يزل السلطان أبو حفص فى مُلْكه إلىٰ أن مَرِض فى ذى الحجة سنة أربع وستين وستمائة ومات آخر ذى الحجة من السنة المذكورة .

وكان الواثقُ بنُ المستنصر لما قُتِل هو وأبوه ترك جارية حاملًا، فسماه الشيخ محمد المَرْجانىّ «محمدا» وأطعم الفقراءَ يومَئِذ عصيدةً من عَصِيدة البُرِّ فلقب بأبى عصيدةَ، فلما مات السلطان أبو حفص بايع النـاسُ (أبا عَصِيدة) المتقدّم ذكره . ومات الأمير أبو زكريا صاحب بجايةَ وما معها علىٰ رأس المائة السابعة .

وقام بعده فى تلك الناحية ولىّ عهده آبنه (أبو البقاء خالد) فآستمرّ فى تلك الناحية، وبقى السلطان أبو عَصِيدةَ فى مملكة أفريقيَّةَ حتّى مات فى ربيع الآخر سنةَ تسع وسبعمائة ولم يخلف ابنا .

وكان بالقصر (أبو بكر بن عبد الرحمن) بن أبى بكر، بن يحيىٰ، بن عبد الواحد، آبن أبى حفص فى كَفَالة السلطان أبى عَصِيدَة فلما مات أبو عصيدة بايعه أهل تُونُس، ثم آرتحل السلطان أبو البقاء خالد : صاحبُ بجايةَ إلىٰ جهة تُونُس طالبا مُلْكَها بعد أبى عصيدةَ، فخرج (أبو بكر الشهيد) فى أهل تُونُس للقائه فانهزموا عنه، وقُبِض علىٰ أبى بكر الشهيد وآعتُقِل ثم قُتِل بعد ذلك فسمِّى الشهيدَ، وآستقلّ السلطان أبو البقاء خالد بمُلْك تُونُس وبجايةَ وحاز جميع المملكة، وتلقّب الناصرَ لدين الله وبقِىَ حتى بُويع (أبو يحيىٰ زكريَّا بن أحمد) بن محمد اللحيانى، بن عبد الواحد ابن الشيخ أبى حفص : فبُويِـع بطَرَابُلس، وخرج علىٰ أبى البقاء خالد فخافه فخلَع نَفْسه

فاعتُقِل وجاء السلطان أبو يحيىٰ علىٰ أثره فى رجب ســنة إحدىٰ عشْرةَ وســبعمائة ، فبُويِــعَ البيعةَ العامَّةَ ودخل تُونُسَ وآستولىٰ عليها ؛ ثم آضطرب عليه أمْرُه ، فخرج من تُونُس إلىٰ قابِس أوّلَ ســنة سبعَ عشرةَ وسبْعمائة بعد أن آستَخْلف بتُونُس ، وآنتهىٰ إلىٰ قابس فأقام بها وصَرَّف [العُمَّال] فى جهاتها ، وقصد السلطان أبو بكر صاحبُ بجايةَ تُونُسَ ، وكان بينه وبين أهلها وقعــةٌ آنتهىٰ الحال فى آخرها إلىٰ أنّ السلطانَ أبا بكر رجع إلىٰ بجايةَ . وبايع أهــلُ تُونُس محمــدا المعروفَ (بأبى ضَرْبةَ) ابن السلطان أبى يحيىٰ فى سنة سبعَ عشرةَ المذكورة .

ثم قصــد السلطان أبو بكر[1] صاحبُ بجاية تُونُسَ ، وبها أبو ضَرْبةَ فغلبه عليها ، ودخلها فى ربيع الآخر سنة ثمــانَ عشرةَ وسبعمائة ، وبُويِعَ بها البيعةَ العامَّةَ . ولحق السلطانُ أبو يحيىٰ اللحيانىُّ بمصر فى أيام الملك الناصر "محمد بن قلاوون" فأحسن نُزُلَه وأقام عنده إلىٰ أن مات ، ولحق آبنُه أبو ضربة بتِلِمْسانَ فأقام بهــا إلىٰ أن مات ، وآستقلَّ السلطانُ أبو بكر بأفريقيَّة وبجايةَ إلىٰ أن غلبه علىٰ تُونُس (إبراهيمُ بنُ أبى بكر) الشهيدِ المتقدّم ذكْرُه أوّلا ، ودخلها فى رجب سنة خمس وعشرين وسبعمائة .

ثم غلبه عليها الســلطان أبو بكر وآنتزعها من يده فى شوّالٍ من الســنة المذكورة ، وآستقرّ فى يده مُلْكُ أفريقيَّة وبجايةَ إلىٰ أن مات فَجْأة فى جوف الليل فى ليلة الأربعاء ثانى رجب الفَرْدِ سنةَ سبع وأربعين وسبعمائة بمدينة تُونُس .

وبُويِــع آبنه (أبو حفص عُمَرُ) بن أبى بكر من ليلته ، وجلس من الغَدِ وبُويِــع البيعةَ العامّةَ . وكان أبوه قد عهد إلىٰ آبنــه الآخر أبى العَبَّاسِ أحمد ، وكان ببلاد الجَرِيد فاستجاش علىٰ أخيه وقدم عليــه تُونُسَ ، وكانت بينهما واقعــة قُتِل فيهــا أبو العباس وآستقرّ السلطانُ أبو حفص علىٰ ولَايته . وكان السلطان أبو بكر حين عَهِد

(١) فى الأصل أبو زكريا والتصحيح من "العبر ج ٦ ص ٣٢٤".

لابنه أبى العباس أرسل العهدَ إلىٰ السلطان أبى الحسن المَرِينىّ : صاحب تلِمْسان وسأله فى الكتابة عليه ، فلما قُتِل أبوالعباس المذكور ثَقُل ذلك علىٰ السلطان أبى الحسن وخرج إلىٰ أفريقيَّة فى سنة ثمان وأربعين وسبْعِمائة ، ووصل إلىٰ بِجاية ثم إلىٰ قُسَنْطِينة فملكهما ، ثم سار إلىٰ تُونُس فلقيه السلطانُ أبو حفص عمرُ ، وكانتْ بينهما واقعة قُبِض فيها علىٰ أبى حفص ثم قُتِل . ودخل السلطان أبو الحسن إلىٰ تُونُس وآستولىٰ علىٰ جميع المملكة مضافةً إلىٰ ممالكته ، وكمل له بذلك ملك جميع المغرب .

ثم غَلَب (أبوالعباس الفضلُ) بن السلطان أبى بكر علىٰ بجاية وقُسَنْطِينة وملكهما ، وسار السلطان أبو الحسن إلىٰ المغرب وآستخلف علىٰ تُونُسَ آبنَه أبا الفضل فسار الفضلُ آبن السلطان أبى بكر من بجاية إلىٰ تُونُس فخرج منها أبوالفضل بن أبى الحسن فارّا إلىٰ أبيه بالمَغْرِب ، ودخلها الفضلُ آبن السلطان أبى بكر وملكها سنة تسع وأربعين وسبعمائة وآستولىٰ علىٰ جميع المملكة ، وبقِىَ إلىٰ أن قُبِض عليه فى جمادىٰ الأُولىٰ سنة إحدىٰ وخمسين وسبعمائة .

وبُويِـع بعده أخوه (أبو إسحاق إبراهيم) آبن السلطان أبى بكر، وهو يومئذ غلام قد ناهز الحُلُم ، وقُتِل الفضلُ فى جوف الليل من الليلة القابلة خَنْقا ، وآستولىٰ علىٰ أفريقِيَّةَ وبِجايةَ وقُسَنْطِينةَ ، وبقى حتّى غلبه بنو مَرِينٍ علىٰ بجاية وقُسَنْطِينة ، وملكهما منه أبو عِنَان سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة .

ثم آستولىٰ السلطان (أبو العبَّاس أحمد) بن محمد بن أبى بكر علىٰ قُسَنْطِينةَ سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة وبُويِـعَ بها .

ثم غلبه عليها أبو عِنَان وقَفَل إلىٰ المغرب سنةَ سبع وخمسين وقد آستَخْلَفَ بها ، فتجهَّز إليها (أبو إسحاق إبراهيم) صاحب تُونُس وملكها من يد عامل أبى عِنَان

سنةَ إحدىٰ وستين؛ ثم قَوِى أمر السلطان أبى العَبّـاس وعاد إلىٰ قُسَنْطينة ومَلَكها في السنة المذكورة .

ثم آستولىٰ (أبو عبد الله محمد) بن محمد آبن السلطان أبى بكر فى رمضان سنة خمس وستين وسبعمائة فأساء السيرة بها ، فسار إليه السلطانُ "أبو العَبَّاس" من تُونُس فقتله ودخل بِجايةَ تاسعَ عشر شعبان سـنة سبع وستين وسبعمائة وملكها ، وبقَيتْ بيـده وتونُس بيَـدِ السلطان أبى إسحاق إبراهيم آبن السلطان أبى بكر إلىٰ أن تُوُفِّى السلطان أبو إسحاق بَغْتةً فى الليل فى سنة سبع وسبعين وسبعمائة .

وبويع بعده آبنُه (أبو البقاء خالد) وآستبدّ عليه منصورٌ مولىٰ أبيه ، وآبنُ الباليق حاجبُ أبيه فلم يكن له فى الدولة تَحكُّم .

ثم رحل السلطان أبو العَبَّاس من بِجايةَ إلىٰ تُونُسَ وقبض علىٰ السلطان أبى البقاء خالد بن إبراهيم بعد حِصارِه أيّاما وآعتقـله وملك تُونُس وآنتظم فى مُلْكه أفريقيَّةُ وبجايةُ وقُسَنْطِينةُ وأعمالها ، وبقِى حتّى مات فى شعبان سنةَ ستٍّ وثمانين وسبعمائة .

وكان أبو العبَّاس هـذا له شعر رائق ، طلب مرةً كاتب إنشائه يحيىٰ بن أجاد ، وكان يحيىٰ ثَمِـلا ، فخافه علىٰ نفسه إن هو طلع إليه علىٰ تلك الحالةِ فكتَبَ إليه :

أَصْبَحَ العبْدُ يحيىٰ * كصَبَاحِ آبنِ أكْثَمْ
شـغَلَتْه الحُمَيَّـا * وهو بالأمرِ مُهْتَمْ
فَخَشِى من رَقيبٍ * فرَأىٰ الدارَ أكْتَمْ

فلمَّا قرأها وقَّع بخطه تحت خَطِّه :

قَـرَّ عيْنًا بعَيْشٍ * صَفْوُه بك قَـدْ تَمّْ
أنْتَ أزكىٰ عَبِيدِى * ها هُنا كُنْتَ أوثَمّْ

فكان ذلك سببَ توبة يحيىٰ .

وبويع بعده ٱبنه أبو فارس (عَزّوز) فى رابع شعبان من السنة المذكورة وٱستولىٰ علىٰ تُونُس وبِجاية وقُسَنْطِينة وسائر أعمالها . وهو السلطان أبو فارس عَزُّوز ٱبن السلطان أبى العباس أحمد ، ٱبن السلطان أبى بكر بن يحيىٰ ، بن إبراهيم ، بن عبد الواحد ، ٱبن الشيخ أبى حفص .

قلت : وهو باقٍ إلىٰ زماننا فى سنة ثلاثَ عشرةَ وثمانمائة ، وقد شاع ذكر شجاعته وعَدْلِه حتّى إنه دوّخ البلاد ومهَّدها وقتَل العربَ وأبادَهم ، ودخل مَنْ بَقِىَ منهم فى طاعته بعد أن لم يَدِينُوا لطاعة غيره ؛ وقطع المُكُوسَ من بلاده ، وأزال الحاناتِ من تُونُسَ ، مع تواضُعٍ وقُرْبٍ من الفقراء ، وأخذٍ بيد المظلومين ، ووُجُوه بِرٍّ رتّبها وقرّرها لم تُعْهَد لأحد ممن قبله ، إلىٰ غير ذلك من صفات الملوك المحمودة التى ٱمتاز بها عن الملوك ، ذلك فضل الله يؤتيه مَنْ يشاء .

الجملة العاشرة

(فى منتمىٰ ملوك هذه المملكة القائمين بها الآن ، من الموَحِّدين فى النَّسب ، ودعواهم الخلافةَ ، وبيانِ أصل دولتهم ، وتسميتهم الموَحِّدين)

أما منتماهم فى النسب ، فقد ذكر فى "التعريف" : أن المَلِك القائم بها فى زمانه يَدَّعِى النسبَ إلىٰ أمير المؤمنين : عُمَرَ بن الخَطَّاب رضى الله عنه ؛ ومن أهل النَّسَب مَنْ يُنْكِر ذلك : فمنهم من يجعله من بَنى عدىّ بن كعب رَهْطِ عمرَ ، وليس من بنى عُمَر ، ومنهم من يقول بل من هَنْتاتةَ وليسوا من قبائل العرب [فى شىء] . وهم الحَفْصِيُّون نسبة إلىٰ أبى حفص : أحد العشرة أصحاب ٱبن تُومَرْت . وهم بَقايا

الموحِّدين إذ كان من تقرير آبن تُومَرت أن الموحدين هم أصحـابه ، ولم يَبْقَ مُلْكُ الموحِّدين إلا فى بنى أبى حفص هذا .

وآعلم أن النسَّابين قد آختلفوا فى نَسَبه علىٰ ثلاثة أقوال .

أحدها — نسبته إلىٰ أمير المؤمنين : عمرَ بن الخطاب رضى الله عنه ، وهؤلاءِ يقولون : هو أبو حفص عمرُ بنُ يحيىٰ ، بنِ محمد ، بن وانُّودين ، بن علىّ ، بن أحمد ، آبن وَالَّال ، بن إدريس ، بن خالد ، بن اليَسَع ، بن إليـاس ، بن عمر ، بن وافتق ، آبن محمد ، بن نُجَيْه ، بن كَعْب ، بن محمد ، بنِ سالم ، بنِ عبد الله ، بن عُمَر بن الخَطَّاب . قال قاضى القضاة : "ولىّ الدين بن خلدون" ويظهر أن هذا النسب القُرشىَّ وقع فى المَصَامِدَة من البربر ، والْتحم بهم وآشتملتْ عليه عَصَبِيَّتهم ، شأنُ الأنساب التى تَقَع من قوم إلى قوم .

الثـانى — نِسبتُه إلىٰ بنى عدىّ بن كعب : رهطِ عمر بنِ الخطـاب رضى الله عنه الذى ينْتَسِب فيه ، وهو أميرُ المؤمنين عمر بن الخطاب بن نُفَيل بن عبد العُزّٰى آبن رِيَاح بن عبد الله بن قُرْط بن رَزَاح بن عَدِىّ بن كعب جدّ النبى صلى الله عليه وسلم وباقى نسبه إلىٰ عدنان معروف .

الثالث — نسبتُه إلى هَنْتاتَة ، وهَنْتاتَةُ — بفتح الهـاء وإسكان النون وفتح التاء المثنَّاة فوقُ وبعدها ألفٌ ثم تاء مثناة فوقُ مفتوحة ثم هاء قبيلة من قبائل المَصَامدة من البربر ، بجبال دَرَن المتاخِمة لمَرَّاكُش ، وهى قبيلة واسعةٌ كبيرةٌ ، ويقال لها بالبربرية "يَنْتِى" وكان أبو حفص هـذا هو شيْخَهم وكبيرَهم ، وهو الذى دعاهم إلى آتبـاع آبن تُومَرْت والحمل علىٰ طاعته .

وأما دعواهم الخلافةَ ، فقد قال فى "التعريف" عند ذكر سلطان زمانه منهم : لايَدَّعِى إلا الخلافةَ ويتلقَّب بألقاب الخُلَفاء ، ويُخاطَب بأمير المؤمنين فى بلاده .

وٱعلم أن أوّل من تلَقَّب منهم المستنصر بالله أبوعبد الله محمد ٱبن السلطان أبى زكريا يحيى بن عبدالواحد بن الشيخ أبى حفص، على أن أباه كان يمتنع من التلقب بألقاب الخلافة، ويمنعُ من يُخاطبُه بها مقتصرا على التلقب بالأمير خاصَّةً حتّى إن بعض شعرائه رفع إليه قصيدةً مدحه بها أوّلها:

ألَا حُلْ بالأمير المُؤْمِنِينَا * فأنْتَ بها أحَقُّ العـالَمِينَا

فأنكر ذلك عليه. وإنما حمل المستنصرَ على ذلك أن الخلافة فى زمنه قد تعطّلت فى سائر الأقطار. وذلك أن الخلافة الأُمَويَّةَ ودعاوى بنى عبد المؤمن قد زالت عنها فى المغرب بغلبة بنى مَرِينٍ عليهم وٱنتزاعهم الأمر منهم، وخلافَةَ العُبَيديّينَ قد زالت من مصر، وخلافةَ بنى العبّاس قد زالت من بغداد بٱستيلاء التّتَر عليها.

وأما مبدأ دولتهم ومَصيرُ آخرها إلى بنى أبى حفص بأفريقيَّة، فإن أصل قيامها ٱبن تُومَرْت: وهو محمد بن عبد الله تُومَرْت، بن وُجلِّيد، بن يامصال، بن حمزة، ٱبن عيسى فيما ذكره محققو المؤرخين. وبعضهم يقول: محمد بن تومرت، بن نيطاوس، بن سافلا، بن مسيعُون، بن ايكَلديس، بن خالد، أصله من هَرْغة من بطون المَصَامِدة من البربر. وبعضُ المؤرّخين يجعل نسبَهُ فى أهل البيت ويقول: هو محمد بن عبد الله، بن عبد الرحمن، بن هُود، بن خالد، بن تمـام، بن عدنان، ٱبن سُفْيان، بن صفوان، بن جابر، بن عطاء، بن رباح، بن محمد، من ولد سليمان ٱبن عبـد الله، بن حسن، بن الحسن، بن علىّ، بن أبى طالب. وسليمان هـذا أخو إدْريسَ الأكبر الذى كان لبنيه الدولةُ بالغرب على ما مر[1] فى الكلام على مكاتبة صاحب بَرِّ العُدْوة.

(١) لعله على ماسيأتى.

ويقال إن سليمانَ هذا لَحِق بالمغرب إثرَ أخيه إدْريسَ . وقيل : بل هو من قَرَابة إدريس اللاحقين به إلىٰ المغرب ويكون علىٰ هـذا المقتضى نَسَبُه قد آلتحم بنسب المَصَامِدة، وآتصل بهم وصار فى عدادهم كما تقدّم فى نَسَب أبى حَفْص .

وكان أهلُ بيته أهلَ دِينٍ وعبادة، وشبَّ محمدٌ هذا فيهم قارئا محبًّا للعلم، وآرتحل فى طلب العلم إلىٰ المشرق علىٰ رأس المـائة الخامسة، ومَرَّ بالأَنْدَلُس، ودخل قُرْطُبَةَ وهى إذ ذاك دارُ عِلْم ؛ ثم لَحِق بالإسكَنْدَرِيَّة وحَجَّ ، ودخل العـراقَ، ولقِىَ أكابِرَ العلمـاء به يومئذ وفُحُولَ النُّظَّار، ولقِى أئمةَ الأشعريَّة من أهـل السُّنَّة وأخذ بقولهم فى تأويل المتشابِهِ . ويقال إنه لقِىَ أبا حامد الغزالىَّ رحمـه الله وآستشاره فيما يُرِيده من قيام الدولة بالمغرب .

ورجع إلىٰ المغرب وقد حصَـل علىٰ جانبٍ كبيرٍ من العلم ، وطَعَن علىٰ أهله فى الوقوف مع الظاهر وحَمَلَهـم علىٰ القول بالتأويل والأخذِ بمـذهبِ الأشـعَرِيَّة فى جميع العقائد، وألَّف العقائدَ علىٰ رأيهم مثل المُرْشِدة وغيرها . وكان مع ذلك يقول بعصمة الإمام علىٰ مذهب الإمامية من الشِّـيعة . وآنتهىٰ إلىٰ بِجايةَ فأقام بها يدرِّس العـلم ويأمُرُ بالمعروف وينهىٰ عن المنكر، وهنـالك لقيـه عبد المؤمن أحدُ أصحابه وآرتحل معه إلىٰ المغرب وصار إلىٰ بلاد هَرْغة من البربر، فاجتمع إليه الطلبةُ ونَشَر العلمَ، وأظهر مذْهَبَ الأشعرية .

وكان الكُهّان والمنَجِّمون يتحدّثون بظهور مَلِك بالمغرب من البربر، وشاع فى الناس أنه ذلك الملك ، وآختار من أصحابه عشرةً فجعلهم خاصَّته : وهم عبد المؤمن بن علىّ ، وأبو حَفْص عمرُ بن على ، ومحمدُ بن سـليمان ، وعمرُ بن تافركين ، وعبـد الله بن ملُوِيَات وغيرهم . ودعا المَصَامدة إلىٰ بَيْعتـه علىٰ التوحيد وقتال المجسِّمين، فبايعوه علىٰ ذلك سنة خمسَ عشْرَة وخمسمائة .

ولما تكاملَتْ له البَيْعةُ لَقّبوه بالمَهْدِىّ، وكان قبل ذلك يلقب بالامام، وكان عبدُالمؤمن أخصَّ أصحابِه به، وكان يلقِّبه بالخليفة، وأبو حَفْص بعده فى الخُصُوصيَّة، وكان يلقِّبه بالشـيخ؛ وكان يسمِّى أتباعه المَوَحِّدين تعريضًا بمن يَجْنح من التأويل ويقِفُ مع الظاهر فيوقعُه فى التجسيم وغيره، ولم تُحْفَظْ عليه بِدْعةٌ إلا ما وافق فيه الإماميَّـةَ من القول بعِصْمة الإمام . وقد مر ذكر مدّة (١) ولايته ثم استخلافُ عبد المؤمن بعده فى الكلام على مكاتبة صاحب بَرِّ العُدْوة . وقد تقدّم ابتداء انتقال مملكة إفريقيَّة إلى بنى أبى حفص وانسحابها فيهم إلى زماننا على الترتيب .

الجمـــلة الحاديةَ عشرةَ

(فى ترتيب المملكة بها : من زِىِّ الجُنْد، وأرباب الوظائف : من أرباب السُّيُوف والأقلام، ومقاديرِ الأرزاق الجاريةِ عليهم، وزِىّ السـلطان، وترتيبِ حاله فى المُلْك)

أما الجند، فقد نقل فى "مسالك الأبصار" عن أبى عبد الله بن القُوَيع : أن الذى قَرَّره لهم مَهْدِيُّهم ابنُ تُومَرْت، ثم عبدُ المؤمن وأبناؤُه بعده أنّه ليس لهم أُمراءُ ولا أتباعٌ يطلَبُ بعدّتهم كعِدّة الأمراء بمصر، وإنمـا لهم أشياخٌ من أعيانهم لاعدّةَ لهم ولا جُندَ، بل المرء منهم بنفسـه فقط؛ ولكل طائفة منهم رئيس يتولَّى النظرَ فى احوالهم يسمُّونه ا زْوار .

أما الجُنْد فمن المَوَحِّدين والأنْدَلُسيِّين وقبائلَ بها من المضافة إليهـم ومن قبـائل العرب ومَنْ هاجر إليهم من العرب القدماء، الذين هاجروا فى مدّة بنى عبد المؤمن، والممـاليك التُّرك المبتاعة من الديار المصرية، ومن الفَرَنْج وغيرهم .

---

(١) لم يتقدّم شىء من ذلك وسقطت هذه الجملة من القطعة الازهرية .

وحاصل ماذكره فى "المسالك" أن الجند عندهم على سبع طبقات .

الطبقة الأولى — الأشياخُ الكِبَار من الموحِّدين الذين هم بَقَايا أتباع المهدىّ بن تُومَرْت . قال فى "مسالك الأبصار" : وهم بمثابة أُمَراء الأُلُوف بمصر، و بمثابة النُّويْنَات أمراءِ التوامين بمملكة إيران .

الطبقة الثانية — الأشياخُ الصِّغار من الموحِّدين أيضا : وهم دُونَ مَنْ تقــدّم منهم فى الرتبة .

الطبقة الثالثة — الوَقَّافون . قال فى "مسالك الأبصار" : سألتُ آبن القُوَيْع عن معنى الوَقَّافين ما هو ؟ فقال : هم قومٌ لهم خاصِّيَّة بالسلطان يسكُنُون معــه فى القَصَبة : وهى القلعة، بمنزلة الأمراء الخاصِكيَّة . قال : وهم طبقتان : وَقَّافون كِبار، ووَقَّافونَ صغار، وكلهم يَقِفُون بين يديه فى أوقات جلوسه إذا جلس للناس .

الطبقة الرابعــة — عامّة الجُنْد .

الطبقة الخامسة — الجُنْد من قبائل العرب .

الطبقة السادسة — الصِّبْيان : وهم جماعة من الشَّبَاب بمَثابة المماليك الكُتَّابية بالديار المصرية، يكونون فى خِدْمة السلطان .

الطبقة السابعة — الجُنْدمن الإفْرِنج، و يعبَّر عنهم بالعُلُوج؛ وهم لخاصة السلطان لايطْمئِنُّ إلا إليهم .

وأما عِدّة العسكر . ففى "مسالك الأبصــار" عن آبن القُوَيع أنها لاتبلغ عَشْرَةَ آلاف و إنمــا العَدَد الجَمُّ فى العرب أهلِ البادية ولهم قوة شَوكةٍ .

*
* *

وأما أرباب الوظائف فعلى ثلاثة أضرب :

الضرب الأوّل

(أرباب السُّيوف، وهم ثمـانية)

الأول ـــ الوُزَراء : وهم ثلاثةُ وزراءَ : وزيرالجُنْد وهو المرْدُود إليه الحديثُ فى أمر الجُنْد . قال فى "مسالك الأبصار" : وهو بمثابة الحاجب بالدِّيارِ المِصْرية ؛ ووزيرُ المـال : وهو المتحدّث فى أمر المال، ويعبَّر عنه بصاحب الأشغال؛ ووزيرُ الفضل وهو كاتب السِّرِّ .

الثـانى ـــ شـيخُ الموحِّدين . قال ٱبن القُوَيع : وشيخ الموحدين كأنه نائب السلطان، ويسمَّى الشيخَ المعظَّمَ وهو الذى يتولَّى عَرْض الموحدين وأمورَهم .

الثالث ـــ أهـل المَشُورة : وهم ثلاثة من أشـياخ الموحدين يجلِسُون بمجلسـه للرأى والمَشُورة .

الرابع ـــ صاحب الرِّقاعات . قال ٱبن سعيد : وهو الذى يتولَّى إبلاغَ الظُّلامات إلى السلطان وإيصالَ قِصَصِهم إليه وعَرْضَها عليه ثم يخرج بجوابها عنه . قال فى " مسالك الأبصار " : وهذا بمثابة الدوادار (يعنى بالديار المصرية) .

الخامس ـــ صاحب العلامات : وهو المتولِّى أمورَ الأعلام، وهو بمثابة أمير عَلَم بالديار المصرية . وفى معناه آخر إليه أمرُ دقِّ الطبول، يأمر بدَقِّ الطُّبول عند ركوب السلطان فى المَوَاكب .

السادس ـــ الحافظ : وهو صاحب الشُّرْطة، وعنه يعبِّر المصريُّون بوالى المدينة .

السـابع ـــ محرِّكو الساقة : وهم قوم يكونون بأيديهم العِصِىُّ ، يرتِّبون الناسَ فى المواكب، بمنزلة النُّقَباء بالديار المصرية .

الثـامن ـــ صاحبُ الطَّعام : وهو بمنزلة إستاددار الصُّحْبة .

الضـــــرب الثـانى

(أرباب الأقلام)

وقد ذكر منهم ثلاثة :

الأوّل — قاضى الجماعةِ : وهو مثلُ قاضى القُضاة بالديار المصريةِ .

الثانى — المُحتَسِب : وهو معروف .

الثالث — صاحب كُتُب المَظَالم . قال فى "مسالك الأبصار" : وهو الموقِّع على القِصَص وكأنه بمَثابة مُوَقِّع الدَّسْت بمصر والشام .

الجمـــــلة الثـانيةَ عشرةَ

(فى ذكر الأرزاق المُطْلَقة من جهة السلطان)

ويختلِفُ الحال فيها باختلاف أحوال أربابها .

فأما أشـياخُ الموحِّدين الكِبارُ ، فقد نقل فى "مسالك الأبصـار" عن القاضى أبى القاسم بن بنُّون أنَّ لهم أرضا يزرَعُونها أو يحُكِّرونها و يكون لهم عُشْرُ ماطلع منها . وهـذه الأرض بمثابة الإقطاع بمصر، ولكل واحد منهم فى كل سـنة حَرْثُ عشرةِ أزواجٍ بقرا، كل زوج بشُـعْبتيْنِ ، كل شُعْبة رأسان من البقر فيكون لكل واحد عشرون شعبة . قال فى "مسالك الأبصار": وهذه الشعبة هى المسماة فى بلاد دمشق بالفدّان . ولهم مع ذلك راتب يفرّق عليهم فى طُول السنة، يسمُّونه البَرَكات، بمثابة الجَوَامك بمصر، يفرّقُ أربعَ مرَّات فى السنة : فى عيد الفِطْر تَفْرِقةٌ، وفى عيد الأضحىٰ تفرقةٌ، وفى ربيع الأوّل تفرقةٌ، وفى رجَبٍ تفرقةٌ، يُصيبُ كلَّ واحد منهم من ذلك أربعون دينارا مسماةً، تكون بثلثمائة درهم عتيقة، والسلطان يأخُذ معهم بسَهْم كواحد منهم على السَّوَاء ، فيكون جملة مالكُلِّ واحد منهم فى كل سنةٍ مائةٌ وعشرين دينارا

مسمّاة ، عنها ألفٌ ومائتا درهم مَغْرِبية ، عنها من نقد مصر والشام ستّمائةٍ وخمسون درهما، وما يتحصّل من مَغَلّ عشرين فَدّانا بقدر مثلها . قال في "مسالك الأبصار": فيكون تقدير ما لأحد المشايخ الكِبَار الذين بمثابة أمراء الألوف بمصر والشام في كل سنة ألفٌ وثلثمائة وعشرةُ دراهم نُقرة بمعاملة مصر في كل سنة .

وأما الأشياخُ الصّغار، فلكل واحد منهم حَرْثُ خمسة أزواج من البقر، على النّصف من الأشياخ الكِبار؛ والبَرَكاتُ في كل سنة على ما تقدّم في الكِبار . قال آبن بَنّون : ولعامّة الأشـياخ الكِبار والصّغار والوَقّافين والجند شيءٌ آخر يُفَرِّقه السلطانُ عليهم ، يُسمّى المواساة : وهي غلة تفرّق عليهم عند تحصيل الغَلّات في المخازن، وشيء ثالثٌ يقال له الإحسانُ ، وهو مبلغ يفرّق عليهم . قال [وكِلاهما](١) من السنة إلى السنة ليس لهـا قَدْر مضبوط ولا قَدْر مخصوص ، بل على قدر ما يراه السلطانُ وبحَسَب أقدار النـاس . ومقاديرُ العَطَايا بينهم متفاوتةٌ . قال : وكذلك القبائلُ ومزاويرهُم على هـذا النحو . قال آبن القُوَيع : والجنـد الغُرباء يتميزون في الأعْطِيَات على الموحّدين . قال : وللعرب أهلِ البـادية إقطاعاتٌ كثيرةٌ ؛ ومنهم من يخرُجُ مع السلطان إذا آستدعاهم السلطانُ للخروج معه .

الجمـــلة الثالثةَ عشرةَ
(في لِبْس سلطان مملكة تُونُس، ولِبْس أشياخه، وسائر جُنْده، وعامّةِ أهـل بلده)

أما لِبْسُـه فقد ذكر في "مسالك الأبصار" عن سلطان زمانه بأفْرِيقِيّة : أن له عمامةً ليست بمُفْرِطة في الكِبَر، بحَنَك وعَذَبة صغيرةٍ . وقال آبن سعيد : له عمامةٌ

(١) بياض بالاصل بقدر كلمة والتصحيح من المسالك .

كبيرةٌ من صُوفٍ وكَتَّان فيها طِرَاز من حرير . ولا يتعمَّم أحدٌ من أهل دَوْلَتِـه قَدْرَها في الكِبَر . وذكر أن عَذَبة عمامته تكونُ خلف أُذُنِه اليُسْرىٰ ، وأنهـا مخصوصةٌ به وبأقارِبِه ،وله جِبَاب تليها ، ولا يلْبَس (١) هو ولا عامَّة جُنْده وأشياخه خُفًّا إلا في السَّفَر. وغالب لِبْســه ولِبْس أكابر مشايخه من قُمَـاشٍ عندهم يسمَّى السَّفْسارِىّ ، يعمل عندهم من حرير وقطن أو حرير وصوف رفيع جِدًّا ، وقُماشٍ يُعرَف بالتِّلِمْسَانِىّ يُعْمَل بتِلِمْسانَ : إما صوفٌ خالصٌ أو حرير خالص : مُخَتَّم وغير مُخَتَّم . قال ٱبن بَتُّونـ : والسلطان يمتاز بِلُبْس الخَزِّ، ولَوْنُه لونُ الخُضْرة والسَّـواد . قال : وهذا اللَّون هو المسمَّى بالجَوْزِىّ ، وبالغِيَار، وبالنِّفْطِىّ . قال ٱبن سعيد : وهو ما يخرج من البحر بصَفَاقُس .

قال في "مسالك الأبصار" : وهو المسمى بو بر السمك بمصر والشام يعنى المعبر عنه بصوف السمك المقدّم ذكره عنـد ذكر صَفَاقُس من بلاد أفريقية . قال ٱبن سـعيد : وهى أفخر ثياب السلطان بتونس ونقل في " مسالك الأبصار " عن ٱبن سـعيد : أنه يَلْبَس الثيابَ الصِرْف الرفيعة ،ذواتِ الألوان البديعة ، وأكثر مايلبس المختم الممتَزِج من الحرير والصُّوف ، بكمين طويلين من غير كَثْرة طُول ، ضـيقين من غير أن يكونا مزنَّدين . وثيابه دون شـدّ نِطَاقٍ إلا أن يكون في الحرب فإنه يشُدُّ المِنْطقة ، ويلْبَس الأقبيةَ ؛ وله طَيْلَسانٌ صوفٍ في نهاية اللَّطَافة ، كان يرتَدِى به ولا يضَعُه علىٰ رأسه .

[وأما لِبْس الأشياخ والدواوين والوقافين والجند والقضاه والوزراء والكتّاب وعامة الناس فعلى زىّ واحدٍ ، لاتكاد تتفاوت العمائم والجِبَابُ ولا يمتاز الأشياخ والوقافون

(١) لعله يلبسها .

والجند إلا بشيء واحد لا يكاد يظهر ولا يبين وهو صِغَر العمائم وضيق القماش، ولباس عامة أهل أفريقية من الجُوخ ومن الثياب الصوف ومن الأقبية ومن الثياب القطن، فمن لبس غير هذا مما يجلب من طرائف الاسكندرية والعراق كان نادرا شاذا] (١) .

الجملة الرابعةَ عشرةَ

(فى شعار المُلْك بما يتعلق بهذا السلطان)

نقل فى "مسالك الأبصار" : عن آبن القُوَيع أن له علما أبيض يسمّى العَلَم المنصور، يُحمَل معه فى المواكب، وذكر أن الأعلام التى تحمل معه فى المواكب سبعة أعلام : الأوسطُ أبيض وإلى جانبه أحمر وأصفر وأخضر. قال : ولا أتحقق كيف ترتيبها وأن ذلك غير أعلام القبائل التى تسير معه فلكل قبيلةٍ عَلَمٌ تمتاز به بما عليه من الكتابة ، والكتابة مثل لا إله إلا الله ، أو الملكُ لله، وما أشبه ذلك ، وأن له الطبولَ والبوقات والنفير .

الجملة الخامسةَ عشرةَ

(فى جلوس سلطان هذه المملكة فى كل يوم)

قال آبن سعيد : عادةُ هـذا السلطانِ فى مدينة مملكتِه تُونُس : أنه يخرُج باكِرَ كلِّ يوم إلى موضع يُعْرف بالمَدْرسة ، ويبعث خادما صغيرا يستَدْعِى وزيرَ الجُنْد من موضعه المعيَّنِ له ، فيدخل عليه رافعا صوْتَه "بسلامٌ عليكم" عن بُعْد من غير أن يُومِئَ برأسه، ولا يقُومُ له السلطان، فيجلس بين يدَى السلطانِ، ويسأله السلطانُ عما يتعلّق بأمور الجُنْد والحُرُوب؛ ثم يأمره باستِدْعاء مَنْ يُرِيده من أشياخ الجُنْد

(١) الزيادة من القطعة الأزهرية وهي في "مسالك الأبصار" أيضا .

أو العَرَب أو مَنْ له تعلّق بوزير الجُنْد؛ ثم يأمر باستدعاء وزير المال وهو المعروفُ بصاحب الأشغال فيأتى معه ويُسَلِّمان جميعا من بُعْد على السلطان، وإن كان قد تقدّم سلام وزير الجُنْد؛ ثم يتقدّم وزير المال إلى ما بين يَدَي السلطان ويتأخر وزير الجُنْد إلى مكان لا يَسْمَع فيه حديثَهما؛ ثم يخرج وزير المال ويستَدْعِي من يتعلّق به؛ ثم يحضُر صاحبُ الطعام بطعام الجُنْد ويَعرِضه على وزيرهم لئلّا يكونَ فيه تقصيرٌ؛ ثم يقوم السلطانُ من المَدْرسة إلى موضعٍ مخصوصٍ ويَسْتَدْعِي وزيرَ الفَضْل: وهو كاتب السر، ويسأله عن الكُتُب الواردةِ من البلاد، وعما تحتاجُ خِزانةُ الكُتُب إليه، وعما تَجدَّد فى الحضرة وفى البلاد مما يتعلّق بأرباب العلم وسائر فُنونِ الفضل والقُضاة، ويأمر باستدعاء مَنْ يخُصُّه من الكُتّاب ويُمْلِي عليه وزيرُ الفضل ما أُمِرَ بكتابته، ويعلِّمُ عليه وزيرُ الفضل بخطِّه؛ ثم يستَدْعِي السلطان مَنْ شاء من العلماء والفُضَلاء ويَتحاضَرُون مُحاضرةً خفيفةً. وان كان وزيرُ الفضل قد رَفَع قصيدةً لشاعرٍ وافدٍ أو مرتَّبٍ فى معنًى آستجدّ، أمره السلطان بقراءتها عليه، أو يأمر بحضُور الشاعر ليُنْشِدَها قائما أو قاعدًا بحَسَب ماتقتضيه رُتْبته، ويتكلّمُ السلطان مع وزير الفَضْل ومن حَضَر من الفضلاء فى ذلك ويكتُب على كل قصيدةٍ بما يراه.

الجمـــــلة السادسةَ عشرةَ

(فى جلوسه للظالم)

قال الشيخ شرف الدّين عيسى الزَّواوىّ: إذا جلس السلطانُ جلس حَوْلَه ثلاثةٌ من كِبَار أشـياخ الموَحِّدين للرأى والمَشُورة، ويجلس معهم وزيرُ الجُنْـد إن كان كبيرا، وإن لم يكن كبيرا وقَفَ بإزاء أولئك الثلاثة، ويجلس دُونَهم عشرةٌ من أكابر أشياخه، وربما كان الثلاثةُ المختصُّون بالرأى من جملة العَشَرة المذكورين؛ ويقف

خمسون وَقَّافا وراءَ وزير الجُنْد . فإذا أمر السلطان بأمر بَلَّغه وزيرُ الجُنْد لآخَر واقفٍ وراءه ، وبلَّغه الآخر لآخَر، وبلغه الآخَر لآخَر، حتّى ينتهى إلىٰ مَنْ هو خارجَ الباب بنقل ناسٍ عن ناس ؛ ويقف دون الخمسين المذكورين جماعةٌ تسمّى بالوَقّافين بأيديهم السيوفُ حَوْلَه ، وهم دون الخمسين المذكورين فى الرُّتبة . وقد ذكر ابن سعيد : أن يوم السبت مخصوصٌ عنده بأن يَقْعُد فى قُبّة كبيرة فى القَصَبة : وهى القلعة ، ويَحْضُر عنده أعيانُ دولته وأقارِبه والأشياخُ ؛ ويجلس أقاربُه عن جانبه الأيْمنِ ، والأشياخ عن جانبه الأيْسرِ ؛ ويجلس بين يديه وزير الجُنْد ، ووزيرُ المال ، وصاحبُ الشُّرْطة ، والمحتَسِب ، وصاحب كُتُب المَظالم : وهو المُوقِّع على القِصَص . ويقرأ الكاتبُ المعيَّنُ ماوُقِّع له علىٰ قِصَص المظالم ، ويردّ كلَّ مايتعلق بوظيفةٍ إلىٰ رَبِّ تلك الوظيفةِ ويُنَفِّذُ الباقىَ .

الجملة السابعةَ عشرةَ
(فى خروجه لصلاة الجمعة)

قال ابن سعيد : من عادةِ السلطان بأفريقيَّة أنه لا يجتمعُ يومَ الجمعة بأحد ، بل يخرُج عند ما يُنادِى المنادى بالصلاة ، ويشُقّ رَحَبة قصره ما بين خواصّ من المماليك الأتراك ، فعند ما يُعايِنُونَه ينادون "سلام عليكم" نداءً عاليا علىٰ صوت واحد يسمَعُه مَنْ يكون بالمسجد الجامع ، ثم يتقدّمه وزيرُ الجند بين يديه فى ساباط يَخْرُجُ هناك للجامع ، عليه بابٌ مُذْهَب سلطانىّ ؛ ويسبِقُ الوزيرُ فيفتح البابَ ، ويخرج منه السلطانُ وحده ، ويَخْرُج له جماعة الوَقّافين من أعيان الدّولة فلا يقوم له فى الجامع غيْرُهم ؛ وليس له مقصورةٌ مخصوصةٌ للصلاة . فإذا انفصل عن الصلاة قعد فى قُبّة كبيرة له في صَدْرِ الرَّحَبة وحضر عنده أقارِبُه ، ثم يدخُل قصْرَه .

الجملة الثـامنةَ عشرةَ
(فى رُكُوبه لصلاة العِيدَيْنِ أو للسَّــفَر)

قال القاضى شرفُ الدين عيسىٰ الزَّواوِى : وعادته فى ذلك أن يركب السلطان، وعن يمينه فارسٌ وعن يساره فارس من أكابر أشـياخه من العشرة المقدّم ذكرهم، ويمْشى إلىٰ جانبــه رَجُلانِ مقلَّدان سيفَيْنِ رَجَّالة إلىٰ جانبه : أحدهما مُمْسك بِركابه الأيمنِ، والثانى ممسكٌ بركابه الأيْسرِ، ويليهما جماعةٌ رَجَّالةٌ من أكابر دولته : مثلُ الثلاثة أصحابِ الرأى، والعشرة الذين يَلُونهم، ومَنْ يجرِى مَجْراهم من أعيان الجند؛ وتسمّى هــذه الجماعة ايربان، يمشُون حوله بالسُّيوف وبأيديهم عَكَاكِيزُ . قال : وربمـا مَشىٰ فى هؤلاء قاضى الجماعة : وهو قاضى القُضَاة . وأمامَ هؤلاء الجمـاعة المَشَّائين نفرٌ كثيرمن الموحِّدين أقاربِ السـلطان بسيوف ومَزَارِيق، ويُسمَّوْن بالمَشَّائين . وقُدّامَهم جماعةٌ يقال لهم جفاوة : وهم عبيدٌ سودٌ بأيديهم حِرَاب فى رءوسها راياتٌ من حرير، وهم لابسون جِبَابا بِيضًا مُقلَّدون بالسيوف . وأمامَ هؤلاء قومٌ يعبَّر عنهم بعبيد المخزن، وهم عوامُّ البلد وأهــل الأسواق، وبأيديهم الدَّرَق والسُّيوف، ومعهم العَلَم الأبيضُ المسمّى بالعلم المَنْصور المقدّم ذكره فى شِعَار السَّلْطنة .

وعادتُهم أن يُنادىٰ فيهم ليــلةَ العِيد أو رُكُوبِ السلطان لسَفَر، فيخرج أهل كل صِناعة بظاهر البَـلَد، ويكون خَلْفَ الســلطان صاحبُ العلامات، وهو أمير عَلَم راكب، ووراءه أعلامُ القبائل، ووراءَ الأعلام الطُّبُول والبُوقاتُ، وخلْفَهم محرِّكُو الساقة الذين هم بمَثَابة النُّقَبـاء وبأيديهــم العِصِيّ يرتِّبون العساكرَ؛ وخَلْف هؤلاء العسكرُ . والفارسُ الذى عن يمين السلطان إليه أمرُ دَقِّ الطبول يقول : دُقّ فلانُ باسم كبيرهم، ويستمرّ مَنْ حولَ الســلطان من المُشَاة يمشُون ثم يركبون؛ ويطيف

بالسلطان جماعةٌ يقرءون حزبا من القرآن الكريم . ثم يقف السلطانُ ويدْعُو ويؤمّن وزيرُ الجند على دعائه ، ويؤمّن الناس على تأمينه ، ويُجِدّ الناسُ والسلطانُ السيْرَ . فإن كانوا فى فضاء كان مشيهم على هذا الترتيب ، وإن ضاق بهم الطريق مَشَوْا كيف جاء على غير ترتيب إلا أنَّ الجندَ لا يتقدَّمُون على السلطان . فإذا قَرُبوا من المَنْزِلة وقف السلطان ودعا وأُمّن على دعائه كما تقدّم . وإن كان فى صلاة العيد ذهب فى طريق وعاد فى أخرى .

الجملة التاسعة عشْرَة
(فى خروج السلطان للتنزّه)

قد تقدّم فى الكلام على مدينة تُونُس أنها على طرف بُحَيرة خارجةٍ من البحر الرومىّ تُحْدِق بها البساتينُ من كل جانب ، وفى تلك البُحَيرة جزيرةٌ يقال لها سكلة لاساكنَ بها ربما ركب السلطان فى السُّفُن وصار إليها فى زمن الربيع ، وتُضْرب بها أخْبِية ويُقيم بها للتنزّه أيامًا ثم يعود . على أنه لا ماءَ فيها ولا مَرْعَى ، ولكن لمَا تُشْرف عليه من البَسَاتِين المستديرة بتلك البُحَيرة وما قبلها من الجَوَاسِق المُشْرِفة ومَنْظَر البحر . وقد ذكر ابن سعيد : أنه ربما خرج إلى بُسْتانه ، فيخرج فى نحو مائتَىْ فارس من الشَّبَاب المعروفين بالصّبيان الذين هم بمثابة المماليك الكتابية بالديار المصرية ، يُوَصّلونه إلى البستان ويرجِعُون ، ويبقى وزراؤه الثلاثةُ نوابًا له . وكل ما تجدّد عند كل واحد منهم من الأمر طالعه به وجاوبهم بما يراه . قال فى "مسالك الأبصار" : وركوبه إلى البستان فى زُقَاق من قَصَبته إلى البستان ، مَحْجوب بالحيطان لا يراه فيه أحد .

الجمـــلة العشرون

(فى مكاتبات السلطان)

قال فى " مســالك الأبصار " : قال ٱبن سعيد : قال العلّامة أبو عبــد الله بن القُوَيع : إن هذا السلطان لا يَعلّم علىٰ شىء يُكْتَب عنه، وإنمـا يُعَلِّم عنه فى الأمور الكِبار صاحبُ العَلَامة الكبرىٰ، وهو كاتب السِّر فى الغالب ؛ والعلامة "الحمد لله" أو " الشكر لله " بعد البسملة . قال : ومن خاصِّيَّة كتب هذا السلطان أن تكتَبَ فى ورقٍ أصْفَر . ومن عادته وعادة سائر المغاربة أن لا يُطيلوا فى الكُتُب ولا يُباعِدوا بين السطور كما يُفْعَل فى مصر وما ضاهاها . أما فى الأمور الصِّغار فإنما تكون الكتابة فيها عن وزير الجند ، ويَكْتُب عليها صاحبُ العلامة الصغرىٰ ٱسمَ وزير الجند ، وتكون هذه الكتبُ فى غير الورق الأصفر .

الجملة الحاديةُ والعشرون

(فى البَرِيد المقرَّر فى هــذه المملكة)

قد ذكر فى " مسالك الأبصار" : أنه إذا كُتب كتابٌ إلىٰ نَوَاحى هـذه المملكة لِيُوصَّل إلىٰ بعض نوابهـا ، جُهِّز مع مَنْ يَقَع الاختيارُ عليه من النُّقَباء أو الوُصْفان : وهم عبيد السلطان ، ويركَبُ على بغل إمّا ملْك له أو مستعارٌ ويسافر عليه إلىٰ تلك الجهة . فان أعْيَا فى مكان تركه عنــد الوالى بذلك المكانِ وأخذ منه بَغْلا عوضَه ، إما من جهة الوالى أو يُسَخِّره له من الرعايا ، إلىٰ أن ينتهى إلىٰ جهة قَصْــده ثم يعود كذلك .

الجملة الثانية والعشرون

(فى الخِلَع والتَّشارِيف فى هذه المملكة)

قال القاضى أبو القاسم بن بَنُّون : ليس من عادة سلطان أفريقيَّة إلباسُ مَنْ وُلِّىَ ولاية خِلْعةً كما فى مصر، وإنما هى كُسْوة : وهو قماش غير مُفَصَّل يتصرَّف فيه كيف شاءَ .

المملكة الثانية

(من ممالك بلاد المغرب مملكة تِلِمْسانَ)

وهى مملكة الغرب الأوسط . وفيها جملتان :

الجملة الأولى

(فى ذكر حُدُودها، وقاعدتها، وما ٱشتملت عليه من المُدُن، والطريقِ المُوَصِّلة إليها)

أما حدودها ، فحدُّها من الشرق حُدُود مملكة أفريقِيَّة وما أُضِيف إليها من جهة الغرب ؛ وحدُّها من الشَّمال البحرُ الرومى ؛ وحدّها من الغرب حدودُ مملكة فاسٍ الآتى ذكرها من الشرق؛ وحدّها من جهة الجنوب المَفَاوِزُ الفاصلةُ بين بلاد المغرب وبلاد السُّودان . وذكر فى "العبر" : أن حدّها من جهة الغَرْب من وادى مَلَوِيَّة الفاصل بينها وبين الغرب الأقصى إلى وادى مجمّع فى جهة الشرق الفاصلِ بينها وبين أفريقيَّة .

***

وأما قاعدتها، فمدينة (تِلِمْسانَ) بكسر المثناة من فوقُ واللامِ وسكون الميم وفتح السين المهملة وألف ونون . وهى مدينة من الغرب الأوسط . وقال

فى "تقويم البُلْدان": من الغرب الأقصىٰ متاخِمةٌ للغرب الأوسط شرقىّ فاس بمَيْلة إلىٰ الشَّمال . وموقعُها فى أوائل الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة قال ابن سعيد : حيثُ الطولُ أربعَ عشرةَ درجة وأربعون دقيقة، والعرضُ ثلاثٌ وثلاثون درجةً واثنتا عَشْرةَ دقيقة، وهى مدينة فى سَفْح جبل، ولها ثلاثةَ عشَرَ بابا، وماؤها مجلوب من عين علىٰ ستة أميال منها، وفى خارجها أنهارٌ وأشجار؛ ويستدير بقِبْلِيِّها وشرقيِّها نهرٌ يَصُبُّ فى بِرْكة عظيمة من آثار الأُوَل، ويُسْمَع لوَقْعه فيها خرير علىٰ مسافةٍ، ثم يَصُبُّ فى نهرٍ آخَر بعد ما يمرّ علىٰ البساتين، ثم يصبُّ فى البحر، وعليه أرحاءٌ دائرة تدخل فيه السفُن اللِّطاف حيث يصبُّ فى البحر، وبُقْعتها شريفةٌ كثيرة المَرافق .

ولها حصون كثيرة وفُرَضٌ عديدة .

منها (هُنَيْن) و(وَهْرانُ) و(مُسْتَغانم) . فهنين تقابل المَرِيَّةَ من الأندلُس ووَهْران فى شرقِىِّ تِلِمْسانَ بشمالٍ قليل، علىٰ مسيرة يوم من تِلِمْسان، ومستَغانِم تقابل دانِيَةَ من الأندَلُس؛ وعَرْض البحر بينهما ثلاثُ مجارٍ ونصفُ مَجْرًى . قال الإدريسى فى "كتاب رُجَّار" : وبها آثار الأُوَل، ولها أسواقٌ ضخمةٌ ومساجدُ جامعة . قال فى "مسالك الأبصار" : وهى علىٰ ما بلغ حدَّ التواتُر أنها فى غاية المَنَعة والحَصانة مع أنها فى وَطَاءة من الأرض ولكنها محصَّنة البناء . وبلغ من حَصانتها أنَّ أبا يعقوبَ المَرِينىّ صاحب فاس حاصرها عشْرَ سنين، وبنىٰ عليها مدينةً سماها فاس الجديدة وأعجزه فتْحُها ولها ثلاثةُ أسوار، ومن جهة القَصَبة وهى القلعة ستةُ أسوار؛ وبها أنهارٌ وأشجار؛ وبها شجر الجَوْز علىٰ كَثْرة، ومِشْمِشها يقارب فى الحُسْن مِشْمِشَ دِمَشْقَ . قال فى "مسالك الأبصار" : زَكيَّة الزرع والضَّرْع، ويقصِدُها تُجَّار الآفاق للتِّجارة . قال: ويطول مُكْثُ المخزونات فيها حتّىٰ إنه ربما مَكَث القمحُ والشعير فى مَخازنها ستَّ سنين ثم يُخْرَج بعد ذلك فيُزْرَع فينْبُت .

* * *

وأما مُدُنها الداخلة فى مملكتها، فقد ذكر فى "مسالك الأبصار" أن لها ثمانَ عشرةَ مدينةً : وهى تلمسان، وجده، ومَدْيونة، وتَدْرومه، وهُنَيْن، ووَهْران، وتيمزغزان، وبرسك، وشرشال، وتونت، ومستَغانِم، وتَنَس، والجزائر، والقَصَبات، ومازونةُ، وتاحجمت، ومِلْيانةُ، والمَرِيَّة .

* * *

وأما الطريق الموصل إليها، فقد تقدّم فى الكلام على مملكة تُونُس الطريقُ من الديار المصرية إلى تُونُس . وقد ذكر فى "الذيل على الكامل" أن من تُونُس إلى باجَةَ، ومنها إلى تغريه وهى آخر بلاد أفريقية، ومنها إلى قُسَنْطِينةَ وهى أول بلاد بجايةَ، ومنها إلى أول بلاد تِلِمْسان، ومنها إلى قُلَيْلِية، ومنها إلى البُقَيْعة، ومنها إلى تِلِمْسان .

الجملة الثانية

(فى حال مملكتها)

لم أقف على شيء من ترتيب مملكتها، والظاهر أنها تشبه مملكةَ تُونُس فى الحال والترتيب أو قريبٌ من ذلك . فقد ذكر فى "مسالك الأبصار" أن بِجايةَ ثانيةُ تُونُس فى الرُّتْبة والحال، والموجودات، والمُعامَلات . وقد تقدّم أن بِجايةَ من الغرب الاوسط، فتكون تِلِمْسانُ فى معناها، وإن وقعت مخالَفةٌ فى ترتيب المملكة فإنما تكون فى القَدْر اليسير . قال فى "مسالك الأبصار" وهى مَمْلكة كبيرةٌ، وسلطنةٌ جليلة، قريبُ الثلثين من مملكة بر العُدْوة . وهى وسيعة المَدى، كثيرة الخَيْرات، ذاتُ حاضرةٍ وباديةٍ، وبَرٍّ وبحر .

المملكــة الثـالثة

(من بلاد المغرب — الغرب الأقصى،
ويقـال له بَرُّ العُدْوة ، وفيـه ثلاثة مقاصـــد)

المقصـــــد الأوّل

(فى بيان مَوْقِعها من الأقاليم السبعة وذكر حدودها
وما ٱشتملت عليه من المُدُن والجبال المشهورة . وفيه أربع جمل)

الجمـــــلة الأولىٰ

(فى بيان موقعها من الأقاليم السبعة)

فموقِعُها فى الإقليم الثالث كما فى مملكة تُونُس، وبعضها فى الإقليم الثانى، وبعضها فى أوائل الإقليم الرابع علىٰ ما سيأتى ذِكْرُه .

وأما حدودها . فقد ذكر صاحب "العِبَر" : أنه من مدينة آسِفِى حاضرةِ البحر المحيطِ إلىٰ وادى مَلوِيَّة ومدينة تازا من جهة الشَّرْق، يحيط به البحر المحيط من جهة الغرب؛ وجبالُ دَرَن وما يليها من جَنُوبِيِّه، وجبال تازا من شرقِيِّه، والبحر الرومى من شَمَـالِيِّه . ثم قال : وهو ديار المَصَامِدة وغيرهم من البربر . وذكر فى "مسالك الأبصار" نقلا عن أبى عبـد الله محمد بن محمد السلايحى[(١)] : أن حدّها من الجنوب الصَّحْراءُ الكبيرة الآخذة من بلاد البَرْبر إلىٰ جَنُوب أفريقيَّة؛ ومن الشرق جزائر بنى مَزْغَنَّانَة وما هو آخذ علىٰ حدّها إلىٰ الصحراءِ الكبيرةِ ؛ ومن الشَّمال البحرُ الشامىُّ ؛ ومن الغرب البحر المُحيطُ .

(١) فى المسالك السلاحى، وقد تكرر .

وحكى عنه: أن طُولَ هذه المملكة من جزائرِ بَنِى مزْغِنَّانَة، وهى جزائر بنى مَزْغِنَّان المقـدّم ذكرها فى بلاد بِجايَةَ من مملكة تُونُس إلى البحر المحيط، وعرضها من بحر الزُّقاق بِسَبْتَة إلى نهاية بلاد البربر المتَّصلةِ بالصحراء الفاصلةِ بين هـذه المملكة و بين بلاد السُّودان ثلاثون يوما .

الجمـــلة الثـانية

(فى بيان قواعدها وما آشتملتْ عليه هـذه المملكةُ من الأعمال وما آنطوتْ عليه من المُدُن)

أما قواعدها بخمس[1] :

القـاعدة الأُولى

(فاس)

بفتح الفاء ثم ألف وسين مهملة . وهى مدينـة بالغرب الأقْصى، واقعةٌ فى آخر الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة قال آبن سعيد : حيثُ الطولُ عَشْرُ دَرَج وخمسون دقيقـة، والعرض ثلاثٌ وثلاثون درجة . قال : وسمِّيت بفاس لأنهم لمَّا شرعوا فى حفر أساسها، وجدوا فَأْسا فى موضع الحفر . قال فى "تقويم البُـلْدان" : وهى مدينتان يَشُقّ بينهما نهر . الأولى (فاسُ القديمةُ) والميـاه تجرى بأسواقها وديارها وحَمَّـاماتِها، حتّى يقال إنه ليس بالمَشْرِق ولا بالمغْرِب مدينـةٌ تُضاهيها فى ذلك؛ إلا أن أرضها ذاتُ آرتفاع وآنخفاض، وفيها عِدّة عيون . قال أبوعبدالله العسلى : عدّتها ثلثمائة وستون عينا . قال آبن سعيد : لم أرَقَطُّ حَمَّاماتٍ فى داخلها عين تَنْبُع إلا فى فاس . قال : وهى أكثَرُ مياهًا من دِمَشْق . قال آبن سعيد فى "المُغْرب"

(١) لم يذكر إلا أربعا .

وهى مدينتان : إحداهما بناها إدريسُ بنُ عبد الله : أحدُ خلفاء الأدارسة بالمغرب، وتُعرف بعُـدْوة الأندَلُس . والأخرىٰ بنيت بعـدها وتعرف بعُدْوة القَروِيِّين . قال فى "الروض المعطار" : وكان بناء عُدْوة الأندلسيين فى سنة آثنتين وتسعين ومائة، وبناء عُدْوة القرويين فى سنة ثلاث وتسعين ومائة . وعُدْوة القَرَوِيين أكثرُ عيونًا وبساتينَ وأشجـارا من عُدْوة الأندلسيين . ورجال عُدْوة الأندَلُسِيِّين أشجعُ . ورجال عُدْوة القَرَوِيين أجملُ . ونساء عُدْوة الأندَلُسِيين أجمل . وبعُدْوة الأندلسيين تُفّاح حسنٌ طيِّب الطَّعْم يُعْرَف بالطرابُلُسِىّ لا يُفْلِح بعُـدْوة القَرَوِيِّين . وبعُدْوة القرويين أُتْرُجٌّ حسنٌ لايُفْلِح بعدوة الأندَلُسِيِّين مع التقارُب علىٰ ضَفَّة النهر الغربية؛ وهى فى مستوٍ من الأرض، وهى فى عُلْو لايحكُم النهر عليها . والثانية (فاس الجديدةُ) وهى ثلاثُ مُـدُن بناءُ آباء ملوكها القائمين بهـا الآنَ حين ملكوا الغرب الأقصىٰ . ولمـا نزلوها بنَوْا معها ثلاث مُدُن علىٰ ضَفَّة النهر الغربية .

أوّلها (المدينةُ البيضاء) وتُعْرَف بالجَديدة . بناها أبو يوسفَ يعقوبُ بن عبد الحق أوّلُ من آستقل بالمُلْك بعد الموحِّدين .

الثانية (مدينة حِمْص) ويُعْرَف موضعها بالمَلّاح . بناها ولده أبوسعيد : عثمانُ آبن أبى يوسف إلىٰ جانب المدينة البيضاء المقدَّم ذكْرُها .

الثالثة (ربَضُ النصارىٰ) وهى المتَّخَذةُ لسُكْنىٰ النصارىٰ من الفرنج المستخْدَمين بخدمة السلطان . وهذه المتجدّدات الثلاث علىٰ ضَفَّة النهر الغربية : فربَض النصارىٰ يقابل فاسَ القديمةَ علىٰ بُعْد من ضَفّة النهر . والبيضاء وهى فاسُ الجديدة آخذةٌ من شمَالىّ ربَض النصارىٰ إلى ضَفَّة النهر . وأوّل عمارة فاس الجديدة آخر عمارة فاس العتيقة . وحمصُ راكبة علىٰ النهر بشَمال على جانب فاس الجديدة آخذةٌ إلىٰ ربَض

النصارى، ينصبّ من الجنوب إلى الشّمال، ثم ينعطف على زاوية آخذا من الغرب إلى الشرق حتّى يصير كأنه ينحدر من الغرب، وحمّص على مجراه هناك؛ ثم يمرّ آخذا إلى الشرق على حاله فوق فاس الجديدة . ثم ينعطف عليها بزاوية إلى الجنوب ثم ينعطف إلى الشرق جائزا بها؛ وهناك فاس العتيقة على الضّفّة الشّمالية، والقصبة وهى القلعة بها فى غربيها مرجّلة على الأرض لا تتميز على المدينة برفعة ولا ببناء عال؛ ويصير النهر مستديرا بفاس الجديدة من جانب الشّمال على المجرى المركّب عليه حمّص، ومن الشرق حيث انعطف النهر عند فاس العتيقة .

قال فى "مسالك الأبصار": وهذا النهر متوسّط المقدار . عرضه فى المكان المتسع نحو أربعين ذراعا، وفى الضّيّق دون ذلك ؛ وربما تضايق إلى خمسة عشر ذراعا فما دونها؛ وعمقه فى الغالب تقدير قامة رجل . ونقل فى "مسالك الأبصار" عن ابن سعيد : أن نهرها يلاقى وادى سبو، وهو من أعظم أنهار المغرب، يصبّ فى البحر المحيط بين سلا وقصر عبد الكريم . قال فى "تقويم البلدان" قال ابن سعيد : وعلى أنهارها داخل المدينة نحو ستّمائة رحًا تدور بالماء دائما (1) . قال فى "مسالك الأبصار": وعليها ناعورة ترفع الماء إلى بستان السلطان . وبناء فاس العتيقة بالآجرّ والجبال مكتنفة بها، وعلى كل من عتيقها وجديدها أسوار دائرة محصّنة ذات بروج وبدنات، وجميع أبنيتها بالحجر والآجرّ والكلس موثّقة البناء مشيّدة الأركان . وتزيد فاس الجديدة على فاس العتيقة فى الحصانة والمنعة ؛ والعتيقة بسور واحد من الحجارة والجديدة بسورين من الطين المفرّغ بالقالب من التراب والرمل [والكلس المضروب وهو أشد من الحجر ولا تعمل فيه المجانيق ولا تؤثر فيه ، وكذلك غالب أبنيتها ، وسقوف جميعها الخشب وربما غشيت بعض السقوف بالقصدير والأصباغ الملوّنة،

(1) يؤخذ من عبارة ياقوت أن نهرها يتفرق داخلها إلى أنهار وعليها من الأرحاء ذلك المقدار .

وأرض دور رؤسائهـا مفروشة بالزُّلَيْج . وهو نوع من الآجر مدهون بدهان ملوّن كالقاشانى بالأبيض والأسـود والأزرق والأصـفر والأخضر وما يركب من هـذه الألوان وغالبه الأزرق الكحلى وربمـا اتخذ منـه الوزرات بحيطان الدور، قال فى "مسالك الأبصار" : وسألت السلائحى عن مقدار عمارة فاس عتيقها وجديدها، فقال : تكون قدر ثلث مصر والقاهرة وحواضرهما . قال فى "تقويم البلدان"] (١) : وللمدينتين ثلاثةَ عشَرَ بابًا ؛ وفى القديمة مخازنُ الغِلال، وهى مكان يستدير عليه سُورٌ منيعٌ عليه بابٌ وغَلَق داخلَه المطامير. وبفاس العتيقة داخلَ سُورها جِنانٌ ورِياض ذاتُ أشجار ورياحينَ فى دُور الكُبَراء وبُيُوتِ الأعيان . ثم قال : وبكل من فاس القديمة وفاس الجديدة المعروفةِ بالبيضاء وحِمْص الجوامعُ والمساجدُ والمآذنُ والحَمَّاماتُ والأسواق . أما المـَدارس والخوانِقُ والرُّبُط فما خَلَت صحـائفُ أهل المغرب من أُجُورها إلا النَّزْر اليسيرَ جدّا . وبفاس العتيقةِ مارِسْتان ؛ ودور فاس مَجَالِسُ متقابلةٌ على عَمَد من حجر أو آجُرٍّ ورَفَارِف تُطِلُّ على صحن الدار ، وفى وسَطِ صحن الدار بِرْكة يَصبُّ بها المـاءُ (٢) ويعبّر عنها عندهم بالصِّهْرِيج ؛ ولهم عِنَاية باتخاذ القِبَاب فى بُيُوتهم، حتّى يوجد فى دار الكبير قُبّتان فأكثرُ ؛ وحَمّاماتهم صحنٌ (٣) واحد لاخَلاَوىَ فيها ، ولذلك يتّخِذ غالبُ رؤسائهم الحَـمّاماتِ فى بيوتهم، فرارا من مخالطة العامة فى الحَمّام.

قال ابن سعيد : ومدينة فاس متوسطةٌ بين مُلْك الغرب ، بينها وبين مَرَّاكُش عشرةُ أيام وبينها وبين تلمسان عشرة أيام ، وبينها وبين سبتة عشرة أيام ، وبينها

---

(١) الزيادة من القطعة الأزهرية .

(٢) أى ينسكب بها وصب يكون لازما ومتعديا الا أن اللازم من باب ضرب والمتعـدّى من باب نصر كما نص عليه فى تاج العروس والمصباح

(٣) مراده أن حماماتها ليس بها حُجَر للخواص . وقد جارى العامة فى جمع الخلوة على خلاوى .

و بين ساجاسة عشرة أيام . قال فى " مسالك الأبصار " . ولذلك صَلَحت أن تكون قاعدةَ الملك . وهى تشبه الإسكَندريةَ فى المحافظة على علوم الشريعة وتغيير المُنْكَر والقيام بالنامُوس ، وتُشَبَّه بدِمَشْق فى البساتين .

وقد ذكر ٱبن مُنْقِذ: رسولُ السلطان "صلاح الدين يوسف بن أيوب" إلى بلاد المغرب : أنهم أُخرِجوا إلى بستانٍ بفاسَ يقال له البحيرة متحصِّله فى كل سنة خمسةٌ وأربعون ألف دينار ، و به بِرْكةٌ ذَرْع كل جانب منها مائتان وستةَ عشرَ ذراعا ، يكون دورها ثمانَمائة ذراع وأربعةً وستين ذراعا . قال : وبها ما هو أكبر من ذلك . قال فى " تقويم البُلْدان " : وأهلُها مخصوصون برَفاهِيَة العَيْش . قال فى "مسالك الأبصار " : ولأهلها حُسْن الصنعة فى المخروطات من الخَشَب والنُّحاس . قال أبو عبد الله السلايجى : ولكنها وَخْمة ثقيلة الماء ، تعلو وجوهَ سُكَّانها صفرةٌ ، وتُحدِث فى أجسادهم كَسَلا وفُتورا .

القاعدة الثانية

(سَبْتة)

قال فى " تقويم البُلْدان " : بفتح السين المهملة وسكون الباء الموحدة وتاء مثناة فوق وهاء فى الآخر . قال فى "الروض المعطار" : والنسبة إليها سِبْتِيٌّ بكسر السين . وهى فى دَخْلة فى البحر . قال فى "تقويم البُلْدان" : وهى مدينة بين بحرَيْنِ : بين البحر المحيط وبحر الرُّوم . ومَدْخَلها من جهة المغرب وهو مَدْخَل ضَيِّق ، والبحر محيط بأكثرها ، ولو شاء أهلها لوصلُوا البحر حَوْلَها وجعلوها جَزيرة . ولها أسوار عظيمة من الصَّخر ، وعليها أبراجٌ كثيرة ، والماء يُجْلَب إليها فى الشَّوانى حتى للحمّامات

التى بهـا ، وبها صَهاريجُ من ماء المطر . ويقال إنها أوّلُ ما بنى بَرِّ العُدْوة . قال فى "الروض المعطار" : وهى سبعةُ أَجْبُل صِغارٌ متصلة بعضُها ببعض معمورة ؛ طولها من الغرب إلىٰ الشرق نحو ميل . وقال فى "مسالك الأبصار" : طولها من السور الغربى المحيط بِرَبَضها إلىٰ آخر الجزيرة خمسةُ أميال . قال فى "الروض المعطار": ولها بابان من جهة البَرّ، ويتصل بها علىٰ مِيلَيْن من جهة الغرب جبلٌ يعرف بجبل موسىٰ، وهو موسىٰ بن نُصَـيْر الذى فتح الأَنْدَلُس ، ويجاوره بساتينُ وأشجارٌ وقُرًى كثيرة؛ وهنالك يُزْرَع قَصَب السكَّر ويحمل إلىٰ ما جاورها من البُلْدان؛ ولها نهر عَذْب فى البحر؛ وكان بها كنيسة جُعِلت جامعا؛ وبها يستَخْرَج من البحر شَجَر المَرْجان الذى لا يَعْدِله مَرْجان . ويقابلها من الأَنْدَلُس الجزيرةُ الخضراء وبحر الروم بينهما ضَيِّق، حتّى إنه إذا كان الصحو ريئَتْ إحداهما من الأخرىٰ، ولذلك يسمّى بحرها بحر الزُّقَاق، ومِيناها شَرْقِيّا ؛ وغالب طُرَف الدنيـا موجودةٌ فيها ؛ والحِنْطة مجلوبةٌ إليها إذ لا يزكو نباتُها فيها ؛ ويُصاد بها أسمـاكٌ مختلفة علىٰ نحو مائةِ نوع . ويقابل(١) هذه المدينة من برّ الأندلُس الجزيرة الخَضْراء .

وكانت هذه المدينةُ قاعدةً لهذا القُطْر قبل الإسلام، وهى يومئذ ديَار غُمَارة من المَصَامدة ، والحاكمُ عليها مَلِك الأندلُس من القُوط ، وكان مَلِك غُمَارة بها فى زمن الفتح يقال له يُلْيان؛ ولمـا زحف إليه موسىٰ بن نُصَير المذكور أميرُ أفريقِيَّةَ فى زمن الفتح جاء معه بالهَدَايا، وأذعن لأداء الجِزْية فأقرّه عليها، وٱستَرْهن ٱبنَه وأبناءَ قومه، وأنزل طارقَ بنَ زياد بطَنْجةَ بالعساكر إلىٰ أن أجاز البحرَ لفتح الأَنْدَلُس كما سيأتى فى الكلام علىٰ مكاتبة صاحب الأَنْدَلُس .

---

(١) تقدمت هذه الجملة بمعناها فاثباتها سهو .

ولما هلك يُلْيانُ آستولى المسلمون من العرب على مدينة سَبْتَةَ بالصُّلْح من أهلها فعمَرُوها إلى أن كانت فتنةُ مَيْسَرة الحفير وما دعا إليه من مذهب الخوارج وأخذ به الكثير من البربر من غمارة وغيرهم . فزحف برابرةُ طَنْجَة إلى سَبْتَةَ فأخرجوا العرب منها وخَرَّبوها ، وبقيت خاليةً إلى أن عَمَرها ماجكس من وجوه غمارة من البربر وبناها وأسلم وصَحِبَ أهلَ العلم ، فرجع الناسُ إليها ومات .

فقام بأمره من بعده آبنه (عصام) فأقام بها زمنا إلى أن مات .

فولى بعده آبنه (مجير) فأقام بها إلى أن مات .

فَوليها أخوه (الرِّضىّ) ويقال آبنه ، وكانوا يُعْطُون الطاعة لبنى إدريسَ من العَلَويَّة ملوك فاس ؛ ولما سَمَا الناصر الأُمَوىّ صاحبُ الأَنْدَلُس إلى مُلْك المغرب وتناولَ أكثره من يد الأدارِسَة ببلاد غُمَارَة وغيرها حين أُخْرِجوا من فاس وقاموا بدعوة الناصر فى جميع أعمالهم ، نزلوا للناصر عن سَبْتَةَ ، فبعث إليها العساكرَ فانتزعها من يد الرِّضِىِّ بنِ عصام سنة تسعَ عشرةَ وثلثمائة ، وآنقرض أمر بنى عصام وصارت سَبْتَةُ للناصر ومَنْ بعدَه من بنى أُمَيَّة خُلفاءِ الأَنْدَلُس . وكان علىّ والقاسم آبنا حَمُّود بن ميمون ، بن أحمد ، بن علىّ ، بن عبيد الله ، بن عمر ، بن إدريس العَلَوىّ قد لحقا بالأَنْدَلُس لما أخرج المستنصرُ الأموىُّ الأدارسةَ من المغرب ، وبَقِيَا بالأَنْدَلُس إلى أن كانت أيامُ المستعين سليمانَ بن الحكم فآختَصَّ بقاسم وعلىّ آبنَىْ حَمُّود ، وعَقَد لعلىِّ بن حَمُّود على طنجة وأعمال غُمَارة فنزلها ، ثم خرج عن طاعته ودعا لنفسه ، وعاد إلى الأندلس وولِىَ الخلافة بقُرْطُبة كما سيأتى فى مكاتبة صاحب الأندلس ، وولَّى على عمله بطَنْجةَ آبنَه يحيىٰ بنَ علىّ .

ثم أجاز يحيىٰ بعد موت أبيه إلى الأندلس وآستقلَّ أخوه إدريس بن علىّ بولاية طَنْجةَ وسائر أعمال أبيه من مواطن غُمَارَة .

ثم أجاز إلىٰ الأندلس بعـد مَهْلَكِ أخيه يحيىٰ ، وعقد لحَسَنٍ آبنِ أخيه يحيىٰ علىٰ عملهم بسَبْتَةَ وطَنْجة وأرسل معه نجا الخادمَ لتدبير دولته .

ثم أجاز (نجا) الخادمُ إلىٰ الأَنْدَلُس ومعه حَسَن بن يحيىٰ المذكور ؛ ثم عقد حسنٌ لنجا الخادم علىٰ عملهم فى بلاد غُمَارَة .

فلما هلك حَسَن بالأندلس ، أجاز (نَجَا) إلىٰ الأَنْدَلُس وآستخلف علىٰ العمل مَنْ وَثِق به من المَوَالى الصَّقالبة ، وآستمرت فى المَوَالى واحدًا بعد آخَرَ إلىٰ أن آستقلَّ بسَبْتَةَ وطَنْجةَ من موالى بنى حَمُّود الحـاجبُ (سَكُّوت البرغوطى) فاسـتقلَّ بسَبْتَةَ وطَنْجةَ وأطاعته قبائل غُمَارة ، وآتّصلت أيامُه إلىٰ أن كانت دولة المُرَابِطين ، وغلب أمير المسـلمين « يوسفُ بن تاشـفين » علىٰ مَغْراوة بفاس ، وسار إلىٰ بلاد غُمَـارة ونازل سَكُّوت الحاجب ، وكانت بينهما واقعة قُتِل فيها سكوت ؛ ولحق ضياء الدولة آبن سكوت بسَبْتَةَ فأقام بها إلىٰ أن نازله المُعِزُّ بن يوسف بن تاشفين بها فقبض عليه ثم قتله ؛ وآنقرضت دولة بنى حَمُّود من بلاد غُمَارة وصارت فى مِلْك المرابطين إلىٰ أن فتح بنو عبد المؤمن من الموحِّدين مَرَّاكُش ، فدخل أهلُ سبتةَ وسائر غُمَارَة فى طاعتهم ؛ وأقامت علىٰ ذلك إلىٰ أن ضَعُفت دولةُ بنى عبد المؤمن : ثار فى غُمَارة محمد بن محمد اللِّثامىُّ المعروفُ بأبى الطواجن ، وكان له يدٌ فى السِّيمياء ، وآرتحـل إلىٰ سَبْتَةَ فنزل عليها وآدّعى النبوّة وأظهر أنواعا من السـيمياء فاتَّبعـه جماعةٌ ؛ ثم ظهر لهم حقيقـةُ أمره فرجَعُوا عنه ، وقتله بعض البَرْبَرغِيلةَّ ، إلىٰ أن كانت أيامُ بنى مَرِينٍ وغَلَبِهِـم علىٰ بلاد المغرب فامتنعت عليهـم سَبْتَةُ ، وقام بأمرها الفقيـهُ أبو القاسم العزفى من مَشْيَختها فبقيت بيـده ويد بَنِيه إلىٰ أن ملكها منهم بنو مَرِينٍ سـنةَ تسع وعشرين وسـبعمائة فى أيام السلطان أبى الحسن ، فصارت تابعـةً لفاس دار مُلْك بنى مرين جاريةً فى يد ملوكها ، وهى باقيةٌ بأيديهم إلىٰ زماننا بعد العَشْر والثمـانمـائة .

القـاعدة الثالثــــة

(مدينة مَرَّاكُش)

بفتح الميم وتشديد الراء المهملة وفتحها وألف ساكنة ثم كاف ثم شين معجمة . وهى مدينة واقعة فى أوّل الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة قال آبن سـعيد : حيث الطولُ إحدىٰ عشرةَ درجةً ، والعرض تسـع وعشرون درجةً . بناها أمير المسلمين « يوسفُ بن تاشفين » مَلِكُ المُرابِطِين فى أرض صَحْراوِيَّة ، وجلَب إليها الميـاهَ . قال آبن سعيد : وأوّل ما بُنِىَ بها القصرُ المعروف (بقصر الحَجَر) ثم بنىٰ الناسُ حوله ؛ ثم زادها يعقوبُ بن عبـد المؤمن ، وكَبَّرها ومَصَّرها ، وفَخَّمها وضَخَّمها ؛ وجلب إليها المِياهَ والغِراس . قال فى "تقويم البُلْدان" : ودَوْرها سبعةُ أميال ، ولها سبعةَ عشَرَ بابا . قال فى "الروض المِعْطار" : وبنىٰ سُورَها علىٌّ بن يوسف بن تاشفين فى سنة ستٍّ وعشرين وخمسمائة ، وقيــل سـنة أربعَ عشرةَ وخمسمائة . قال : وطولهــا مائة وعشرون ميــلًا ، وعرضها قريبٌ من ذلك ؛ وهى فى وطاَءة من الأرض ليس حَوْلَهــا جبال إلا جبــل صغير منــه قُطِع الحجر الذى بَنىٰ منــه علىٌّ بن يوسف بن تاشفين قصْرَه ؛ وعامّةُ بنائها بالطين والطوب .

قال آبن سعيد : وهى ممــا سكَنْتُ بها وعرفتها ظاهرًا وباطنًا ، ولا أرىٰ عبارة تَفِى بمــا تحتوى عليه ، ويكفى أن كلَّ قصر من قُصُورها مســتقلٌّ بالديار والبساتينِ والحَمّــام والإصْــطَبْلات والميــاه ، وغير ذلك حتّى إن الرئيس منهــم يُغْلِق بابَهُ علىٰ جميع خَوَلِهِ وأقاربه وما يحتــاجُ إليه ، ولا يخرُج من بابه إلىٰ خارج داره لحــاجة يحتاجها ، ولا يشــترى شيئا من السوق لمأْكَل ، ولا يُقرِئُ أولاده فى مَكْتَب ، ويخرُج من بابه راكبا فلا تقع عليه العين راجلا . قال : ولا أدرى كيف أَصِلُ إلىٰ

غاية من الوصف اصِفُ بها ترتيبَ هذه المدينـــة المُحْدَثة ؟ فإنها من عجائب هِمَّات السلاطين ، ذاتُ أسوار ضَخْمة وأبواب عاليةٍ .

و بظاهرها مدينة آختطها المنصور "يعقوبُ بنِ عبدالمؤمن" له ولخواصِّه تعرف بتامرّاكش ، و بها قصر الخلافة الذى بناه به دورٌ عظيمة ؛ و بها بستانٌ يعرف بالبحيرة طوله آثنا عَشَرَ ميـلا ، به بركة عظيمة لم يُعْمَلْ مثلُها قال العقيلىّ : طولهـا ثلثمائة وثمـانون باعا ، علىٰ جانبها الواحد أربعُمائة شجرة نارَنْج ، بين كل آثنتين منها لَيْمونة أو رَيْحـانة . وهى أكثر بلاد الغرب بسـاتينَ ، وشجرها أكثَرُ منها ، وبسـاتينُها تسـقىٰ بالبئار و بئارها قريبـة الرشاء علىٰ نحو قامتين من وجه الأرض ؛ وهى كثيرة الزَّرْع والضَّرْع ؛ وبهـا دارُ الضيافة المعروفةُ بدار الكرامة . وفيهـا يقول محمـد بن محمد البربرىّ من أبيات يمدحهم و يصفها :

خيرُقومٍ دُعُوا إلىٰخيرِدَارٍ * هى للمُلْك نَضْرةٌ وكَرامــه

عالَمُ السبْعةِ الأقاليمِ فيهـا ، * وهُـمُ فى فِنائهـا كالقُلَامه

وبمَرّاكُش جامعٌ جليلٌ يُعْرف بالكُتْبيِّين ، طوله مائةٌ وعشرة أذرع ، وعلىٰ بابه ساعاتٌ مرتفعة فى الهـواء خمسين ذراعا ، كانــ يُرمىٰ فيها عند آنقضاء كلِّ ساعة صَــنْجةٌ زِنَتُها مائة درهم ، تَتَحرّك لنزولهـا أجراسٌ تُسْمَع علىٰ بُعْــد ، تسمّى عندهم بالبَجّانة . قال فى "تقويم البُلْدان" : إلا أنَّ الناس أكثَرُوا فيهـا البساتين فكَثُرَ وَخَمُها . قال فى "الروض المِعْطار" : وقد هَجَـاها أبو القاسم بنُ أبى عبد الله محمد آبن أيوب بن نُوحٍ الغافقىّ من أهل بلَنْسِيَة بأبيات أبلغَ فى ذَمِّها ، فقال :

مَرّاكُشٌ إن سألْتَ عنها ، * فإنّهـا فى البِـلَاد عَارُ!

هَوَاؤُها فى الشّـتاء ثَلْجٌ ، * وحَرُّها فى المَصيف نارُ!

وكلُّ ما ثَمَّ وهو خَيْرٌ * من أهلها عَقْرَبٌ وفَارُ!

فَإنْ أكُنْ قد مَكَثْتُ فيها، * فإنَّ مُكْثِي بِهَا ٱضْطِرارُ!

وكانتْ هذه المدينةُ دارَ مُلْكِ المرابِطين من المُلَثَّمين الذين مَلَكوا بعد بَنِي زِيرِى، ثم المُوَحِّدين من بعدهم . قال ٱبن سعيد : وبينها وبينَ فاس عشرةُ أيام . وقال في "الروض المعطار" : نحوُ ثمانيةِ أيام . قال : وبينها وبين جبال دَرَن نحوُ عشرين ميلا .

القاعدة الرابعة

(سِجِلْماسَةُ)

بكسر السين المهملة وكسر الجيم وسكون اللام وفتح الميم ثم ألف وسين مهملة مفتوحة وهاء في الآخر، وهي مدينة في جنوب الغرب الأقصىٰ في آخر الإقليم الثاني من الأقاليم السبعة . قال ٱبن سعيد : حيث الطول ثلاث عشرة درجة وٱثنتان وعشرون دقيقة والعرض ست وعشرون درجة وأربع وعشرون دقيقة .

وهي مدينة عظيمةٌ إسلاميَّة، وبينها وبين البحر الرُّومىّ خمس عشرةَ مرحلةً، وليس قِبْلِيَّها ولا غَرْبِيَّها عُمْرانٌ، وبينها وبين غانَةَ من بلاد السُّودان مسيرةُ شهرين في رِمَال وجبال قليلةِ المِياه، لا يدخُلُها إلا الإبلُ المصبرة علىٰ العَطَش . ٱختطَّها يزيدُ بنُ الأسود(١) من مَوَالى العرب، وقيل : مِدْرارُ بن عبد الله . وكان من أهل الحديث، يقال إنه لقِىَ عِكْرِمَةَ مولىٰ ٱبن عباس بأفْرِيقيَّةَ وسمع منه . وكان صاحبَ ماشية، وكان ينتَجِع موضِعَ سِجِلْماسَةَ بالصَّحراء ليَرْعىٰ به ماشيتَه، فكان يجتمع إليه أهلُ تلك الصحراءِ من مِكْناسَةَ والبَرْبر، وكانوا يدينون بدين الصُّفْرية من الخَوَارج،

(١) كذا في الأصل وفي" العبر ج ٦ ص ١٣٠ " عيسى بن يزيد الاسود .

فاجتمع عليــه جماعة منهم فلمــا بلغوا أربعين رجلا قدّموا عليهــم يزيدَ بن الأسود وخلعوا طاعة الخُلَفاء ، وٱختطُّوا هــذه المدينةَ ســنة أربعين ومائةٍ من الهجرة . ولها ٱثنا عشَرَ بابا ، وهى كثيرةُ العمارة ، كثيرة البساتين ، رائقة البِقاع ، ذاتُ قُصور ومنــازلَ رفيعة وعماراتٍ متصــلة ، علىٰ نهر كثير المــاء يأتى من جهة المَشْرِق من الصحراء ، يزيد فى الصيف كزيادة النِّيل ، ويُزْرَع علىٰ مائه كما يُزْرَع علىٰ ماء النيل ، والزَّرْع عليه كثير الإصابةِ ، والمطرُ عندهم قليل : فإذا كانت السنةُ كثيرةَ الأمطار ، نبت لهم ما حصَدوه فى العام السابقِ من غير بَذْر ، وربمــا حَصَدُوه عنــد تنــاهيه وتركوا أصوله فتنبُتُ ثانيا . ويقال : يُزْرَع بهــا عاما ويُحْصَد ثلاثةَ أعوام ؛ وذلك أن أرضها مشقّقة ؛ وهى بَلْدة شديدة الحرّ فإذا يَبِس الزرعُ تناثَرَ عند الحَصَاد ودخل فى الشُّقُوق ؛ فإذا كان العامُ الثــانى وعلاه ماءُ النهر وخرج عنه حرثوه بلا بَذْر فينبُت مافى الشُّقوق ، ويبقىٰ كذلك ثلاث سنين .

وقد حكى ٱبن سعيد : أن هذا الزرع فى السنة الأُولىٰ يكون قمحا ، وفى باقى السنين سُلْتًا . وهو حبٌّ بين القمح والشعير . وبها الرُّطَب ، والتمر ، والعنَب الكثير ، والفوا كه الجَمَّة ؛ وليس فيهــا ذِئاب ولا كِلاب لأنهم يسَمِّنونها ويأ كُلُونها ؛ وقلَّما يُوجَد فيها صحيحُ العينين ، ولا يوجَدُ بها مجذومٌ ؛ ولها ثمانيةُ أبواب من أىّ باب منها خرجت ترىٰ النهرَ والنخيل وغير ذلك من الشجر ، وعليها وعلىٰ جميع بَساتينها حائطٌ يمنع غارة العرب مِساحتُه أربعون ميلا ؛ وتمرها يفْضُل تمر سائرِ بلاد المغرب ، حتّى يُقال : إنه يضاهى التَّمر العراقىّ ؛ وأهلها مياسيرُ ؛ ولهــا مَتَاجرُ إلىٰ بلاد السُّودان ، يخرجون إليها بالمِلْح والنُّحاس والوَدَع ، ويرجعون منها بالذهب التِّبر . قال ٱبن سعيد : رأيت صكا لأحدهم على آخَر مبلغه أربعون ألف دينار .

ولَمَّا قدِموا عليهم عيسٰى بنَ الأسود المقدّم ذكره ، أقام عليهم أياما ثم قتلوه سنةَ خمس وخمسين ومائة ، وٱجتمعوا بعده علىٰ كبيرهم (أبي القاسم سَمْكو) ، بن واسول ٱبن مصلان ، بن أبي يزول ، بن تافرسين ، بن فراديس ، بن ونيف ، بن مكناس ، ٱبن ورصطف ، بن يحيى ، بن تمصيت ، بن ضريس ، بن رجيك ، بن مادغش ، ٱبن بربر . كان أبوه سَمْكُو من أهل العلم ٱرتحل إلىٰ المدينة النبوية (على ساكنها أفضل الصلاة والسلام والتحية والاكرام) فأدرك التابعين ، وأخذ عن عكرمة مولىٰ ٱبن عباس ، ومات فجأة سنة سبع وستين ومائة لثنتَيْ عشرةَ سنةً من ولايته .

وكان مع ذلك علىٰ مذهب الصُّفْرية ، وخطب فى عَمَله للنصور والمهدىّ من خلفاء بنى العباس .

ولما مات وَلِيَ مكانَهُ ٱبنُه (إلياسُ بنُ أبى القاسم) [وكان يُدْعىٰ بالوزير ثم انتقضوا عليه] (١) سنة أربع وسبعين ومائة [فخلَعُوه] (١) .

ووَلِي مكانَهُ أخُوه (اليَسَعُ بن أبى القاسم) وكنيته أبو منصور ، فبنىٰ سُورَ سِجِلْماسةَ ، وشيَّد بُنْيانها ، وٱختطّ بها المصانِع والقُصور لأربع وثلاثين سنة من وِلَايته . وعلىٰ عهده ٱستفحل مُلْكُهم بسِجِلْماسةَ ، وسكَنها آخِرَ المائة الثانية بعد أن كان يسْكُن الصَّحْراءَ وهلك سنةَ ثمانٍ ومائتين .

ووَلِيَ بعده ٱبنُه (مِدْرَار) ولُقِّب المنتصِرَ وطال أمَدُ ولايته . وكان له ولدان ٱسم كل منهما ميمونٌ ، فوقع الحرب بينهما ثلاثَ سنين ، ثم كان آخِرُ أمرِهما أن غَلَب أحدُهما أخاه وأخرجه من سِجِلْماسةَ ، ثم خلع أباه وٱستقلّ بالأمر ، وساءت سِيرَتُه فى الرعِيَّة فخلَعُوه ، وأعادوا مِدْرارا أباه .

(١) الزيادة من "العبر" ج ٦ ص ١٣٠ ليستقيم الكلام .

ثم حدّث نفســه بإعادة ٱبنه ميمونٍ المخلوع فخلَعُوه وولَّوْا ٱبنه (ميمونا) الآخَرَ، وكان يعرف بالأمير، ومات مدرارٌ إثْرَ ذلك سنة ثلاث وخمسين ومائتين . [ومات ميمونٌ سنةَ ثلاث وستين ومائتين](١) .

ووَلِيَ مكانه ٱبنُه (محمد) فبقِيَ إلىٰ أن تُوُفِّيَ سنة سبعين ومائتين .

فولِي مكانَهُ (اليَسَع) بن المنتصر . وفى أيامه وفَدَ عبيدُ الله المهدىُّ الفاطمىُّ وٱبنه أبو القاسم علىٰ سِجِلْماسةَ فى خلافة المعتَضِد العباسىّ ، وكان اليَسَعُ علىٰ طاعته فبعث المعتضدُ إليه فقبض عليهما وٱعتقَلَهما إلىٰ أن غلب أبو عَبْدالله الشّيعى داعِى المهدىّ بَنِى الأغلبِ أصحابَ أفرِيقيَّةَ، فقصد سِجِلْماسةَ فخرج إليــه اليَسَعُ فى قومه مكْناسةَ، فهزمه أبو عبدِ اللهِ الشيعى وٱقتحم عليه البلَدَ ، وقتله ســنةَ ستٍّ وتسعين ومائتين ، وٱستخرج عُبيدَ الله وٱبنه من محْبِسهما ، وبايع (لعُبَيْدِ الله المهدىّ) .

وولّى المهدىُّ علىٰ سِجِلْماسةَ (إبراهيمَ بن غالب المَزاتى) وٱنصرف إلىٰ أفرِيقِيَّة ؛ ثم ٱنتقض أهل سِجِلْماسةَ علىٰ واليهم إبراهيمَ ومن معه من مكْناسة سنة ثمان وتسعين ومائتين .

وبايعوا (الفَتْح بن ميمونٍ) الأميرِ ٱبنِ مِدْرار المتقدّم ذكره ، ولقبــه واسول ، وهلك قريبا من وِلَايته علىٰ رأس المــائة الثالثة .

وولى مكانه أخوه (أحمدُ بن مَيْمون) الأميرِ ، وٱســتقام أمرُه إلى أن زحف مصالة بن حيوس فى جموع كُتَامةَ ومِكْناسةَ إلى المغرب ســنة تسع وثلثمائة ، فافتتح سِجِلْماسةَ وقبض على صاحبها أحمدَ بنِ ميمون .

وولّى عليها ٱبنَ عمه (المعــتَزَّ بنَ محمد)(٢) بن يادن بن مِدْرار، فلم يلبَثْ أنِ ٱستبدَّ وتلقب المعتزّ، وبقِيَ حتى مات سنةَ إحدىٰ وعشرين وثلثمائة قبل موتِ المَهْدِىّ .

(١) التتميم من "العبر" ج ٦ ص ١٣١ ليستقيم الكلام .
(٢) فى العبر ج ٦ ص ١٣١ "ساور" .

ووَلِيَ من بعده ٱبنُه أبو المنتصر (محمدُ بنُ المعتزّ) فأقام عشرا ثم هلك .

ووَلِيَ من بعده ٱبنه (المنتصر سَمْكو) شهرين، ودَبَّرَتْه جدَّته لصغره .

ثم ثار عليه ٱبنُ عمه (محمدُ بن الفَتْح) بن ميمونٍ الأميرِ وتغلَّب عليه، وشُغِل عنه بَنُو عبيد الله المهدىّ بفتنة ٱبن أبى العافية وغيرها، فدعا لنفسه مموّها بالدعاء لبنى العَبَّاس وتلقَّبَ الشاكر لله ، وأخذ بمذاهب أهلِ السُّنَّة ورَفَض الخارجيةَ ؛ وكان جميعُ مَنْ تقدّم من سَلَفه علىٰ رأى الأَبَاضِيَّةِ والصُّفْرية من الخوارج ، وضرب السِّكَّةَ بٱسمه ولقبه ؛ وبقى كذلك حتى فَرَغ بنو عُبيد الله من الفتن ، فزحف القائد جوهرٌ أيامَ المُعِزِّ لدين الله مَعَدّ إلىٰ المغرب سنةَ سبع وأربعين وثلثمائة ، فغلب علىٰ سِجِلْماسةَ وملكها وفرّ محمد بن الفتح عنها؛ ثم قَبَض عليه جوهر بعد ذلك وحمله إلىٰ القَيْرَوان . فلما ٱنتقض المغربُ علىٰ العُبَيْديِّين وفشَتْ فيه دعوةُ الأُمَوِيِّينَ بالأندلُس، ثار بسِجِلْماسةَ قائم من ولد الشاكر، وتلقَّبَ (المنتصر بالله) ثم وثب عليه أخوه (أبو محمد) سنة ٱثنتين وخمسين فقتله وقام بالأمر مكانَهُ، وتلقب (المعتزّ بالله) وأقام علىٰ ذلك مدّة ، وأمْرُ مِكْناسةَ يومئذ قد تداعىٰ إلىٰ الٱنحلال ، وأمْرُ زَناتةَ قد ٱستفحل بالمَغْرب إلىٰ أن زحف خَزْرون بن فَلْفول من ملوك مَغْراوة إلىٰ سِجِلْماسة سنة ستٍّ وستين وثلثمائة، وبَرَز إليه أبو محمد المعتزُّ فهزمه خَزْرون وقتله وٱستَوْلىٰ علىٰ بلده، وبعث برأسه إلىٰ قُرْطُبَةَ مع كتابه بالفتح؛ وكان ذلك لأوّلِ حِجَابة المنصُورِ ٱبن أبى عامر بقُرْطبةَ؛ فعقَد لخَزْرُون علىٰ سِجِلْماسة، فأقام دعوةَ هشامٍ فى نواحيها؛ فكانتْ أوّلَ دعوة أُقيمتْ لهم فى أمصار المغرِب الأقْصىٰ ، وٱنقرض أمر مِكْناسةَ من المغرب أجمعَ .

وٱنتقلتِ الدَّولةُ إلىٰ مَغْراوة وبَنِى يَفرن وعقَد هشام (لخَزْرُون) علىٰ سِجِلْماسةَ وأعمالها، وجاءه عهدُ الخليفة بذلك، وضبطها وقام بأمرها إلىٰ أن هلك .

فولى أمرَ سجلماسةَ من بعـده ٱبنُه (وانُّودين بن خَزْرون) إلىٰ أن غلب زيرِى ٱبن مَيَّاد علىٰ المغرب، فعقد علىٰ سِجِلْماسة (لحميد بن فضل) المِكْناسى، وفرّ وانُّودين ٱبن خزرون عنها، ثم أعاده عبدُ الملك إلىٰ سجلماسةَ بعد ذلك علىٰ قَطِيعة يؤدِّيها اليه؛ ثم ٱستقلَّ بها من أوّل سـنة تسعين وثلثمائة مقيما للدعوة الأُمَويَّة بالأَنْدَلُس، ورجع المُعِزُّ بن زيرى بوِلاية المغرب عن المظَفَّر بن أبىعامر،وٱستثنىٰ عليه وِلايةَ سِجِلْماسةَ لكونها بيد وانُّودين؛ وٱستفحل مُلْك وانُّودين، وٱستضاف إلىٰ سجلمـاسةَ بعضَ أعمال المغرب ومات .

فقام بالأمر من بعده ٱبنه (مسعود بن وانُّودين) إلىٰ أن خرج (عبدُالله بن ياسين) شيخُ المرابِطين، فقتل ابنَ وانُّودين سنةَ خمس وأربعين وأربعمائة؛ ثم ملك سِجِلْماسةَ بعد ذلك سنةَ ست وأربعين، ودخلَتْ فى ملك المرابطين لأوّل أمرهم، وٱنقرضت دولة بنى خَزْرون منها، وتداولها مَنْ بعدهم من ملوك الموحِّدين، ثم مُلُوك بنى مَرِين علىٰ ما سيأتى ذكره فى الكلام علىٰ ملوك الغرب الأقصىٰ إن شاء الله تعالىٰ .

*
* *

وأما ما ٱشتملت عليه هذه المملكة من المُدُن المشهورة .

فمنها مدينة (آسِفِى)[1] بفتح الهمزة ومدّها وكسر السين المهملة والفاء وياء مثناة تحت فى آخرها . وهى مدينة واقعة فى الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة قال ٱبن سعيد : حيثُ الطولُ سبعُ درج، والعرضُ ثلاثون درجة . قال فى "تقويم البُلْدان" : وهى من عمل دَكَّالةَ، وهى كُورة عظيمة من أعمال مَرَّاكُش، قال ٱبن سـعيد : وهى علىٰ جَوْن من البحر داخلٍ فى البرّ، فى مستوٍ من الأرض . وهى فُرْضة مَرَّاكُش، وبينها وبين مَرَّاكُش أربعةُ أيام؛ وأرضها كثيرة الحجر، وليس بها ماءٌ إلا من

(١) ضبطها ياقوت فقال : بفتحتين وكسر الفاء .

المطر، وماؤها النَّبْع غير عَذْب، وبساتينها تُسْقىٰ علىٰ الدَّواليب، وكُرُومها علىٰ باب البلد. قال الشيخ عبد الواحد: وهى تُشْبِه حماةَ ودُونَها فى القَدْر، ولكن ليس لها نهر يَجْرى.

ومنها (سَلاَ) بفتح السين واللام وفى آخرها ألف؛ وهى مدينة من الغرب الأقصىٰ فى آخر الإقليم الثالث قال آبن سعيد: حيثُ الطول سبعُ درج وعشرُ دقائق [والعَرْض ثلاث وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة](١) وهى مدينة قديمة فى غربيّها البحر المحيط وفى جنوبيِّها نَهَر عظيم يَصُبُّ فى البحر المحيط والبساتينُ والكُرُومُ. وبنىٰ «عبدُ المؤمن» أمامها من الشَّطِّ الجنوبىّ علىٰ النهر والبحر المحيط قصرا عظيما، وبنىٰ خاصَّتُه حوله المنازلَ فصارت مدينة عظيمة سماها المَهْدِيَّة. وسَلاَ متوسِّطة بين بلاد المغرب الأقصىٰ قريبةٌ من الأندَلُس؛ وهى مدينة كثيرة الرَّخاء، ولها مُعامَلة كبيرة يقال لها تامْسَنَّا(٢)، كثيرةُ الزَّرْع والمَرْعىٰ، وفيها مُدُن كثيرة.

ومنها (لَمْطة) بفتح اللام وسكون الميم وفتح الطاء المهملة. وهى مدينة من الغرب الأقصىٰ واقعةٌ فى آخر الإقليم الثانى قال بعضهم: حيث الطول سبعُ دَرَج وثلاثون دقيقة، والعرضُ سبعٌ وعشرون درجةً؛ علىٰ ثلاث مراحلَ من البحر المحيط؛ ولها نَهَر كبير ينزل من جبل فى شرقيها علىٰ مرحلتين منها، يجرى علىٰ جَنُوبِيِّها غرباً بمَيْلة إلىٰ الشَّمال حتّىٰ يصبَّ فى البحر المحيط.

ومنها (السُّوس) بضم السين المهملة وسكون الواو ثم سين ثانيةٍ. وهى مدينة من أقصىٰ المغرب فى الإقليم الثانى قال آبن سعيد: حيثُ الطولُ ثمانُ درج والعرض

---

(١) الزيادة عن "التقويم" نقلا عن آبن سعيد.

(٢) فى ياقوت "تامست" بتاء مثناة من فوق فى آخرها.

ستٌّ وعشرون درجة وعشرون دقيقــة ؛ وهى علىٰ طَرَف من البر داخلٍ فى البحر أربعين ميلا، وفى جانبها الشَّمالى نهر يأتى من الشرق من جبل لَمْطةَ .

ومنها (قَصْر عبد الكريم) وضبطه معروف . وهى مدينــة من الغرب الأقصىٰ فى أوائل الإقليم الرابع قال ٱبن سعيد : حيثُ الطول ثمــانُ دَرَج وثلاثون دقيقة ، والعرضُ أربع وثلاثون درجة وأربعون دقيقــة . وهى مدينــة علىٰ نهر من جهتها الشَّمَالية ، وهو نهر كبير تَصْـعَد فيه المراكبُ من البحر المحيط ، وجانبـاه محفوفان بالبساتين والكُرُوم . وكان قاعدةُ تلك الناحية قبلها مدينةٌ ٱسمها (البَصْرة) يسكُنها الأدارسة ؛ فلمــا عُمِرت هذه المدينة صارت هى القاعدة .

ومنها (طَنْجةُ) بفتح الطاء المهملة وسكون النون وفتح الجيم ثم هاء فى الآخر . وهى مدينة من أقاصى المغرب واقعةٌ فى الإقليم الرابع قال ٱبن سعيد : حيثُ الطول ثمــان درج وإحدىٰ وثلاثون دقيقة ، والعرضُ خمس وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة . وهى مدينة علىٰ بحر الزُّقَاق ، وٱتساعُ البحر عندها ثُلُث مَجْرًى ، فإذا شَرَّق عنها ٱتَّسع عن ذلك . وهى مدينة أَزَلِيَّة، وٱستحْدَث أهلها لهم مدينةً علىٰ ميل منها علىٰ ظهر جبل ليمتنِعُوا بها، والماء ينساق إليها فى قُنِيّ . قال فى "مسالك الأبصار" : وكانت دار مُلْك قديم . وهى التى كانت قاعدةَ تلك الجهات قبل الإسلام إلىٰ حين فتح الأَنْدَلُس؛ وهى مَحَطُّ السُّفُن ؛ وهى كثيرة الفَوَاكه ، لاسيما العنبُ والكُمَّثْرىٰ؛ وأهلها مشهورون بقلة العقل وضَعْف الرأى ، علىٰ أن منهــا أبو الحسن الصِّنْهاجىّ الطَّنْجىّ، تَرْجم له فى قلائد العِقْيان وأثنىٰ عليه ، وأنشد له أبياتا منها :

وقد تَحْمِى الدُّرُوعُ من العَوَالِى، * ولا تَحْمِى من الحَدَقِ الدُّرُوع!

وكذلك أبو عبد الله بن محمد بن أحمد الحَضْرمِىّ القائل :

وضَنُّوا بتَوْديعٍ، وجادُوا بتَرْكه؛ * ورُبَّ دواء مات منـه عَليلُ!

ومنها (دَرْعة) بفتح الدال وسكون الراء وفتح العين المهملات وهاء فى الآخر. وهى مدينة من جنوبىّ المغرب الأقصىٰ واقعةٌ فى الإقليم الثانى. نقل فى "تقويم البُلْدان" عن بعضهم أنَّ طولَها إحدىٰ عشرةَ درجة وستّ دقائق، وعرضَها خمس وعشرون درجة وعشرُ دقائق. قال فى "نزهة المشتاق": وهى قُرًى متصلة، وعمـاراتٌ متقارِبة، وليست بمدينـةٍ يَحُوطُ بها سُور ولا حَفِير. ولهـا نهر مشهور فى غربيها ينزل من رَبْوة حمراءَ عند جبل دَرَن، وتنْبُتُ عليه الحِنَّاء، ويغوص ما يَفْضُل منه بعد السَّقْى فى صحارىٰ تلك البلاد.

ومنها (أغْماتُ) قال فى "اللباب": بفتح الألف وسكون الغين المعجمة وفتح الميم وألف وتاء مثناة من فوق فى آخرها. وهى مدينـة من الغَرْب الأقصىٰ، واقعة فى الإقليم الثالث. قال فى "تقويم البُلْدان": والقياس أن طولهـا إحدىٰ عشرة درجةً وثلاثون دقيقة، والعرض ثمانٌ وعشرون درجة وخمسون دقيقة. وهى مدينة قديمـةٌ فى الجَنُوب بمَيْلة إلىٰ الشرق عن مَرَّاكُش، فى مكان أفْيَحَ طيِّب التُّرْبة، كثير النبـات والعُشْب، والمياهُ تخترِقه يمينا وشِمـالا. قال آبن سعيد: وهى التى كانتْ قاعدةَ مُلْك أمير المسلمين «يوسفَ بن تاشـفين» قبل بنـاء مَرَّاكُش. قال الإدريسى: وحولها جنات مُحْدِقة، وبساتينُ وأشجار ملتفَّة؛ وهواؤها صحيح، وفيها نهر ليس بالكبير، يشُقُّ المدينة يأتيها من جنوبيِّهـا ويخرج من شَمَالِّيها؛ وربما جَمَد فى الشتاء حتّى يجتازَ عليه الأطفال.

ومنها (تَادِلَا) قال فى "تقويم البلدان" عن الشيخ عبد الواحد: بفتح المثناة من فوقُ ثم ألف ودال مهملة مكسورة ولام ألف. ثم قال: وفى خط آبن سعيد تادِلَةُ فى آخرها هاء، وهى مدينة بالمغرب الأقصىٰ فى جهة الجَنُوب فى الإقليم الثالث قال آبن سـعيد: حيث الطول آثنتا عَشْرةَ درجة، والعرضُ ثلاثون درجة. قال

ابن سعيد : وهى مدينةٌ بين جبالِ صِنْهاجةَ ، ويقال هى قاعدة صِنهاجة ؛ وغربيَّها جبل درن ممتدٌّ إلى البحر المحيط ، وهى بين مَرَّاكُش وبين أعمال فاس ، ولها عَمَل جليل ، وأهلها بَرْبَر يُعْرَفُون بجَرَاوة .

ومنها (أَزَمُّور) قال الشيخ شعيب : بفتح الهمزة والزاى المعجمة (١) وتشديد الميم ثم واو وراء مهملة فى الآخر . وهى مدينة على ميلين من البحر أكثر سُكّانها صِنْهاجةُ .

ومنها (المَزَمَّة) وهى فُرْضة بَبرِّ العُـدْوة تقابل فُرْضــة المُنَكَّب من بَرِّ الأندلُس من ساحل غَرْناطةَ . والمَزَمَّة فى الشرق عن سَبْتةَ بينهما مائتا مِيل .

ومنها (مدينة بَادِيس) وهى فُرْضة مشهورة من فُرَض غُمَارة فى الجنوب والشرق عن سَبْتةَ بينهما نحوُ مائة ميل . قال فى "تقويم البُلْدان" : وهى قياسا حيثُ الطول عشرُ درَج وثلاثون دقيقة ، والعرض أربع وثلاثون درجة وخمسٌ وعشرون دقيقة .

ومنها (أَوْدَغَسْتُ) قال الشيخ عبدالواحد : بفتح الهمزة وسكون الواو وفتح الدال المهملة والغين المعجمة (٢) وسكون السين المهملة وفى آخرها تاء مثناة فوق . وهى مدينة فى المغرب الأقصى فى الجنوب فى الصَّحْراء فى الإقليم الثانى قال فى "الأطوال" : حيث الطولُ ثمانُ درج وثمانُ دقائق . قال فى "القانون" : والعرض ستٌّ وعشرون درجة . قال : وهى فى بَرارِىِّ سُودان المغرب . قال فى "العزيزى" : وهى جنوبىّ سِجِلْماسةَ وبينهما ستٌّ وأربعون مرحلة فى رمال ومَفَاوِزَ على مياهٍ معروفة ؛ ولها أسواقٌ جليلة ؛ والسفن تصل إليها فى البحر المحيط من كل بلد ؛ وسُكّان هذه المدينة أخلاط من البربر المسلمين ، والرِّياسة فيها لِصِنْهاجةَ . قال فى "العزيزى" : ولأَوْدَغَسْتَ أعمال واسعة ؛ وهى شديدة الحرارة ، وأمطارُها فى الصيف ؛ ويزرعون

(١) ضبطها ياقوت فقال : ثلاث ضمات متواليات وتشديد الميم .
(٢) فى المعجم وفتح الذال المعجمة .

عليها الحنطةَ، والذُّرة، والدُّخن، واللُّوبيا، والكِرْسنَّة ؛ وبها النخلُ الكثيرُ وليس فيها فاكهة سوىٰ التين، وبها شجرُ الحجاز كلُّه : من السَّنْط والمُقْل وغيرهما .

قلت : وقد ذكر فى "مسالك الأبصار" عِدّةَ مُدُن غير هذه غير مشهورة يطول ذكرها .

الجملة الثالثة

(فى ذكر جبالها المشهورة . وهى عدّةُ جبال)

منها (جَبَلُ دَرَنٍ) بفتح الدال والراء المهملتين ونون فى الآخر. قال ٱبن سعيد : وهو جبل شاهقٌ مشهور لايزال عليه الثلْجُ، أوّله عند البحر المحيط الغربىّ فى أقصىٰ المغرب، وآخره من جهة الشَّرْق علىٰ ثلاثِ مَرَاحلَ من إسكندرية من الديار المِصْرية، ويسمّى طَرَفُه الشرقىُّ المذكور رأسَ أَوْثانٍ، فيكون ٱمتدادُه نحوَ خمسين درجة ؛ وفى غربيّه بلاد تينملك من قبائل البَرْبر، وشرقيها بلاد هَنْتاتةَ من البربر أيضا وشرقيها بلاد مشكورة منهم، وشرقيها بلاد المصامدة .

ومنها (جبل كزولةَ) وهى قبيلة من البربر . قال ٱبن سعيد : وٱبتداؤه من البحر المحيط الغربىّ ، ويمتدّ مشرِّقا إلىٰ حيثُ الطولُ اثنتا عشْرةَ درجة ، وموقعُه بين الإقليم الثانى والإقليم الثالث، وبه مدينة ٱسمها تاعجست .

ومنها (جبل غُمَارَةَ) . بضم الغين المعجمة وفتح الراء بعد الألف . وهى قبيلة من البربر أيضا؛ وهو جبل ببَرّ العُدْوة فيه من الأُمَم ما لا يُحْصيه إلا الله تعالىٰ؛ وهو رُكْن علىٰ البحر الرومىّ ، فإن بحر الزُّقَاق إذا جاوز سَبْتةَ إلىٰ الشَّرْق ٱنعطف جَنُوبا إلىٰ جبل غُمارةَ المذكورة، وهناك مدينة باديس المقدّم ذكرها .

ومنها (جبل مَدْيُونَةَ) بفتح الميم وسكون الدال المهملة وضم المثناة من تحت وواو ثم نون مفتوحة وهاء فى الآخر : وهو جبل ببَرِّ العُدْوة شرقىَّ مدينة فاس ، يمتدّ إلى الجنوب حتّى يتصل بجبال دَرَن، ومَدْيونةُ قبيلة من البربر واطنُون به .

ومنها (جبال مَدْغَرة) وهى شَرْقِىَّ مَدْيُونَةَ ، ومعظمُ أهلها كُومِيَةُ ـ بضم الكاف وكسر الميم وفتح المثناة تحتَ وهاء فى الآخر . وهى قبيلة من البربر، منها « عبدُ المؤمن » أحدُ أصحاب المهدىّ بن تُومَرْت .

ومنها (جبل يُسْر) بضم الياء المثناة تحتُ وسكون السين المهملة . وهو جبل شرقىَّ مَدْيُونَةَ أيضا منه يَنْبُع نهرُ يُسْر المذكور .

ومنها (جبل ونَشَريش) وهو جبل يتصل بجبل يُسْر من شرقيه ، وفيه تعمل البُسُط الفائقة ، ومنه يَنْبُع نهرُ سَلَف المشهور . قال ٱبن سعيد : وهو نهرٌ كبير يزيد عند نَقْص الأنهار كنيل مصر .

الجمـــــلة الرابعـــــة

(فى ذكر أنهارها المشهورة ، وهى عِدّة أنهار)

منها (نَهرُ السُّوس الأقصى) وهو نهر يأْتى من الجنوب والشرق من جبل يُعْرَف بجبل لَمْطةَ، ويجرى إلى الشمال، ويمّر على مدينة السُّوس من شَمَالِيِّها ، ويُزْرع على جانبيه قَصَب السكَّر والحِنَّاءُ وغيرُ ذلك كما يزرع فى مصر، ويجرى حتى يصُبَّ فى البحر المحيط الغربىّ .

ومنها (نَهرُ سِجِلْماسةَ) الآتى ذكرها[(١)] ، وهو نهر مَنْبعُه من جنوبىّ سِجِلْماسة بمسافة بعيدةٍ، ويمرُّ من شرقيها ويجرى حتّى يَصُبَّ فى نهر مَلْوِيَّة الآتى ذكره .

---

(١) صوابه كما فى القطعة الأزهرية المتقدم ذكرها فانها تقدمت فى القواعد .

ومنها (نهر مَلْوِيَّة) قال ٱبن سعيد : وهو نهر كبير مشهور فى المَغْرب الأقصىٰ، يَصُبُّ إليه نهر سِجِلْماسة ويصيران نهرا واحدا، يجرى حتّٰى يصب فى بحر الروم شرقىّ سَبْتة .

ومنها (نهر فاس) وهو نهر متوسِّط يشُقُّ مدينة فاسٍ كما تقدّم قال فى "تقويم البُلْدان" ومَخْرَجه علىٰ نصف يوم من فاس، يجرى فى مُرُوج وأزاهِر حتّٰى يدخُلَها .

المَقْصِد الثانى

(فى ذكر زروعها، وحبوبها، وفواكهها، وبقولها ورياحينها ومواشيها، ومعاملاتها، وصفات أهلها . وفيه خمس جمل)

الجملة الأولىٰ

(فى ذكر زروعها، وحُبوبها، وفواكهها، وبُقُولها، ورَيَاحينها)

أما زَرْعها فعلىٰ المَطَر كما تقدّم فى أفْرِيقيَّة .

وأما حبوبها، ففيها من أنواع الحبوب : القَمْح، والشعير، والفُول، والحِمَّص، والعَدَس، والدُّخْن، والسُّلْت وغير ذلك . أما الأَرُزُّ فإنه عندهم قليل، بعضُه يُزْرَع فى بعض الأماكن من بَرِّ العُدْوة، وأكثره مجلوبٌ إليهم من بلاد الفَرَنْج . علىٰ انهم لا نَهْمةَ لهم فى أكْله ولا عِنايَةَ به . وبها السِّمْسِم علىٰ قِلَّة، ولا يُعْتَصر منه بالمَغْرب شَيْرَج لاستغنائهم عنه بالزَّيْت حتّٰى مزورات[1] الضعفاء وكذلك يَعْمَلُون الحَلْوىٰ بالعسل والزَّيْت، وإنما يستَعْمَل الشَّيْرَجُ عندهم فى الأمور الطِّبِّيَّة .

وأما فواكهها، فبها أنواع الفواكه المستطابة اللذيذة المختلفة الأنواع : بين النخل، والعِنَب، والتِّين، والرُّمَّان، والزيتون، والسَّفَرْجل، والتُّفَّاح علىٰ أصناف؛

---

(١) كذا فى المسالك أيضا .

وكذلك الكُمَّثرىٰ ، وتسمّى عنـدهم الإنجاص كما بدِمَشْق ، وبها المِشْمِش والتين[1] ، والبَرْقُوق ، والقَرَاصيا ، والخَوْخ ؛ وغالب ذلك علىٰ عدّة أنواع ؛ والتُّوت علىٰ قلة ، والجَوْز ، واللَّوْز . ولا يُوجَد بهـا الفُسْتُق والبُنْدُق إلا مجلوبا . وبهـا الأُتْرُجُّ ، واللَّيْمون ، والليم ، والنـارَنْج ، والزُّنْبُوع ، وهو المسمّى بمصر والشام الكبّاد . وبهـا البِطِّيخ الأصـفر والأخضر واسمه عندهم الدلّاع كما فى سائر بلاد المغرب علىٰ قلة ، والموجود منه غير مستطاب . وبها الخِيَار ، والقِثّاء ، واللِّفْت ، والباذنجان ، والقَرْع ، والجَزَر ، واللُّوبيَا ، والـدُّرُنْب ، والشَّمار ، والصَّعْتر وسائر البقول . والمَوْز موجود بها فى بعض المواضع نادرًا ، والقُلْقاس لا يُزْرَع عندهم إلا للتفرُّج علىٰ عُروقه لا لأن يُؤْكَل ، وبها قصب السكر بجزائر بنى مَزْغَنّانَ وبسَـلَا كثير ، ويعصر ثم يُعْمَل منه القَنْـد ومن القند السُّكَّر علىٰ أنواع لاسيما بمَرّاكُش ، فإنه يقال إن بها أربعين مَعْصَرة للسُّكَّر ، وإنّ حِمْل حمار من القصب يُساوِى درهما من دراهمهم : وهو ثُلُث درهم من الدراهم المِصْرية ؛ ويعمل منه المكَرَّر الفائق ، ومع ذلك فليس لهم به اهتمام لاكتفائهم عنه بعسل النحل مع كثرته عندهم ، وميْلهم إليـه أكثر من السكّر ، حتّى يقال إنه لايستعمل السُّكَّر عندهم إلا الغُرباءُ أو المَرْضىٰ .

وأما رياحينها ، فبهـا الوَرْد ، والبَنَفْسَج ، والياسَمِين ، والآس ، والنَّرْجِس ، والسَّوْسن ، والبَهَار ، وغير ذلك .

الجملة الثـانيــة

(فى مواشيها ، ووحوشها ، وطيورها)

أما مواشيها ، ففيها من الدوابِّ الخيلُ ، والبِغال ، والحَمير ، والإبِلُ ، والبَقَر ، والغنم ؛ أما الجاموس فلا يُوجَد عندهم .

---

(١) مكرر من الناسخ .

وأما الطير، فيها منه الإوَزّ، والحَمَام، والدَّجَاج ونحوها؛ والكُرْكِيّ عندهم كثير على بُعْد الدار، وآسمه عندهم الغُرْنُوق، وهو صيدُ الملوك هُناك كما بمصر والشام .

وأما وحوشها، ففيها من أنواع الوحش الحُمُر، والبقر، والنَّعام، والغَزَال، والمَهَا وغير ذلك .

الجملــــة الثالثـــــة

(فيما نتعامل به من الدَّنانير، والدراهم، والأوزان، والمكاييل)

أما مثاقيلُ الذهب فأوزانُها لاتختلف، وأما الدراهم فذكر فى "مسالك الأبصار" عن السلايجى : أن مُعاملتها درهمان : دِرْهم كبير، ودرهم صغير؛ فالدِّرْهم الكبير قدر ثُلُثِ درهم من الدراهم النُّقْرة بمصر والشام، والدِّرهم الصغير على النِّصف من الدرهم الكبير يكون قدر سدس درهم نقرة بمصر والشام. وعند الإطلاق يُراد الدرهم الصغيرُ دُونَ الدرهم الكبير إلا بمَرَّاكُش وما جاورها، فانه يُراد بالدرهم عند الإطلاق الدرهمُ الكبير . قال : وكُلُّ مِثْقال ذهب عندهم يُساوِى ستين درهما كبارا، تكون بعشرين درهما من دراهم النُّقْرة بمصر .

وأما رِطْلها فعلى ما تقدّم من رِطْل أفرِيقِيَّةَ؛ وهى كُلُّ رِطْل ستَّ عشرة أُوقِيَّة، كل أُوقِيَّة أحدٌ وعشرون دِرْهما من دراهمها .

وأما كيلُها فأكثره الوَسْقُ (ويسمَّى الصَّحْفة) وهو ستُّون صاعا بالصاع النبوىِّ على السواء .

الجمـــلة الرابعـــة
(فى ذكر أسعارها)

قد ذكر فى " مسالك الأبصـار " عن السلايحى أيضا عن سِعْر زمانه المتوسِّط فى غالب الأوقات ، (وهى الدولةُ الناصرية محمد بن قلاوون وما قاربها) : أنّ سعر كل وَسْق من القمح أربعون دِرْهما من الدّراهم الصِّغار : وهو ثلاثةَ عشَر درهما وثلثُ درهم من نُقْرة مصر؛ والشعيرُ دُونَ ذلك . وكلُّ رِطْل لحمٍ بدِرْهمٍ واحدٍ من الدراهم الصِّغار، وكلُّ طائر من الدَّجاج بثلاثةِ دراهمَ من الصِّغار، وعلىٰ نحو ذلك .

الجملة الخامســـة
(فى صِـــفَات أهلها فى الجُمْـــلة)

قد تقدّم أن مُعظَم هــذه المملكة فى الإقليم الثـالث . قال آبن سعيد : والإقليم الثالث هو صاحبُ سَفْك الدماء ، والحسدِ ، والحِقْد ، والغِـلّ ، وما يتبع ذلك . ثم قال : وأنا اقول : إن الإقليم الثالثَ و إن كثُرت فيه الأحكام المِرِّيخيَّة علىٰ زعمهم، فإن للغرب الأقصىٰ من ذلك الحظَّ الوافرَ؛ لاسيَّما فى جهــة السُّوس وجبال دَرَن، فإن قتل الإنسان عنــدهم كذبح العُصْفور، قال وكَمْ قَتِيل قُتِل عندهم علىٰ كلمةٍ وهم بالقتل يفْتَخِرون . ثم قال : إن الغالب علىٰ أهل المغرب الأقصىٰ كثرة التنافُس المُفْرِط، والمحاقَقة، وقلة التغاضى، والتهوّر، والمفاتنةُ .

أماالبُخْل فإنما هو فى أراذلهم، بخلافِ الأغنياء، فإن فى كثير منهم السماحةَ المفرِطةَ والمفاخرةَ بإطعام الطعام والأعتناءَ بالمفْضول والفاضِل .

المقصد الثالث

(فى ذكر ملوكها، وما يندرج تحت ذلك : من آنتقال المُلْك من الموحّدين
إلىٰ بنى مَرِينٍ والتعريف بالسلطان أبى الحسن الذى أشار إليه
فى كلامه فى "التعريف". وهم علىٰ طبقات)

الطبقة الأولىٰ

(ملوكها قبل الإسلام)

قد تقدّم أن بلاد المغرب كلّها كانت مع البربر، ثم غلبهم الرُّوم الكَيْتَم عليها ثم آفتتحوا قَرْطاجَنَّة وملكوها، ووقع بين البربر والرُّوم فتنٌ كثيرة كان آخرها أن وَقَع الصلح بينهم علىٰ أن تكون البلادُ والمُدُن الساحليَّة للروم، والجبالُ والصحارىٰ للبربر، ثم زاحم الفَرَنْجُ الرومَ فى البلاد، وجاء الإسلام والمستولِى عليها من ملوك الفَرَنْجة جرجيس ملكهم، وكان مُلْكه متصلاً من طَرَابُلُس إلىٰ البحر المحيط، وكرسىُّ مُلْكه بمدينة سُبَيْطَلَة، ومن يده آنتزعها المسلمون عند الفَتْح .

الطبقة الثانية

(نواب الخلفاء من بَنى أُميَة وبنى العبَّاس)

كان كُرسِىّ المملكة بعد الفتح بأفْرِيقيَّة، وكان نوابُ الخلفاء يُقيمون بها وينزلون القَيْروانَ، وكانوا يُوَلُّون علىٰ ما فُتِح من بلاد المغرب مَنْ تحت أيديهم . فبَقِيَ الأمر علىٰ ذلك أيَّامَ عبدالله بن أبى سَرْح، الذى آفتتحها فى خلافة عُثْمانَ بن عَفَّان رضى الله عنه، ثم أيَّامَ معاويةَ بنِ صالح، ثم أيامَ عُقْبة بن نافع، ثم أيَّامَ أبى المُهاجِر، ثم أيَّامَ عُقبةَ بنِ نافع ثانيا، ثم أيام زُهَيْر بن قيس، ثم أيَّامَ حَسَّان بن النعمان، ثم أيامَ

موسىٰ بن نُصَيْر، ثم أيَّامَ محمد بن يَزِيدَ، ثم أيامَ إسماعيلَ بن عبدالله بن أبى المُهَاجِر، ثم أيامَ يزيدَ بنِ أبى مسلم ، ثم أيامَ بِشْر بن صَفْوانَ الكلبىّ ، ثم أيامَ عُبَيـد بن عبد الرحمن السُّلَمِىّ ، ثم أيامَ عبد الله بنِ الحَبْحاب ، ثم أيامَ كُلْثُوم بن عيـاض، ثم أيام حَنْظلةَ بن صَفْوانَ ، ثم أيامَ عبدِ الرحمن بن حبيب ، ثم أيَّامَ حَبيبِ بن عبدالرحمن، ثم أيامَ عبدالملك بن أبى الجَعْد، ثم أيامَ عبد الأعلىٰ بن السَّمْح المَعَافرى ، ثم أيامَ محمدِ بن الأشعث ، ثم أيَّامَ الأغلب بن سـالم ، ثم أيَّامَ عمرو بن حَفْص ، ثم أيام يزيدَ بنِ حاتم بن قَبِيصة ، ثم أيام رَوْح بن حاتم ، ثم أيامَ الفضل بن رَوْح ، ثم أيام هَرْثَمَة بن أَعْيَن ، ثم أيَّامَ محمدِ بن مقـاتل ، ثم أيَّام إبراهيمَ بن الأغلب ، ممَّن تقدّم ذكره فى ملوك أفرِيقيَّةَ فى خلافة هارون الرشيد . وفى أيامه ظهرَتْ دعوة الأدارسة الآتى ذكرهم بعد هـذه الطبقة . وسيأتى بَسْطُ القول فيهم بعضَ البسط فى الكلام علىٰ مكاتبة صاحب تُونُس .

الطبقـــة الثـالثـــة

الأدارســـة

(بنو إدريسَ الأكبر، بن حسن المثلث ، بن حسن المثنّى ، بن الحسن السبط ، بن علىّ بن أبى طالب رضى الله عنهم)

وكان مبدأ أمرهم أنه لمـا خرج حُسَين بن علىّ بن حسنٍ المثلّث بمكة سنة سبعين ومائة أيَّامَ الهادى واجتمع عليه قرابتُه وفيهم عَمُّه إدريسُ وقُتِل الحسين ، فرّ إدريسُ ولَحِق بالمغرب ، وصار إلىٰ مدينة وَلِيلِى من المغرب الأقصىٰ ، فاجتمع إليـه قبائلُ البربر وبايعُوه وفتح أكثَرَ البـلاد ، وبقىَ حتّى مات سنة خمس وسبعين ومائة ، وأقاموا الدعوة بعده لابنه إدْرِيسَ الأصغر .

وكان أبوه قد مات وترك أمّه حاملا به فكفَلُوه حتّى شبّ ، فبايعوه سنةَ ثمانٍ وثمانينَ ومائة ، وهو ٱبن إحدىٰ عشْرةَ سنةً ، وٱفتتح جميعَ بلاد المغرب وكثُرَ عسكَرُه ، وضاقتْ عليهم وَلِيلى فاختطّ لهم مدينةَ فاس سنة ٱثنَتَيْن وتسعين ومائة علىٰ ماتقدّم وٱنتقل إليها ، وٱستقام له الأمر وٱستولىٰ علىٰ أكثر بلاد البربر ، وٱقتطع دعوة العباسيين ، ومات سنة ثلاثَ عشرةَ ومائتين .

وقام بالأمر بعده ٱبنُه (محمدُ بن إدريس) ومات سنة إحدىٰ وعشرين ومائتين بعد أن ٱستخلف فى مرضه ولَدَه (عليشا بن محمد) وهو ٱبن تِسْع سنين ، ومات سنة أربع وثلاثين ومائتين لثلاثَ عشرةَ سنةً من ولايته .

وكان قد عهد لأخيه (يحيىٰ بن محمد) فقام بالأمر بعده ومات .

فولى مكانَهُ ٱبنُه (يحيىٰ بنُ يحيىٰ) ثم مات فاستدعَوا ٱبنَ عمه (علىَّ بن عُمَر) بن إدريس الأصغر فبايعوه بفاس ، وٱستولىٰ على جميع أعمال المغرب ، وقتل سنة ثنتين وتسعين ومائتين .

وقام بالأمر بعده (يحيى بن إدريس) بن عمر ، بن إدريس الأصغر ، وملك جميع المغرب وخُطِب له علىٰ مَنابره ، وبقى حتّى وافَتْه جُيوشُ عُبيدِالله المهدىّ الفاطمىّ ، فغلبوه علىٰ مُلْكه وخَلَع نَفْسه من الأمر وأنفذ ببيعته إلىٰ المهدىّ سنةَ خمس وثلثمائة وٱستقرّ عاملا للمهدىّ علىٰ فاس وعملِها خاصّةً ، وبقية المغرب بيد موسىٰ بن ابى العافية كما سيأتى .

الطبقـــــة الرابعة

(ملوك بنى أبى العافِيَة من مِكْنَاسةَ)

كانت مِكْناسةُ من قبائل البربر لأوّل الفتح بنواحى (تَازَا)[١] من أوساط المغرب الأقصىٰ والأوسط وكانوا يرجِعُون فى رياستهم إلىٰ بنى أبى باسِلِ بن أبى الضحّاك وكانت الرياسةُ فى المـائة الثالثة لمِصَالة ــ بن حيوس، بن منازل، بن أبى الضّحّاك، ٱبن يزُّول، بن تافرسين، بن فراديس، بن ونيف، بن مِكْنَاس، بن ورَصْطَف، بن يحيىٰ، بن تمصيت ، بن ضَريس، بن رجيك، بن مادغش، بن بربر ــ؛ وموسىٰ بنِ أبى العافِيَة، بن أبى باسل، بن أبى الضحاك المتقدّم ذكره .

ولـما ٱســتولىٰ عُبَيد الله المهدىّ على المغرب صار مِصَالة بن حيوس من أكبر قُوَاده وولّاه مدينة تاهَرْت والغربَ الأوسطَ .

ولـما زحف مِصَالةُ إلىٰ المغرب الأقصىٰ ســنةَ خمس وثلثمائة وٱستولىٰ علىٰ فاس ثم علىٰ سِجِلْماسةَ وٱستنزل يحيىٰ بنَ إدريسَ بفاس إلىٰ طاعة عبيد الله المهدىّ وأبقاه أميرا علىٰ فاس علىٰ ماتقدّم، عقد لٱبنِ عمّه موسىٰ بن أبى العافيــة أميرِ مِكْنَاسةَ علىٰ سائر ضواحى المغرب وأمصاره مضافة إلىٰ عمله من قَبْلُ: تَسُول وتازَا ومامعهما وقَفَلَ مصالةُ إلىٰ القَيْروان .

فقام موسىٰ بن أبى العافية بأمر المغرب ، وعاود مصالةُ غَزْوَ المغرب ســنةَ تسع وثلثمائة : أغراه موسىٰ بن أبى العافية بيحيىٰ بن إدريسَ ، فقبض عليــه وأخذ ماله وطرده ، فلَحِق ببنى عمه بالبصرة والريف ؛ وولّى مصالةُ مكانه علىٰ فاس ريحـانًا الكُتَامىَّ وقَفَل إلىٰ القيروان فمـات، وعَظُم ملك موسىٰ بن أبى العافية بالمغرب .

---

(١) لعله بنواحى تازا وغيرها من أوساط الخ وفى "العبر ج ٦ ص ١٣٤": بنواحى تازا وتسول والكل يرجعون الخ .

ثم ثار بفاس سنة ثلاثَ عشرةَ وثلثمائة (الحسنُ بن محمد) بن القاسم ، بن إدريس الملقب بالحَجَّام، ودخل فاسَ علىٰ حينِ غفلة من أهلها وقتل ريحانًا واليَها، وآجتمع الناس علىٰ بَيْعته ؛ ثم خرج لقتال آبن أبي العافية وآلتقَوْا ، فهلك جماعة من مِكْناسةَ ثم كانت الغلبة لهم . ورجع الحسنُ مهزوما إلىٰ فاس فغدَر به عامله علىٰ عُدْوة القَرَوِيِّين : حامدُ بن حمدانَ الهَمْدانىّ ، فقبض عليه واعتقله وأمكن آبنَ أبي العافية من البلد ، وزحف إلىٰ عُدْوة الأندلسيين فملكها وقتل عاملها ، وولّى مكانه أخاه محمدا ، وآستولىٰ آبن أبي العافية علىٰ فاس وجميع المغرب وأجْلىٰ الأدارسةَ عنه .

ثم آستخلف علىٰ المغرب الأقصىٰ آبنه (مَدْيَن) وأنزله بعُدْوة القَرَوِيِّين، وآستعمل علىٰ عُدْوة الأندَلُسِيِّينَ طُوَال بن أبي زيد[1]، وعزل عنه محمد بن ثعلبة . ونهض إلىٰ تِلِمسانَ سنة تسعَ عشرةَ وثلثمائة فملكها، وغلب عليها صاحبَها الحسنَ بن أبي العَيْش آبن عيسىٰ ، بن إدريس ، بن محمد ، بن سليمان : من عَقِب سليمانَ بن عبد الله : أخي إدريس الأكبر الداخل إلىٰ المغرب بعده؛ ورجع بعد فتحها إلىٰ فاس وخرج عن طاعة العُبَيْديين ، وخطب للناصر الأُمَوِىّ خليفةِ الأندَلُس علىٰ منابر عَمَله ، فبعث عُبَيْدُالله المهدىّ قائدَه حُمَيْدا المِكْناسىّ ابن أخي مِصالةَ إلىٰ فاس، ففرّ عنها مَدْيَنُ آبن موسىٰ بن أبي العافية إلىٰ أبيه فدخلها حُمَيد ، ثم آستعمل عليها حامدَ بن حَمْدانَ ورجع إلىٰ أفْرِيقيَّة ، وقد دوّخ المغرب .

ثم آنتقض أهل المغرب علىٰ العُبَيديين بعد مَهْلَك عبيدالله، وثار (أحمدُ بن بكر) بن عبد الرحمن بن سهل الجُذَامىّ علىٰ حامد بن حَمْدانَ عامل فاس، فقتله وبعث برأسه إلىٰ موسىٰ بن أبي العافِيَة ، فبعث به إلىٰ الناصر الأُمَوىّ بالأندَلُس وآستولىٰ علىٰ المغرب، وزحف (مَيْسُور الخَصِىُّ) قائدُ أبي القاسم بن عبيد الله المهدىّ سنة ثلاث

(١) كذا في القطعة الأزهرية أيضا وفي العبر ج ٦ ص ١٣٥ طول بن أبي يزيد وهو تصحيف .

وعشرين وثلثمائة إلىٰ فاس وحاصرها فأحجم ٱبنُ أبي العافية عن لقائه، وٱستنزل ميسورٌ أحمدَ بنَ بكر عاملها وقبض عليه وبعث به إلىٰ المَهْدِيَّة .

ثم خرج أهل فاس عن طاعته، وقدّموا علىٰ أنفسهم (حسنَ بنَ قاسمٍ اللَّوَاتى)؛ ثم حاصرهم ميسورٌ فدخلوا تحت طاعتـه، وٱشترطوا علىٰ أنفسهم الإتاوةَ، فقبِـل مَيْسورٌ ذلك منهم، وأقرّ حسنَ بنَ قاسم علىٰ وِلَايتـه بفاس، وٱرتحل إلىٰ حرب ٱبن أبي العافيَـة، فكانت بينهم حروب آخرُها أن ظهر ميسـور علىٰ ٱبن أبي العافيـة، وأجلاه عن أعمـال المغرب إلىٰ بلاد الصَّحْراء؛ ثم قفل مَيْسورٌ إلىٰ القَيْروان سـنة أربع وعشرين وثلثمائة . ورجع موسىٰ بن أبي العافيـة من الصَّحْراء إلىٰ أعمـاله بالمغرب، وزحف إلىٰ تِلِمْسان، ففرّ عنها أبو العيش ولحق بتكُور، وٱسـتفحل أمر ابن أبي العافيـة بالمغرب الأقصىٰ وٱتَّصـل عمله بعمل محمد بن خزر مَلِك مَغْراوةَ وصاحب المغرب الأوسط، وبثُّوا دعوةَ الأُمويَّة فى أعمالها، وبعث ٱبنَه مَدْيَنَ إلىٰ منازلة فاسَ فحاصرها، وهلك موسىٰ فى خلال ذلك سنة سبع وعشرين وثلثمائة .

وقام ٱبنه (مدينُ) بأمره، وعقد له الناصر الأُمَوِىُّ علىٰ أعمال أبيه بالمغرب؛ ثم قسم أعماله بينـه وبين أخويه البورى وأبى منقذ؛ وأجاز البوريُّ إلىٰ الناصر بالأندلُس سنة خمس وثلاثين وثلثمائة فعقد له ثم هلك سنةَ خمس وأربعين وثلثمائة وهو محاصر لأخيه مدين بفاس، فعقد الناصر لٱبنه (منصور) علىٰ عمله .

ثم تُوُفِّيَ مدين، فعقد الناصر لأخيه أبي منقذ علىٰ عمله؛ ثم غلب مَغْراوةُ علىٰ فاسَ وأعمالها، وٱستفحل أمرهم بالمغرب، وأزاحوا مِكْناسة عن ضواحيه وأعماله؛ وأجاز إسماعيل بن البُورى ومحمدُ بن عبدالله بن مدين إلىٰ الأندلُس، فنزلا بها إلىٰ أن أجازوا مع واضح أيَّامَ المنصور بنِ أبي عامر عنـد ماخرج زِيرى بنُ عطية عن طاعتهم سنةَ ستٍّ وثمانين وثلثمائة .

الطبقة الخامسة
(بَنُو زِيرِى بنِ عطيَّة من مَغْراوة من البربر)

وهو زِيرِى بنُ عطية، بنِ عبدالله، بن خَزَر، بن محمد، بن خزر، بن حَفْص، ٱبن صولات، بن رومان، من بطون زَنَاتة من البربر . وكان أوّليَّة أمره أنَّ زِيرِى هـذا كان أميرَ بنى خَزَر فى وقتـه ، وٱنتهت إليه رِيَاستُهم وإمارتُهم فى البَـداوة . ولما غلب بُلُكِّينُ بنُ زيرى الصِّنْهاجىُّ صاحِبُ أفريقيَّةَ وقومُه صِنهاجةُ علىٰ المغرب الأوْسَط سنةَ تسع وستين وثلثمائة وأجْلَوْا عنه مَغْراوةَ الذين كانوا به من تَقادُم السنين وصار المغربُ الأوسطُ جميعُه لصنهاجةَ، لحق مَغْراوةُ فيمن بَقِىَ من بنى خَزَر، بالمغرب الأقصىٰ؛ وأمراؤهم يومئذ محمدُ بنُ الخيِّر، ومقاتلُ وزيرى ٱبنَا عطية بن عبد الله، وخَزْرون بن فَلْفُول، ووصلوا إلىٰ سَبْتَةَ وأميرهُمُ المنصورُ بنُ أبى عامر حاجب[(١)] .

وبعث العزيزُ بنُ نِزَار العُبَيْدىُّ من مصر الحسنَ بن كَنُّون من الأدارسة لٱسترجاع مُلْكه بالمغرب ، فبعث المنصورُ لحربه أبا الحَكَم عمرو بن عبد الله بن أبى عامر الملَقَّب بعسكلاجة سنة خمس وسبعين وثلثمائة ، وٱنحاش إليه زِيرِى بنُ عطية ومن معه من بنى خَزَر فى جموع مَغْراوةَ ، وزحفُوا إلىٰ الحسن بن كَنُّون حتى ألجَـُوه إلىٰ الطاعة ؛ ثم ٱنصرف أبو الحكم بنُ أبى عامر إلىٰ الأندَلُس ، فعقد المنصورُ بنُ أبى عامر علىٰ المغرب الأقصىٰ للوزير (حسنِ بنِ أحمد) بن عبـد الوَدُود السُّلَمى ، وأنفذه إليـه سنة ست وسبعين وثلثمائة، وأوصاه بملوك مَغْراوةَ خصوصا زِيرِى ؛ فسار الحسـن بن أحمد حتّى نزل بفاس وضبط أعمـال المغرب . ومات مقاتلُ بنُ عطية سنة ثمـان وسبعين وثلثمائة، وٱستقلَّ أخوه زِيرِى بن عطية برياسة مَغْراوة؛ وبقِى الحسنُ بنُ أحمد إلىٰ أن قُتِل فى بعض الحروب سنة إحدىٰ وثمـانين وثلثمائة ،

(١) لعله حاجب هشام بن عبد الملك خليفة الأندلس كما سيأتى وهو كذلك فى القطعة الأزهرية على تصليح .

وبلغ الخبرُ المنصورَ بنَ أبى عامر فعقـد علىٰ المغرب (لزيرِى بنِ عطية) المذكور، وكتب إليه بعهده وأمره بضـبط المغرب ، فاستفحل مُلْكه وغلب علىٰ تِلِمْسانَ . فملكها من يد أبى البَهار الصِّنهاجىّ ، وبعث بالفتح إلىٰ المنصور بن أبى عامر فجدّد له العهدَ، واختط مدينة (وَجْدة) سنة أربع وثمانين، وأنزل بها عساكَره .

ثم فسد مابين المنصور بن أبى عامر وبين زِيرِى بنِ عطية، فعقد المنصورُ لمولاه واضح علىٰ المغرب ، وعلىٰ حرب زِيرِى بن عطية، وجهَّزه إليه فى عساكره؛ ثم أتبعه المنصورُ ابنَـه المظفَّر عبد الملك فاجتمعا علىٰ زِيرِى بن عطية ، ودارت بينهم الحرب فكانت الهزيمةُ علىٰ زِيرِى وجُرِح فى المعركة وفـرّ إلىٰ فاس فامتنع عليـه أهلها، فلحق بالصحراء جريحا؛ وكتب عبدُ الملك بنُ المنصور بالفتح إلىٰ أبيـه فاستبشر به وكتب إلىٰ ابنه (عبد الملك) بعهده علىٰ المغرب .

وكان زِيرِى بنُ عطية لَمّا فرّ إلىٰ الصـحراء صرف وجهه إلىٰ حرب صِنْهاجةَ بالمغرب الأوسط فقصده وفتح تاهَرْتَ وتِلِمْسان وأعمالَها، وأقام الدعوة فيها لهشام ابنِ عبد الملك خليفـةِ الأندلُس وحاجبه المنصورِ من بعـده، وبقىَ علىٰ ذلك حتّى مات سنة إحدىٰ وتسعين وثلثمائة .

وبُويِـع من بعده ابنُه (المُعِزُّ بن زيرى) فجرىٰ علىٰ سَنَن أبيه من الدعاء لهشام بن عبد الملك والمنصورِ من بعده؛ ومات المنصور فى خِلال ذلك .

وقام بأمره من بعده ابنـه المظَفَّر (عبد الملك) وبعث المعِزُّ بن زيرى يرغَبُ إلىٰ المظفَّر فى عمل فاس والمغرب الأقصىٰ فأجابه إلىٰ ذلك ، وكتب له عهـدَه بذلك، خَلَا سِجِلْماسَةَ فإنها كانت بيد خزرون[1] ؛ وبقىَ المعزُّ فى ولايته إلىٰ أن هلك سنةَ سبعَ عشرةَ وأربعمائة .

(١) الذى فى العبر ج ٧ ص ٣٤ أنها كانت بيد واندين بن خزرون .

وولى من بعده ٱبنُ عمه (حَمَامَةُ) بن المعز بن عطية وٱستفحل مُلْكه؛ ثم نازعه الأمير أبو الكمال (تميم بن زيرى) بن يعلى اليَفْرَنى سنة أربع وعشرين وأربعمائة، وٱستقلَّ بملك المغرب وبقىَ حتّٰى مات سنة إحدىٰ وثلاثين وأربعمائة.

وولى من بعده ٱبنه (دُوناس) المعروفُ بأبى العَطَّاف، وٱستولىٰ علىٰ فاس وسائر عمل أبيه، فاستقامت دولَتُه؛ وٱحتفل بعمارة فاس وأدار السُّورَ علىٰ أرباضها؛ وبنىٰ بها المَصَانِعَ، والحَمَّاماتِ، والفَنادِقَ؛ وبقِىَ حتّٰى مات سنة إحدىٰ وخمسين وأربعمائة.

وولى من بعده ٱبنه (الفَتُّوح بن دُوناس) ونازعه أخوه الأصغَرُ عُجَيْسة وٱستولىٰ علىٰ عُدْوة القَروِيِّين من فاس؛ وبقى الفَتُّوح بعُدْوة الأندَلُسيِّين، وٱفترق أمرهما ووقعت الحربُ بينهما؛ وٱبتنى الفَتُّوح بعُدْوة الأندلسيين (باب الفتوح) المعروف به إلىٰ الآن، وٱبتنىٰ عجيسة بعدوة القرويين (باب الجيسة) المعروف به إلىٰ الآن، وحُذِفت العين منه لكثرة دَوَرانه علىٰ الألسِنة؛ وبقى الأمر علىٰ ذلك حتّٰى ظفر الفتوح بأخيه عُجيسةَ، وقتَلَه سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة؛ ودهم المغرِبَ علىٰ إثر ذلك ما دَهَمه من أمر المرابطين من لَمْتُونةَ؛ وخشِىَ الفَتُّوح عاقبةَ أمرهم، فرحل عن فاس وتركها.

وزحف صاحبُ القلعة (بُلُكِّين) بن محمد بن حَمَّاد إلىٰ المغرب سنة أربع وخمسين، فدخل فاس وٱستَرْهَن بعضَ أشرافهم علىٰ الطاعة ورجع إلىٰ عمله؛ ووُلِّى علىٰ المغرب بعد الفَتُّوح (معتصر) بنَ حماد، بن معتصر، بن المعز، بن زيرى.

وزحف (يوسفُ بن تاشفين) إلىٰ فاس فملكها صُلْحا سنةَ خمسٍ وخمسين وأربعمائة وخلَّف عليها عامله، وٱرتحل إلىٰ غُمَارة فخالفه معتصر إلىٰ فاس وملكها

وقتل العامل ومن معه من لَمْتُونة ؛ وبلغ الخبرُ يوسفَ بن تاشفين فأرسل العساكر إلىٰ فاس وحاصرها ، وخرج معتصر للقــاء عساكره ، فكانت الدائرةُ عليــه وقُتِل فى المَعْرَكة سنة ستين وأربعمائة .

وبايع أهل فاس من بعده ٱبنــه (تميم بن معتصر) فكانت أيامُه أيامَ حِصَــار وفتنةٍ وشدّة وغَلَاء .

ولمــا فرغ يوسف بن تاشفين من أمر غُمَارة سنة ثنتين وستين وأربعمائة قصـــد فاس فحــاصرها أيّاما ثم ٱفتتحها عَنْوة وقَتَل بهــا نحو ثلاثة آلاف من مَغْراوة وبنى يفرن ومِكْناســة وقبائل زَنَاتةَ وهلك تميم بن مُعْتَصِر فى جملتهــم . وأمر يوسف بن تاشفين بهــدم الأسوار التى كانت فاصلةً بين العُدْوتين وصيّرهما مصرا واحدا وأدار عليهما سورا واحدا؛ وفرّ مَنْ خَلَص من القتــل من مَغْراوة من فاس إلىٰ تِلِمْسان[1]، وٱنقرض ملكُهم من الغرب الأقصىٰ؛ وتصاريف الأمور بيد الله تعالىٰ .

الطبقة السادســــة

(المرابِطُون من المَلَثَّمِين مــن البربر)

كان المَلَثَّمُون من البربر من صِنْهاجةَ قبل الفتح الإسلامىِّ متوطّنين فى القِفَار ووراءَ رمال الصَّحْراء : مابين بلاد البربر وبلاد السُّودان، فى جملة قبائل صنهاجةَ علىٰ دين المُجوسيَّة ؛ قد ٱتخــذوا اللِّثامَ شِعارا يميِّز بينهم وبين غيرهم من الأمم ؛ والرياسة فيهم يومئــذ لِلَمْتُونة، ولم يزالوا علىٰ ذلك إلىٰ أن كان فتحُ الأندَلُس وٱستمر ملكهم أيام عبدالرحمن اول خلفاء بنى أمية بالأندلس .

---

(١) فى الاصل من تلمسان إلىٰ فاس وهو خطأ من الناسخ والتصحيح من "العبر ج ٧ ص ٣٦"

قال ٱبن أبى زَرْع : أوّل من ملك الصحراء من لمتونة (يَتْلُوثان) وكان يركب فى ألف نجيب وتوفى سنة ٱثنتين وعشرين ومائتين .

وملك بعده (يُلْتان) فقام بأمرهم وتُوُفِّى سنةَ سبع وثمانين ومائتين .

وقام بأمرهم بعده ٱبنهُ (تميمٌ) إلىٰ سنةِ ستٍّ وثلثمائة وقتله صِنهاجةُ .

ثم ٱفترق أمْرُهم بعد تميم مائةً وعشرين سـنة إلىٰ أن قام فيهم (أبُو عبد الله بنُ نِيفاوُت) المعروف بتادشت اللَّمْتُونى ،وحجَّ ومات لثلاثةِ أعوام من رياسته عليهم .

وقام بأمرهم صِهْرُه (يحيىٰ بنُ إبراهيم) فحج فى سِنِي أربعين وأربعمائة ، وعاد وصُحْبته عبدُالله بن ياسين الجزولىّ ليعلِّمهم الدِّينَ؛ فلما مات يحيىٰ بنُ إبراهيم ٱطَّرَحُوا عبدالله ٱبن ياسين وٱستعصوا عليــه وتركوا الأَخْذَ بقوله فاعتزلهم؛ ثم ٱجتمع عليه رجال من لَمْتُونةَ فخرج فيهــم وقاتل مَنِ ٱســتعْصىٰ عليــه منهم حتّٰى أنابُوا إلىٰ الحق وسَمّــاهم "المُرابِطين" وجعل أمرهم فى الحرب إلىٰ الأمير يحيىٰ بنِ عُمر، بن واركوت، بن ورتَنْطق ، بن المنصور ، بن مرصالة ، بن منصور ، بن فرصالة ، بن أميت ، بن راتمال، بن تلميت ، وهو لَمْتونةُ ؛فافتتحوا دَرْعة وسِجِلْماسةَ ، وٱستعملوا عليها منهم ، وعادُوا إلىٰ الصحراء، وهلك يحيىٰ بن عمر سنةَ سبع وأربعين وأربعمائة .

ووِلِيَ مكانَهُ أخوه (أبو بكر بن عمر) ثم ٱفتتحوا بلادَ السُّوس سنةَ ثمان وأربعين ثم مدينة أَغْماتَ سنةَ تسع وأربعين ؛ ثم بلادَ المَصَامدة وجبالَ دَرَن سنةَ خمسين؛ ثم ٱستُشْهِد عبدُالله بن ياسين فى بعض الغَزَوات سنةَ خمسين، وٱستمرَّ أبو بكر بنُ عمر فى إمارة قومه ، وٱفتتح مدينة أَوَاتةَ ســنة ثِنتين وخمسين ؛ ثم ٱرتحل إلىٰ الصحراء لجهاد السُّودان وٱســتعمل علىٰ المغرب ٱبن عمه (يوسف بن تاشفين) بن إبراهيم ٱبن واركوت ، فسار يوسفُ فى عسكره من المرابطين ودَوّخ أقطار المغرب، وٱختط مدينة مَرّاكُش سنة أربع وخمسين .

ثم آنتزع جبال زَناتَةَ بالمغرب من أيديهم ؛ ثم آفتتح فاس صُلْحا سنةَ خمس وخمسين ثم آستُعيدتْ بعد فتحها ؛ ثم فتحها عَنْوةً سـنة آثنتين وستين وأربعمائة ، وأمر بهدْم الأسوارِ التي كانت فاصلةً بين عُدْوتَيِ القرويِّين والأنْدَلُسيِّين وصيرهما مصرا واحدا ؛ ثم آفتتح بعد ذلك مدينة تِلِمْسان وآسـتولىٰ علىٰ الغرب الأقصىٰ والغرب الأوْسط ؛ ثم صار إلىٰ الأندلُس وآستولىٰ علىٰ أكثر ممـالكه كما سيأتى فى ذكر مكاتبة صاحب الأندلس ؛ ثم تُوفِّيَ يوسفُ بن تاشفين علىٰ رأس المـائة الخامسة .

وقام بالأمر بعده آبنه (على بن يوسف) فاسـتولىٰ علىٰ ما كان بِيَدِ أبيه من العُدْوتين ، وسار فيهم بأحسن السِّيرة . ولأربعَ عشرةَ سـنةً من ولايته كان ظهور المَهْدِى بن تُومَرْت صاحب دولة الموحِّدين . ومات علىٌّ بن يوسف سـنة سبع وثلاثين ، وقد ضَعُفتْ كلمةُ المرابطين بالأندلُس لظهور الموحِّدين .

وقام بالأمر بعده ولدهُ (تاشفين بن على) وأخذ بطاعته وبَيْعته أهلُ العُدْوتين ؛ وقد آسـتفحل أمر الموَحِّدين وعَظُم شأنهـم ، ونزل تِلِمْسان فقصده الموحِّدُون ، ففرّ إلىٰ وَهْران وآتَّبعه الموحدون ، ففُقِد سنة إحدىٰ وأربعين وخمسمائة ، وآستولىٰ الموحدون على الغرب الأوسط .

ثم بويع بمرَّاكُش (إبراهيم بن تاشـفين) ، بن على ، بن يوسـف بن تاشفين ، فألفَوْه عاجزا فخَلَعُوه .

ووُلِّى مكانَه عمه (إسحاق بن على) بن يوسف بن تاشفين ، وقد ملك الموحِّدون جميعَ بلاد المغرب وقصدُوه فى مَرَّاكُش ، فخرج إليهم فى خاصَّته فقتلوه ، وأجاز عبدُ المؤمن والموحِّدون إلىٰ الأندَلُس ، فملكوه سنةَ إحدىٰ وخمسين وخمسمائة ، وفرّ أمراء المرابطين فى كلِّ وَجْه .

الطبقـــة السابعـــة
(ملوك الموحِّدين)

كان أوّلُ أمرهم أن المهدىَّ محمدَ بنَ تُومَرْت، كان إماما متضلِّعا بالعلوم، قد حجَّ ودخل العراق وآجتمع بأئمتـه من العلمـاء والنُّظّار، كالغزالىّ [والكِيَا الهَرّاسى](١) وغيرهما، وأخذ بمذهب الأشعريّة أهلِ السنة، ورجع إلىٰ الغرب وأهلُه يومئذ علىٰ مذهب أهل الظاهر فى منع التأويل، فاجتمع إليه قبائلُ المَصَامدة من البربر وجعل يُبثُّ فيهم عقائدَ الأشعريّة، وينهىٰ عن الجُمُود علىٰ الظاهر، وسمّى أتباعه الموحدين، تعريضا بتكفير القائلين بالتجسيم الذى يؤدّى إليه الوقوفُ علىٰ الظاهر .

وكان الكُهّان يتحدّثون بظهور دولةٍ بالمغـرب لأُمّة من البربر، وصرَفُوا القولَ فى ذلك إليـه؛ ودعا المَصامدةَ إلى بيعتـه علىٰ التوحيد وقتال المجسِّمين سـنةَ خمس عشْرة وخمسمائة فبايعوه علىٰ ذلك .

ولمـا كَمُلتْ بيعتُه لَقَّبوه المهدىّ، وكان قبل ذلك يلقَّب الإمام، وأخذُوا فى قتال المرابطين من لَمْتُونةَ حتّى آستقاموا علىٰ الطاعة . وتُوُفِّى المهدىّ سنةَ ثنتين وعشرين وخمسمائة .

وقام بالأمر بعده (عبدُ المؤمن) بنُ علىّ بعهده إليه . فكان من أمره ما تقدّم من آستيلائه علىٰ العُدْوتيْـن وآنقراض مُلْك المرابطين بهما، وكان ذلك من سنة أربع وثلاثين وخمسمائة إلىٰ سنة إحدىٰ وأربعين . ثم صَرَف هَمَّه إلىٰ بجايةَ وأفْريقيَّةَ فافتتحهما، وآستخلص المهديَّةَ والبلادَ الساحليةَ التى كانت النصارىٰ قد آستولَوْا عليها من أيديهم وآستولىٰ علىٰ سائر بلاد أفريقيَّةَ، وعاد إلىٰ الغرْب فى سنة ستٍّ وخمسين وخمسمائة. وتُوُفِّى بسَلَا من الغرب الأقصىٰ فى جُمادىٰ الآخرةِ سنة ثمـانٍ وخمسين .

(١) بياض بالأصل، والتصحيح عن تاريخ آبن الأثير وهو كذلك فى القطعة الازهرية .

وبويع بعده ٱبنُه أبو يعقوبَ (يوسفُ بنُ عبد المؤمن) فاستولىٰ علىٰ ما كان بيد أبيه من العُدْوتين وأفرِيقِيَّةَ ، وٱشتغل بإصلاح المَمالك وجِهاد العدُوّ ، وأجاز إلىٰ الأندَلُس لِجهادِ النصارىٰ ، وقُتِل في بعض غَزَواته فيه بسَهْم أصابه . وقيل مَرِض فمات سنة ثمانين وخمسمائة .

وبُويِـع ٱبنه (يعقوبُ بنُ يوســف) بإشْبِيلِيَةَ عقِبَ وفاته وتلقَّب بالمنصور ، فاستولىٰ علىٰ ما كان بيد أبيه من المَمَالك إلىٰ الأندَلُس ، وكان له مع العدوّ وقائعُ ، ومرض بالأندَلُس فمـات سنةَ خمس وتسعين وخمسمائة .

وبُويِـع ٱبنه (محمَّدٌ) وليُّ عهده وتلقَّب الناصرَ لدين الله ، ورجع إلىٰ بلاد المغرب . وفي أيامه ثار (ٱبن غانيــةَ) علىٰ أفريقيَّةَ وتغلب عليها ، وولَّى أبا محمد ٱبنَ الشيخ أبي حفص عليها ، فاستقرّت بها قدَمُ بَنِيــه إلىٰ الآن ؛ وأجاز إلىٰ الأندَلُس ونزل إشبيلِيَةَ ، وٱلتقىٰ مع العدوّ في صفر سنة تسع وستمائة ، وٱبتُلِيَ المسلمون في ذلك اليوم ورجع إلىٰ مَرَّاكُش فمـات في شعبان من السنة المذكورة .

وبُويِـع ٱبنُه (يوسفُ بن محمد) سنةَ إحدىٰ عشرة وستمائة ، وهو ٱبن ستَّ عشرةَ سنةً ، ولُقِّب المستنصرَ بالله ، وتأخَّر أبو محمد ابن الشيخ أبي حفص عن بيعته لِصِغَر سنه ، وغَلَب عليــه مَشْيخةُ الموحِّدين فقاموا بأمره . وبقِيَ المستنصرُ حتَّى مات يوم الأضحىٰ سنة ست وعشرين وستمائة .(١)

وبُويع بعده أبو محمد (عبدُ الواحد بنُ يوسف) بن عبد المؤمن ، وهو أخو المنصور ويُعرَف (بالمخلوع) . وكان الوالِيَ بالمُرْسِيَة من الأندَلُس أبو محمد عبدُ الله بنُ يعقوبَ ٱبنِ المنصور ، بن يوسف ، بن عبد المؤمن . فثار بالأندَلُس ودعا لنفسه وتلقَّب

(١) في العبر ج ٦ ص ٢٥١ يوم الاضحى من سنة عشرين وستمائة وهو الصواب .

(العادلَ). وآتصل الخبر بمرّاكُش فاضطرب الموحّدون علىٰ (المخلوع) وبعثُوا ببيعتهم إلىٰ العادل بالأندَلُس ، وبادر العادلُ إلىٰ مَرّاكُش فدخلها وبقى حتّى قُتِـل بها أيام الفِطْر سنة أربع وعشرين وستّمائة .

وكان أخوه (إدريسُ بنُ المنصور)(١) بإشْبِيلِيَةَ من الأندَلُس فدعا لنفسه وبُويِـع وبعث الموحّدون ببيعتهم إليه، ثم قصد مَرّاكُش فهلك فى طريقه بوادى أُمِّ ربيع مُفْتَتَحَ سنةِ ثلاثين وستمائة، وتغلب آبن هُودٍ علىٰ سَبْتَة .

وبويع بعده آبنُه (المأمون(٢) عبـدُ الواحد بنِ إدريسَ) فلقِّب الرشـيدَ، ودخل إلىٰ مَرّاكُش فبايعوه، وبَقِىَ حتّى تُوفِّى سنة أربعين وستمائة .

وبُويِـع بعده أخوه (أبو الحسن علىٌّ السعيد) ولُقِّب المعتضِدَ بالله، وقام بالأمر ثم سار إلىٰ تِلِمْسانَ فكان بها مَهْلَكُه علىٰ يدِ بَنِى عبدالواد فى صفر سنة ستٍّ وأربعين وستمائة؛ وكان فيها آستيلاء النصارىٰ علىٰ إشبِيلِيَةَ .

ثم آجتمع الموحّدون علىٰ بيعة (أبى حفص) عمرَ بن أبى إسحـاق بن يوسفَ، آبن عبد المؤمن ، فبايعُوه ولُقِّب (المرتضىٰ) وكان بسَلَا فقدِم إلىٰ مَرّاكُش . وفى أيامه آستولىٰ أبو يحيىٰ بنُ عبد الحق المَرِينىُّ جدّ السلطان أبى الحسن علىٰ مدينة فاس سنةَ سبع وأربعين وستمائة، وآستبدّ العزفىُّ بِسَبْتَة .

ثم آنتقض علىٰ المرتضىٰ قائد حروبه (أبو العَلَاء) الملقَّبُ بأبى دَبُّوس ، بن أبى عبد الله محمـد، بن أبى حفص، بن عبد المؤمن، ففرّ منه وآجتمع عليه جموع من الموحّدين وقصـد مَرّاكُش وبها المرتضىٰ فغلبه عليها، وآلتقيا وفرّ المرتضىٰ إلىٰ أَزْمُور

(١) لقبه فى العبر بالمأمون .

(٢) صوابه آبنه عبدالواحد فإن المأمون لقب أبيه إدريس كما فى العبر وغيره .

فقبض عليـه واليها واعتقله إلىٰ أن ورد أمر [أبي دبوس][(١)] بقتله فقتله ، واستقلّ أبو دَبُّوس بالأمر وتلقَّب (الواثقَ بالله) والمعتمدَ علىٰ الله .

ثم جمع يعقوبُ بنُ عبد الحق وقصـد مَرَّاكُش فخرج إليه أبو دَبُّوس ، فكانت الهزيمةُ علىٰ أبي دبوس ، ففرّ هاربا فأُدْرِك وقُتِل ، ودخل يعقوب بن عبد الحق مَرَّاكُش وملكها سنةَ ثمـانٍ وستين وستمائة ، وفرّ مَشْيخةُ الموحدين إلىٰ مَعَاقلهم بعد أن كانوا بايعوا عبدَ الواحدبنَ أبي دَبُّوس ولَقَّبوه المعتصِمَ ، فأقام خمسة أيام ، وخرج في جملتهم ، وانقرض أمر بني عبد المؤمن ، ولم يبق للموحدين ملك إلا بأفْرِيقيَّة لبني أبي حفص علىٰ ما سيأتي ذكره إن شاء الله تعالىٰ .

الطبقـــة الثامنـــة

(ملوكُ بني عبد الحق من بني مَرِينٍ[(٢)] ، القائمون بها إلىٰ الآن)

وهو عبـد الحق بن محُيو ، بن أبي بكر ، بن حمامةَ ، بن محمد ، بن وَرْزِيز ، بن فكُّوس ، بن كوماط ، بن مَرِين ، بن وَرْتاجن ، بن ماخُوخ ، بن جديج ، بن فاتن ، ابن بدر ، بن نجفت ، بن عبدالله ، بن ورتبيص ، بن المعز ، بن إبراهيم ، بن رجيك ، ابن واشين ، بن بصلتن ، بن مشد ، بن إكيا ، بن ورسيك ، بن أديدت ، بن جانا ، وهوزناتةُ .

كانت منازلُ بني مَرِينٍ مابين فيكيك إلىٰ صا ومَلْويه ، وكانت الرياسة فيهم (لمحمد) ابن وَرْزِيز بن فكُّوس .

---

(١) في الاصل المرتضى وهو خطأ .

(٢) هو بوزن أمير كما ضبطه السيد مرتضى في كتابه " تاج العروس " في مادة م ر ن .

ولما هلك محمد قام بأمره من بعده ٱبنه (حمامةُ) ثم من بعده أخوه (عَسْكر) ولما هلك قام برياسته فيهم ٱبنُه (المخضب) فلم يزل أميرا عليهم إلىٰ أن قُتِل فى حرب الموحِّدين فى سنة أربعين وخمسمائة .

وقام بأمرهم من بعده (أبو بكرٍ ٱبنُ عمه حمامةَ بن محمد) وبقى حتّٰى هلك .

فقام من بعده ٱبنــه (محيُو) ولم يزل حتّٰى أصابتــه جِراحةٌ فى بعض الحروب ، وهو فى عِداد المنصور بن عبد المؤمن ، هلك منها بعد مَرْجِعه إلىٰ الزَّاب سنةَ إحدىٰ وتسعين وخمسمائة .

وقام برياسته ٱبنه (عبد الحق بن محيو) وكان أكبرَ أولاده ، وهو الذى تنسب إليه ملوك فاس الآن . فأحسن السِّيْرَ فى إمارته إلىٰ أن كانتْ أيامُ المستنصر يوسفَ ٱبن النــاصر : خامس خلفاء بنى عبد المؤمن فثارت الفتنةُ بينه وبين بنى مَرِين ، وكانت بينهم حروبٌ هلك فى بعضها عبدُ الحق بن محيو .

ونَصَّب بنو مَرِينٍ بعده ٱبنَه أبا ســعيد (عثمانَ بنَ عبــد الحق) وشهرته بينهم ادرغال ، ومعناه بلغتهم الأعور؛ وقَوِىَ سلطانُه وغلب علىٰ ضَوَاحى المغرب ، وضرب الإتاوةَ عليهم وتابعــه أكثرُ القبائل ، وفَرَض علىٰ أمصار المغرب مثــلِ فاس وتازَا وغيرها ضَرِيبةً معلومةً فى كل سنة علىٰ أن يكُفَّ الغارةَ عنهم . ولم يزل علىٰ ذلك إلىٰ أن قتله عِلْج من علوجه سنةَ سبع وثلاثين وستمائة .

وقام بأمر بنى مَرِينٍ من بعده أخوه (محمدُ بنُ عبد الحق) فجرىٰ علىٰ سَنَن أخيــه فى الأستيلاء علىٰ بلاد المغرب ، وضَرْب الإتاوة علىٰ بلاده ومُدُنه إلىٰ أن كانت أيامُ السعيدِ بن المأمون من بَنِى عبــد المؤمن ، فجهَّز عساكرَ الموحدين لقتال بنى مَرِينٍ؛ فخرجوا إليهــم فى جيش كَثِيفٍ فى ســنة ثنتين وأربعين وستمائة ، ودارت الحربُ بينهم فكانت الهزيمةُ علىٰ بنى مَرِينٍ؛ وقتل محمدُ بنُ عبد الحق .

وقام بأمرهم من بعــده ٱبنُه أبو يحيىٰ (١) (زكَرِيًّا بنُ عبد الحق) وقسَم جبايتَه ببلاد المغرب فى عشائر بَنِى مَرِينٍ، ودارت الحربُ بينهــم و بين الموحِّدين ، إلىٰ أن مات الســعيدُ بن المأمونِ من بنى عبد المؤمن ، وٱنتقل الأمرُ بعــده إلىٰ ٱبنه عبد الله ؛ فضَعُفت دولةُ بنى عبد المؤمن . واستولىٰ (أبو يحيىٰ) بن عبد الحق علىٰ أكثر بلاد المغرب ،وقصد فاسَ وبها بعضُ بنى عبد المؤمن فأناخَ عليها وتلَطَّف بأهلها ،ودعاهم إلىٰ الدَّعْوة الحَفْصِيَّة بأفرِيقِيَّــة ، فأجابوه إلىٰ ذلك و بايعُوه خارجَ باب الفتوح . ودخل إلىٰ قصبة فاس لشهرين من موت السعيد فى أوّل سنة ستٍّ وأربعين وستمائة ؛ و بايعه أهل تازَا وأهلُ سَــلَا و رِبَاط الفتح ، وٱســتولىٰ علىٰ نواحيهــا ، وأقام فيها الدَّعْوة الحَفْصِيَّة ؛ وٱستبدَّ بنو مَرِينٍ بمُلك المغرب الأقصىٰ ، وبنو عبد الواد بمُلْك المغرب الأوسط .

وملك سِجِلْمَاسَةَ سنةَ ثلاثٍ وخمسين وستِّمائة من أيدى عامَّة الموحِّدين وبقِىَ حتّىٰ هلك بفاس فى رجبٍ سنةَ ستٍّ وخمسين وستمائة ، ودُفِن بمقْبُرة باب الفُتُوح .

وتصدّى للقيام بأمره ٱبنه (عمر) ومال أهلُ الحَلِّ والعقد إلىٰ عمِّه أبى يوسف يعقوبَ بن عبد الحق ، وكان غائبًا بتازَا فقَــدِم ثم وقع الصلحُ بينهــما علىٰ أن ترَكَ يعقوبُ الأمرَ لٱبن أخيه عمر علىٰ أن يكون له تازَا و بلادُها ؛ ثم وقع الخلاف بينهما والْتقيَا فهُزِم عمرُ ثم نزل لعمه يعقوب عن الأمر .

ورحل السلطانُ أبو يوسفَ (يعقوبُ بنُ عبدالحق) فدخل فاس مُمَلَّكا؛ ثم هلك عمرُ بعــد سنة ، فكُفِىَ يعقوبُ شأنه وٱستقام ســلطانُه ، وأخذ فى ٱفتتاح أمصار المغرب . وٱفتتح أمره باستنقاذِ مدينة سَلَا من أيدى النصارىٰ ؛ ثم قصد إلىٰ مَرَّاكُش فخرج إليــه الخليفةُ المرتضىٰ من بنى عبــد المؤمن ، وكانت بينهما حَرْب

(١) الأظهر أخوه وهم جميعا أولاد عبد الحق .

هُزِم فيها المرتضىٰ وقُتِل؛ وبايع الموحدون أخاه (إسحاقَ) ثم قُبِض عليه سنةَ أربع وستين وستمائة فقُتِل فيمن معه، وٱنقرض أمر بنى عبد المؤمن من المغرب .

ووصل السلطان أبو يوسف إلىٰ مَرَّاكُش أوّلَ سنة ثمان وستين وستمائة فدخلها، ووَرِث مُلْك الموحدين بها؛ ثم رجع إلىٰ فاس بعد أن ٱستَخْلَف علىٰ مَرَّاكُش فى شوّال من سنته؛ وشَرَع فى بناء المدينة التى ٱستجدّها مُلاصقةً لمدينة فاس فى ثالثِ شوّالٍ سنة أربع وسبعين وستمائة، ونزل فيها بحاشيته وذَوِيه؛ وغزا فى خلال ذلك النصارىٰ بالأندَلُس أربعَ مَرَّات حتّٰى أَذْعَن له شانجة بن أدفونش، وسأله فى عَقْد السِّلْم له فعقد له علىٰ شروط ٱشترطها عليه، وعاد إلىٰ بلاد المغرب فمَرِض ومات فى آخر المحرّم سنة خمس وثمانين وستمائة .

وبُويع بعده ٱبنُه ولىّ عهده أبو يعقوب (يوسُف بن يعقوب) فجرىٰ علىٰ سَنَن أبيه فى العدل والغزو، وأجاز إلىٰ الأندَلُس، وجدّد السِّلْم مع شانجةَ مَلِك النصارىٰ.

وغزا تِلِمْسانَ مرّاتٍ وبَقِيَ حتّٰى طعنه خَصِىٌّ من خَدَمه، وهو نائم علىٰ فِرَاشه، فمات سابع ذى القَعْدة سنةَ ستٍّ وسبْعِمائة .

وبويع بعده ٱبنُه أبو ثابت (عامر بن أبى يعقوبَ يوسفَ) وٱختلفَتْ عليه النَّواحى؛ ثم ٱستقام أمرُه وبقِىَ حتّٰى ٱنتقض عليه عُثْمان بن أبى العَلَاء، بنواحى طَنْجةَ من أقصىٰ الغرب، فخرج لقتاله ومَرِض فى طَنْجةَ ومات فى ثامن صفر سنة سبع وسبعمائة .

وبُويع بعده أخوه (أبو الرَّبيع بن أبى يعقوب يوسفَ) فأحسن السِّيْرة، وأجزل الصِّلاتِ، وسار بسَيْرة آبائه وبقى حتّٰى مات بمدينة تازَا فى سلخ جُمَادىٰ الآخرة سنة عشر وسبعمائة ودُفِن بصَحْن جامعها .

وبويع بعـده اخوه أبو سعيد (عثمانُ بن أبي يعقوب يوسُف) فلما استقام أمره بالغرب الأقصى سار إلى تِلمْسان سنةَ أربعَ عشرةَ وسبعمائة فانتزعها من موسى بن عثمان ابن يغمراسن : سـلطان بنى عبـد الواد بها ؛ وٱنتقض عليـه محمدُ بن يحيىٰ العزفى صاحب سَبْتةَ فسار إليه فى سنة ثمـان وعشرين وسـبعمائة فأذعن للطاعة ؛ وأحضر عبدَ المهيمن بن محمد الحضرمى من سَبْتةَ وولاه ديوانَ الإنشاء والعَلَامة .

وفى أيامه قصد بطرة وجوان ملكُ النصارىٰ بالأندلس غَرْناطةَ . فاستغاثوا به، فأجاز البحر إليهم ولَقِيَ عساكر النصارىٰ فهلك بطرةُ وجوان فى المعركة وكانت النُّصرة للسلمين . وتُوفِّى فى ذى الحِجَّة سنة إحدىٰ وثلاثين وسبعمائة .

وبويع بعده ٱبنه ولىّ عهده أبو الحسن (على بن عثمان) وهو الذى كان فى عصر «المَقَرّ الشهابىّ بن فضل الله» . وسار إلىٰ تِلِمْسان سنة سبع وثلاثين وسبعمائة، فملكها من ٱبن أبى تاشفين سلطان بنى عبدالواد بها بعد أن قتله بقصره . وملك تُونُس من يد أبى يحيىٰ سلطان الحَفْصِيِّين بها فى جمادىٰ الآخرة سنة ثمـان وأربعين وسبعمائة ؛ وٱتصـل مُلْكه ما بين بَرْقَةَ إلىٰ السُّوس الأقصىٰ والبحر المحيط الغربى ؛ ثم ٱسترجع الحَفْصيُّون تُونُس بعد ذلك . وملك بعد ذلك سِجِلْماسةَ قاعدةَ بلاد الصحراء بالغرب الأقصىٰ ، وبقى حتّٰى مات فى الثالث والعشرين من ربيع الآخر سنة ٱثنتين وخمسين وسبعمائة بجبل هَنْتاتةَ .

وبُويـع بعده ٱبنُه (أبو عِنَان بنُ أبى الحسن) وكان بنو عبد الواد قد ٱستعادوا تِلِمْسانَ فى أيام أبيـه فارْتَجعها منهم فى سـنة ثلاث وخمسين ؛ ونزل له الأميرُ محمد ٱبن أبى زكريا صاحب بجـاية عنها فانتظمتْ فى مُلْـكه . وملك قُسَـنْطينةَ من الحفصِيِّين بعد ذلك بالأمان . ثم ملك تُونُس من أيديهم سنةَ ثمانٍ وخمسين، ورجع

إلىٰ المغرب فارتجع الحفْصِيُّون تُونُسَ وسائرَ بلاد أفرِيقِيَّةَ وبقِىَ حتى تُوفِّىَ فى ذى الحجة سنةَ تسع وخمسين .

وكان آبنــه (أبو زَيَّان) ولىَّ عهده فعُدِل عنــه إلىٰ آبنه (السَّعِيد بن أبى عِنَان) وآستولىٰ عليه الحسنُ بن عُمَر وزيرُ أبيه فحجبه فى داره ، واستقلَّ بالأمور دُونَه .

وتغلب أبو حَمُّو سلطان بنى عبد الواد علىٰ تِلِمْسان فانتزعها من يده فى سنةِ ستين وســـبعمائة .

ثم خرج علىٰ السعيد بنِ أبى عنانٍ عمُّــه أبو سالم (إبراهيمُ بن أبى الحسن) وكان بالأندَلُس فجاء إليــه بالأساطيل ، وآجتمع إليه العساكرُ ، ووصل إلىٰ فاس ؛ وخلع الحسنُ بنُ عُمَر سلطانَهُ السعيد عن الأمر ، وأسلمه إلىٰ عَمِّــه أبى سالم وخرج إليه فبايعه ، ودخل فاسَ فى منتَصَف شعبان ســنةَ ستين وسبعمائة ، وآستولىٰ علىٰ ملك المغرب ، وقصد تِلِمْسان فأجفل عنها أبو حَمُّو سلطانُ بنى عبد الواد فدخلها بالأمان فى رجبٍ سنةَ إحدىٰ وستين وسبعمائة ، فأقرَّ بمُلْكها حفيدا من أحفاد بنى عبد الواد يقال له أبو زَيَّان ، ورجع إلىٰ فاس فى شعبانَ من سنته . وعاد أبو حَمُّو إلىٰ تِلِمْسان فملكها من أبى زَيَّان . وبنىٰ إيوانًا فَخْمًا بفاس بجانب قصره ، وآنتقــل إليه ، وفوّضَ أمرَ القلعة إلىٰ عُمَر بن عبدالله بن علىّ من أبناء وزرائهم ، فعمد إلىٰ أبى عُمَر (تاشفين المُوَسْوِس) آبن السلطان أبى الحسن فأجلســه علىٰ أريكة المُلْك ، وبايعه فى ذى القَعدة ســنة ثنتين وستين وسبعمائة ، وأفاض العطاءَ فى الجُند . وأصــبح السلطانُ أبو سالم فوجد الأمْرَ علىٰ ذلك ففرّ بنفسه ، فأرسل عمرُ بن [عبد الله بن] (١) علىٍّ فى أَثَره مَنْ قبض عليه وآحتَزَّ رأسه وأتىٰ بها إلىٰ فاس .

(١) الزيادة من العبر ج ٧ ص ٣١٣ .

ثم أنكر أهلُ الدولة علىٰ عُمَر بن عبد الله ما وقع منه من نَصْب أبى عمر المذكور لضَعْف عقله ، فأعمل فِكْرَه فيمن يصْلُح للمُلْك فوقع رأيُه علىٰ (أبى زيَّان محمد بن الأمير عبد الرحمن) بن السلطان أبى الحسن . وكان قد فَزِع إلىٰ مَلِك النصارىٰ بإشْبِيلِيَةَ من الأندَلُس ، فأقام عنده خوفًا من السلطان أبى سالم ، فبعث إليه مَنْ أتىٰ به ، وخلع أبا عُمَر من المُلْك ، وبعث إليه بالآلة والبَيْعة مَنْ تلقَّاه بطَنْجةَ . ورحل إلىٰ فاس فى منتصَف شهر صفر سنة ثلاثٍ وستين وسبعمائة ، ودخل إلىٰ قصر الملك ، فأقام به والوزير عُمَرُ بن عبد الله مستبدٌّ عليه لا يَكِلُ إليه أمْرا ولا نَهْيا وحجره من كل وجه ، فثقُل ذلك علىٰ السلطان أبى زيَّان ، ووامر بعضَ أصحابه فى الفَتْك بالوزير عمرَ، فبلغ الخبرُ الوزيرَ فدخل علىٰ السلطان من غير إذن علىٰ ما كان آعتاده منه ، وألقاه فى بئر وأظهر للناس أنه سَقَط عن ظهر فرسه وهو ثَمِل فى تلك البئر .

وآستدعىٰ من حينه (عبد العزيز) آبن السلطان أبى الحسن من بعض الدُّور بالقلعة ، فحضر القصرَ وجلس علىٰ سرير الملك ، ودخل عليه بنو مَرِينٍ فبايعوه وكَمُل أمره . وذلك فى المحرم سنة ثمان وستين وسبعمائة ، وآستبدّ عليه كما كان مستبِدّا علىٰ مَنْ قبله ، فحَجَره ومنعه من التصرُّف فى شىء من أمره ، ومنع النـاسَ أن يسألوه فى شىء من أمورهم ، فثقُل ذلك عليه غايةَ الثِّقَل ، وأكَنَّه فى نفسه إلىٰ أن آستدعاه يومًا فدخل عليه القصرَ ، وكان قد أكْمَن له رجالًا بالقصر ، فخرجوا عليه وضَرَبُوه بالسيوف حتّىٰ مات . وآستقلّ السلطان عبد العزيز بمُلْكه ، وقصد تِلِمْسان فملكها من يَدِ أبى حَمُّو سلطان بنى عبد الواد بالأمان بعد إجفال أبى حَمُّو عنها ، ودخلها يوم عاشوراءَ سنةَ آثنتين وسبعين وسبعمائة . وآرتحل عنها آخر المحرّم إلىٰ الغرب ووصل

إلىٰ فاس ، ثم عاد إلىٰ تِلِمْسان وخرج منها يُريد المغربَ ، فمرِض ومات فى الثانى والعشرين من ربيع الآخر سنةَ أربع وسبعين وسبعمائة .

وبُويِع بعده ٱبنُه (سعيدُ بن عبد العزيز) وهو طِفْل ، وقام بأمره وزيرُه أبو بكر بن غازى ورجعوا به إلىٰ المغرب ودخل إلىٰ فاس وجُدِّدت له البيعة بها ، وٱستبدّ عليه الوزيرُ أبو بكر ، وحَجَره عن التصرُّف فى شيء من أمره لِصغره . ورجع أبو حَمُّو سلطانُ بنى عبد الواد إلىٰ تِلِمْسان فملكها فى جُمادىٰ سنةَ أربع وسبعين وسبعمائة .

وخرج عليه (أبو العباس أحمد بن أبى سالم) وكان بالأندَلُس فأجاز البَحْرَ وسار إلىٰ فاس فملكها . ودخلها أوّلَ المحرَّم سنةَ ستٍّ وسبعين وسبعمائة، وٱستقل بملك المغرب ، وكان ذلك بموالاة ٱبن الأحمر صاحبِ الأندَلُس فٱتَّصلتْ بينهما بذلك الصُّحبةُ ، وتأكَّدت المودّةُ ، وتخلَّىٰ عن مَرَّاكُش لعبد الرحمن ، وكان بينهما صُلْح وٱنتقاضٌ تارةً وتارةً، وقصد تلمسانَ فملكها من أبى حَمُّو بعد فِراره عنها، وأقام بها أياما وهَدَم أسوارها وخرج منها فى أتباع أبى حمو .

وخالفه السلطان (موسىٰ) ٱبنُ عمه أبى عِنانٍ إلىٰ فاس فملكها ، ونزل دار الملك بها فى ربيع الأوّل سنةَ ستٍّ وثمانين وسبْعِمائة ؛ وقَدِم السلطان أبو العباس إلىٰ فاس ، فوجد موسىٰ ٱبنَ عمه قد ملكها ففرّ عنها إلىٰ تَازَا ، ثم أرسل إلىٰ السلطان موسىٰ بالطاعة والإذْعان، فأرسل مَنْ أتىٰ به إليه ، فقَيَّده وبعث به إلىٰ الأندَلُس وٱستقلَّ السلطان موسىٰ بملك المغرب، وتوفى [لثلاث سنين من خلافته] (١) .

(١) الزيادة من " العبر ج ٧ ص ٣٥٢ " .

وبويع بعده (المنْتصِرُ ٱبنُ السلطان أبى العباس) فلم يلبثْ أن خرج عليه (الواثق محمدُ بن أبى الفضـل) ٱبن السلطان (أبى الحسن) من الأندلس ، فسار إلىٰ فاس ودخلها وحَلَّ بدار المُلْك بها ، وبُويع فى شوّال سنة ثمـان وثمـانين وسبعمائة .

وبعث المنتصر إلىٰ أبيه أبى العبَّاس بالأندَلُس فأجاز السلطانُ أبو العبَّاس من الأندَلُس إلىٰ سَبْتَةَ ، فملكها فى صفر سنة تسع وثمانين وسبعمائة ، ثم ٱستنزله عنها ٱبنُ الأحمر صاحبُ الأندَلُس وٱنتظمها فى مُلْكه ؛ ثم ظهرت دعوةُ السلطان أبى العَبَّاس بمرَّاكُش وٱسـتولىٰ جُندُه عليها ؛ ثم سار إليهـا ٱبنُه المنتِصر وملكها ، وسار السلطان أبو العباس إلىٰ فاس فملكها ودخل البلَدَ الجديد بها خامِسَ رمضانَ سنةَ تسع وثمانين وسبعمائة لثلاثة أعوام وأربعة أشهر من خَلْعـه ، وبعث بالواثق إلىٰ الأندَلُس ثم أمر بقَتْله فقُتِل فى طريقه بطَنْجةَ .

وكان أبو حَمُّو صاحبُ تلمسان قد مات وٱستولىٰ عليها بعـده ٱبنه (أبو تاشفين) قائمـا بدعوة أبى العبَّاس صاحبِ فاس ؛ ومات أبو تاشفين وأقيمَ ٱبنُه طِفْلا فيها ؛ ثم قتله عمُّه يوسف بن أبى حَمُّو ، وجهَّز السلطان أبو العباس ٱبنه (أبا فارس عثمانَ) فملكها وأقام فيها دعوةَ أبيـه ؛ وتُوفِّى السلطان أبو العباس بمدينة تازَا فى المحرَّم سنة ست وتسعين وسبعمائة ، وٱستدعَوُا ٱبنَـه أبا فارس فبايعُوه بتَازَا ، ورجَعُوا به إلىٰ فاس ، وأطلقوا أبازَيَّان بنَ أبى حَمُّو من الاعتقـال وبعثوا به إلىٰ تلِمْسـان . وبَقِى أبو فارس فى مَمْلكة الغـرب إلىٰ الآن : وهو السـلطان أبُو فارس : عثمانُ ٱبن السـلطان أبى العبـاس أحمد ، ٱبن السلطان أبى سالم إبراهيم ، ٱبن السـلطان أبى الحسنَ على ، ٱبن السلطان أبى سعيد عثمان ، ٱبن السلطان أبى يوسف يعقوب ، ٱبن عبد الحق .

المقصـــد الرابع

(فى بيان ترتيب هذه المملكة ، وفيه تسعُ (عشر) جُمَل)

الجمـــلة الأولىٰ

(فى ذكر الجُنْد ، وأرباب الوظائف : من أرباب السُّيوف والأقلام ؛ ومقادير الأرزاق الجارية عليهم ، وزىّ السلطان ، وترتيب حاله فى المُلْك)

أما الجُنْد ، فأشياخٌ كِبَار وأشياخٌ صِغَار ، وهم القائمون مَقامَ الأُمَراء الطَّبلخانات بمصر على ما تقدّم فى أفرِيقِيَّة ، ولا يُعْرف بها أميرٌ له عِدّة كما بمصر والشام و إيرانَ ، ولا يُطْلق آسم الإمْرة عندهم على أحد من الجُنْد بحال . ثم بعد الأشياخ عامَّةُ الجُنْد من الأندَلُسِيِّين وغيرهم ، والعُلُوج من الفَرَنج ، علىٰ ما تقدّم فى مملكة أفريقيَّةَ من غير فَرْق فى الترتيب ؛ والوُزَراءُ والقضاةُ وأربابُ الوظائف علىٰ نحو ماتقدّم فى أفرِيقِيَّةَ .

الجمـــلة الثـانية

(فى زىّ السلطان والأشياخ وأرباب الوظائف فى اللِّبس)

اما زِىّ السلطان والأشياخ وعامَّة الجُنْد ، فإنهم يتعمَّمُون بعمائمَ طوالٍ ، قليلةِ العَرْض من كَتَّان ، ويُعْمَل فوقها إحرامات يلُفُّونها علىٰ أكتافهم ، ويتقلَّدون السُّيوف تقليدا بَدَوِيًّا ، ويلْبَسون الخِفَاف فى أرجلهم (وتسمَّى عندهم الأنمقة) كما فى أفرِيقِيَّة ، ويشُدّون المَهاميزَ فوقها ، ويتّخذون المَنَاطِق وهى (الحَوَائِص) ويعبِّرن عنها بالمضَمَّات من فضَّة أوذهب . وربما بلغت كلُّ مِضَمَّة منها ألفَ مثقال ، ولكنهم لايشُدّونها إلا فى يوم الحَرْب أو يوم التمييز : وهو يوم عَرْضهم علىٰ السلطان . ويختصُّ السلطانُ

بلُبْس البُرْنُس الأبيض الرفيع، لايَلْبَسُه ذو سَـيْف غيْرُه . أما العلماء وأهلُ الصَّلاح فإنه لاحَرَجَ عليهم فى ذلك، ولا حرجَ فى غير المُلوَّن(١) البيض من البرانس علىٰ أحد .

وأما زِىُّ القُضاة والعلمـاء والكُتَّاب وعامَّةِ النـاس ، فقريبٌ من لِبْس الجُنْد . إلا أنَّ عمائمَهـم خُضْر، ولا يَلْبَس أحدٌ منهم الأعْقة : وهى الأخفافُ فى الحَضَر ولا يُمْنَع أحدٌ منهم من لُبْسها فى السَّفَر .

الجمـــــلة الثـالثة

(فى الأرزاق المُطْلَقة من قِبَل السلطان على أهل دولته)

أما رِزْق الأجناد ففى "مسالك الأبصار" عن السَّلايحى : أن للأشياخ الكِبار الإقطاعاتِ الجاريةَ عليهم : لكلِّ واحد منهم فى كل سـنةٍ عشرون ألفَ مثقالٍ من الذهب ، يأخُذُها من قبائل ، وقُرًى ، وضِياعٍ ، وقِلاع ، ويتحَصَّل له من القمح والشعير والحُبوب من تلك البـلاد نحوُ عشرين ألفَ وَسْق . ولكل واحد مع الاقطاع الإحسان فى رأس كل سنة وهو حِصانٌ بسَرْجه ولِجامه، وسيفٌ ورمحٌ محليَّان، وسَبَنِيَّة : وهى بُقْجة قماش فيها ثوبٌ طَرْدُ وحشٍ مُذْهَبٌ سَكَنْدرِىٌّ ، و يعبِّرون عن هذا الثوب بالزَّرْدْخاناه، وثوبانِ بياض من الكتَّان عملِ أفريقيَّة، و إحرامٌ وشاشٌ طوله ثمـانون ذراعا، وقصبتان من ملف وهو الجُوخ . وربما زِيد الأكابرُ على ذلك ، وربمـا نَقَص مَنْ هو دونَ هذه الرتبة . وللأشياخ الصِّغار من الإقطاعِ والإحسان نصفُ ما للأشياخ الكِبار مع الحِصان المُسْرَج المُلْجَم والسيف والرُّمح والكُسوة، ومنهم من لايلْحَق هذه الرتبةَ فيكون أنقصَ . ومَنْ عدا الأشياخَ من الجُنْـد علىٰ طبقات : فالمقرَّبون إلىٰ

(١) لعله فى الملون غير البيض من البرانس

السلطان يكون لكل واحدٍ منهم ستُّون مثقالا من الذهب فى كلِّ شهر، وقليلٌ مَاهم؛ ومَنْ دُونَ ذلك يكون له فى الشهر ثلاثونَ مثقالا ثم مادُونَها، إلىٰ أن يَتَناهىٰ إلىٰ أقلّ الطبقات وهى ستة مثاقيلَ فى كل شهر . وليس لأحد منهم بلد ولا مُزْدَرَع .

وأما قاضى القضاة، فله فى كل يومٍ مثقالٌ من الذهب، وله أرضٌ يسيرة، يُزْرَع بها مايَجىء منه مئُونته وعليق دوابِّه .

وأما كاتب السِّر، فله فى كل يوم مثقالان من الذهب، وله محَرَّان (يعنى قريتين) يَحَصَّل له منهما متحصِّل جيِّد، مع رسوم كثيرة له على البلاد ومنافِعَ و إرفاقات؛ ولكل واحد من كاتب السِّر وقاضى القُضاة فى كل سنةٍ بَغْـلة بسرجها و لجامها، وسَبَنِيَّةُ قُماش برسم كُسْوته كما للأشياخ .

الجمــــلة الرابعة

(فى جلوس السلطان فى كل يوم)

قال السلايحى : من عادة سلطانِهم أن يجْلِس فى بكرة كلِّ يوم ، ويدخُلَ عليــه الأشياخُ الكبار فيسلِّموا عليه ، فيمَدُّ لهم السماطُ ثَرَائد فى جِفَانٍ حولَها طَرافيرُ: وهى الخافى ، فيهـا أطعمةٌ ملوَّنة منوَّعة ؛ ومع ذلك الحَلْوىٰ : بعضها مصنوعٌ بالسُّـكَّر، ومعظمها مصنوع بالعَسَل والزَّيت، فيأكلون ثم يتفرّقون إلىٰ أماكنهم . وربما ركب السلطان بعــد ذلك والعسكرُ معه وقد لا يركَبُ . أما أُخْرَيَاتُ النهــار فإن الغالب أن يركب بعــد العَصْر فى عَسْكره ويذهبَ إلىٰ نَهَر هنالك، ثم يخرج إلىٰ مكان فَسِيح من الصَّحْراء ، فيقفُ به على نَشَز من الأرض ، وتَتَطاردُ الخيلُ قُدَامَه ، وتَتَطاعن الفُرْسان ، وتَتَداعىٰ الأقرانُ، وتُمَثِّل الحرب لديه، وتُقام صفُوفُها علىٰ سبيل التمرين حتّى كأنهـا يومُ الحرب حقيقةً ؛ ثم يعود فى مَوْكبه إلىٰ قصره ، وتتفرّق العساكر ؛

وتحضرُ العلماء وفضلاءُ الناس وأعيانُهم إلىٰ مُحاضَرته حينئذ ، فيمدّ لهم سِمَـاطٌ بين يديْه فيأكُلُون ويُؤاكِلُهم . ثم يأخذ كاتبُ السر فى قراءة القِصَص والرِّقاع والكلام فى المهمّات ، ويَبِيتُ عنـده مَنْ يُسَامِره من الفضلاء فى بعض الليـالى ، وربمـا ٱقتضت الحالُ مَبِيتَ كاتبِ السر فيبيت عِنْدَه .

الجمـــلة الخامســـة
(فى جلوسه للمَظَالم)

قال السلايحى : قد جرتْ عادةُ مَنْ له ظُلامة أن يرتقبَ السلطانَ فى رُكُوبه فى مَوْكبه (يعنى يومَ جلوسه للظالم) فإذا ٱجتاز به السلطانُ صاح من بُعْدٍ «لا إله إلا الله ٱنصُرْنى نَصَرَك الله !» فتُؤخَذ قصتُه وتُدْفَع لكاتب السرّ، فاذا عاد جلَس فى قُبَّة معيَّنة لجلوسه، ويجلس معه أكابرُ أشياخه مقلَّدين السُّيوفَ، ويقفُ مَنْ دونهم علىٰ بُعْد، مصْطَفِّين متكئين علىٰ سُيوفهم ، ويقرأ كاتبُ السرّ قِصصَ أصحابِ المَظَالم وغيْرها فينظُر فيها بما يراه .

الجمـــلة السادســـة
(فى شِـعَار السلطان بهـذه المَمْلكةِ)

منها عَلَم أبيضُ حريرٌ مكتوبٌ فيه بالذهب نسيجا بأعلىٰ دائره آياتٌ من القرءان، يسمُّونه العَلَم المنصورَ كما فى أفريقيَّة . وربمـا عبَّر عنه هؤلاء بسَعْد الدولة ، يحمَل بين يديه فى المواكب .

ومنها ـ أعلامٌ دُونَه مختلفةُ الألوان تحمَل معه أيضا .

ومنها ـ سيفٌ ورُمْح ودَرَقة . يُحمَلْنَ بين يديه فى المواكب أيضا : يحملُها ثلاثةٌ من خاصَّته من وُصْفانه أو من أبناء خَدَم سلَفه .

ومنها ــ أطبار تحمَلُ حوله . ويعبِّرون عنها بالطَّبَرْزِينات ، يحمِلُها أكابرُ قوّاد عُلُوجه من الفرَنج ورجالٌ من الأندلُسيين خَلْفَه وقُدّامَه .

ومنها ــ رِمَاح طِوَال وقِصَار ، يحملها خمسون رجلاً مُشَاة بين يديه مشدودى الأوساط بيدِ كل واحدٍ منهم رُمحانِ : رمحٌ طويل ورمح قصير، وهو متقلِّد مع ذلك بسيف .

ومنها ــ الجَنَائب . وهى خَيلٌ تُقادُ أمامَهُ ، عليها سُرُوج مخروزةٌ بالذهب كالزَّركَش وركُبها ذهبٌ كل رِكَاب زِنتُه ألف دينار ، وعليها ثيابُ سروج من الحرير مرقومةٌ بالذهب ، ويعبّرون عن الجنائب بالمُقَادات ، وعن ثياب السُّروج بالبَرَاقع .

ومنها ــ الطبول تدقّ خلف ساقته وهى من خصائص السلطان ليس لأحد من الناس أن يضرب طبلة غيره حتّى يمنع من ذلك أصحاب الحِلَق .

ومنها ــ البُوقات مع الطبل على العادة .

الجملة السابعة

(فى ركوبه لصلاة العيد)

قال السلايحى : وفى ليلة العيدين يُنادِى والِى البلد فى أهلها بالمَسير ، ويخرج أهلُ كلِّ سُوقٍ ناحيةً ، ومع كل واحد منهم قَوْس أوآلةُ سلاح ، مُتجمِّلين بأحسن الثياب ، ويبيت الناسُ تلك الليلةَ أهلُ كل سُوق بذاتهم خارجَ البلد ، ومع أهل كل سوق عَلَم يختصُّ بهم ، عليه رَنْك أهل تلك الصناعة بما يناسبهم . فإذا رَكِب السلطان بُكْرةَ ٱصطفُّوا صُفُوفا يمشُون قُدّامه ، ويركَبُ السلطان ويركب العسكرُ معه مَيْمَنة ومَيْسَرةً والعلُوج خَلْفَه ملتفُّون به ، والأعلام منشورةٌ وراءه ، والطبولُ خَلْفها حتّى يصلِّىَ ثم يعود ، فينصرف أربابُ الأسواق إلى بيوتهم ، ويحضُر طَعَامَ السلطان خواصُّه وأشياخُه .

الجمـــــلة الثـامنة
(فى خروج السلطان للسـفر)

من عادة هـذا السلطان إذا سافر أن يخرُجَ من قصره وينْزِلَ بظاهر بلَدِه، ثم يرتَحِلَ من هُناك فيُضْرب له طبلٌ كبير قبيل الصبح إشعارًا بالسفر، فيتأهَّب الناسُ ويشتغلُ كلُّ أحد بالاستعداد للرحيل . فإذا صلَّى صلاة الصبح ركب الناسُ علىٰ قبائلهم فى منازلهم المعلومة، ووقفُوا فى طريق السلطان صَفًّا إلىٰ صفٍّ ، ولكل قَبِيلٍ رجلٍ علَمٌ معروفٌ به ومكانٌ فى الترتيب لايتعدّاه ، فإذا صلَّى السـلطانُ الصبح قعد أمام النـاس ، ودارت عليه عبيدُه ووُصْفانُه ونُقَباؤه ، ويجلس ناسٌ حوله يُعْرَفون بالطابة يجرى عليهم ديوانُه، يقرءُون حزبا من القرءان ، ويذكرون شيئا من الحديث النبوىّ، علىٰ قائله أفضل الصلاة والسلام! . فإذا أسْفَر الصبحُ ركب وتقدّم أمامه العـلَمُ الأبيض المعروفُ بالعَـلَم المنصور ، وبين يديه الرَّجّالة بالسلاح والخيـل المَجْنُوبة، بثياب السُّروج المَوْشِيَّة، ويعبّرون عن ثياب السروج بالبراقع . وإذا وَضَع السلطانُ رِجْله فى الرِّكاب ، ضُرِب علىٰ طبـلٍ كبير يقـال له تريال ثلاثَ ضَرَبات إشعارا بركوبه . ثم يسير السلطان بين صفَّىِ الخيل ويسلِّم كلُّ صف عليه بأعلىٰ صوته « ســلام عليكم » ويكتنفانه يمينا وشمـالا ، وتَضْربُ جميع الطبول التى تحت البُنُود الكِبار الملوّنةِ خلفَ الوزير علىٰ بُعْد من السلطان؛ ولا يتقدّم امامَ العَلَم الأبيض إلا من يكونُ من خواصِّ عُلُوج السلطان، وربما أمرهم بالجَوَلان بعضهم علىٰ بعض؛ ثم ينقطع ضربُ الطبول إلىٰ أن يقرُب من المنزل .

وإذا ركب السلطانُ لا يسايرُه إلا بعضُ كِبَار الأشياخ من بنى مَرِينٍ أو بعض عظماء العرب ، وإذا استدعىٰ أحدا لايأتيه إلا ماشياً ، ثم ربما حدّثه وهو يَمْشى ، وربمـا

اكرمه فأكرمه بالرُّكُوب . فاذا قَرُب السلطانُ من المنْزِل تقدّمت الزَّمَّالة : وهم الفَرّاشون ، ويضرِبُون شُقَّة من الكَتّان فى قلبها جلود يقوم بها عِصِىٌّ وحبال من القَصَب فى أوتاد، وتستدير على كثير من الأخْبِيَة وبيوتِ الشَّعَر الخاصّة به وبعياله وأولاده الصِّغار، تكون هذه الشُّقَّة كالمدينة لها أربعة أبواب فى كل جهةٍ بابٌ، وهذه الشُّقَّة هى المعبَّر عنها فى الديار المصرية بالحَوْش، ويَحُفُّ به عبيدُه وعُلوجُه ووُصْفانُه، ويُضْرَبُ للسلطان أمامَ ذلك قُبَّة كبيرةٌ مرتفعة من كَتّان تسمّى قبة الساقة لجلوس الناس فيها وحُضُورهم عنده بها، وهذه هى التى تسمّى بمصر المدوّرة .

وإذا عاد السلطان إلى حضرة ملكه ضَرَبت البشائرُ سبعةَ أيام ، وأطعم الناس طعاما شاملا فى موضع يَسَع كافَّتَهم .

الجملة التاسعة

(فى مقدار عسكر هذه المملكة)

قال فى "مسالك الأبصار" : سألت أبا عبد الله السلايجى عن عدّة هذا العسكر فى سلطنة أبى الحسن المَرِينِىّ، وكان ٱبن جرّار قد قال إن عسكره مائةُ ألف وأربعون ألفا ـ فقال : الذى نعرفه قبل فتحه تِلِمْسانَ أن جَرِيدتَه المُثْبتَة فى ديوانه لا تزيد على أربعين ألفَ فارس غيْرَ حفَظَة المُدُن والسواحل، إلا أنه [يُمكِنُه] إذا ٱستجاش لحربٍ عليه أن يَخْرُج فى جموع كثيرة لا تكاد تحصر، وأنه يمكن أن يكون قد زاد عسكره بعد فتح تِلِمْسان مثل ذلك .

الجمـــلة العاشرة

(فى مكاتبـات السلطان)

قال فى "مسالك الأبصار" : جرت العادةُ أنه إذا آنتهىٰ الكاتب إلىٰ آخر الكتاب وكتب تاريخَه، كتب السلطان بخطه فى آخره ماصورته "وكُتِب فى التاريخ المؤرَّخ به" . ونَقَل عن السلايجى : أن ذلك ممـا أحدثه أبو حفص «عمرُ المَرِينىّ» عم السـلطان أبى الحسن فى سلْطَنته ، وتبعه السـلطان أبو الحسن علىٰ ذلك مع وُثُوقه بكاتب سِرّه حينئذ: الفقيه الفاضل أبى محمد عبد المهيْمِن بن الحَضْرمى وآعتماده عليه ومشاركَته له فى كل أمر .

المملكة الخـامسة

(من بلاد المغرب جبال البربر)

قال فى "مسالك الأبصار": فى جَنُوب الغرب بين مملكة بَرِّ العُدْوة وبين بلادمالِّى وما معها من بلاد السُّوذان ثلاثةُ ملوك من البربر بيضٌ مسلمون: وهم سلطان (أهير) وسلطان (دمونسة) وسلطان (تادمكة) كل واحد منهم ملك مستقلّ بنفسه لا يحكم أحد منهـم علىٰ الآخر، وأكبرهم ملك (أهير) وزِيهم نحو زِىّ المغاربة : يلبَسُون الدَّراريعَ إلا أنهـا أضيقُ ، وعمـائم بأحناك؛ وركُوبهم الإبلُ ، ولا خيـل عندهم ولا لَمرينىّ [عليهم حكم ولا لصـاحب مالّى][1] ولا خبز عندهم؛ وعيشُهم عيشُ أهل البَرِّ من اللحم واللَّبن . أما الحبوب عندهم فقليلة، وهم فى قِلَّة أقوات .

ونقل عن الشيخ عيسىٰ الزواوىّ أن لهم جبالا عامرةً، كثيرةَ الفواكه . وذكر أن ما بأيدى الثلاثة تقـديرُ نصف ما لَمِلك مالىِّ من ملوك السُّودان أو أرجح بقليل؛

---

(١) الزيادة من "مسالك الابصار" ليستقيم الكلام .

ولكن صاحب مالّي أكثرُ في تحصيل الأموال لاستيلائه على بلاد الذهب وما يُباع بمملكته من السِّلَع ، وما يغنَمُـه في الغَزَوات من بلاد الكُفّار لمجاورته لهم بخلاف هؤلاء فإنه ليس لهم يد تمتدّ إلى كَسْب ، بل غالبُ أرزاقهم من دوابّهم . ثم قال : ودون هؤلاء فيما بينهم و بين مَرَّاكُش من بلاد المغرب جبالُ المَصَامدة، وهم خَلْق لا يعدّ، وأمم لا تُحصىٰ، وهم يَفْتَخِرون بالشجاعة والكرم .

ثم ذكر أنهم كانوا لا يدينون لسلطان إلا أنهم دانُوا للسلطان أبي الحسن المَرِينيّ ودخلوا تحتَ ذيل طاعته . على أنهم لا يُمَلِّكون أحدا قِيادَهم، ولا يسلِّمون إليـه بلادهم . و بكل حال فهم معـه بين صِحَّة واعتلال .

المملكة السادســـة

(من ممـالك بلاد المَغْرب جزيرة الأَنْدَلُس)

قال في "تقويم البُـلْدان" : بفتح الألف والدال المهملة وسكون النون بينهما وضمِّ اللام ثم سـين مهملة . وهي مقابلَ برّ العُدْوة من بلاد المغرب، و بينهما بحر الزُّقَاق الذي هو فَمُ بحر الروم ، وقد تقـدّم ذكـره في الكلام على الأبحر في أوّل هذه المقـالة .

وقد اختُلِف في سبب تسمية الأندَلُس بهذا الاسم : فقيـل ملَكَتْه أُمّة بعـد الطُّوفان يقال لهـا الأندَلُش بالشين المعجمة فسمِّي بهم ثم عرب بالسين المهملة ؛ وقيـــل خرج من رُومةَ ثلاثة طوالع في دِهِن الروم[1] ، يقال لأحدهم القَنْدَلُش بالقاف في أوّله و بالشين المعجمة في آخره ؛ فنزل القَنْدَلُش هـذه الأرض فعُرِفت به ، ثم

---

(١) لعله في زمن الروم .

عُرِّبت بابدال القاف همزةً والشين المعجمة سينا مهملة . ويقال : إن آسمه القديم أفارية ، ثم سمِّى باطقة ، ثم سمِّى أشْبانِيَة ، ثم سمِّى الأندَلُس باسم الأُمَّة المذكورة . قال فى "تقويم البُلْدان" : وسمِّيت جزيرةً لإحاطة البحر بها من الشرق والغرب والجنوب ، وإن كان جانبُه الشمالىّ متصلا بالبرّ كما سيأتى بيانه فيما بعدُ إن شاء الله تعالىٰ .

وفيه ست جمل :

الجمـــــلة الأولىٰ
(فى ذكر سمك(١) أرضـــه وحدوده)

قال فى "تقويم البُلْدان" : وجزيرة الأندَلُس علىٰ شكل مثلّث : ركنٌ جنوبىّ غربىّ ، وهنـاك جزيرة قادِس وفَمُ بحر الزُّقَاق . وركن شرقىّ بين طَرَّكُونة وبين بَرْشَلُونة ، وهى فى جَنُوبيه ، وبالقرب منـه بَلَنْسِيَةُ وطَرْطُوشَةُ وجزيرة مَيُورْقَة . وركن شَمَالِىٌّ بمَيْلة إلىٰ البحر المحيط ، حيثُ الطولُ عشر درجات ودقائق ، والعرضُ ثمانٌ وأربعون . وهناك بالقرب من الركن المذكور مدينة شَنْتَياقوه ، وهى علىٰ البحر المحيط فى شمـالىّ الأندَلُس وغربيِّها . قال : والضِّـلَع الأوّلُ من الركن الجنوبىّ الغربىّ — وهو الذى عند جزيرة قادِس — إلىٰ الركن الشَّرْقىّ الذى عند مَيُورْقَة ، وهذا الضِّلع هو ساحل الأندلس الجَنوبىّ الممتدّ علىٰ بحر الزقاق . والضلع الثانى من الركن الشرقىّ المذكور إلىٰ الركن الشمالىّ الذى عنـد شَنْتَياقوه ، وهـذا الضِّلع هو حدّ الأندَلُس الشمالىّ ، ويمتـدّ علىٰ الجبل المعروف بجبل البُرْت الحـاجزِ بين الأندَلُس وبين أرض تُعْرَف بالأرض الكبيرة ، وعلىٰ ساحل الأندَلُس الممتدّ علىٰ بحر بَرْدِيل . والضلع الثالث من الركن الشمالى المذكور إلىٰ الركن الجَنُوبىّ المقدّم الذكر ، وهذا الضلع هو ساحل الأندَلُس الغربىّ الممتدّ علىٰ البحر المحيط .

(١) لعله شكل كما يفيده ما بعده وفى القطعة الازهرية تشكيل أرضه .

قال ابن سعيد : قال الحجارىّ : وطول الاندلس من جبل البِرْت الفاصلِ بين الأندَلُس والأرض الكبيرة وهو نهاية الأنَدلُس الشرقيةُ إلىٰ أَشْبُونة : وهى فى نهاية الأندَلُس الغربيةِ ألفُ ميل، وعَرْضُ وَسَطه من بحر الزُّقاق إلىٰ البحر المحيط عند طُلَيْطلةَ وجبل البِرْت ستةَ عشر يومًا . قال فى "تقويم البُلْدان" : وقد قيل : إن طوله غربا وشرقا من أَشْبُونة : وهى فى غَرْب الأندَلُس إلىٰ أربُونةَ : وهى فى شرق الأندَلُس مسيرةُ ستين يومًا، وقيل : شهر ونصف . وقيل : شهر . قال : وهو الأصح .

وٱعلم أن جبل البِرْت المقدّم ذكْرُه متصلٌ من بحر الزُّقاق إلىٰ البحر المحيط وطولُه أربعون ميلا ، وفيه أبواب فتحها الأوائلُ ، حتّى صار للأندَلُس طريقٌ فى البرّ من الأرض الكبيرة ، وقبل فتحها لم يكن للأندَلُس من الأرض الكبيرة طريقٌ . وفى وسط الأندَلُس جبل ممتدٌّ من الشرق إلىٰ الغرب يقال له جبل الشارة ، يقسمه بنصفين : نصفٍ جنوبىّ ونصفٍ شمالىّ .

الجملة الثانية
(فيما ٱشتمل عليه من المُدُن)

وهو يشتمل علىٰ عدّة قواعِدَ ومُضافاتِها :

القاعدة الأولىٰ
(غَرْناطةُ)

قال فى "تقويم البُلْدان": بفتح الغين المعجمة وسكون الراء المهملة وفتح النون وألف وطاء مهملة وهاء فى الآخر . ويقال : أَغَرْناطة بهمزة مفتوحة فى أوّلها . وهى مدينة فى جَنُوب الأندَلُس ، موقعها فى الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة قال

آبن سـعيد : حيثُ الطولُ إحدىٰ عشرةَ درجة وأربعون دقيقة ، والعرضُ سبع وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة . قال فى "تقويم البُلْدان" : ومَمْلكتها فى الجنوب والشرق عن مَمْلكة قُرْطُبة ، وبينها وبين قُرْطُبة نحو خمسة أيام . قال : وغَرْناطةُ فى نِهاية الحَصَانة وغاية النَّزاهة ، تُشْبه دِمَشْق من الشام ، وتُفَضَّل عليها بأنّ مدينتها مُشْرِفة علىٰ غُوطَتِها وهى مكشوفة من الشمال ؛ وأنهارها تنصبُّ من جبل الثلج الذى هو من جنوبيها وتخرّق فيها ؛ وعليها الأرْحى داخلَ المدينة ؛ ولها أشجار وثِمار ومياه مسيرةَ يومين تقع تحت مَرْأىٰ العين لا يحجُبها شىء . قال فى "مسالك الأبصار" ولهـا ثلاثةَ عشَر بابا : باب إلْبِيرَة وهو أضخمها ؛ وباب الكُحْل ؛ وباب الرَّخاء ؛ وباب المرضىٰ ؛ وباب المَصْرَع ؛ وباب الرملة ؛ وباب الدبّاغين ؛ وباب الطَّوّابين ؛ وباب الفَخّارين ؛ وباب الخَنْدق ؛ وباب الدفاف ؛ وباب البُنود ؛ وباب الأَسْدر . وحولهـا أربعة أرباض(1) : ربَضُ الفَخّارين ؛ وربَضُ الأجل ، وهو كثير القُصُور والبساتين ؛ وربض البيـازين بناحية باب الدفاف ، وهو كثير العمارة يخرج منه نحو خمسةَ عشرَ ألفَ مقاتل ، وهو ربض مستقلٌّ بحكّامه وقُضاته وغير ذلك . وجامعها من أبدع الجوامع وأحسـنها مَنْظَرا ، وهو مُحْكَم البناء لا يُلاصِقه بنـاء ، تَحُفُّ به دكاكينُ الشُّهود والعطّـارين ، وقد قام سَقْفه علىٰ أعمـدة حِسان ، والمـاء يجرى داخلَه ، ومساجدُها [ورِباطاتُها] لا تكاد تُحْصىٰ لكثرتها .

وذكر فى "مسالك الأبصـار" : أنها قليـلةُ مَهَبِّ الرياح ، لا تجرى بها الريحُ إلا نادرا لاكتناف الجبال إيّاها . ثم قال : وأصل أنهارها نهران عظيمان (شَنيل)(2) و(حَدَرُّه) .

(1) لم يذكر الا ثلاثة وأسقط ربض الرملة وهو مذكور فى المسالك .

(2) كذا فى "التقويم" أيضا والذى فى "المعجم" سنجل وهو الاظهر .

أما شَنيل، فينحدر من جبل شُكَيْر بجنوبيها ويمر على غربيّ غَرْناطة إلى فَحْصها، يشُقّ فيها أربعين ميلا بين بساتين وقُرًى وضياع كثيرة البيوت والغلال وأبراج الحمام وغير ذلك. قال: وينتهى فحصها إلى (لَوْشَة) حيث أصحابُ الكهف على قول، وجبل شُكَيْر المذكور هو طَوْد شامخ لا ينْفَكُّ عنه الثلج شتاءً ولا صيفا، فهو لذلك شديد البَرْد، ويؤثّر برده بغَرْناطة فى الشتاء: لقربه منها إذ ليس بينه وبينها سوى عشرة أميال. وفى ذلك يقول ابن صدرة الشاعر قاتله الله:

أُحِلَّ لنا تَرْكُ الصلاةِ بأرْضِكم، * وشُرْبُ الحُمَيَّا وهو شىءٌ محرَّم!

فِرَارا إلى نار الجَحيم لأنَّها * أرَقُّ علينا من شُكَيْر وأرحَمُ!

لَئِنْ كان رَبِّى مُدْخِلى فى جَهَنَّمٍ، * ففى مِثْلِ هذا اليومِ طابَتْ جَهَنَّمُ!

وأما حَدَرُّه، فينحدر من جبل بناحية (وادياش) شرقىَّ شُكَيْر فيمرُّ بين بساتين ومَزارعَ وكُرُوم إلى أن ينتهِىَ إلى غَرْناطةَ، فيدخلُها على باب الدفاف بشرقِيِّها، يشُقُّ المدينة نصفين، تَطْحَن به الأرحاءُ بداخلها، وعليه بداخلها خمسُ قناطِرَ: وهى قنطرة ابن رَشيق، وقنطرة القاضى، وقنطرة حَمَّام جاس، والقنطرة الجديدة، وقنطرة الفود؛ وعلى القناطر سواقٍ ومبانٍ محكمة. والماء يجرى من هذا النهر فى جميع البلد: فى أسواقه وقاعاته ومساجده، يبرُزُ فى أماكِنَ على وجه الأرض، وتخفى جداولُه تحتها فى الأكثر، وحيث طُلِب الماء وُجِد؛ وبالمدينة جبلانِ يشقَّان وسَطَها، يعرف أحدهما بالحزة ومَوْزُور. والثانى بالقصبة القديمة، وبالز. وبهما دُور حِسَان، وعَلالِىّ مُشْرِفة على فحصها، فيرى منهما منظرا بديعا من فروع الأنهار والمزْدَرَعات وغير ذلك مما يقصر عنه التخييل والتشبيه. وقد صارت قاعدةَ مُلك الإسلام بالأندلُس بيد ملوكها من بنى الأحمر الآتى ذكرهم فى الكلام على ملوكها.

قال فى " مسالك الأبصار " : وبهـا من الفواكه التُّفَّـاح ، والقَرَاصِيا البعْلَبَكِّيّة التى لاتكاد تُوجد فىالدنيا منْظَرا وحلاوةً حتى إنها ليُعْصَر منها العسلُ . وبها الجَوْز، والقَسْطَل، والتين، والأعناب، والخَوْخ، والبَلُّوط، وغير ذلك . وبجبـل شُكَيْر المقدّم ذكره عقاقيرُ كعقاقير الهنـد وعُشْب يستعمل فى الأدوية، يعرفها الشجّارون لا تُوجَد فى الهند ولا فى غيره .

قال فى "التعريف" : ومقرّ سلطانها منها (القصبة الحمراء) قال : ومعنىٰ القصبة عندهم القلعة، وتسمّى حمراءَ غَرْناطة . قال فى "تقويم البُلْدان" : وهى قلعة عالية شديدة الآمتناع . قال فى " مسالك الأبصار " : وهى بديعةٌ متَّسعة كثيرةُ المَبَانى الضخمة والقصور ظريفةٌ جدّا ، يجرى بها المـاء تحت بَلَاط كما يجرى فى المدينة، فلا يخلو منه مسجدٌ ولا بيتٌ، وبأعلىٰ بُرْج منها عين ماء؛وجامعُها من ابدع الجوامع حُسْنا، وأحسنها بِناءً، وبه الثُّرَيَّات الفِضِّيَّة معلَّقة ؛ وبحائط محرابه أحجارُ ياقوت مُرَصَّعة فى جمـلة مانُمِّق به من الذهب والفِضَّة ؛ ومِنْـبره من العاج والآبنوس . قال فى "تقويم البُلْدان" فى الكلام علىٰ الأندَلُس : ولم يبق للسلمين بها غيرُ غَرْناطة وما أُضيف إليها، مثل الجَزيرة الخضراء، والمَرِيَّة . قال فى "مسالك الأبصار" : وطولها عشرة أيام، وعرضها ثلاثة أيام . وهى ممتدّة علىٰ بحر الزُّقاق وما يلى ذلك . ثم قال : وأوّلهـا من جهة المشرق المَرِيَّة، وهى أوّل مَرَاسِى البـلاد الإسلامية . قال فى " تقويم البُـلْدان " : وكانت القاعدةُ قبـل غَرْناطة حصنَ إلْبِيرَة، فخرب فى زمن الإسلام ، وصارت القاعدةُ غرناطةَ .

وقد عدّ فى " مسالك الأبصار " من هـذه المملكة عدّةَ بلاد مُضـافة إلىٰ مملكة غَرْناطةَ الآن .

منها (المَرِيَّة) قال فى "المشترك" : بفتح الميم وكسر الراء المهملة وتشديد المثناة من تحت وفى آخرها هاء . وهى مدينة بين مملكتَىْ مَالَقَةَ ومُرْسِيَةَ، موقعها فى الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال فى "تقويم البُلْدان" : والقياس أنها حيث الطولُ أربعَ عشرة درجةً، والعرض خمس وثلاثون درجة وآثنتان وأربعون دقيقة . قال : وهى مدينة مسوَّرة علىٰ حافة بحر الزُّقاق، وهى باب الشَّرق، ومفتاح الرِّزْق، ولها بَرّ فِضِّىّ، وساحل تِبْرِىّ، وبحر زَبَرْجَدِىّ، وأسوارها عالية، وقلعتها منيعة شامخة، وهواؤها معتدل، ويعمل بها من الحرير ما يفوق الجمال[1] .

قال فى "مسالك الأبصار" : والمَرِيَّة ثلاثُ مُدُن .

الأولىٰ — من جهة الغرب تعرف بالحَوْض الداخلىّ. لها سور محفوظ من العدوّ بالسُّمّار والحُرّاس، ولا عمارة فيها ؛ ويليها إلىٰ الشرق المدينةُ القديمةُ ؛ وتليها المدينةُ الثالثة المعروفة بمصلَّى المَرِيَّة، وهى أكبر الثلاث . ولها قلعة بجوار القديمة من جهة الشِّمال، وتسمَّى القصبة فى عُرْفهم . قال : وهماقصبتان فى غاية الحسن والمَنَعة . وساحل المَرِيَّة أحسن السَّواحل ، وحولها حُصُون وقُرًى كثيرة وجبالٌ شامخة . وجامعها الكبير بالمدينة القديمة، وهو من بديع الجوامع . وهى مدينة كثيرة الفواكه، وأكثر زرعها بالمطر وعليه يترتب الخِصْب وعدمُه ؛ وإليها تُجْلَب الحنطةُ من برّ العُدْوة؛ وبها دار صناعة لعمارة المَرَاكب؛ وبينها وبين غَرْناطة مسيرةُ ثلاثة أيام . وكانت فى الزمن الأوّل قبل إضافتها إلىٰ غَرْناطةَ مملكةً مستقلّةً . ويقال : إن وادى المَرِيَّة من أبدع الأوْدِيَة علىٰ أن ماءه يقِلُّ فى الصيف حتى يُقَسَّط علىٰ البساتين .

(١) الذى فى تقويم البلدان "ويعمل بها من الحرير مايفوق معمول غيرها" .

قال فى "مسالك الأبصار" : وعلىٰ وادى المَرِيَّة (بَجَّانَةُ) . قال : وهى الآن قرية عظيمة جِدًّا ، ذاتُ زيتونٍ وأعنابٍ وفواكهَ مختلفةٍ ، وبساتينَ ضَخْمةٍ كثيرة الثمرات .

ومنها (شَلَوبِين) (١) بفتح الشين المعجمة وضم اللام وسكون الواو وكسر الباء الموحدة وسكون الياء المثناة تحت ونون فى الآخر. وسماها فى "تقويم البُلْدان" : شلوبينية . ثم قال : وهو من حصون غَرْناطةَ البحرية علىٰ بحر الزُّقاق ، ومنه أبو على عمرُ بنُ محمد الشَّلَوبِينىّ إمامُ نحاة المغرِب . قال صاحب حماة : وقد غلط من قال الشَّلَوبِينى هو الأشقر بلغة الأندلس . قال فى "مسالك الأبصار" : وبها يُزْرَع قصَبُ السكر ، وهى مُعَدَّة لإرسال من يغضَبُ عليه السلطانُ من أقاربه .

ومنها (المُنَكَّب) . قال فى "مسالك الأبصار" : وهى مدينة علىٰ القرب من شَلَوبِينَ دُونَ المَرِيَّة ، بها دارُ صناعةٍ لإنشاء السُّفُن ، وبها قصَب السكَّر ، ومنها يحمَلُ السكر إلىٰ البِلاد . وبها المَوْز ، ولا يُوجَد فى بلد من البلاد الإسلامية [هُنَالك] إلا بها إلا مالا يعتبَر ، وبها زبيبٌ مشهورُ الاسم .

ومنها (بَلَّش) . وهى مدينة تَلِى المُنَكَّب من جهة الغرب ، كثيرة التِّين والعنب والفواكه . قال أبو عبد الله بن السديد : ليس بالأندَلُس أكثَرُ عنبا وتينا يابِسًا منها .

ومنها (مالِقَة) (٢) قال فى "تقويم البُلْدان" : بفتح الميم وألف وكسر اللام وفتح القاف وهاء فى الآخر . وهى مدينة من جنوب الأندَلُس موقعها فى الإقليم الرابع

(١) ضبطه ابن خلكان فى "الوفيات" بفتح اللام وهو المشهور .

(٢) ضبطها ياقوت فى معجمه بفتح اللام وهو الاشهر .

من الأقاليم السبعة . قال : وقياس ابن سعيد أنها حيث الطولُ عشرُ درج وثلاثون دقيقةً ، والعرضُ ثمانٌ وثلاثون درجة وأربع وخمسون دقيقة : وكانت فى القديم مملكةً مستقلّةً ، ثم أُضيفت الآن إلىٰ غَرْناطة وملكها حتّىٰ مملكة قُرْطبة ، وهى بين مملكتَىْ إشْبِيلِيَة وغَرْناطة ، وهى علىٰ بحر الزُّقَاق ، وبها الكثير من التين واللَّوْز الحَسَن المَنْظَر ، ومنها يُنْقَل يابسا إلىٰ جميع غرب الأَنْدَلُس . قال فى "مسالك الأبصار" : ولها رَبَضان عامران : أحدُهما من عُلُوها والآخَرُ من سُفْلها وجامعها بديع ، وبصحنه نارنج ونخلة نابتة ؛ وبها دار صناعةٍ لإنشاء المراكب ؛ وهى مختصّة بعمل صنائع الجلد : كالأغْشِيَة ، والحُزُم ، والمدورات ؛ وبصنائع الحديد : كالسِّكّين والمِقَصّ ونحوهما . وبها الفَخّار المُذْهَب الذى لا يوجَدُ مثله فى بلد . قال ابن السديد : وبها سوق ممتدٌّ لعمل الخُوص من الأطباق وما فى معناها ؛ ولها عِدّةُ حصون فى أعمالها ، وفى أعمالها يوجد الحَرِير الكثير .

ومنها مدينة (مَرْبُلَّة) بفتح الميم وسكون الراء المهملة وضم الباء[1] الموحدة وفتح اللام المشدّدة وهاء فى الآخر . وهى مدينة صغيرة مما يلى مالِقَةَ من الغرب علىٰ الساحل ؛ وبها الفواكهُ الكثيرةُ والسمكُ .

ومنها (أُشْبُونة) . وهى مما يلى مَرْبُلّة من جهة الغرب علىٰ الساحل ، وهى نظيرها فى كَثْرة الفواكه .

ومنها (جبل الفَتْح) . وهو الذى نزله طارقٌ عند فتح الأَنْدَلُس فى أول الإسلام ، منيعٌ جِدًّا ، يخرج فى بحر الزُّقاق ستة أميال ، وهوأضيقُ مايكون عنده ، وقد كان هذا

(١) ضبطها ياقوت بفتح الباء وضم اللام .

الجبل فى مَمْلكة الفَرَنج وأقام بيدهم عدّةَ سـنين ، ثم أعاده الله تعالىٰ إلىٰ المسلمين فى أيام السلطان أبى الحسن المَرِينِيّ، صاحب الغرب الأقصىٰ فى زمن الملك الناصر «محمد بن قَلَاوون» صاحب الديار المصرية .

ومنها (الجزيرة الخَضْراء) . وهى مما يلى جبل الفَتْح من الغرب علىٰ الساحل؛ وموقعُها فى الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال فى "تقويم البُلْدان" : والقياس أنها حيثُ الطولُ تسـعُ دَرَج، والعرضُ خمسٌ وثلاثون درجة وخمسون دقيقـة . قال : وهى مدينـةٌ أمام سَبْتَةَ من بَرّ العُـدْوة من بلاد الغرب . وهى مدينـة طَيِّبةٌ نَزِهة، توسَّطتْ مُدُنَ الساحل، وأشرفَتْ بسُورها علىٰ البحر، ومَرْساها من أحسن المَرَاسِى للجواز ، وأرضُها أرضُ زرع وضَرْع ؛ وخارجَها الميـاهُ الجاريةُ والبساتينُ النضيرة ؛ ونهرها يُعرف بوادى العَسَل ، وعليه مكان نَزِه يُشْرِف عليـه وعلىٰ البحر يعْرَف بالحاجِبيَّة ؛ ومن مستَنْزَهاتها مكانٌ يعرف بالنَّقاء . قال ابن سعيد : وهى من أرشق المُدُن وأطيبها وأرْفَقِها بأهلها وأجمعها لخير البَرِّ والبحر . قال فى "المشترك": والنسـبة إليها جَزِيرىٌّ ، للفرق بينها وبين إقليم الجزيرة فإنه ينسب إليـه جَزَرِىٌّ . قال فى "مسالك الأبصار" : وهى آخر البلاد البحريّة الإسلامية للأندَلُس وليس بعدها [لهم بلاد] . ثم قال : وهى الآن بيد النصارىٰ أعادها الله تعالىٰ وقصمهم؛ وقد عدّها فى "تقويم البُلْدان" : من كُوَر إشْبِيلِيَةَ مما يلى جانبَ نهرها من الجَنُوب .

ومنها (رُنْدَةُ) بضم الراء وسكون النون وفتح الدال المهملة وهاء فى الآخر . وهى بعيدة عن البحر . وعدَّها فى "تقويم البُلْدان" من كُوَر إشْبِيلِيَةَ . ثم قال : وبها مَعْقِل تَعَمَّم بالسحاب، وتوَشَّح بالأنهار [العِذَاب][1] وذكر أنها من كِبَار البُلْدان، ثم قال :

(١) الزيادة عن التقويم .

وهى بلدة جليلة ، كثيرة الفواكه والمياه والحَرْث والماشيَة ، وأهلها موصوفون بالجَمَال ورِقّة البشرة واللَّطافة ؛ و بينها و بين الجزيرة الخضراء مَسيرةُ ثلاثة أيّام .

ومنها (مدينة لَوْشَة) . قال فى "تقويم البُلْدان" : وهى عن غَرْناطةَ علىٰ مرحلة بين البساتين والرياض .

ومنها (وادِيَاش) بفتح الواو وألف ثم دال مهملة مكسورة بعدها ياء مثناة تحتية وألف ثم شين معجمة . ويقال : (وادِآش) بإبدال الياء همزةً . قال فى "مسالك الأبصار" : وهى بلدة حسنة ، بَديعة ، منيعة جدّا ، كثيرة الفواكه والمَزَارع ؛ والمياه تَشُقّ أمام أبوابها كما فى غَرْناطةَ ، قريبة من جبل شُكَيْر المقدّم ذكره مع غَرْناطةَ ، فلذلك هى شديدة البَرْد بسبب ماعلىٰ الجبل المذكور من الثَّلْج . قال : وهى بلدة مُمْلِقة ، وأهلها موصوفون بالشِّعْر ، ويحكم بها الرؤساء من أقارب صاحب غَرْناطةَ أو مَنْ يستقِلُّ بها سلطانا أو مَنْ خُلع من سلطان لنفسه .

ومنها (بَسْطَةُ) . وهى بلدة تلى وادِيَاش المقدّم ذكرها . وعدّها فى "تقويم البُلْدان" من أعمال جَيَّان . قال فى "مسالك الأبصار" : وهى كثيرة الزَّرْع واَختَصَّتْ بالزعفران ، فبها منه ما يكفى أهلَ المِلَّة الإسلامية بالأندَلُس علىٰ كثرة ما يستعملونه منه .

ومنها (أنْدَرَاش) . قال فى "مسالك الأبصار" : وهى مدينة ظريفة ، كثيرة الخِصْب ، وتختصّ بالفَخَّار لجَوْدة تُرْبتها ، فليس فى الدنيا مثلُ فَخَّارها للطَّبْخ . إلىٰ غير ذلك من البُلْدان مثل أرحضونة وأَنْتَقِيرةَ و بَرْجةَ وغيرها . قال فى "مسالك الأبصار" : وحصون هذه المملكة كثيرةٌ جدّا ، فليس بها من بلد إلا وحوله حُصُون كثيرة محفوظة بوُلاة السلطان ورجالٍ تحت أيديهم .

القـاعدة الثـانيـــة
(أُشْـبُونة)

قال فى " تقويم البُـلْدان " : بضم الهمزة وسكون الشين المعجمة وضم البـاء الموحدة ثم واو ونون وفى آخرها هاء . قال : وعن بعض المسافرين أنّ أوّلها لام . وهى مدينة فى غَرْب الأندَلُس ، وموقعها فى أواخر الإقليم الخامس من الأقاليم السـبعة قال آبن سعيد : حيث الطولُ ستُّ دَرَج وخمس وخمسون دقيقة ، والعرضُ آثنتان وأربعون درجة وأربعون دقيقة . قال فى "تقويم البُلْدان" : وهى قاعدةُ مملكةٍ علىٰ البحرالمحيط فى غربىّ إشْبِيلِيَةَ وشَمَالِيِّها ، وغَرْبىّ باجَةَ . وهى مدينة أزليَّة ولها البساتينُ والثِّمار المفَضَّلة علىٰ غيرها . قال آبن سعيد : وبينها وبين البحر المحيط ثلاثون ميلا . وهى علىٰ جانب نهر يُودانِس . قال فى " تقويم البُـلْدان " : وبُزَاتها خِيارُ البُزَاة . قال : وكانت فى آخر وقت مضافةً إلىٰ بَطَلْيَوْس وملَكها آبنُ الأفْطَس . وذكر فى " العبر " : أنها الآنَ قاعدةُ مملكةٍ من ممـالك النصارىٰ بالأندَلُس يقال لها مملكة البُرْتقال ، وأنها عُمَالة صغيرة ، وقد أُضِيفت الآنَ إلىٰ أعمال جلِّيقيَّة كما سيأتى ذكره فى الكلام علىٰ ملوك الأندَلُس .

ولهـا مضافات :

منها (شَنْتَرِينُ) قال فى " تقويم البُلْدان " : بفتح الشين المعجمة وسكون النون وكسر المثناة من فوق والراء المهملة وسكون المثناة من تحت وفى آخرها نون فيما هو مكتوب بخط آبن سعيد . وهى مدينة كانتْ فى القديم من جِلِّيقيَّة شمالىَّ الأندَلُس ، ثم آستقرّت من أعمـال أُشْبُونةَ المقـدّم ذكرها . موقعها فى الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة قال آبن سعيد : حيث الطولُ ثمـانُ درج وعشرُ دقائق ، والعرض

آثنتان وأربعون درجة وخمس وثلاثون دقيقة ، وهى علىٰ بحر بِرْطانِيَة : وهو بحر بَرْدِيل الخارج من البحر المحيط المقدّم ذكره فى الكلام علىٰ البُحُور، وهى علىٰ نهر يَصُبُّ فى البحر وأرضها طَيِّبة .

ومنها (شَنْتَرةُ) . وهى مدينة ذكرها فى "تقويم البُلْدان" مع أُشْبونةَ آستطرادا ونسبها إلىٰ عَمَلها، ولم يتعرّض لضَبْطها ولا لطُولها وعَرْضها . وقال : إن بها تُفَّاحا مُفْرِطا فى الكِبَرَ والنَّبالة .

ومنها مدينة (باجَةَ) بفتح الباء الموحدة وألف ثم جيم مفتوحة وهاء فى الآخر . قال فى "تقويم البُلْدان" : وهى شرقِيَّ أُشْبُونةَ ، وهى من أقدم مدائن الأندَلُس، وأرضها أرضُ زَرْع وضَرْع ، وعسَلُها فى نِهاية الحُسْن ، ولها خاصِّيَّة فى حُسْن دِبَاغ الأَدَم، وكانت مملكةً مستقِلَّة .

القاعدة الثالثة

(بَطَلْيَوْسُ)

قال فى "تقويم البُلْدان" : بفتح الباء الموحدة والطاء المهملة وسكون اللام وفتح المثناة التحتية وسكون الواو وسين مهملة فى الآخر . وهى مدينة من غرب الأندَلُس موقعها فى الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة قال آبن سعيد: حيثُ الطولُ تسع درج، والعرض ثمانٌ وثلاثون درجة وخمسون دقيقة . قال فى "تقويم البُلْدان": ومَمْلكتها فى الشَّمال والغرب عن مَمْلكة قُرْطُبةَ . وهى فى الغرب بمَيْلة إلىٰ الجَنُوب عن مملكة طُلَيْطِلَةَ . وهى مدينة عظيمة فى بَسِيط من الأرض مخضرٍّ علىٰ جانب نهر . قال : وهى مدينة عظيمة إسلامية كانت بيد المتوكِّل بن عُمَر الأفْطَس، وبنىٰ بها المبانِيَ العظيمةَ وفيها يقول ابن الفلاسِ :

بَطَلْيَوْسُ لا أنساكِ ما ٱتَّصل البُعْدُ! * فللهِ غَوْرٌ من جَنَابِك أو نَجْـــدُ !

ولله دَوْحاتٌ تَحُفُّـــك بينهـا، * تَفَجَّرَ واديها كما شُقِّق الـــبُرْدُ !

و بينها و بين قُرْطبةَ ستةُ أيام .

ولهـا مضافات من أعمالهـا .

منهـا (مارِدَةُ) قال فى "تقويم البُـلْدان" : بفتح الميم ثم ألف و راء مهملة مكسورة ودال مهملة وهاء فى الآخر كما هو فى خط ٱبن سـعيد . وهى مدينــة علىٰ جَنُوبِيّ نهر بَطَلْيَوْس ، موقعها فى أوّل الإقليم الخـامس من الأقاليم السبعة . قال ٱبن سعيد : حيث الطولُ تسعُ درج وخمسٌ وخمسونـ دقيقة ، والعرض تسعَ عشرةَ[1] درجة . قال فى "تقويم البُلْدان" : وهى مدينة أزليَّة ، ولها ماءٌ مجلوبٌ تحير صنعتُه . قال ٱبن سعيد : قال الرازى : وهى إحدىٰ القواعد التى بَنَتْها ملوكُ العجم للقَرَار. قال : وكان قد ٱتَّخـذَها سلاطينُ الأندَلُس قبل الإسلام سريرًا لمُلْك الأندَلُس ، وكانت فى دولة بنى أُمَيَّةَ يليها عظماءُ منهم ؛ ثم صار الكرسيّ بعد ذلك بَطَلْيَوْس ، وقد صارت الآن للنصارىٰ .

ويحكىٰ أنه كان بكنيســتها حجر يُضِىء الموضعُ مِنـ نُوره ، فأخذته العـرب أوّلَ دخولهـا .

ومنها (يابْرة) بياء آخر الحروف وألف و باء موحدة و راء مهملة وهاء فى الآخر . وهى مدينة ذكرها فى "تقويم البُلْدان" بعد ذكر بَطَلْيَوْسَ ٱستطرادا .

(١) فى تقويم البلدان أن عرضها تسع وثلاثون درجة .

القاعدة الرابعــــة
(إشْبِيلِيَةُ)

قال فى " تقويم البُلْدان " : بكسر الألف وسكون الشين المعجمة وكسر البـاء الموحدة وسكون المثناة من تحت ولام وياء ثانية تحتية وفى آخرها هاء. قال : ومعنى آسمها المدينة المنبسطة . وهى مدينة أزلِيَّة فى غَرْب الأندَلُس وجَنُوبِيِّه علىٰ القُرب من البحر المحيط، موقعها فى الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة. قال آبن سعيد: حيث الطولُ تسعُ درج وعشرُ دقائق ، والعرض سـبع وثلاثون درجةً وثلاثون دقيقة . وهى علىٰ شَرْقىّ نهرها الأعظم وجَنُوبيه ، ولهـا خمسةَ عشرَ بابا ، ومملكَتُها غربىّ مملكة قُرْطُبَةَ ، فطول مملكتها من الغرب من عند مَصَبِّ نهرها فى البحر المحيط إلىٰ اعلىٰ النهر من الشرق مما يلى مملكة قُرْطبةَ نحو خمس مراحل ؛ وعرضها من الجزيرة الخضراء علىٰ ساحل الأندَلُس الجنوبىّ إلىٰ مملكة بَطَلْيَوْس فى الشَّمال نحو خمسة أيام، وبينها وبين قُرْطُبةَ أربعـة أيام ؛ وهى الآن بيد ملوك النصارىٰ . ولهـا عدّة كُوَر فى جنوبىّ نهرها وشَماليِّه .

فأما كُوَرها التى فى جنوبىّ نهرها وهى الأكثرُ :

فنها (كورة أُرْكُش) قال فى"تقويم البُلْدان": بالراء المهملة مَعْقِل فى غاية المَنَعة .

ومنهـا (كورة شَرِيش) قال فى " تقويم البُلْدان " : بفتح الشين المعجمة وكسر الراء المهملة وسكون الياء المثناة التحتية وشين معجمة فى الآخر، وإليها ينسب « الشَّرِيشىّ » شارح " المَقَامات الحَرِيرية ".

ومنهـا (كُورة طَرِيف) بفتح الطاء وكسر الراء المهملتين وسكون المثناة التحتية وفاء فى الآخر.

وأما التى شمالىَّ النهر فكورتان : إحداهما (كورة أوتَنَة)[1] . وهى أشهرها وأوتَنَة مدينة جليلة .

قال فى "تقويم البُلْدان" : ومن الممالك المُضافة لإشْبِيلية مملكة شِلْب . وهى كورة ومدينة فى غَرْبىّ إشْبِيلِيَةَ وشمالِيِّها على ساحل البحر المحيط، بينها وبين قُرْطبة تسعةُ أيام؛ وبِشِلْبٍ هذه قصر يعرف "بقصر الشَّرَاخِيب" وهو الذى يقول فيه بعض شعرائهم :

وسَلِّم على "قَصْرِ الشَّراخِيبِ" عن فَتًى * له أبدًا شَوْقٌ إلى ذلكَ القَصْرِ !

القاعدة الخامسة

(قُرْطُبَة)

قال فى "اللباب" : بضم القاف وسكون الراء وضم الطاء المهملتين وباء موحدة وهاء فى الآخر . قال فى "تقويم البُلْدان" : هذا هو المشهور . وقال ابن سعيد : هى بلسان القُوط بالظاء المعجمة ونقله عن جماعة . وهى مدينة غربىّ نهر إشْبِيلِيَةَ فى غرب الأندَلُس بجَنُوب ، وموقعها فى أواخر الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال ابن سعيد : حيث الطولُ عشْرُ درج، والعرض ثمان وثلاثون درجة وعشرون دقيقة . قال فى "تقويم البُلْدان" : ومملكةُ قُرْطُبةَ شرقىّ مملكة إشْبِيلِيَةَ . وهى فى الجنوب والشرق عن مملكة بطَلْيَوْس ، وفى الجنوب عن مملكة طُلَيْطِلَةَ ؛ ودَوْرُ قرطبة ثلاثون ألف ذراع ، وهى أعظم مُدُن الأندَلُس ، وعليها سُور ضَخْم من الحجر ، ولها سبعة أبواب ؛ وبلغت عِدّة مساجدها ألفًا وستّمائة مسجد ،

---

(١) أى والثانية كورة شلب .

وحَمّاماتها تسعمائةِ حمام . وهى مدينة حصينة . وقد ٱستولت عليها ملوك النصرانية، وهى بأيديهم إلى الآنَ .

ولهـا مضافاتٌ :

منها (مدينة الزَّهْراء) . وهى مدينة بناها النـاصر الأُمَوِىُّ فى غربىّ قُرْطُبةَ، فى سفح جبل .

ومنها (القُصَـير) . وهو حصـن فى شرقىّ قُرْطُبـة على النهر، وله كُورة من أشهر كورهـا .

ومنها (حِصْن المَدُور) . وهو المَعْقِل العظيم المشهورُ، وللروم به ٱعتناء عظيم .

ومنها (حِصْن مُرَادٍ) . وهو حِصْن فى غربىّ قُرطُبَة .

ومنها (كورة غافِقٍ) . وهى معاملة كبيرة .

ومنها (كورة إسْتِجَةَ) . وغير ذلك .

القـاعدة السادسـةُ

(طُلَيْطِـلَةُ)

قال فى "تقويم البُلْدان" : بضم الطاء المهـملة وفتح اللام وسكون المثنّاة من تحتُ وكسر الطاء الثانيـة ثم لام وهاء فى الآخر . وموقعها فى آخر الإقليم الخامس قال ٱبن سعيد : حيث الطول خمسَ عشرةَ درجة وثلاثون دقيقة، والعرض ثلاث وأربعون درجة وثمـانَ عشرةَ دقيقـة . وهى مدينـة أزلية كانت قاعدةَ الأَنْدَلُس فى القـديم، وبهـا كان كُرْسِىُّ مُلْكِ «لَذَرِيق» : آخِر ملوك القُوط الذى ٱنتزعها

المسلمون منه . وهى الآن قاعدةُ مُلْك « الادفونش » أكبرِ ملوك النصرانيــة بالاندلُس المعروف بالفنش . قال فى " تقويم البُلْدان " : وهى من امنع البلاد وأحْصَنها، مبنيةٌ على جبل عال، والأشجار مُحْدِقة بها من كل جهة، ويصير بها الجُلَّنار بقدر الرمّانة من غيرها ، ويكون بها شجرُ الرمان عِدّة أنواع ؛ ولهـا نهر يمرّ بأكثرها ينحدِر من جبل الشارَةِ من عند حِصْن هناك يقال له (باجَةُ) وبه يعرف نهر طُلَيْطلَة . فيقال : نهرُ باجةَ ؛ ومنها إلى نِهاية الأندلُس الشرقية عند الحاجز الذى هو جبل البرْت نحو نصف شهر، وكذلك إلى البحر المحيط بجهة شِلْب .

ولهـا مضافات :

منها (مدينة وَلِيد) بفتح الواو وكسر اللام وسكون المثناة من تحت ودال مهملة فى الآخر . وموقعها فى أواخر الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة قال ابن سعيد : حيثُ الطولُ إحدى عشرةَ درجة واثنتا عشرةَ دقيقة ، والعرضُ ثمانٍ وثلاثون درجة وثلاث دقائق . قال فى "تقويم البُلْدان" : وهى من أحسن المُدُن . وهى فى الغرب من طُلَيْطلة فى جنوبىّ جبل الشارَةِ الذى يَقْسِم الأندَلُس بنصفين . قال : ويَحُلُّها الفنش ملك الفرنج فى أكثر أوقاته .

ومنهـا (مدينة الفرج) [بفتح الفاء والراء المهملة ثم جيم] [1] وهى مدينة شرقىّ طُلَيْطلَةَ . وشرقيها مدينةُ سالم . قال ابن سعيد : ويقال لنهرها وادى الحجارة .

ومنهـا (مدينةُ سالم) قال ابن سـعيد : وهى بالجهة المشهورة بالثغر من شرقىّ الأندلُس . قال : وهى مدينـة جليلة . قال فى " تقويم البُلْدان " : وبها قبر «المنصُور بن أبى عامِر» .

(١) ضبطناها من التقويم لتتم الفائدة .

القاعدة السابعة

(جَيَّانُ)

قال فى "تقويم البُلْدان" : بفتح الجيم وتشديد المثناة من تحتُ وألف ونون فى الآخر . وموقعها فى أوّل الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة قال ابن سعيد : حيثُ الطولُ إحدىٰ عشرةَ درجة وأربعون دقيقة، والعرضُ ثمانٌ وثلاثون درجة وسبع وخمسون دقيقة . قال فى "تقويم البُلْدان" : ومَمْلكتها بين مَمْلكتىْ غَرْناطةَ وطُلَيْطِلةَ . وهى فى نهايةٍ من المَنَعة والحَصَانة . وهى عن قُرْطُبَة فى جهة الشرق وبينهما خمسة أيام، وهى من أعظم مُدُن الأندلُس وأكثرها خِصْبا ، وكانت بيد بنى الاحمر أصحابِ غَرْناطةَ فأخذتها الفرَنْج منهم بالسيف بعد حِصار طويل ، وبلادها كثيرةُ العيون، طيبةُ الأرض، كثيرةُ الثِّمار، وبها الحرير الكثير .

ولها مضافات :

منها (مدينة قَبْجاطة) . وهى مدينة نَزِهة كثيرةُ الخِصْب، أخذها النصارىٰ بالسيف أيضا .

ومنها (بَيَّاسةُ) بفتح الباء الموحدة وتشديد المثناة التحتية وألف ثم سين مهملة مفتوحة وهاء فى الآخر . وهى مدينة علىٰ نهر إشْبِيلِيَةَ فوقَ إشْبِيلِيَةَ ، طَيِّبَةُ الأرض، كثيرةُ الزَّرْع، وبها الزَّعفران الكثير، ومنها يحمل إلىٰ الآفاق .

ومنها (مدينة آبِدَةَ) بمدّ الهمزة المفتوحة وكسر الباء الموحدة وفتح الدال المهملة وهاء فى الآخر . وهى مدينة إسلامية أُحْدِثَتْ فى دَوْلة بنى أُمَيَّة بالأندلُس بجِوَار بَيَّاسة إلا أنها ليست علىٰ النهر ، ولها عين تَسْقى الزَّعْفرانَ .

ومنها (جبل سمنتان) [١] . وهو جبل به حُصُون وقُرًى كثيرة .

ومنها (مَعْقِلُ شَقُورَةَ) و (حصن بَرْشانَةَ) .

القــاعدة الثامنـــــة
(مُرْسِـــيَةُ)

قال فى "تقويم البُلْدان" : بضم الميم وسكون الراء وكسر السين المهملتين ثم ياء مثناة من تحتها وهاء فى الآخر . وموقعها فى أوائل الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة قال ٱبن سعيد : حيثُ الطولُ ثمـانَ عشرةَ درجة ، والعرضُ تسع وثلاثون درجة وعشرُ دقائق . قال فى "تقويم البُلْدان" : وهى مدينة إســلاميَّة مُحْدَثَة ، بُنيت فى أيام الأُمَويِّين الأندَلُسيِّين؛ قال وهى من قواعد شرق الأَنْدَلُس . وهى تُشْبه إشْبِيلِيَةَ فى غرب الأندَلُس بكثرة المَنازِه والبساتين ، وهى فى الذِّراع الشرقىّ الخارج من بين نهر إشْبِيلِيَةَ .

ولهـا عدّة منتَزَهات .

منها [(الرَّشَاقة) و (الزَّنقات) و (جبل إيل) وهو [٢]] جبل تحته البساتين ، وبَسْط تسرح فيه العيون .

ولهـا مضافات :

منها (مدينة مُولَةَ) . وهى فى غربىّ مُرْسِيَةَ .

ومنها (مدينة أَرْيُولة) وغير ذلك .

---

(١) كذا فى التقويم ص ١٧٧ ولم نعثر عليه .

(٢) الزيادة عن تقويم البلدان .

القاعدة التاسعة

(بَلَنْسِيَةُ)

قال فى "تقويم البُلْدان" : بفتح الباء الموحدة واللام وسكون النون وكسر السين المهملة وفتح المثناة من تحت وهاء فى الآخر. وموقعها فى أواخر الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة قال ابن سعيد : حيثُ الطولُ عشرون درجة ، والعرضُ ثمانٌ وثلاثون درجة وستٌّ دقائق . قال فى "تقويم البُلْدان": وهى من شرق الأندَلُس، شرقىّ مُرْسِيَةَ وغربىّ طُرْطُوشَةَ . وهى فى أحسن مكان ؛ وقد حُفَّتْ بالأنهار والجِنَان، فلا ترى إلا مياها تتفرّع ، ولا تسْمَع إلا أطيارا تَسْجَع. وهى على جنب بُحَيرةٍ حسنةٍ على القرب من بحر الزُّقَاق، يَصُبُّ فيها نهرٌ يجرى على شمالىّ بَلَنْسِيَةَ .

ولهـا عدّة مَنَازه .

منها (الرُّصَافة) و (مُنْيَة ابن عامر) وحيث خرجت منها لاتلاقى إلا منازه، قال ابن سعيد : ويقال إن ضوء مدينة بَلَنْسِيَةَ يزيد على ضوء بلاد الأندَلُس، وجوُّها صَقِيل أبدا، لايرى فيه مايكَدِّره .

ولها مُضَافات : ـ وقد صارت الآنَ من مُضافات بَرْشَلُونَةَ فى جملة أعمال صاحبها من ملوك النصارى ـ[1] .

منها (مدينة شَاطِبَةَ) بفتح الشين المعجمة وألف بعدها طاء مهملة مكسورة ثم باء موحدة مفتوحةٌ وهاء فى الآخر. وهى مدينة عظيمة، ولهـا مَعْقِل فى غاية الامْتناع وعِدّة مستنْزَهات : منها (البَطْحاء) و (الغـدير) و (العين الكَبِيرة) . وإليها ينسب الشاطبىّ صاحب "القصيدة" فى القراءات السبع؛ وقد صارت الآن مضافةً إلى ملك بَرْشَلُونة فى يد صاحبها .

---

(١) هذه الجملة ساقطة من القطعة الأزهرية .

ومنها (دانِيَةُ) بفتح الدال المهملة وألف ثم نون مكسورة ومثناة تحتية مفتوحة وهاء فى الآخر . وهى من شرق الأَنْدَلُس، وموقعها فى أوائل الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة قال ٱبن سعيد : حيثُ الطولُ تسعَ عشرةَ درجة وعشرُ دقائق، والعرضُ تسعٌ وثلاثون درجة وستُّ دقائقَ . وهى غربىُّ بَلَنْسِيَةَ علىٰ البحر عظيمة القدر كثيرة الخيرات، ولها عدّةُ حصون . وقد صارت الآن من مُضَافات بَرْشَلُونَةَ مع بلَنْسِيَةَ، علىٰ ماسيأتى ذكره فى الكلام علىٰ ملوك الأندلُس إن شاء الله تعالىٰ .

القاعـــــدة العـاشرة

(سَرَقُسْــطَةُ)

قال فى " تقويم البُـلْدان " : بفتح السين والراء المهملتين وضم القاف وسكون السين الثانيــة وفتح الطاء المهملة وهاء فى الآخر . وهى مدينةٌ من شرق الأندَلُس، موقعها فى أواخر الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة قال ٱبن سعيد : حيثُ الطولُ إحدىٰ وعشرون درجةً وثلاثون دقيقــة، والعرضُ ٱثنتان وأربعون درجةً وثلاثون دقيقة . قال فى " تقويم البُلْدان" : وهى قاعدة الثَّغْر الأعلىٰ . وهى مدينة أزليّــةٌ بيضاءُ فى أرض طيِّبة، قد أحدقَتْ بها من بساتينها زُمُرُّدة خضراء ، وٱلتفَّ عليها أربعــة أنهــار فأضحت بها مُرَصَّعةً مُجَزَّعة .

ولهـا متنزَّهات :

منها (قَصْر السُّرور) و(مجلس الذَّهب) . وفيهما يقول ٱبن هُودٍ من أبيات :

قَصْرَ السُّرورِ ومَجْلِسَ الذَّهَبِ، * بِكُمَا بَلَغْتُ نِهَايَةَ الطَّــرَبِ!

القاعدة الحادية عشرة

(طُرْطوشة)

قال فى "تقويم البُلْدان" : بضم الطاءين المهملتين[(١)] وبينهما راء ساكنة مهملة ثم واو ساكنة وشين معجمة وهاءٌ فى الآخر. وهى مدينة فى شرق الأندَلُس، موقعها فى الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة قال آبن سعيد : حيثُ الطولُ آثنتان وعشرون درجةً وثلاثون دقيقة، والعرضُ أربعون درجة . قال: وهى من كَرَاسِىِّ مُلْك شرق الأندَلُس . وهى شرقِىّ بَلَنْسِيَة فى الجهة الشرقيَّة من النهر الكبير الذى يمرّ على سَرَقُسْطة ويَصُبُّ فى بحر الزُّقاق، على نحو عشرين ميلا من طُرْطُوشة . قال : وشرقىّ طُرْطُوشة (جزيرة مايُرْقَة) فى بحر الزُّقاق ؛ وإلى طُرْطُوشة هذه يُنْسَب «الطُّرْطُوشىّ» صاحب "سراج الملوك" .

القاعدة الثانية عشرة

(بَرْشَنُونة)

قال فى "تقويم البُلْدان": بفتح الباء الموحدة وسكون الراء المهملة وفتح الشين المعجمة وضم النون وسكون الواو ثم نون مفتوحة وهاء فى الآخر. ويقال (بَرْشَلُونة) بابدال النون الأولى لاما قال فى " تقويم البُلْدان " : وهى خارجة عن الأندَلُس فى بلاد الفرَنج، وموقعُها فى أوائل الإقليم السادس من الأقاليم السبعة قال آبن سعيد: حيثُ الطولُ أربع وعشرون درجةً وثلاثون دقيقةً ، والعرض آثنتان وأربعون

(١) ضبطها ياقوت بفتح الطاء الاولى وضم الثانية وقال المجد بالضم وقد تفتح .

درجةً . وهى الآن قاعدةُ مُلْك النصارىٰ بشَرْق الأندَلُس ، وقد أضيف إليها أرغُون ، وشاطِبَةُ ، وسَرَقُسْطةُ ، وبَلَنْسِيَة ، وجزيرةُ دانِيَةَ ، ومَيُورْقةُ ، وغير ذلك . علىٰ ما يأتى ذكره فى الكلام علىٰ ملوك الأندَلُس فيما بعدُ إن شاء الله تعالىٰ .

القاعدة الثالثـــــةَ عشرةَ

(يَنْبُـــلُونةُ)

قال فى "تقويم البُلْدان" : بفتح الياء المثناة من تحتُ وسكون النون وضم الباء الموحدة واللام ثم واو ساكنة ونون مفتوحة وهاء فى الآخر . وموقعها فى أوائل الإقليم السادس من الأقاليم السبعة قال ٱبن سعيد : حيثُ الطولُ ٱثنتان وعشرون درجةً وخمسَ عشرةَ دقيقة ، والعرضُ أربعٌ وأربعون درجةً . قال فى "تقويم البُلْدان" : وهى مدينة فى غرب الأندَلُس خَلْفَ جبل الشَّارَة . قال : وهى قاعدة النَّبَرِىّ : أحد ملوك الفَرَنج . وتعرف هـذه المملكة بمملكة نَبَّرَةَ ـ بفتح النون وتشديد البـاء الموحدة المفتوحة وفتح الراء المهملة وهاء فى الآخر . وهى مملكة فاصلة بين مملكتَىْ قَشْتالَةَ و بَرْشَلُونة ، وهى مما يلى قَشْتالةَ من جهة الشرق ، وسيأتى ذكرها فى الكلام علىٰ ملوك الأندَلُس فيما بعدُ إن شاء الله تعالىٰ .

الجمـــــلة الثـالثــــة

(فى ذكر أنهاره)

اعلم أن بالأندَلُس أنهارا كثيرة قد تقدّم ذكر الكثير منها ، وأعظمها نهران :

الأوّل (نهر إشْبِيلِيَـةَ) . قال ابن سعيد : وهو فى قَدْر دِجلةَ ، وهو أعظم نَهَر بالأندَلُس ؛ ويسمِّيه أهلُ الأندَلُس النهرَ الأعظمَ . قال فى "تقويم البُلْدان" ومَخْرَجُه

من جبال شَقُورةَ حيثُ الطولُ خمسَ عشرةَ درجة، والعرضُ ثمانٌ وثلاثون وثلثان، وهو يجرى فى ٱبتدائه من الشرق إلى الغرب؛ ثم يَصُبُّ إليه عدّةُ أنهر .

منها (نهر شنّيل) الذى يمرّ على غَرْناطةَ . ونهر (سُوس) الذى عليه مدينة إسْتِجَةَ، ويسير من جبال شقُورةَ إلى جهات جَيّان، ويمرّ على مدينة بَيّاسة، ومدينة آبِدَةَ؛ ثم يمرّ على قُرْطُبَةَ، ثم إذا تجاوز قُرْطُبَةَ وقَرُب من إشْبِيلِيَةَ ينعطف ويجرى من الشمال إلى الجَنُوب، ويمرّ كذلك على إشْبِيلِيَةَ، وتكون إشبيليَةُ على شرقيِّه وطَرْيانةُ على غربيِّه مقابلَ إشبيليَةَ من البر الآخر؛ ثم ينعطف فيجرى من الشرق إلى الغرب، ثم يجاوز حتّى يصُبَّ فى البحر المحيط الغربيِّ عند مكان يعرف ببرّ المائدة، حيث الطولُ ثمانُ درج وربعٌ، والعرضُ ستٌّ وثلاثون وثلثان، وتكون جزيرة قادِس فى البحر الروميّ على يسار مَصَبِّه؛ ويقع فى هذا النهر المدُّ والجَزْر من البحر[1] كما فى دِجْلة عند البصرة، ويبلغ المدُّ والجزرُ فيه سبعين ميلا إلى فوق إشْبِيلِيَةَ عند مكان يعرف بالأرحى، ولا يملح ماؤه بسبب المدّ عند إشبِيلِيَةَ بل يبقى على عُذُوبته؛ وبين إشبيلية وبين مَصَبِّ النهر فى البحر خمسون ميلا، فالمدّ يتجاوز إشبِيلِيَةَ بعشرين ميلا؛ والمدّ والجزر يتعاقبان فيه كلَّ يوم وليلة، وكلما زاد القمرُ نورا زاد المدُّ، والمراكب لا تزال فيه منحدِرة مع الجَزْر صاعدةً مع المَدّ، وتدخُل فيه السفن العظيمة الإفرنجيَّة بوَسْقها من البحر المحيط حتّى تحطَّ عند سُور إشبِيلِيَةَ . قال ٱبن سعيد : وعلى هذا النهر من الضِّياع والقُرى مالا يبلغه وصف .

الثانى (نهر مُرْسِيَةَ) . قال فى "تقويم البُلْدان": وهو قسيمُ نَهَر إشبيليَةَ، يخرجان من جبال شَقُورة فيمرّ نهر إشبيلية مغرّبا على ماتقدّم ويصُبُّ فى البحر المحيط . ويمرّ نَهَر مُرْسِيَةَ مشرّقا حتّى يصُبَّ فى بحر الروم عند مُرْسِيَةَ .

(١) المراد أن مد النهر وجزره من مد البحر وجزره .

الجمـــلة الرابعـــة

(فى الموجود بالأندلس)

والظاهر أن كل ما يُوجَد ببلاد المغرب أو غالبه يوجد به . وقد ذكر فى "تقويم البُلْدان" أنه يوجد به من الوحش : الإيَّل، والغزال، وحِمَار الوحش . ولا يوجد به الأسدُ ألبتَّةَ . وقد تقدّم ذكر مابُبُلْدانه من الفواكه والثِّمار فى الكلام على بلاده فأغنىٰ عن إعادته هنا . قال فى "تقويم البُلْدان" : وبه عِدَّة مَقَاطِع رُخَام من الأبيض والأحمر والخَمْرِىِّ والجَزْع وغير ذلك .

الجمـــلة الخامســـة

(فى ذكر ملوك الأندلس : جاهليةً، وإسلامًا . وهم على طبقات)

الطبقة الأولىٰ

(ملوكها بعـد الطُّوفان)

قال الرازى فى كتاب "الاستيعاب" فى تاريخ الأندلس : اوّل مَنْ ملكها بعد الطُّوفان على مايذكره علماء عَجَمها قومٌ يُعرَفون بالأندلُش بالشين المعجمة ، وبهم سُمِّى الأندلُش، ثم عرب بالسين المهملة ؛ وكانوا أهل تَمَجُّس فحبس الله عنهم المطرَ حتّى غارت عيونُها ويَبِست أنهارُها فهلك أكثَرُهم ، وفرّ مَنْ قدر على الفِرار منهم، فأقفرت الأندلُس وبقيت خاليةً مائةَ عام .

وقال « هروشيوش » مؤرّخ الروم : أوّل مَنْ سكنها بعد الطُّوفان قوم يقال لهم الأباريون، وهم من ولد طُوبَال بن يافِث بن نوح عليه السلام سكنوها بعد الطُّوفان . قال فى "الروض المعطار" ويقال : إن عدد ملوكهم الذين ملكوا الأندلُس مائةٌ وخمسون مَلِكا .

الطبقـــة الثـانيـــة

الأشـــبانيّة

(ملكوا بعد طائفة الأندلُش المتقدّم ذكرهم)

قال الرازى : وأول من ملك منهم أشْبان بنُ طيطش ، وهو الذى غزا الأفارقة وحصر مُلْكَهم بِطَارقة[1] ، ونقل رُخَامها إلىٰ إشبيلِيَة وآتخذها دار مُلْكه ، وبه سميت ؛ وكثُرتْ جموعه فعَلَا فى الأرض ، وغزا من إشبيلية إيلِيَاءَ : وهى بيتُ المَقْدس بعد سنتين من مُلْكه : خرج إليها فى السُّفُن فهدمها وقتـل من اليهود مائةَ ألف ، وآسترقَّ مائة ألف ، وفرّق فى البلاد مائةَ ألف ، ونقل رُخَام إيلياء وآلاتها وذخائرَها إلىٰ الأندَلُس .

ويحكىٰ أن الخضر (عليه السلام) وقف علىٰ أشْبان هذا وهو يحرُثُ أرضًا له أيام حَداثته ، فقال له : ياأشْبان ، إنك لَذُوشان ! وسوف يحظيك زمان ، ويُعْليك سلطان . فإذا أنت تغلَّبت علىٰ إيلياء ، فارْفُقْ بورَثة الأنبياء ! — فقال له اشـبان : أساخرٌ بى رحمك الله؟ أنّى يكون هـذا وأنا ضعيفٌ مَهين ، فقير حَقير؟ — فقال : قَدَّرَ ذاك مَنْ قدّر فى عصاك اليابسة ماترَاه ، فنظر أشبانُ إلىٰ عَصَاه فرآها قد أورقَتْ ، فارتاع لذلك ؛ وذهب الخَضِر عنه وقد وَقَر ذلك فى نفسه ، ووَثِق بكَوْنه ؛ فترك الآمتهانَ ، وداخل الناس ، وصحب أهل الباس ، وسَمَـا به جَدُّه فارتقىٰ فى طلب السلطان حتّى نال منه عظيما ، ودام ملكه عشرين سنةً ، وآتصلت المملكةُ فى بنيه إلىٰ أن ملك منهم الأندَلُسَ خمسة وخمسون ملكا .

---

(١) فى " نفح الطيب ج ١ ص ٦٨ " طالقة باللام .

الطبقـــة الثـالثـــة

(الشبونقات)[1]

وهى طائفــة ثارتْ علىٰ الأندَلُس من رُومةَ فى زمن مَبْعَث المَسِيح عليه السلام، وملكوا الأندَلُس والإفرنجةَ معها ، وجعلوا دار مملكتهم ماردةَ ، وآتصــل ملكُهم إلىٰ أن ملك أربعــة وعشرون ملكا[2] . ويقال : إن منهم كان ذُو القَرْنَيْن . والذى ذكره « هروشيوش » مؤرّخ الروم أن الذى خرج عليهــم من رُومة ثلاث طوالع من الغريقيِّين . وهم : الأنبيُّون ، والشوانيُّون ، والقندلش ، وآقتسموا مُلْكها : فكانت جِلِّيقيّةُ لقندلش ؛ ونَشْــبُونةُ وماردةُ وطُلَيْطلَةُ ومُرْسِــيَة للشوانيين ؛ وكانت إشْبِيلِيَةُ وقُرْطُبةُ وجَيَّانُ ومالَقَةُ للأنبيين ؛ حتّى زحفَ عليهم القُوط من رُومةَ كما سيأتى .

الطبقـــة الرابعـــة

(القُـــوط)

خرجُوا علىٰ الشبونقات فغَلَبوا علىٰ الأندَلُس وآقتطعوها من صاحب رُومةَ ، وآنفردوا بسلطانهم ، وآتخذوا مدينة طُلَيْطلَة دارَ مَلِكهم (دخشوش) ملك القُوط ، وهو أوّل من تَنَصَّر من هؤلاء بدعاء الحَوَارِيِّين ودعا قومــه إلىٰ النصرانيــة ؛ وكان أعدلَ ملوكهم وأحسنَهم سيرةً .

وقال «هروشيوش» : إنه كان قد وَلِيَ عليهم ملك يقال له (اطفالش) . ثم وَلِيَ عليهم بعده ملك آسمه (طشريك) وقتله الرومانيون .

---

(١) فى " نفح الطيب ج ١ ص ٧٠ " البشتولقات .

(٢) فى " نفح الطيب ج ١ ص ٧٠ " سبعة وعشرون .

ثم وَلِي مكانه ملك آسمه (تابْه)(١) ثلاثَ سنين، وزوّج أخته من طودشيش ملك الرومانيين، وصالحه علىٰ أن يكون له مايفتَحُه من الأندَلُس؛ ثم مات .

وولى مكانه ملك آسمه (لُذْرِيق) ثلاثَ عشرةَ سـنة فزحف علىٰ الأندَلُس وقتل ملوكها، وطرد الطوائفَ الذين كانوا بها، وبقيَ الحال علىٰ ذلك نحوًا من ثمانين سنة؛ ثم هلك لُذْريق .

وولى مكانَه آبنُه (وَرِيقش) سبع عشرة سنة، وآنتقض عليه البَشْكَنَسْ إحدىٰ طوائف القُوط فقهرهم وردّهم إلىٰ طاعته؛ ثم هلك .

وولى بعده (الريك)(٢) ثلاثا وعشرين سنة؛ ثم قُتِل فى حرب الفَرَنْج .

وولى عليهم (أشتريك بن طودريك) وهلك بعد خمس سنين من مُلْكه .

وولى عليهم بعده (بشليقش) أربع سنين .

ثم ملك بعده مَلِك آخر آسمه (طوذ ريق) إحدىٰ وستين سنة وقتله بعض أصحابه بإشْبِيلِيَة .

ووَلِيَ بعده ملك آسمه (املُريق)(٣) خمس سنين .

ثم ولى بعده ملك آسمه (طودش) ثلاثَ عشرةَ سنة .

ثم وَلِيَ بعده (طود شكل) سنتين .

ثم ملك بعده ملك آسمه (ايلة) خمس سنين، وآنتقض عليه أهلُ قُرْطبةَ فحاربهم وردّهم إلىٰ طاعته .

(١) فى "العبر ج ٢ ص ٢٣٥" طودرشيش .

(٢) فى "العبر" الديك بالدال المهملة .

(٣) فى "العبر ج ٢ ص ٢٣٦" إبرليق . وفيه فى هذا الموضع خلاف لما بيدنا من الاصل فى كثير من الاسماء .

ثم ولِىَ بعده ملك آسمه (طنجاد) خمس عشرةَ سنةً .

ثم ولى بعده ملك آسمه (ليوبة) سنة واحدة .

ثم ولى بعده ملك آسمه (لَوْبِيلَذَه) ثمانى عشرة سنة ، وآنتقضتْ عليه الأطرافُ فحاربهم وسكَّنهم ، ثم قُتِل .

وولى آبنه (رُذْرِيق) ستَّ عشرةَ سـنةً ، وهو الذى بنىٰ البلاط المنسوبَ إليه بقُرْطبةَ .

ولمـا هلك ولى بعده ملك آسمه (ليوبة) سنتين .

ثم ولى بعده ملك آسمه (بَتْرِيق) سبع سنين .

ثم ولى بعده ملك آسمه (عندمار) سنتين .

ثم ملك بعده مَلِك آسمه (شَشْبُوط) ثمـان سنين ، وعلىٰ عهده كان (هِرَقْل) ملك قسطنطينية والشام ، ولعهده كانتِ الهجرةُ .

ثم ملك بعده ملك آسمه (رُذْرِيق) ثلاثة أشهر .

ثم ملك بعده ملك آسمه (شتنلة) ثلاث سنين .

ثم ولى بعده ملك آسمه (شَشْنادَش) خمس سنين .

ثم ولى بعده ملك آسمه (خَنْشُوَنْد) سبع سنين .

ثم ولى بعده ملك آسمه (جَنْشُوَنْد) ثلاثا وعشرين سنة .

ثم ملك بعده ملك آسمه (بانْبُه) ثمـان سنين .

ثم ولى بعده ملك آسمه (لورى) ثمـان سنين .

ثم ملك بعده رجل آسمه (أَيْقَهْ) ستَّ عشرةَ سنة .

ثم ولى بعده رجل آسمه (غَطْسه) أربعَ عشرةَ سنةً .

ثم ولى بعده رجل آسمه (لذريق) سنتين، وهو الذى غلبه المسلمون علىٰ الأندَلُس وفتحوها منه، وهو آخر مَنْ ملك منهم . قال صاحب "الروض المِعْطار" : وعدد مَنْ ملك منهم إلىٰ آخرهم وهو (لذريق) ستةٌ وثلاثون مَلِكا .

الطبقة الخامســـة

(ملوكُها علىٰ أثَر الفتـــح الإســـلامىّ)

وكان فتحُها فى خلافة الوَلِيد بن عبدالملك : أحدِ خلفاء بنى أُمَيَّة فى ســنة آثنتين وتسعين ،وكان من أمر فتحها أن طُلَيْطِلَة كانتْ دارَ المُلْك بالأندلُس يومَئذ، وكان بها بيت مُغْلَق مُتحامىٰ الفتح ، يلزَمُه من ثِقاتِ القُوط قومٌ قد وُكِّلوا به كَىْ لايُفْتَح، يَتَعهَد الأوّلُ بذلك للآخر، كلَّما مَلَك منهم مَلِكٌ زاد علىٰ ذلك البيت قُفْلا . فلما وَلِىَ «لذريق» الأخيرُ، عزم علىٰ فتح البـاب والأطّلاع علىٰ مافى البيت ؛ فأعظم ذلك أكابِرُهم وتضرّعوا إليه فى الكَفِّ ؛ فأبىٰ وظَنّ أنه بيتُ مال، ففَضَّ الأقفالَ عنه ودخله ، فأصابه فارغًا لاشىْءَ فيه إلا تابوتًا عليه قُفْل ؛ فأمر بفتحه فألفاه أيضا فارغا ليس فيه إلا شُــقَّة مُدْرَجة قد صُوِّرت فيها صُوَر العَرَب علىٰ الخُيُول، وعليهم العمائم متقــلِّدو الســـيوف متنكِّبو القِسِىّ ، رافعو الرايات علىٰ الرِّماح ؛ وفى أعلاه كتابة بالعجميــة فقرئت فإذا هى " إذا كُسِرتْ هذه الأقفالُ عن هذا البيت ، وفُتح هذا التابوتُ ، فظهر ما فيه من هذه الصورِ فإن الأمّة المصوّرةَ فيــه تغلب علىٰ الأندلس وتملكها " فوَجِمَ لذريق وعظُم غمُّــه وغم الأعاجم ، وأمر بردّ الأقفــال ، وإقرار الحَرَس علىٰ حالهم .

وكان من سير الأعاجم أن يبعث أكابرهم بأولادهم ذُكورا كانوا أو إناثا إلىٰ بلاط المَلِك، ليتأدّبوا بأدبه، وينالوا من كرامته حتّى إذا بلَغُوا أنكَحَ بعضهم بعضا آستِئْلافا لآبائهـم . وكان للذريق عاملٌ علىٰ سَبْتَةَ من بَرّ العُدْوة يسمّى يُلْيان ، وله آبنة فائقة الجمال ، فوجّه بها إلىٰ دار لذريق علىٰ عادتهم فى ذلك ، فوقع نظر لَذَريق عليها فأعجبته ، فاستكرهها علىٰ نفسها فاحتالتْ حتّى أعلمتْ أباها بذلك سِرّا ، فشَقّ ذلك عليه ، وحلف لَيُزِيلَنّ سلطانَ لذريق ؛ ثم تلطّف حتّى اقتلع بنتَهُ من بيت لذريق ؛ ثم لم يلبَثْ يُلْيانُ [أن كتب] إلىٰ موسىٰ بن نُصَيْر أمير أفريقِيَّةَ من جهة «الوَليد بن عبد الملك» يحرّضه علىٰ غَزْو الأنْدَلُس ، وحثّه علىٰ ذلك ، ووصفَ له من حُسْنها وفوائدها مادعاه إلىٰ ذلك وهوّنَ عليه أمْرَ فتحها. فتوثّق منه موسىٰ بنُ نُصير بذلك، ودعا مولًى له كان علىٰ مقدِّماته، يقال له "طارقُ بن زِيَاد" فعـقَد له وبعثه إليها فى سبعةِ آلاف، وهيّأ له يُلْيانُ المراكبَ، فعبرَ البحرَ وحَلّ بجبل هناك يُعْرفُ الآنَ (بجبل طارق) فوجد عَجُوزا من أهل الأنْدَلُس ـ فقالت له : إنه كان لى زَوْج عالم بالحِدْثان؛ وكان يحدِّث عن أمير يدخُل بلدنا هـذا، ويصفه بأنه ضَخْم الهامة وأنت كذلك، وكان يقول : إنه بكَتِفه الأيسر شامَةٌ عليهـا شَعَر، فكشف طارقٌ ثوبَهُ فإذا بالشامة كما ذكرتِ العَجوزُ، فاستبشر بذلك .

ويحكىٰ أنه رأىٰ (وهو فى المركب) النبيَّ صلى الله عليه وسـلم والخلفاءَ الأربعـةَ يمشُونَ علىٰ المـاء حتّى مَرُّوا، فبشَّره النبيّ صلى الله عليه وسلم بالفتح، وأمره بالرِّفْق بالمسـلمين والوفاء بالعهد، فاستيْقظَ مستَبْشِرا، وتيقّن الفتحَ ، وهَجَم البَلَدَ فملكها . وكان عسكره قد آنتهىٰ إلىٰ آثنَىْ عشرَ ألفا إلا ستةَ عشَر ، ولذريق فى سبعمائة ألف، ﴿والله يُؤَيِّدُ بنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ . وأقام طارقٌ بالأندَلُس حتّى قَدِم إليها مولاه مُوسىٰ آبن نُصَـير المتقدّمُ ذكرُه فى رجب من السـنة المذكورة . وأقام موسىٰ فيها سنتين

ثم انصرف إلى القيروان ، واستخلف عليها ابنه (عبدَ العزيز) فنزل قُرْطبةَ واتخذها دارَ إمارةٍ لهم ؛ وتوجّه موسى سنةَ ستٍّ وتسعين بما سَبَاه وما غَنِمه إلى الوليد ابن عبد الملك ؛ ثم دَسَّ سليمانُ بن عبد الملك على عبد العزيز المذكور مَنْ قتله بالأندلس لاتّهامه بموالاة أخيه الوليد .

ثم وليها بعده (عبدُ العزيز)[1] بن عبد الرحمن القَيْسيّ سنتين وثلاثة أشهر .

ثم وليها (السَّمْحُ بن مالك) الخَوْلانيّ سنتين وتسعةَ أشهر .

ثم وليها (عَنْبَسةُ بن سُحَيم) الكلبيّ أربعَ سنين وخمسة أشهر .

ثم وليها (يحيى بن مسلَمة) سنتين وستة أشهر .

ثم وليها (حُذَيفة بن الأحْوص) القَيْسيّ سنةً واحدة .

ثم وليها (عثمانُ بنُ أبي نِسْعةَ) الخَثْعَميّ خمسةَ أشهر .

ثم وليها (الهَيْثَمُ بن عُبَيد) خمسةَ أشهر .

ثم وليها (عبدُ الرحمن بن عبد الله) الغافقي سنتين وثمانية أشهر .

ثم وليها (عبد الملك) بن [قَطَن الفهرى][2] أربع سنين .

ثم وليها (عُقْبةُ بنُ الحَجّاج) خمسَ سنين وشهرين .

ثم وليها (مُفْلِح بن بِشر القيسى)[3] أحد عشر شهرا .

ثم وليها (حُسَام بن ضِرَار) الكلبيّ سنتين .

(١) لعله وليها بعد عبد العزيز أيوب بن حبيب اللخمى كما يؤخذ من نفح الطيب والعبر .

(٢) فى الاصل قطار، والتصحيح عن العبر ج ٤ ص ١١٩ .

(٣) فى "العبر ج ٤ ص ١١٩" بلج بن بشر وفيه فى هذا المكان زيادة ونقص وتقديم وتأخير فى الولاة .

ثم وليها (ثوابة الجُذامىّ)(١) سنة واحدة .

ثم وليها (يوسفُ بنُ عبدالرحمن) الفِهْرىّ تسعَ سنين وتسعة أشهر .

ثم كانتْ دولةُ بنى أمية بالأندلس، علىٰ مايأتى ذكره إن شاء الله تعالىٰ .

الطبقة السادســـة
(بنو أُمَيَّة، وكانتْ دارُ ملكهم بها مدينةَ قُرْطُبَــةَ)

وأوّلُ من ملكها منهــم (عبدُ الرحمن بنُ معاويةَ) بنِ هشام، بن عبــد الملك، آبن مروان، بن الحكم، ويُعْرَف (بعبدالرحمن الداخل) . وذلك أن بَنِى العَبَّـاس لمـا تتَبَّعوا بنِى أميَّةَ بالقتل، هرب عبد الرحمن المذكور، ودخل الأندلُس وآستولىٰ عليها فى سنة تسع وثلاثين ومائة من الهجرة؛ وقصده بنو أُمَيَّةَ من المشرق وآلتجَـُوا إليه . وتُوفِّىَ فى ربيع الآخر سنة إحدىٰ وسبعين ومائة(٢) .

وملك بعده آبنُه (هِشَام) وتوفِّى سنة ثمـانٍ(٣) وسبعين ومائة .

وآستُخْلِف بعده آبنُه (الحَكَم) وفى أيامه آستعاد الفَرَنْجُ مدينةَ بَرْشَلُونة فى سنة خمس وثمـانين ومائة، وتُوُفِّىَ لأربع بَقِين من ذى الحجة سنة ستٍّ ومائتين .

وأقام فى الملك بعده آبنُه (عبدُ الرحمن) وتوفِّى فى ربيع الآخر سنة ثمـانٍ وثلاثين ومائتيـــن .

وملك بعده آبنُه (محمد) وتُوُفِّىَ فى سلخ صَفَر سنةَ آثنتين(٤) وسبعين ومائتين، وعمره خمسٌ وستون سنة .

---

(١) فى "العبر" و "نفح الطيب" ثعلبة بن سلامة الجذامى .

(٢) فى "الكامل ج ٦ ص ٤٠" وقيل سنة ثنتين وسبعين ... ... وهو الاصح .

(٣) فى "العبر والكامل" سنة ثمـانين ومائة .

(٤) فى "الكامل ج ٦ ص ١٥٣" ثلاث وسبعين .

وملك بعده آبنه (المُنْذِر) وتوفِّى لثلاثَ عشرةَ ليلة بقِيت من صفر سنة خمس وسبعين ومائتين .

وبويع أخوه (عبدُ الله) يومَ موته، وتوفِّى فى ربيع الأوّل سنة ثلثمائة .

وولى بعده آبنُ آبنه (عبد الرحمن) بن محمد المقتول آبن عبد الله المتقدّم ذكره، وخُوطِب بأمير المؤمنين ، وتلقَّب بالناصر بعد أن مضىٰ من ولايته تسعٌ وعشرون سنة، عند مابلَغَه ضَعْفُ خلفاء العباسيين بالعراق وظهور الخلفاء العَلَويين بأفريقِيَّة، ومخاطبتهم بأمير المؤمنين؛ وتُوفِّى فى رمضان سنة خمسين وثلثِمائة .

ووِلِىَ الأمر بعده آبنُه (الحَكَم) وتلقَّب بالمستنْصِر، وتوفِّى سنة ست وستين وثلثِمائة .

وعَهِد إلىٰ آبنه (هشام) ولَقَّبه المؤيَّد، وبايعه الناسُ بعد موت أبيه؛ فأقام إلىٰ سنة تسع وتسعين وثلثِمائة .

ثم غلبه (محمد بنُ هشامٍ) بن عبد الجَبَّار بن عبد الرحمن الناصر المتقدّم ذكره، وتلقب بالمَهْدىّ فى جمادىٰ الآخرة من السنة المذكورة .

ثم غلبه (سليمانُ بنُ الحَكَم) بن سليمان بنِ عبد الرحمن الناصر المتقدّم ذكره ، فهرب محمدُ بن هشام المذكور وآستولىٰ علىٰ الخلافة فى شوّال من السنة المذكورة .

ثم غلبه (محمدُ بنُ هِشام) المهدىّ المذكور فى منتَصَف شوّال من السنة المذكورة .

ثم عاد (هشامُ بنُ الحكم) المتقدّمُ ذكُره فى سابع ذى الحجة من السنة المذكورة .

ثم عاد (سليمانُ بنُ الحكم) المتقدّم ذكره فى منتصف شوّال سنةَ ثلاثٍ وأربعمائة، ولُقِّب بالمستعين .

ثم غلبه (المهدىُّ محمدُ) بنُ هشام المتقدّم ذكره فى أُخْرَيَاتِ السنة المذكورة .

ثم غلبه (المستعينُ) علىٰ قُرْطُبَةَ ؛ ثم قُتِل المهدىُّ محمدُ بنُ هشام المذكور وعاد [هشام المؤيد](١) إلىٰ خلافته ، هذا كله والمستعين محاصر لقُرْطبةَ ، إلىٰ أن ٱفتتحها عَنْوةً سنة ثلاث وأربعمائة ، وقتلوا المؤيَّد هشاما .

ثم جاء (علىُّ بن حَمُّود) وأخوه (قاسم) من الأدارسة : ملوك الغرب فى عساكرَ من البربر فملكُوا قُرْطبةَ سنةَ سبع وأربعِمائة وقتلوا المستعين وأزالوا ملك بنى أميَّةَ من الأندَلُس ، وٱتصل ذلك فى خَلَفهم سبْعَ سنين .

ثم غلب علىَّ بن حَمُّود ، المرتَضى بالله عبدُ الرحمن بن محمد بن عبد الملك ، ٱبن المرتضى عبد الرحمن بن الناصر أمير المؤمنين .

ثم ٱجتمعوا علىٰ ردّ الأمر لبنى أُمَيَّة ؛ ثم وَلِىَ بعد ذلك المستظهِرُ بالله (عبدُالرحمن) ٱبن هشام بن عبد الجبَّار فى رمضان سنة أربعَ عشرةَ وأربعِمائة .

ثم غلب عليه المستكْفِى بالله (محمدُ بن عبدالرحمن) بن عبيد الله ، بن عبدالرحمن ، الناصر أمير المؤمنين .

ثم رجع الأمر إلىٰ (يحيىٰ بن علىّ) بن حَمُّود سنة ست عشرة وأربعمائة .

ثم بُويِـع للعتَمد بالله (هِشَام بن محمد) أخى المرتَضى من بنى أُمَيَّة سنة ثمانَ عشرةَ وأربعمائة . وتُوفِّى(٢) بها سنةَ ثمانٍ وعشرين ، وٱنقطعتْ دولةُ الأُمَويَّة من الأندلُس ، والله وارث الأرض ومَنْ عليها .

---

(١) الزيادة عن العبرج ٤ ص ١٥١ لتوضيح المقام .

(٢) فى "العبرج ٤ ص ١٥٢" ... ... وفر الى لاردة فهلك بها ... .

الطبقة السابعـــــة

(ملوك بنى حَمُّود من الأدارسة : ملوك الغَرْب)

كان فى جملة جماعة المستعين: سليمانَ بنِ الحكم الأُمَوىّ المتقدّمِ ذكرُه القاسمُ وعلىٌّ آبنا حَمُّود، بن ميمون، بن أحمد، بن علىّ، بن عبيد الله، بن عُمَر، بن إدريس بعد آنقراض دولتهم بفاس وآنتقالهم إلىٰ غُمَارةَ وقيام رياستهم بها؛ فعقد المستعينُ للقاسم علىٰ الجزيرة الخَضْراء من الأندَلُس؛ ولعلىّ علىٰ طَنْجةَ وعملِها من بَرِّ العُدْوة. وطمِعَتْ نفسُ علىِّ بنِ حمود صاحبِ طَنْجة فى الخلافة، وزعم أن المؤيَّدَ هشاما من بنى أُمَيَّةَ عند حصارهم إيَّاه كتب له بعهد الخلافة؛ فبايعُوه بالخلافة وأجاز إلىٰ مالَقَةَ فملكها، ودخل قرطُبةَ سنة سبع وأربعمائة، وتلقب بالناصر لدين الله وآتصلتْ دولتهُ إلىٰ أن قتله صَقَالِبَتهُ بالحَمَّام سنة ثمـانٍ وأربعِمائة .

فوَلِى مكانَهُ أخوه (القاسمُ) بن حَمُّود الذى كان بطَنْجةَ وتلقب بالمأْمُون .

ثم غلبـه علىٰ ذلك (يحيىٰ آبنُ أخيـه علىّ) وزحف إلىٰ قُرْطبـةَ فملكها سـنة ثِنْتَىْ عشرةَ وأربعمائة وتلقب بالمُعْتَلِى، وكانت له وقائعُ كان آخرها أن آتفَقُوا علىٰ تسليم المدائن والحُصون له ؛ فعَلَا سلطانه، وآشتدّ أمره، وأخذ فى حصار آبن عَبَّاد بإشْبِيلِيَةَ فكبَا به فرسُه وقُتِل، وآنقطعت دولة بنى حَمُّود بقُرْطبةَ .

ثم آستدعىٰ قومه أخاه (إدريسَ) بن علىّ بن حَمُّود من سَبْتة وطَنْجة فبايعوه علىٰ أن يُولِّىَ سَبْتةَ (حَسَن آبن أخيه يحيىٰ) فتم له الأمْر بمالَقة وتلقَّب بالمتأيد بالله، وبايعه أهل المَرِيَّة وأعمالها ورُنْدَة والجَزيرة، ومات سنة إحدىٰ وثلاثين وأربعمائة .

وبايع البربر بعــده (حَسَنَ بن يحيىٰ) المعتلى، ولقَّبوه المستنصِرَ، وبايعته غَرْناطةُ وجملةٌ من بلاد الأنْدَلُس، ومات مسموماً سنة ثمان وثلاثين وأربعمائة .

وكان (إدريسُ بن يحيىٰ) المعتلى معتقَلا ، فأُخْرِج وبُويِع له سنةَ تسع وثلاثين وأربعمائة ؛ وأطاعتــه غَرْناطةُ وقرمونة وما بينهما ، ولُقِّب العالى ؛ ثم قتَــل محمدا وحسنا ابنَىْ عمِّه إدريس، فثار السُّودان بدعوة أخيهما محمدٍ بمــالَقَة فأسْلَموه .

وبويع (محمد بنُ إدريسَ) المتأيِّد بمالَقَةَ سنةَ ثمان وثلاثين وتلقَّب بالمهدى ، وأقام بمالَقَةَ، وأطاعتْه غَرْناطةُ وجَيَّان وأعمالها، ومات سنة أربع وأربعين وأربعمائة .

وبويِــعَ (إدريسُ بن يحيىٰ) بن إدريس المتأيِّد ولُقِّب الموفَّق ولم يُخْطَب له ؛ وزحف إليه إدريسُ المخلوعُ الملقب بالعالى آبن يحيىٰ المعتلى من قمــارش فبويع له بمالَقَةَ إلىٰ أن هلك سنةَ سبع وأربعين .

وبويِــع (محمدٌ الأصغرُ) آبنُ إدريسَ المتأيد ولُقِّب المستعلِيَ ، وخُطِب له بمالَقَة والمَرِيَّة ورُنْدة، وهلك سنة ستين وأربعمائة .

وكان (محمدُ بنُ القاسم) بن حَمُّود قد لحق بالجزيرة الخضراء ســنةَ أربعَ عشْرةَ وأربعمائة فملكها وتلقَّب بالمعتَصِم، وبقِىَ بها إلىٰ أن مات سنة أربعين وأربعمائة .

ثم ملكها من بعده (آبنُه القاسم) ولُقِّب الواثِقَ، وهلك سنة خمسين، وصارت الجزيرة الخضراء للمعتَضِد بن عَبَّاد، وآنقرضتْ دولةُ بنى حَمُّود بالأندلُس .

الطبقــــة الثــامنة

(مــلوك الطَّــوائِف بالأندلُس)

لمــا آضمحلَّ أمرُ الخلافة من بنى أميَّةَ وبنى حَمُّود بعدهم بالأندلُس، وثب الأمراءُ علىٰ الجهات ، وتفرّق مُلْك الأندلُس فى طوائفَ مر المَوَالى، والوُزَراء، وكِبار العرب والبربر، وقام كلُّ منهــم بأمرِ ناحيــةٍ ؛ وتغلَّب بعضُهم علىٰ بعض وضَعُف

أمرُهم حتّى أعطَوُا الإتاوةَ لملوك الفَرَنْجَة من بنى أدفونش حتّى أدركهم اللهُ بأمير المسلمين يُوسفَ بن تاشْفِين .

* * *

فأما إشْبِيلِيَةُ وغربُ الأندلُس فاستولىٰ عليهما بنو عَبّاد .

كان أوّلَهم القاضى أبو القاسم (محمدُ بنُ ذى الوِزارتَيْنِ) أبى الوليد، بن إسماعيل، آبن قُرَيْش، بن عَبّاد، بن عمرو، بن أسْلَم، بن عمرو، بن عَطّاف، بن نُعَيم اللخمى؛ وآستبدّ بإشْبِلِيَةَ بعد فِرَار القاسم بن حَمُّود عن قُرْطُبَةَ، آنتزعها من آبن زيرى وكان واليًا عليها من جهة القاسم بن حَمُّود المذكور، وبَقِىَ بها إلىٰ أن مات سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة .

ولما مات قام بأمره آبنه (عَبّاد) وتلقب المعتضِدَ، وطالتْ أيامُه، وتغلب علىٰ أكثر الممالك بغرب الأندلُس، وبقِىَ حتّى مات سنة إحدىٰ وستين وأربعمائة .

وولى مكانه آبنُه (أبوالقاسم محمد) الملقَّب بالمعتَمِد؛ فجرىٰ علىٰ سَنَن أبيه وآستولىٰ علىٰ دار الخلافة بقُرْطبةَ من يد آبن جَهْوَر، وفرّق أبناءه علىٰ قواعد المُلْك، وآستفحل مُلْكُه بغَرْب الأندلُس ، وغلب علىٰ مَنْ كان هناك من ملوك الطوائف؛ وبقِىَ حتّى غلب أميرُ المسلمين « يوسفُ بنُ تاشفين » علىٰ الأندلُس فقبَض عليه، ونقله إلىٰ أغْمات : قريةٍ من قُرىٰ مَرّاكُش سنة أربعٍ وثمانين وأربعمائة، وآعتقله بها إلىٰ أن هلك سنةَ ثمانٍ وثمانين وأربعمائة .

* * *

وأما قُرطبةُ فاستَوْلىٰ عليها بَنُو جَهْوَر . وكان رئيسَ الجماعة بقرطبةَ أيامَ فتنة بنى أُمَيَّة، أبو الحزم (جَهْور بن محمد) بن جهور، بن عبد الله، بن محمد، بن الغمر[1]،

(١) فى العبر ج ٤ ص ١٥٩ "المعمر" وهو تصحيف .

ٱبن يحيىٰ ، بن أبى المَعَافر، بن أبى عبيدة الكلبى . وأبو عبيدة هذا هو الداخلُ إلىٰ الأندَلُس ؛ وكانت لهم وزارة بقُرطبــةَ بالدولة العــامريَّة . ولمــا خلع الجنــد « المقتدرَ بالله » آخِرَ خلفاء بنى أمية بالأندَلُس (١) ، ٱستبَدَّ جَهْور بالأمر وٱستولىٰ علىٰ المملكة بقرطُبَةَ سنة ثنتين وعشرين وأربَعِمائة ؛ وكان علىٰ سَنَن أهل الفضل ، فأسنَدُوا أمْرَهم إليه إلىٰ أن يُوجَد خليفةٌ ؛ ثم ٱقتصروا عليه فدَبَّر أمْرَهم إلىٰ أن هلك فى المحرّم سنة خمس وثلاثين وأربعمائة .

ووَلِى مكانَهُ ٱبنه (أبو الوليــد محمد بن جهْوَر) فخلعه أهلُ قرطبة ســنة إحدىٰ وســتين وأربَعِمائة ، وأخرجوه [ثم فوض التدبير إلىٰ ٱبنه عبد الملك بن أبى الوليد فأساء السيرة فأخرجوه] (٢) عن قُرْطُبــةَ ، فاعتُقِــل [بشلطيلش] (٣) إلىٰ أن مات سنة ثنتين وستين .

ووَلّى ٱبنُ عبَّاد علىٰ قرطبَةَ ٱبنَه (سِرَاجَ الدَّوْلة) وقتله ٱبنُ عُكَّاشــة سنة سبع وستين ، ودعا لٱبن ذى النُّون (يحيىٰ بن إسماعيل) وقدمها ٱبنُ ذى النُّون من بلَنْسِيَة وقتل بها مسموما (٤) .

وزحف المعتمدُ بنُ عَبَّاد بعد مَهْلَكه إلىٰ قرطُبةَ ، فملكها سنةَ أربع وثمــانين وأربعمائة .

---

(١) فى "العبر ج ٤ ص ١٥٩" المعتز وتقدم للمؤلف أن آخرهم المعتمد .

(٢) الزيادة من القطعة الأزهرية .

(٣) الزيادة من العبر ج ٤ ص ١٥٩ .

(٤) يؤخذ من "العبر ج ٤ ص ١٥٩" أن الذى قتل مسموما هو سراج الدولة .

* * *

وأما بَطَلْيَوْسُ، فكان بها عند فِتْنة بنى أُمَيَّــة بالأندَلُس أبو محمد (عبدُ الله بن مَسْلمةَ) التُّجيبى المعروف بابن الأفْطَس، وآستبدَّ بها سنةَ إحدىٰ وثلاثين وأربعمائة، ثم هلك .

فولِىَ من بعده آبنُه المظفَّر (أبو بكر) وعَظُم مُلْكه . وكان من أعظم ملوك الطوائف، ومات سنة ستين وأربعمائة .

ووَلِىَ بعده آبنُه المتوكِّل (أبو حَفْص عمرُ) بن محمد المعروف بساجةَ، ولم يزل بها إلىٰ أن قتله «يوسفُ بنُ تاشفين» سنة تسع وثمانين وأربعمائة باغراء آبن عَبَّاد به .

* * *

وأما غَرْناطةُ [1] ، فملكها أيامَ الفتنــة (زارى بن زِيرِى) بن مَيّاد ؛ ثم آرتحل إلىٰ القَيْرَوان وآستخلف علىٰ غَرْناطة آبنَه ؛ فبدا لأهل غَرْناطة أن بعثُوا إلىٰ آبن أخيه (حبوس بن ماكسن) بن زِيرِى من بعض الحصون، فوصل وملك غَرْناطةَ وآستبدّ بها، وتُوفِّى سنةَ تسع وعشرين وأربعمائة .

وولى مكانه آبنُه (باديسُ) وكانت بينه وبين بَنِى عَبَّاد حروب، وتُوفِّىَ سنةَ سبع وستين وأربعمائة .

ووَلِىَ حافدُه المظفَّر أبو محمد (عبدُالله بنُ بُلُكِّين بن باديس) وولّى أخاه تميماً بمالَقَة بعهد جدّه إلىٰ أن خلعهما «يوسف بن تاشفين» سنة ثلاث وثمانين وأربعمائة .

---

(١) من هنا إلى قوله وأما طليطلة مضبب عليــه فى القطعة الأزهرية وآقتصر على ماسيأتى فى الكلام على غرناطة قبيل الطبقة التاسعة .

* * *

وأما طُلَيْطِلَةُ ، فاستولىٰ عليها بَنُو ذى النُّون . وذلك أن الظافر إسماعيل بنَ عبد الرحمن بن ذى النون الهوّارى [تغلب](١) أيام الفتنة علىٰ حصن أُقْلُتين سنة تسع وأربعمائة ، وكانت طُلَيطِلَةُ ليَعيشَ بن محمد بن يَعيش وليها فى أوّل الفتنة ؛ فلما مات سنةَ سبع وعشرين مضى إسماعيل الظافر إلىٰ طُلَيْطِلَة فملكها ، وآمتدّ مُلْكُه إلىٰ جنجالة(٢) من عمل مُرْسِيَةَ ؛ ولم يزل بها إلىٰ أن هلك سنة تسع وعشرين .

فولِىَ مكانَه آبنُـه المأمونُ (أبو الحسن يحيىٰ) فآستفحل مُلْكه ، وعَظُم بين ملوك الطوائف سلطانُه ؛ ثم غلب علىٰ بَلَنْسِيَةَ وقرطُبَةَ ، ومات مسموما سنةَ سبعٍ وستين وأربعمائة .

وولِىَ بعـده علىٰ طُلَيْطِلَةَ حافدُه (القادر يحيىٰ) بن إسماعيلَ بن المأمون يحيىٰ بن ذى النون ؛

وكان الطاغيـةُ أدفونش ملك الفَرَنج بالأندلُس قد آستفحل أمرُهُ عنـد وقوع الفتنـة بين ملوك الأنْدَلُس فضـايق آبنَ ذى النون حتّى تغلّب علىٰ طُلَيْطِلَةَ وخرج له عنها (القادر يحيىٰ) سنة ثمـان وسبعين وأربعمائة ؛ وشرط عليه أن يُظاهِرَه علىٰ أخذ بلَنْسِيَةَ ، فقبل شرطه وتسلّمها الأدفونش ملكُ الفَرَنج ، وبقيت معه إلى الآن أعادها الله تعالى إلىٰ نِطَاق الإسلام .

* * *

وأما شاطِبَـةُ وما معها من شرق الأندلُس ، فاستولىٰ عليها العامريون . بويع للمنصور (عبد العزيز) بن الناصر عبدالرحمن بن أبى عامر بشاطبةَ سنةَ إحدىٰ عشرةَ

(١) الزيادة عن العبر ج ٤ ص ١٦١

(٢) لعلها جنجيال .

وأربعمائة، أقامه الموالى العامريّون عند الفتنة البربرية فى زمن بَنِى أُمَيَّةَ، فاستبدّ بها، ثم ثار عليه أهلُ شاطبةَ فترك شاطبةَ ولَحِق ببَلَنْسِيَةَ فملكها، وفوّض أمره للموالى .

وكان (خَيْرانُ العـامرىّ) من مَوَاليهم قد تغلّب قبلَ ذلك علىٰ أَرْبُونَةَ سـنةَ أربع وأربعمائة ، ثم ملك مُرْسِيَةَ سنة سبع، ثم جَيَّانَ والمَرِيَّة سـنة تسع؛ وبايعوا جميعا للمنصور عبد العزيز . ثم ٱنتقض خَيْرانُ علىٰ المنصور وسار إلىٰ مُرْسِيَةَ وأقام بها ٱبنَ عمّه (أبا عامر محمدَ بنَ المظفَّر) بن المنصور بن أبى عامر؛ وجمع المَوَالىَ علىٰ طاعته ، وسماه (المؤتمن) ثم (المعتصم) ثم أخرجه منها؛ ثم هلك خَيْرانُ سنةَ تسع عشرة وأربعمائة .

وقام بأمره بعده الأمير (عميدُ الدولة أبوالقاسم زُهَير العامرىّ) وزحف إلىٰ غَرْناطةَ فبَرَز إليه باديسُ بن حيوس فقتــله بظاهرها سنةَ تسع وعشرين وأربعمائة، وصار ملكه للمنصور (عبد العزيز) صاحب بَلَنْسِيَةَ .

وكان قائده صُمَادِح وٱبنه مَعْن يتولّيان حروبه مع مجاهد العامرىّ صاحب دانِيَةَ، فولّى علىٰ المَرِيَّة (مَعْنَ بن صُمَـادح) سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة، وغزا المَوالِىَ العامريِّين بشاطِبةَ فغلبهم عليها .

وولّى علىٰ بَلَنْسِيَةَ ٱبنَه (عبد الملك) فقام بأمره وجاهد المأمون بن ذى النون فغلبه علىٰ بلنسية وانتزعها منه سنة سبع وخمسين .

ولمـا مات المأمون وولى حافده القادر علىٰ ماتقدّم ذكره ولّى علىٰ بَلَنْسِيَةَ (أبا بكر) ٱبن عبد العزيز بقيَّة وزراء ٱبن أبى عامر، فحسَّن له ٱبنُ هود الٱنتقاضَ علىٰ القادر، ففعل وٱستبدّ بها سنةَ ثمان وستين وأربعمائة حين تغلّب المقتدرُ علىٰ دانِيَةَ ، ثم هلك لسنة ثمـان وسبعين لعشر سنين من وِلَايته .

ووليَ ٱبنُه القاضى (عثمان) فلما سلَّم القادرُ بنُ ذى النون طُلَيْطلةَ للأدفونْش وزحف إلىٰ بَلَنْسِيَةَ، خلعوا القاضى عثمانَ خوفًا من ٱستيلاء ملك الفَرَنْج عليها .

ثم ثار علىٰ القادر سنةَ ثلاث وثمـانين القاضى (جعفرُ بنُ عبد الله) بن جِحّاف، فقتـله وٱستبدّ بها، ثم تغلب النصارىٰ عليها سـنةَ تسع وثمـانين وقتلوه؛ ثم جاءهم (يوسفُ بن تاشفين) .

وأما مَعْنُ بن صُمَادح قائد عبدالعزيز بن أبى عامر، فإنه أقام بالمَرِيَّة لمـا وَلَّاه المنصور سنة ثلاث وثلاثين، وتسمّىٰ ذا الوزارتين ؛ ثم خلعه .

وولىٰ ٱبنه (المعتصم أبا يحيى محمد بن معن بن صُمَادح) سنةَ أربع وأربعين، ولم يزل بها أميرا إلىٰ أن مات سنة ثمـانين وأربعمائة .

ووليَ ٱبنه (أحمد) وبقِىَ حتّىٰ خلعه يوسفُ بن تاشفين .

*
* *

وأما سَرَقُسْطَةُ والثَّغْر فاستولىٰ عليهما بقية بنى هُود ، إذ كان مُنْذِر بنُ يحـيىٰ بنِ مطَرِّف، بنِ عبـد الرحمن ، بن محمد ، بن هاشم التُّجِيبىّ صاحبَ الثَّغْر الأعلىٰ بالأندلس، وكانت دارُ إمارته سَرَقُسْطةَ . ولمـا وقعت فتنة البربر آخرَ أيام بنى أميّةَ، آستقل (مُنْذِر) هذا بسَرَقُسْطةَ والثغر، وتلقب بالمنصور، ومات سنة أربعَ عشرةَ وأربعِمائة .

ووليَ مكانه ٱبنُه (يحيىٰ) وتلقب بالمظَفَّر .

وكان أبو أيُّوب (سليمانُ بن محمد) بن هُود بن عبدالله بن مُوسىٰ، مَولىٰ أبى حُذَيفة الجُذَامىّ من أهل نسبهم مستقِلًّا بمدينة (تُطِيلَةَ) و (لارِدَةَ) من أوّل الفتنة . وجَدُّهم

هُودٌ هو الداخل إلى الأندلس . فتغلَّب سليمانُ المذكورُ على المظفَّر يحيى بن المنذر وقتله سنةَ إحدى وثلاثين وأربعمائة ، وملك سَرَقُسْطَةَ والثغر من أيديهم ، وتحوّل إليها ، وتلقّب بالمستعين واستفحل مُلْكُه ، ثم ملك بَلَنْسِيَةَ ودانِيَةَ . وولّى على لارِدَةَ ابنَه (أحمدَ المقتدرَ) ومات سنة ثمان وثلاثين وأربعمائة .

فولى ابنُه (أحمدُ) الملقَّب بالمقتدر سَرَقُسْطةَ وسائر الثغر الأعلى ، وولّى ابنَه (يوسفَ) الملقب بالمظفر لارِدَةَ . ومات أحمدُ المقتدر سنةَ أربع وسبعين لتسع وثلاثين سنةً من مُلْكه .

فولى بعده ابنُه (يوسف المؤتمنُ) وكان له اليدُ الطُّولى فى العلوم الرياضية ، وألف فيها التآليف الفائقة ، مثل "المناظر" و "الاستكمال"(١) وغيرهما ؛ ومات سنة ثمان وسبعين وأربعمائة .

وولِىَ بعده ابنُه (أحمدُ) الملقبُ بالمستعين ، ولم يزل أميرا بسَرَقُسْطة إلى أن مات شهيدا سنةَ ثلاثٍ وخمسمائة فى زَحْف ملك الفَرَنج إليها .

وولِىَ بعده ابنُه (عبدُ الملك) وتلقَّب عِمَاد الدولة ، وزحف إليه الطاغيةُ أدفونش ملك الفَرَنج فملك منه سَرَقُسْطةَ وأخرجه منها ، واستولى عليها سنةَ ثنتَىْ عشرةَ وخمسمائة ، ومات سنة ثلاثَ عشرةَ .

وولِىَ ابنُه (أحمدُ) وتلقَّب سيفَ الدولة والمستَنْصِر ، وبالغ فى النِّكاية فى الطاغية ملكِ الفَرَنج ، ومات سنة ست وثلاثين وخمسمائة .

وكان من ممالك بنى هُودٍ هؤلاء طُرْطُوشة ، وقد كان مَلَكَها (مقاتِلٌ) أحدُ الموَالى العامريين سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة ، ومات سنة خمس وأربعين .

(١) الذى فى العبر ج ٤ ص ١٦٢ "الاستهلال" .

وملكها بعده (يَعْلىٰ العامرىّ) ولم تطُل مدّته .

وملكها بعده (نبيل)[1] أحدهم إلىٰ أن نزل عنها لعماد الدولة (أحمد بن المستعين) سنة ثنتين وخمسين وأربعمائة ، فلم تزل فى يَده ويد بَنيه بعده إلىٰ أن غلب عليها العدوّ المخذول فيما غَلَب عليه من شرق الأندلُس .



وأما دانيةُ ومَيُورْقة ، فاستولىٰ عليهما (مُجاهِدُ بن على) بن يوسف مولىٰ المنصور آبن أبى عامر؛ وذلك أنه بعد الفتنة كان قد ملك طُرْطُوشة ثم تركها وسار إلىٰ دانِيَةَ وآستقرّ بها؛ وملَكَ مَيُورْقة [ومَنُورقة] وبَيَّاسة، وآستقل بملكها سنةَ ثلاثَ عشرةَ وأربعمائة ، وولّى عليها آبنَ أخيه (عبدالله) ثم ولّى عليها بعد آبن أخيه مولاه (الأغلب) سنة ثمـانٍ وعشرين وأربعمائة . وهلك مجاهدٌ سنةَ ستٍّ وثلاثين وأربعمائة .

وولِيَ آبنُه (علىّ) وتلقَّب إقبالَ الدولة، ودام ملكه ثلاثا وثلاثين سنةً ، ثم غلبه المقتدرُ بن هُودٍ علىٰ دانيةَ سـنةَ ثمـانٍ وستين وأربعمائة ونقله إلىٰ سَرَقُسْطةَ ، فمـات قريبا من [وفاة المقتدر][2] سنة أربع وسبعين وأربعمائة؛ وبقِىَ الأغلبُ مولىٰ مجاهد علىٰ مَيُورْقة ؛ وكان كثير الغزو فى البحر فاستأذن علىَّ بنَ مجـاهد فى الغزو ، وآستخلف علىٰ مَيُورقة صهره سليمان بن مشكيان نائبا عنه فأقام سليمانُ خَمْسَ سـنين ثم مات فولّى علىّ بن مجاهد مكانَهُ (مبَشرا، وتسمّى ناصرالدولة) فأقام خَمْسَ سنين، وآنقرض ملك علىّ بن مجاهـد وتغلب عليه المقتدر بن هُودٍ فاستقلّ (مبَشر) بمَيُورْقَةَ ولم يزل يُرَدِّد الغَزْوَ الى بلاد العدوّ حتّى جمع له طاغيةُ بَرْشَلُونة وحاصره بمَيُورقة عشرة

(١) فى "العبر ج ٤ ص ١٦٣" شبيل .

(٢) الزيادة من "العبر ج ٤ ص ١٦٥" .

أشهر، ثم اقتلعها منه واستباحها سنة ثمان وخمسمائة ، وكان مبشر قد بعث بالصريخ إلى (علىّ بن يوسف) صاحب المغرب ، فلم يواف أسطوله بالمدد إلا بعد تغلب العدوّ عليها وموت مبشر ، فلما وصل العساكر والأسطول دفعوا عنها العدوّ وولّى علىُّ بنُ يوسف عليها من قبله (وانّود بن أبى بكر اللّتونى) ثم عسف بهم فولّى عليها (يحيىٰ بن علىّ بن إسحاق) بن غانية صاحب غرب الأندلس فبعث إليها أخاه (محمد بن علىّ) فأقام فى ولايتها عشر سنين إلىٰ أن هلك أخوه يحيىٰ ، وسلطانُهم علىّ بن يوسف واستقرّت ميورْقة فى ملك بنى غانية وكانت لهم بها دولة ثم ملكها الموحّدون وانقرض أمرُ بنى غانية وبقيتْ فى أيدى الموحّدين حتى ملكها الفرنج من أيديهم آخر دولتهم .

وأما غرناطة فاستولىٰ عليها (زاوى بن زيرى) بن منّاد الصنهاجى ، ثم عنّ له أنْ قدم علىٰ المعزّ بن باديس صاحب أفريقية وهو حفيد أخيه بُلُكّين ، فقدم عليه واستخلف مكانه بغرْناطة ابناً له فأساء السيرة فيهم فأرسلوا إلىٰ ابن عمه حبّوس بن ماكسن بن زيرى فحضر إليهم فبايعوه ، وعظُم فيها سلطانُه إلىٰ أن مات سنة تسع وعشرين وأربعمائة .

وولى من بعده ابنه (باديس بن حبّوس) وتلقب بالمظفّر، وهو الذى مصّر غرناطة واختطّ قصبتها وشيد قصورها وحصّن أسوارها، ومات سنة سبع وسبعين وأربعمائة، وقد ظهر أمرُ المرابطين بالمغرب .

وولِىَ من بعده حافده (عبد الله بن بُلُكّين) بن باديس فبقىَ بها إلىٰ أن أجاز يوسف بن تاشفين إلىٰ الأندلس، ونزل بغرْناطة سنةَ ثلاث وثمانين وأربعمائة فقبض علىٰ عبدالله المذكور .

الطائفة التاســـــعة

(ملوك المرابطين من لمتونة : ملوك الغرب المتغلبين علىٰ الأندلس)

لـما غلب أمير المسلمين (يوسف بن تاشـفين) أمير المرابطين علىٰ بلاد المغرب وآسـتولىٰ عليها، وكان الأندلس قد تقسّم بأيدى ملوك الطوائف كما تقـدم، وكان الطاغية آبن الأدفونش ملك الجلالقة قدطمع فى بلاد الأندلس، بعث أهل الأندلس إلىٰ أمير المسلمين يستصرخون به فلبّى دعوتهم وسار إلىٰ الأندلس .

ونزل الجزيرة الخضراء فى سـنة تسع وسبعين وأربعمائة ودفع الأدفونش ، وسار تارة ببلاد المغرب وتارة ببلاد الأندلس، وملك إشْبِيلِيَةَ وبَلَنْسِيَةَ، وآستقلّ (عبد الله بن بُلُكِين) عن غرناطة وأخاه تميما عن مالَقَـة وغلب المعتمدَ بنَ عَبَّاد علىٰ جميع عمله وآستنزل آبنَه المأمونَ عن قُرْطُبَـةَ وآبنَه الراضىَ عن رُنْدة وقَرَمونة، وآنتزع بطَلْيَوْس من صاحبها عُمَر بنِ الأفطس ، وآنتزع عامّة حصون الأندَلُس من أيدى ملوك الطوائف ، ولم يبقَ منها إلا سَرَقُسْـطةُ فى يد المسـتعين بنِ هُود ، وآنتظمت بلاد الأندَلُس فى ملكه وآنقرض مُلْكُ الطوائف أجمعَ منهـا ، وآستولىٰ علىٰ العُـدْوتين وخاطب المستظهِرَ الخليفةَ العباسىَّ ببغـداد فى زمنه فعقد له علىٰ المغرب والأندَلُس وكتب له بذلك عهدا وأرسله إليه، ولم يزل الأمرُ علىٰ ذلك حتّى تُوفِّى سنة خمسمائة .

وقام بالأمر بعده آبنه (علىّ بنُ يوسفَ) وفى أيامه تغلب الأدفونش علىٰ سَرَقُسْطةَ وآستولىٰ عليها .

وعقد علىٌّ بن يوسف لولده (تاشفين) علىٰ غرب الأندلس سنة ستٍّ وعشرين وخمسمائة وأنزله قُرْطبةَ وإشبِيلِيَةَ، وعقد (لأبى بكر بن ابراهيم) علىٰ شرق الأندَلُس وأنزله بلَنْسِيَةَ، وعقد (لآبن غانية) علىٰ الجزائر الشرقية : دانيةَ ومُيورقة ومنورْقة .

و بقى الأمر على ذلك إلى أن غلب الموحّدون على بلاد المغرب وآنتزعوها من يد تاشفين آبن على فى سنة إحدى وخمسين ومَلَكوها .

ثم عقد عبد المؤمن أمير الموحدين لآبنه (أبى يعقوب) على إشبيلِيَة ، ولآبنه (أبى سعيد) على غرناطة ثم كانت أيّام يوسف بن عبد المؤمن فغزا الأندَلُس ، ثم رجع إلى إشبيلِيَة سنة ثمانٍ وستين وولّى عمّه (يوسف) على بَلَنْسِيَة ، وعقد لأخيه (أبى سعيد) على غَرْناطة ، وعقد على قرطبة لأخيه (الحسن) وعلى إشبيلية لأخيه (علىّ) . ثم عقد (لأبى زيد) آبن أخيه أبى حفص على غَرْناطة ولآبن أخيه أبى محمد عبد الله بن أبى حفص على مَالَقَة . ثم عقد لآبنه أبى إسحق على إشبيلية ولآبنه يحيى على قرطبة ، ولابنه أبى يزيدَ على غَرْناطة ولابنه أبى عبد الله على مُرْسِيَة . وقتل فى قتال النصارى فى صفر سنةَ ثمان وسبعين وأربعمائة .

وولى آبنه (أبو يعقوبَ) و رغب آبنُ أدفونش فى مهادنته فهادنه . وعقد على إشبيلية للسيد أبى زيد بن الخليفة ، وعلى بطَلْيَوْس لأبى الربيع بن أبى حفص ، وعلى غرب الأندلس لأبى عبد الله بن أبى حفص . ورجع إلى مرّاكش سنة أربع وتسعين وخمسمائة ومات بعدها .

وولِىَ آبنه الناصر (محمد بن المنصور) ونزل إشبيليةَ ، وذلك فى صفر سنة تسع وستمائة ثم رجع إلى مرّاكُش فمات بها .

وولِىَ بعده آبنه (المستنصر يوسف) وكان الوالى بمُرْسِيَة أبا محمد عبد الله بن المنصور فدعا لنفسه ، وتسمّى بالعادل ، وكان اخوته أبو العلاء صاحب قرطبة وأبو الحسن صاحب غرناطة وأبو موسى صاحبَ مالَقَةَ فبايعوه سِرًّا وخرج من

مُرْسِيَةَ إلىٰ إشبيليَةَ فدخلها و بعث إليه الموحدون بالبَيْعة ، ودخل مرّاكُش فكانت بالأنْدَلُس فِتَن آخرها أن ثار ٱبن هود علىٰ الأنْدَلُس وٱستولىٰ [عليه] وأخرج منه الموحدين .

الطائفة العــاشرة

(بنو الأحمر ملوك الأندلس إلىٰ زماننا هذا)

وقد تعرّض القاضى شهابُ الديـن بن فضل الله إلىٰ الذى كان فى زمانه منهم وهو (يوسف) ولم يَنْسُبْه غير أنه قال : إنه من ولد قَيْس بن سـعد بن عُبَادة . ثم ذكر أنه فاضل، له يد فى الموَشَّحات .

وٱعلم أن بنى الأحمر هؤلاء أصلهم من أَرْجُونةَ من حصون قُرْطبــةَ ويَنْتسِبون إلىٰ سعد بن عُبَادة سيد الخَزْرج ، ولم أقف علىٰ نسبهم إليه ، و يعرفون ببَنِى نصر؛ وكان كبيرَهـم آخِرَ دولة الموحدين الشيخُ أبو دَبُّوس (محمدُ بن يوســف) بن نصر المعروف بابن الأحمر وأخوه إسماعيل؛ وكان لهما وَجَاهة ورياسة فى تلك الناحية .

ولمــا ضَعُف أمر الموحِّدين بالاندلس وٱستقلّ بالأمر محمدُ بن يوسفَ بن هُودٍ الثائر بمُرْســيَةَ وقام بدعوة العبّاســيّة بالأَنْدَلُس وتغلب علىٰ جميع شرق الأندَلُس ، ثار محمدُ بنُ يوسفَ بنِ نصر : جدُّ بنى الأحمر علىٰ محمد بنِ يوسفَ بن هود؛ و بُويِـع له سنةَ تسع وعشرين وستمائة ، علىٰ الدعاء للأمير أبى زكريّا يحيىٰ صاحبِ أفرِيقِيَّة من بقية الموحدين ، وأطاعته جَيَّانُ وشَرِيش فى السنة الثانية من مبايعتِه . ثم بايع لٱبن هودٍ سنةَ إحدى وثلاثين عند وصول تقليد الخليفة من بغداد لٱبن هود . ثم تغلب علىٰ إشبِيلِيَةَ سنة ثنتين وثلاثين ، وٱستُعِيدت منه بعد شهر ورجعتِ لٱبن هود

[ثم تغلب] [1] على غَرْناطةَ سنة خمس وثلاثين، وبايعوه وهو بجَيَّان، فقدم إليها ونزلها وآبتنى بها حِصْن الحمراء منزلًا له، وهو المعبَّر عنه بالقصبة الحمراء: وهى القلعة؛ ثم تغلب على مالَقَةَ وأخذها من يد عبد الله بن زنون الثائر بهـا بعد مَهْلك آبن هود؛ ثم أخذ المَرِيَّةَ من يد محمد بن الرميمى وزيرِ آبن هود الثائر بها سنةَ ثلاث وأربعين. ثم بايعه أهلُ لُورْقة سنةَ ثلاثٍ وستين [وآنتزعها] ممن كانت بيده. وفى أيامه وأيام آبن هود الثائر آستعاد العـدوُّ المخذُولُ من المسلمين أكثرَ بلادِ الأندلس وحُصونِه، وهى بيدهم إلى الآن، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وبقِيَ حتّٰى مات سنة إحدى وسبعين وستمـائة.

وقام بأمره من بعده آبنُه الفقيهُ (محمد) ابن الشيخ محمد بن يوسف، واستجاش بنى مَرِينٍ ملوكَ المغرب على أهل الكُفْر فلبَّوْه بالإجابة؛ وكان لهم مع طاغيـة الكُفْر وقائعُ أبلغت فيهم التأثيرَ، وبلغتْ فيهـم حدَّ النِّكَاية، وبقِيَ حتّٰى هلك سنة إحدى وسبعمائة.

ووَلِىَ من بعده آبنُه (محمد المخلوع) ابن محمد الفقيه.

ثم غلب عليـه أخُوه (أبو الجُيُوش نصر بن محمد) الفقيه، وآعتقله سنة ثمـانٍ وسبعمائة، وآستولى على مملكته، فأساء السِّيْرة فى الرعية، والصُّحْبةَ لمن عنـده من غُزَاة بنى مَرِينٍ.

فبايعُوا (أبا الوليد إسماعيل) آبن الرئيس أبى سعيد فرج بن إسماعيل بن يوسف آبن نصر، وزحف من مالَقَةَ إلى غَرْناطةَ، فهزم عساكر أبى الجُيُوش، فصالحه على الخروج إلى وادِياش ولحق بها، فجدّد له بها مُلْكا إلى أن مات سنةَ ثنتين وعشرين

(١) الزيادة عن العبر ج ٤ ص ١٧٠.

وسبعمائة[(١)]، فدخل أبو الوليد إلىٰ غَرْناطةَ وملكها ، وكان بينه وبين مَلِك قَشْتالةَ من ملوك النصارىٰ واقعةٌ بظاهر غَرْناطةَ ظهرت فيها مُعْجِزةٌ من معجزات الدِّين لغلبة المسلمين مع قِلَّتهم المشركين مع العَــدَد الكثير، وغدر به بعض قَرَابته من بنى نصر فطعنه عِنْد ماانفَضَّ مَجْلِسُه بباب داره فقتله .

وبُويع لآبنه (محمد بن أبى الوليد إسماعيل) فاستولىٰ عليه وزيرُه محمدُ بن المحروق، وغلب عليه حتّٰى قتــله بمجلسه غَدْرا فى سنة تسع وعشرين وسبعمائة ، وآستبدّ بأمر مُلْكه، وآستجاش بَنِى مَرِينٍ على طاغية الكُفْر حتّٰى آسترجع جبل الفَتْح من أيديهم سنة ثلاثٍ وثلاثين وسبعمائة[(١)]، وغدرُوا به بعد رجوعه من الجبل المذكور إلىٰ غَرْناطةَ فقتلوه بالرِّمَاح .

وقدّموا مكانه أخاه (أبا الحجاج يوسفَ) بنَ أبى الوليد إسماعيل وهو الذى ذكر فى التعريف أنه كان فى زمانه . وفى أيامه تغلب النصارىٰ علىٰ الجزيرة الخَضْراء، وأخذوها صُلْحا ســنة ثلاث وأربعين بعد حروب عظيمة ، قُتِل ولدُ السلطان أبى الحسن المَرِينِىِّ فى بعضها وكان هو بنفسه فى بعضها . ولم يزل حتّٰى مات يومَ الفطر سنةَ خمس وخمسين وسبعمائة[(١)]، طُعِن فى سجوده فى صلاة العيد، وقُتِل لِحِينِ قاتلُه .

ووَلِىَ مكانه آبنُه (محمدُ بن يوسف) وقام بأمره مولاهم رِضوانُ الحاجبُ [فغلبه عليــه وحجبه . وكان أخوه إسماعيل ببعض قصور الحمراء وكانت له ذِمَّة وصِهْر من محمد بن عبدالله بن إسماعيل بن محمد آبن الرئيس أبى سعيد، فسلط محمد هذا بعض الزَّعَانفة فتسوّر حصنَ الحمراء علىٰ الحاجب فقتــله ، وأخرج صهره إسماعيل ونَصَّبه

(١) فى الاصل ستمائة وهو خطأ .

للملك[1]] وخلع أخاه السلطان محمدا ، وكان بروضة خارج الحمراء ففرّ إلى السلطان أبى سالم بن أبى الحسن المَرِينىّ : ملِكِ المغرب فأحسن نُزُله وأكرمه.

وآستقلّ أخوه (إسماعيلُ بنُ يوسف) بالمُلْك فى ليلة سبع وعشرين من شهر رمضان المعظم قدْرُه ، سنة ستين وسبعمائة ، وأقام السلطان إسماعيل فى المُلْك بالأندلس إلى أن مات أوّل سنة ثلاث وتسعين وسبعمائة .

وأُقِيم مكانَهُ أبو الحجاج (يوسف بن إسماعيل[2]) وبايعه النـاس ومات سنة أربع وتسعين وسبعمائة .

وبويع آبنه (محمد) وهو محمد بن يوسف بن محمد المخلوع بن يوسف بن إسماعيل آبن الرئيس أبى سعيد فرج بن إسماعيل بن يوسف بن نصر ، وقام بأمره محمد الخصاصى القائد من جماعة أبيه ، وقد شغل اللهُ طاغيةَ الكفر بمـا وقع بينه وبين أخيه من الفِتَن المستأصِلة ، فآمتنع صاحبُ الأندلُس عمّـا كان يؤدّيه من الإتاوة للنصارى فى كل سنة ، وآمتنع ذلك من آستقبال سنة ثنتين وسبعين وسبعمائة وإلى هذا الوقت . ﴿وَرَدَّ اللهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْراً وَكَفَى اللهُ المؤمِنِين القِتَالَ﴾ .

*
* *

وآعلم انه لمـا آفتتح المسلمون الأندلُس ، أجفلت أُمَمُ النصرانية أمامهم إلى سِيفِ البحر من جانب الجَوْف ، وتجاوَزُوا الدُّروب من وراء قَشْتالَةَ ، وآجتمعوا بجِلِّيقيَّةَ وملّكوا عليهم (بلاية بن قاقلة) فأقام فى الملك تِسعَ عشرةَ سنة ، وهلك سنةَ ثلاث وثلاثين ومائة من الهجرة .

---

(١) الزيادة عن العبر ج ٤ ص ١٧٤ باختصار ليستقيم الكلام . وفى القطعة الأزهرية ...... رضوان حاجب أبيه وعمه فأقام خمس سنين ، ثم داخل أخوه اسماعيل من قتل رضوان الحاجب وخلع الخ

(٢) لعله يوسف بن محمد كما يؤخذ من اسم ولده الآتى .

وولِىَ ٱبنُه (قاقلة) سنتيـــ ثم هلك ، فولَّوْا عليهم بعده (أدفونش بن بَطْرة) من الجَلَالِقَة أوالقُوط، وٱتصل الملك فى عقبه إلىٰ الآن، بجمعهم أدفونش المذكورُ علىٰ حِمَايةِ مابقِىَ من أرضهم بعد ماملك المســلمون عامَّتها، وٱنتَهَوْا إلىٰ جِلِّيقِيَّةَ، وهلك سنة ثنتين وأربعين ومائة لثمانَ عشرةَ سنةً من مُلْكه .

وولى بعده ٱبنُـه (فَرُّويلة) إحدىٰ عشرةَ سنةً قوِىَ فيها سلطانه؛ وقارنه ٱشتغالُ «عبدِ الرحمن الداخل» : أوّلِ خُلفاء بنى أمية بتمهيد أمره، فاسترجع مدينة لُكٍّ، وبُرْتُقَال، وسَمُّورة، وسلمنقة، وشقوبيــة، وقَشْتالةَ، بعد أن فتحها المســلمون وصارت فى مملكتهم، وهلك سنةَ ثنتيْنِ وخمسين .

وولِىَ ٱبنُه (أَوْر بن فَرُّوَيْلة) ست سنين؛ وهلك سنة ثمــان وخمسين .

وولِىَ ٱبنُه (شبلون) عَشْرَ سنين، وهلك سنة ثمــان وستين .

فولَّوْا من بنى أدفونش مكانَهُ رجلا ٱسمه (أدفونش) فوثب عليه (مورفاط) فقتله وملك مكانَه سبعَ سِنِين .

ثم وَلِىَ منهم آخَرُ ٱسمه (أدفونش) ثنتيـــ وخمسين سنةً؛ وهلك ســـنةَ سبع وعشرين ومائتين .

فولِىَ ٱبنه (رُذْمير) وٱتصل الملك فى عقبه علىٰ التوالى إلىٰ أن ولى منهم (رُذْمير) بن أردون آخر ملوكهم المستبدّين بأمرهم . قال ٱبن حيان : فى "تاريخ الأندلُس" : وكانت ولايته بعد ترهُّب أخيه أدفونش الملكِ قبله ، وذلك سنة تسع عشرة وثلثمائة فى زمن الناصر الأَمَوىّ الخليفةِ بالأندلُس؛ وتهيأ للناصر الظهورُ عليــه إلىٰ أن كانت وقعةُ الخَنْدق ســنةَ سبع وثلاثين وثلثمائة؛ وحصــل للسلمين فيها الابتلاءُ العظيم؛ وهلك ردمير سنةَ تسع وثلاثين وثلثمائة .

وولِيَ أخوه (شانجة) وكان مُعْجبا تَيَّاها فوهَنَ مُلْكُه، وضَعُف سلطانه، ووثب عليه قَوَامِسُ[1] دَوْلته — وهم وُلاةُ الأعمال من قِبَل الملك الأعظم — فلم ينتظِمْ لبنى أدفونش بعدها مُلْك مستقِلٌّ فى الجَلَالِقة إلا بعدَ حِين، وصاروا كملوك الطوائف.

قال ٱبن حيان: وذلك أن فُرِدُلَنْد قَوْمَس أَلْيَةَ والقِلاع — وكان أعظم القَوَامس — ٱنتقض علىٰ شانجةَ المتقدّم ذكْرُه، ونَصَّب للملك مكانَه ٱبن عمه (أردون بن أدفونش) وٱستبدّ عليه، فمالت النصرانيــة عن شانجة إليه، وظاهَرَهم ملك البشكنس علىٰ شانجة، ووفد شانجةُ علىٰ الناصر الأُمَوىّ بقُرْطبةَ صريخا؛ فجهَّز معه عساكِرَ وٱستولىٰ علىٰ سَمُّورة فملكهــا وأنزل المسلمين بهــا؛ وٱتصلتِ الحربُ بين شانجــة وفُرِدُلَنْد القَوْمس. وفى خلال ذلك ولِيَ الحَكَمُ المستنصرُ الأمَوىّ؛ ثم هلك شانجة بن أدفونش ببَطَلْيَوْس.

وقام بأمرهم بعده ٱبنه (ردمير) وهلك أيضا فُرِدُلَنْد قومسُ أَلْيَةَ والقِلاع؛ وقام بأمره بعــده ٱبنه غرسية، ومات الحَكَم المستنصر فقوِيَ سلطانُ ردمير، وعظُمت نِكَايتُــه فى المســلمين إلىٰ أن قَيَّضَ الله لهم المنصورَ بنَ أبى عامر حاجبَ هشام؛ فَأَثْخن فى عَمَل ردمــير وغزاه مرارًا وحاصره؛ وٱفتتح (شَنْتَ مانكس) وخربهــا فتشاءمتِ الجَلَالِقَةُ بردمير[2]، ورجع إلىٰ طاعة المنصور ســنة أربع وسبعين وثلثمائة؛ وهلك علىٰ أَثَرها؛ فأطاعت أمه.

وٱتفقت الجَلَالِقةُ علىٰ (برمُنــد بن أردون) فعقد له المنصور علىٰ سمورة وليون وما ٱتصل بهما من أعمــال غليســية إلىٰ البحر الأخضر فقبــل؛ ثم ٱنتقض فغزاه المنصورُ سنةَ ثمــان وسبعين وثلثمائة، فافتتح ليون وسمورة، ولم يبقَ بعدها للجلالِقة

(١) جمع قومس وهو الأمير.

(٢) أى ردمير كما يؤخذ من عبارة العبر ج ٤ ص ١٨١.

إلا حُصونٌ يسيرة بالجبل الحاجز بينهم وبين البحر الأخضر ؛ ولم يزل المنصورُ به حتّى ضرب عليه الجزيةَ وأنزل المسلمين مدينة سَمُّورة سنة تسع وثمانين وثلثمائة ؛ وولّى عليها أبا الأحوص (مَعْنَ بن عبدالعزيز) التُّجيبى ؛ وسار إلىٰ (غرسية بن فُرْدُلَنْد) صاحب أَلْبَةَ فملك عليه لَشْبُونة قاعدة غليسية وخَرَّبها ؛ وهلك غرسية .

فولِىَ ٱبنُه (شانجة) فضرب عليه الجزيةَ ، وصارت الجَلاَلقةُ بأجمعهم فى طاعة المنصور وهم كالعُمَّال له . ثم ٱنتقض برمند بن أردون فغزاه المنصور حتّى بلغ شَنْت ياقُب ، مكانَ حَجِّ النصارىٰ ومَدْفَن يعقوب الحَوارِىِّ من أقصىٰ غليسية ؛ فأصابها خاليةً فهدمها ونقل أبوابها إلىٰ قُرْطُبَةَ ، فجعلها فى نصف الزِّيادة التى أضافها إلىٰ المسجد الأعظم . ثم ٱفتتح قاعدتهم (شَنْتَمَرِيَّةَ) سنة خمس وثمانين وثلثمائة ؛ ثم هلك برمند بن أردون ملك بنى أدفونش .

ووِلىَ ٱبنُه (أدفونش) وهو سبط غرسية بن فُرْدُلَنْد صاحب أَلْبَة ؛ وكان صغيرا فكفله (منند بن غند شلب) قَوْمس غليسية ، إلىٰ أن قُتِل منند غِيلةً سنة ثمانٍ وتسعين وثلثمائة فاستقلّ أدفونش بأمره ، وطلب القَوامِيس المتعذِّرين علىٰ أبيه وعلىٰ مَنْ سلف من قومه مثل بنى أرغومس وبنى فُرْدُلَنْد المتقدّم ذكرهم بالطاعة فأطاعوا ودخلوا تحت أمره . ثم جاءت الفتنة البربريةُ علىٰ رأس المائة الرابعة فضَعُف أمرُ المسلمين ، وتغلّب النصارىٰ علىٰ ما كان المنصور تغلّب عليه بقَشْتالةَ وجلِّيقيَّةَ ؛ ولم يزل أدفونش بن برمند مَلِكا علىٰ جِلِّيقِيَّةَ وأعمالها . ثم كان المُلْكُ من بعده فى عَقِبه إلىٰ أن كان ملوكُ الطوائف ، وتغلب المُرابِطُون ملوكُ الغرب من لَمْتُونة علىٰ ملوك الطوائف بالأندَلُس ، علىٰ ما سيأتى فى الكلام علىٰ مكاتبة ٱبن الأحمر ملك المسلمين بالأندَلُس .

وفى بعض التواريخ أن مَلِكَ قَشْتالةَ الذى ضرب الجزيةَ علىٰ ملوك الطوائف فى سنى خمسين وأربعمائة هو (البيطبين) وأنه لما هلك قام بأمره بنوه فُرْدُلُنْد ، وغرسية ، وردمير . وولى أمرهم (فُرْدُلنْد) ثم هلك ؛ وخَلَّف شانجة وغرسية والفنش فتنازعوا ؛ ثم خلص المُلْك للفنش ، وآستولىٰ علىٰ طُلَيطِلةَ سنةَ ثمانٍ وسبعين وأربعمائة ؛ وعلىٰ بَلَنْسِيَةَ سنةَ تسع وثمانين وأربعمائة ؛ ثم آرتجعها المرابِطُون من يده حتّىٰ آستعادها النصارىٰ سنةَ ست وثلاثين وستمائة . وهلك الفنش سنة إحدىٰ وخمسمائة .

وقام بأمر الجلالقة (بنته)(1) وتزوّجت ردمير ، ثم فارقته وتزوّجت بعده قمطا من اقماطها فأتت منه بولد كانوا يسمُّونه (السليطين) . وأوقع آبن ردمير بابن هُود سنة ثلاثٍ وخمسمائة الواقعةَ التى آستُشْهِد فيها ، وملك منه سَرَقُسْطةَ .

وفى بعض التواريخ أن أمر النصارىٰ فى زمن المنصور أبى يعقوب آبن أمير المؤمنين يوسف بن عبد المؤمن كان دائرا بين ثلاثة من ملوكهم الفنش ، والبيبوح ، وآبن الزند، وكبيرهم الفنش .

ولما فَشَلَتْ ريحُ بنى عبد المؤمن فى زمن المستنصر بن الناصر ، آستولىٰ الفنش علىٰ جميع مافتحه المسلمون من مَعَاقل الأندَلُس ؛ ثم هلك الفنش .

وولى آبنُه (هِرَّانْدة) وكان أحولَ وبذلك يُلَقَّب ، فآرتجع قُرْطبةَ وإشْبِيلِيَةَ من أيدى المسلمين .

وزحف ملك أرغون فى زمنه فاستولىٰ علىٰ ماردةَ ، وشاطِبَةَ ، ودانِيَةَ ، وبلَنْسِيَةَ ، وسَرَقُسْطة ، والزَّهْراء ، والزاهرة ، وسائرِ القواعد والثُّغور الشرقِيَّة ؛ وآنحاز المسلمون

(1) فى العبر ج ٤ ص ١٨٢ "زوجته" .

إلىٰ سِيفِ البحر ، وملَّكُوا عليهم ٱبن الأحمر بعــد ولاية ٱبن هُود . وكان ٱسترجاع الطاغية مارِدةَ سنة ستٍّ وعشرين وستِّمائة ؛ ومَيُورْقة سنةَ سبع وعشرين ؛ وبلَنْسِيَةَ سنة ستٍّ وثلاثين ، وسَرَقُسْطة وشاطِبَةَ قبل ذلك بزمن طويل . ثم هلك هِرَّانْدة ، ووِلِيَ ٱبنُه [شانجة](١) ثم هلك [سنةَ ثلاثٍ وتسعين](١) .

ووِلِيَ ٱبنُه (هِرَّانْدةُ) وكان بينه وبين عساكرِ يعقوبَ بنِ عبد الحق : سلطان الغرب الواصلة إلىٰ الأندلس حروب متصلة ، الغَلَب فيها لعساكر ٱبن عبد الحق ؛ ثم خرج علىٰ هِرَّانْدة هــذا ٱبنه (شانجــة) فوفد هِرَّاندةُ علىٰ الســلطان يعقوبَ بنِ عبد الحق فقبَّــل يدَه ، وٱستجاشه علىٰ ولده شانجة ، فقَبِــل وِفادَتَه ، وأمدّه بالمــال والعساكر ، ورهن عنــده علىٰ المــال التاجَ المعروفَ من ذخائر سَلَفِهم ، فهو عنــد بَنِي عبد الحق إلىٰ الآنَ .

ثم هلك هِرَّاندة ســنةَ ثلاثٍ وثلاثين وستِّمائة(٢) ، وٱستقل ٱبنه (شانجة) بالمُلْك ، ووفد علىٰ يُوسُفَ بن يعقوب بالجزيرة الخضراء بعد مَهْلَكَ أبيه يعقوبَ بن عبد الحق وعقد معه الهُدْنة ؛ ثم نقض وٱستولىٰ علىٰ مدينة طَرِيف ســنة ثلاثٍ وتسعين وستِّمائة ؛ ثم هلك سنة ثنْتَيْ عشرةَ وسبعمائة .

فَوِلِيَ ٱبنُه (بطرةُ) صــغيرا ، وكَفَله عمُّه جُوَان وهلكا جميعا علىٰ غَرْناطةَ عنــد زَحْفهما إليها سنةَ ثمــانَ عشرةَ وسبعمائة .

فولِيَ ٱبنُه (الهُنْشة بن بَطْرة) صغيرا وكَفَله زُعماءُ دولته ، ثم ٱستقل بأمره وهلك مُحاصِرا جبلَ الفَتْح سنةَ إحْدىٰ وخمسين وسبعمائة فى الطاعون الجارف .

---

(١) الزيادة من العبر ج ٤ ص ١٨٤ .

(٢) فى العبر ج ٤ ص ١٨٣ ''ثلاث وثمانين'' .

وولِيَ (ٱبنُه بطرةُ) وفرّ ٱبنه القَمْط إلىٰ بَرْشَلُونة فاستجاش صاحبها علىٰ أخيه بطرة فأجابه، و زحف إليه بطرة فاستولىٰ علىٰ كثير من بلاده، ثم كان الغَلَب للقمط سنةَ ثمان وستين وسبعمائة، وٱستولىٰ علىٰ بلاد قَشْتالةَ ، وزحفت إليهم أممُ النصرانية ، ولحق بطرةُ بأمم الفَرَنج الذين وراء قَشْتالةَ فى الجَوْف بجهات اللمانيــة و برطانية إلىٰ ساحل البحر الأخضر وجزائره فزوّج بنتــه من ٱبن ملكهم الأعظم المعروف بالبنس غالس، وأمدّه بأمم لاتُحصىٰ فَمَلك قَشْتالَةَ والقرنتيرة ، وٱتصلتِ الحربُ بعد ذلك بين بطرة وأخيه القَمْط، إلىٰ أن غلبه القمطُ وقتله سنة ثنتيْنِ وسبعين وسبعمائة، وٱستولىٰ القمطُ علىٰ مُلْك بنى أدفونش أجمعه. وٱستقام له أمر قَشْتالةَ، ونازعه البنس غالس ملك الإفرنجة بٱبنــه الذى هو من بِنْتِ بَطْرة ، وطلب له الملكَ علىٰ عادتهم فى تمليك ٱبن البنت، وٱتصلت الحرب بينهما، وشغله ذلك عن المسلمين فامتنعُوا عن أداء الإتاوة التى كانوا يؤدّونها إلىٰ مَنْ كان قبله ، وهلك القمط سنة إحدىٰ وثمانين وسبعمائة .

فولِي ٱبنه (دُن جُوان) وفرّ أخوه غريس ولحق بالبُرْتُغال، وٱستجاش علىٰ أخيه بجموع كثيرة ، ثم رجع إليه وٱصطلح عليه، ثم هلك دُن جُوان سنة إحدىٰ وتسعين وسبعمائة، ونَصَّب قومُه فى الملك ٱبنَــه بطرةَ صبيا صغيرا لم يبلُغ الحُلُم وقام بكفالته وتدبير دولتــه البركيش خال جدّه القمط بن الهنشــه والأمر علىٰ ذلك إلىٰ الآن ، وفتنهم مع البنس غالس ومع الفَرَنج متصلة ، وأيديهم عن المسلمين مكفوفة ﴿ واللهُ مِنْ ورائِهِمْ محيطٌ ﴾ .

قلت : والممالك القائمة بجزيرة الأندلس الآن من ممالك النصرانية أربع ممالك .

المملكة الأولىٰ

(مملـــكة قشـــتالة)

التى عليها سِيَاقة الحديث إلىٰ أن صارت إلىٰ بطرة بن دُن جُوَان المتقدّم ذكره .

وهى مملكة عظيمة وعمالات متسعة تشتمل علىٰ طيطلة ، واشبيليَة ، وقشتالةَ ، وغليسية والقرنبيرة وهى بسط من الغرب إلىٰ الشرق ويقال لملكها الأدفونش والعامة تسميه الفنش .

المملكة الثانيـــــــة

(مملكة البُرْتُغال)

وهى فى الجانب الغَرْبىّ من قَشْتالةَ ، وهى عُمَالة صغيرة تشتمل علىٰ أشْبُونةَ وغَرْب الأندَلُس ، وهى الآن من أعمال جِلِّيقِيَّةَ ، إلا أن صاحبها متميز بسِمَته ومُلْكه .

المملكة الثالثـــــــة

(مملكة بَرْشَلُونةَ)

وهى بجهة شَرْق الأندَلُس ، وهى مملكة كبيرة ، وعُمَـالاتٌ واسعة ، تشتَمِل علىٰ بَرْشَلُونةَ ، وأرغون ، وشاطِبةَ ، وسَرَقُسْطةَ ، وبلَنْسِيةَ ، وجزيرة دانِيَةَ ، ومَيُورْقةَ ؛ وكان مَلِكُهم بعـد العشرين والسبعمائة ٱسْمُه بطرة وطال عمره ، وهلك ســنة سبع وثمانين وسبعمائة ؛ وٱنفرد أخوه الدلك بملك سَرَقُسْطةَ مقاسمًا لأخيه ثم سار بعد ذلك فى أسطول فملك جزيرة صقلية من أيدى أهلها وصارت داخلة فى أعمالهم .

المملكة الرابعة

(مملكة نَبرَّة ممـا يلى قشتالة من جهة الشرق ، فاصلا بين عُمالات
ملك قشتالة وعمالات ملك برشلونة)

وهى عُمالة صغيرة ، وقاعدتها مدينة ينبلونة ، وملكها ملك البشكنس . أما ماوراء الأندلُس من الفَرَنج فأمم لا تحصىٰ ، وسيأتى الكلام علىٰ ذكر مَلِكهم الأكبرِ ريدَفَرَنْس فيما بعد إن شاء الله تعالىٰ .

الجملة السادسة

(فى ترتيب هـذه المملكة)

أما مملكة المسلمين فلا يخفىٰ أنها فى معنىٰ بلاد المغرب . [وفى كثير من الأوقات يملكهم ملوك المغرب الأقصىٰ ، فبالضرورة إن ترتيبهم جارعلىٰ ترتيب بلاد الغرب[(١)] .

وقد ذكر فى "مسالك الأبصار" أن أهل الأنْدَلُس فى الجملة لا يتعمَّمُون ، بل يَتعهَّدُون شُعورَهم بالتنظيف والحِنَّاء ما لم يغلب الشَّيْبُ ؛ ويتطَيْلَسُون فيُلْقُون الطَّيْلَسانَ علىٰ الكتِف أو الكتِفيْنِ مَطْوِيًّا طيًّا ظريفا [والمتعمم فيهم قليل[(١)]] ؛ ويَلبَسُون الثيابَ الرفيعةَ الملوّنةَ من الصُّوف والكَتَّان ونحو ذلك ، وأكثرُ لِباسهم فى الشتاء الجُوخُ وفى الصيف البياضُ . قال : وأرزاقُ الجُنْد به ذَهَبٌ بحسب مراتبهم ، وأكثرهم من بَرِّ العُدْوة من بنى مَرِينٍ وبَنِى عبد الواد وغيرهم . والسلطان مسكَنُه القصور الرفيعةُ ، ويقعُد السلطان للناس بدار العَدْل فى مكانٍ يُعرَف بالسبيكة من القَصَبة الحمراء التى هى القلعة يومَ الاثنيْنِ ويومَ الخميس

---

(١) الزيادة من القطعة الأزهرية .

صباحا، ويحضُر معه المجلسَ الرؤساءُ من أقاربه ونحوهم ، ويُقْرأ بمجلســه عَشْرٌ من القرءان وشيءٌ من الحديث النبوىّ ، ويأخذ الوزير القِصَص من الناس فتُقْرأ عليه .

وأما الحرب فإنهم فيها سِجَــال : تارةً لهم وتارةً عليهــم ، والنصرُ فى الأغلب للسلمين علىٰ قلّتِهم وكَثْرةِ عدوّهم بقوّة الله تعالىٰ . وبالبلاد البحرية أسطول الحراريق المفرّق فى البحر الشامى ، يركبهـا الأنجاد من الرُّماة والرؤساء المهرة ، فيقاتلون العــدوّ علىٰ ظهر البحر ، وهم الظافرون فى الغالب ، ويُغيرون علىٰ بلاد النصارىٰ بالساحل وما هو بقُرْبه فيأسِرُون أهلَها ذكورَهم وإناثهم ، ويأتون بهم بلاد المسلمين ، فيَبْرُزون بهم ويحملونهم إلىٰ غَرْناطةَ إلىٰ السلطان فيأخذ منهم ما يشاء ويُهْدِى ويَبِيع .

وقد كانت لهم وَقيعة فى الإفرنج سنةَ تسعَ عشرةَ وسبعمائة علىٰ مَرْج غَرْناطةَ قُتِل فيها من الإفْرنج أكثرُ من ستين ألفا ومَلِكان : هما بطرة وجوان عمه ففُدِيت جِيفةُ جوان بأموال عظيمة ، وحملت جُثَّــة بطرة إلىٰ غَرْناطةَ ، فعلِّقت علىٰ باب قلعتها فى تابوت ، وآستمرّت معلَّقةً هناك ، وحاز المسلمون غنيمةً من أموالهم قلَّمــا يُذْكَر مثلها فى تاريخ، ﴿وما النَّصْرُ إلّا مِنْ عِنْدِ اللهِ العَزِيزِ الحَكِيمِ﴾ .

وقد تقــدّم فى المقالة الأولىٰ فى الكلام علىٰ النوع الرابع مما يَحتاجُ إليه الكاتبُ : وهو حفظ كتاب الله تعالىٰ : أن بعضَ ملوك الفَرَنْج كتبَ إلىٰ ابن الأحمر: صاحب غَرْناطةَ كتابا يُهدّده فيــه ، فكان جوابُه أن قَلَبــه وكتب علىٰ ظهره ﴿ ارْجِعْ إلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لاقِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ .

وأما ملوك الفرنج به فعلىٰ ترتيب سائرِ ممالك الفَرَنج مما هو غيرُ معلومٍ لنا .

الفصل الثالث

من المقالة الثانية

(فى الجهة الجنوبيّة عن مملكة الديار المصرية : من مصر والشام والحجاز، ومضافاتها مما هو واقع فى الثانى والثالث والرابع من الأقاليم السبعة)

اعلم أنه قد دخل فى جهتى الشرق والغرب المتقدمتين ذكرُ أماكنَ مما هو فى جهة الجنوب عن مملكة الديار المصرية ومضافاتها ، انساق الكلامُ إليها استطرادا واستتباعا : كأطراف اليمن، والهند، والصين الجنوبية الخارجة عن الإقليم الثانى إلى جهة الجنوب مما استتبعته ممالكُ الشرق، والمقصود الآن الكلام على ماعدا ذلك، وهو بلادُ السودان .

وهى بلاد متّسعة الأرجاء، رحبة الجوانب، حدّها من الغرب البحرُ المحيطُ الغربىّ؛ ومن الجنوب الخراب مما يلى خطّ الاستواء؛ ومن [الشّرق] بحرُ القلزم مما يقابل بلادَ اليمن والأمكنةُ المجهولةُ الحالِ شرقىّ بلاد الزّنج فى جنوبىّ البحر الهندىّ ؛ ومن الشّمال البرارىُّ الممتدّةُ فيما بين الديار المصرية وأرض برقة ، وبلاد البربر، من جنوبى المغرب إلى البحر المحيط .

والمشهور منها ستُّ ممالكَ :

المملكة الأولى

(بلاد البُجَا)

والبُجَا بضم الباء الموحدة وفتح الجيم وألف فى الآخر . وهم من أصفى السُّودان لَوْنا . قال ابن سعيد : وهم مسلمون ونصارى وأصحاب أوثان؛ ومواطنهم

فى جَنُوبِىّ صعيد مصر مما يلى الشرق، فيما بين بحر القُلْزم وبين نهر النيل، على القُرْب من الديار المصرية .

وقاعدتهم (سَوَاكِنُ) بفتح السين المهملة والواو وكسر الكاف ونون فى الآخر . قال فى "تقويم البُلْدان" فى الكلام على بحر القُلْزم : وهى بُلَيْدة للسُّودان، حيث الطولُ ثمانٌ وخمسون درجة، والعرضُ إحدى وعشرون درجة .

قلت وقد أخبرنى من رآها أنها جزيرةٌ على طَرَف بحر القلزم من جهته الغربيَّة قريبةٌ من البَرّ يسكُنها التُّجّار. وصاحبها الآن من العرب المعروفين بالحَدَارِبة ـ بالحاء والدال المهملتين المفتوحتين وألف ثم راء مهملة وباء موحدة مفتوحة وهاء فى الآخر، وله مكاتبةٌ عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية، ويقال فى تعريفه الحُدْرُبِىّ بضم الحاء وسكون الدال وضم الراء، على ماسيأتى ذكره فى الكلام على المكاتبات فى المقالة الرابعة فيما بعدُ، إن شاء الله تعالى .

وقد عدّ فى "تقويم البُلْدان" من مُدُن البُجَا (العَلَّاقِى) بفتح العين المهملة واللام المشدّدة ثم ألف وقاف مكسورة ثم ياء مثناة من تحتُ . من آخر الإقليم الأوّل من الأقاليم السبعة . قال فى "الأطوال" : حيثُ الطول ثمانٌ وخمسون درجة، والعرضُ ستٌّ وعشرون درجة . قال فى "تقويم البُلْدان" : وهى بالقُرْب من بحر القلزم ، ولها مَغَاصٌ ليس بالجَيِّد، وبجبلها معدنُ ذَهَب ، يَتَحصَّل منه بقدر ما يُنْفَق فى آستخراجه . قال المهلَّبى : إذا أخذتَ من أُسْوانَ فى سَمْت المشرق تصل إلى العَلَّاقِى بعد آثنتَىْ عشرةَ مرحلةً . قال : وبين العَلَّاقى وعَيْذابَ ثمان مراحل ومن العلّاقى يُدْخَل إلى بلاد البُجَا .

المملكة الثـانيـــة

(بلاد النُّوبة)

بضم النون وسكون الواو وفتح الباء الموحدة وهاء فى الآخر . ولونُ بعضهم يميل إلىٰ الصَّفاء ، وبعضُهم شـديدُ السَّوادِ . قال فى " مسالك الأبصار " : وبلادهم ممـا يَلِى مِصرَ فى نِهَاية جَنُوبيِّها ممـا يلى المغرب علىٰ ضفتى النيل الجارى إلىٰ مصر . قال فى "تقويم البُلْدان" فى الكلام علىٰ الجانب الجَنُوبىِّ : وبينها وبين بلاد النُّوبة جبال مَنِيعة .

وقاعدتها مدينة (دُنْقُلَة) . قال فى " تقويم البُلْدان " : الظاهر أنها بضم الدال المهملة وسكون النون وقاف مضمومة ولام مفتوحة وهاء فى الآخر . وما قاله هو الجارى علىٰ ألســنة أهل الديار المصرية ، ورأيتُها فى " الروض المعطار " مكتوبةً (دَمْقَلَة) بابدال النون ميـا ، مضبوطة بفتح الدال ، وباقى الضـبط علىٰ ماتقدّم . وأنشــد بيت شعر شاهدا لذلك . وموقعها فى الإقليم الأوّل من الاقاليم السبعة . قال ابن سعيد : حيثُ الطولُ ثمـانٌ وخمسونـ درجة وعشر دقائقَ ، والعرضُ أربعَ عشرةَ درجة وخمسَ عشرةَ دقيقةً . قال : وفى جنوبيِّها وغربيِّها مَجَالاَت زَنْج النُّوبة الذين قاعدتهم (كوشَة) خلف الخَطّ ، وفى غربى دُنْقُلَةَ وشماليِّها مُدُنُهم المذكورة فى الكتب . قال الإدريسىّ : وهى فى غربىِّ النيل علىٰ ضَفَّته وشُرْب أهلها منه . قال : وأهلها سُودانٌ لكنهم أحسنُ السُّودان وجوهًا ، وأجملُهم شَـكْلا ، وطعامُهُم الشـعيرُ والذُّرة والتمر يُجْلَبَ إليهـم ، واللحوم التى يسـتعملونها لحومُ الإبل : طَرِيَّة ومقدّدةً ، ومَطْبوخَة[1] . وفى بلادهم الفِيَلة ، والزَّرَاريف ، والغِزْلان .

---

(١) فى التقويم "ومطحونة" وهو تصحيف .

قال فى " مسالك الأبصار " : ومُدُنها أشبهُ بالقُرىٰ والضِّياع من المُدُن، قليلةُ الخير والخِصْب ، يابسةُ الهَوَاء . قال : وحدَّثنى غيرُ واحد ممن دخل النُّوبةَ : أن مدينةَ دُنقُلَة ممتدّةٌ علىٰ النيل ، وأهلها فى شَظَف من العيش ، والحُبوبُ عندهم قليلةٌ إلا الذُّرةَ ، وإنما تكثُر عندهم اللحومُ والألبانُ والسَّمَك . وأفخر أطعمتهم أن تُطْبَخ اللُّوبيَا فى مَرَق اللحم، ويُثْرد ويُصَفُّ اللحم واللُّوبيا علىٰ وجه الثَّريد . وربَّما عُمِلت اللُّوبيا بورقها وعُرُوقها . قال : ولهم آنهماك علىٰ السُّكْر بالمِزْر وميل عظيم إلىٰ الطَّرَب .

ولما خاف بنو أيُّوبَ نورَ الدِّين الشهيدَ صاحبَ الشام علىٰ أنفسهم حين همَّ بقصْدهم ، بعث السلطانُ صلاحُ الدِّين أخاه شمسَ الدولة إلىٰ (النُّوبة) ليأخُذها لتكون مَوْئِلا لهم إذا قصدهم ، فرأَوْها لاتصلُح لمثلهم، فعدَلُوا إلىٰ اليمن وآستَوْلَوْا عليها، وجعلوها كالمَعْقِل لهم . قال آبن سعيد : ودِينُ أهل هذه البلاد النصرانيةُ . قال فى " مسالك الأبصار " : ومن هـذه البلاد نَجَم " لُقمانُ الحكيمُ " ثم سَكَن مدينة أَيْلةَ ، ثم دخل إلىٰ بيت المَقْدس . ومنها أيضا "ذُو النون المِصْريُّ " الزاهدُ المشهورُ، وإنما سمى المِصْرىّ لأنه سكَن مِصرَ فنُسِب إليها . وكان ملوكها فى الزمن القـديم وسائرُ أهلها علىٰ دِين النَّصْرانية، فلما فتح عمرو بن العاص رضى الله عنه مِصْرَ غزاهم . قال فى " الروض المِعْطار " : فرآهم يرمُون الحَدَق بالنَّبْل، فكَفَّ عنهم، وقرّر عليهم إتاوةً فى كل سـنة . قال صاحب " العبر " : وعلىٰ ذلك جرىٰ ملوكُ مصر بعده، وربما كانوا يُمَاطلون بذلك ويمتنعون من أدائه، فتغزُوهم عساكرُ المسلمين من مصر حتّى يُطِيعوا، إلىٰ أن كان ملكهم فى أيام الظاهر بِيبَرْس رحمه الله، رجلا آسمه (مرقشنكز) وكان له آبن أخٍ آسمه (داود) فتغلب عليه، وآنتزع الملكَ من يَدِه، وآستفحل مُلْكُه بها، وتجاوز حدودَ مملكته قريبَ (أُسوانَ) من آخر صعيد

الدّيار المصرية ؛ فقدم (مرقشنكز) المذكورُ علىٰ الظاهر بيبرس بالدّيار المصرية ، وآستنجده علىٰ آبن أخيه (داود) المذكور ؛ فجهّز معه العساكرَ إلىٰ بلاد النُّوبة ، فانهزم (داودُ) ولحق بمَمْلكة الأبواب من بلاد السُّودان ، فقبض عليه ملكُها وبعث به مقيَّدا إلىٰ الظاهر بيبرس ؛ فاعتُقِل بالقلعة حتّى مات ؛ وآستقرّ (مرقشنكز) فى مُلْك النُّوبة علىٰ جزية يؤدّيها فى كل سنة ، إلىٰ أن كانت دولة المنصور (قلاوون) ثم آستقرّ بمملكة دنقلة فى الدولة المنصورية (قلاوون) رجل اسمه سيماءون وغزته عساكر قلاوون سنة ثمانين وستّمائة .

ثم ملكهم فى أيام الناصر "محمد بن قلاوون" رجل آسمه (أمَىْ) وبقِىَ حتّى تُوفِّىَ سنة ستَّ عشرةَ وسبعمائة .

وملك بعده دُنقُلةَ أخوه (كرنبس) .

ثم خرج من بيت الملك منهم رجل آسمه (نشلى) فهاجر إلىٰ مصر، وأسلم وحَسُن إسلامه ، وأقام بمصر بالأبواب السُّلطانيـة ، وأجرىٰ عليه السلطانُ الملك النـاصر رِزْقا ، ولم يزل حتّى آمتنع (كرنبس) من أداء الجزية سنة ستَّ عشرةَ وسبعمائة ، فجهّز إليه السلطانُ العساكر مع نشلى المتقدّم ذكره ، وقد تسمّى عبدَ الله ففرّ كرنبس إلىٰ بلاد الأبواب ، فاستقرّ (عبد الله نشلى) فى ملك دُنْقُلة علىٰ دين الإسلام ، ورجعتِ العساكرُ إلىٰ مصر، وبعث الملكُ الناصرُ إلىٰ ملك الأبواب فى أمر كرنبس فبعث به إليه ، فأسلم وأقام بباب السلطان ، وبقِىَ نشلى فى الملك حتّى قتله أهل مملكته سنةَ تسعَ عشرةَ وسبعمائة ، فبعث السلطان كرنبس إليهم فملكهم وآنقطعت الجزيةُ عنهم من حين أسلم ملوكُهم . قال فى "العبر" : ثم آنتشرتْ أحياءُ جُهينةَ من العرب فى بلادهم وآستوطنوها، وعاثُوا فسادًا ؛ وعجز مُلوكُ النُّوبة عن مدافعتهم ،

فصاهروهم مصانعةً لهم ، وتفرّق بسبب ذلك مُلْكُهم حتّى صار لبعض جُهَيْنَة من أمّهاتهم علىٰ رأى العجم فى تمليك الأُخْت وآبن الأُخْت ؛ فتمزّق مُلْكهُم وآستولَتْ جُهَينـةُ علىٰ بلادهم ، ولم يُحْسِنُوا سـياسة المُلْك ، ولم ينقـدْ بعضهم إلىٰ بعض ، فصاروا شِـيَعًا ولم يبْق لهـم رسمُ مَلِك ، وصاروا رَحّالة باديةً علىٰ عادة العرب إلىٰ هذا الزمان .

وذكر فى "مسالك الأبصـار" : أن ملكها الآن مُسْـلم من أولاد (كنز الدولة) قال : وأولاد الكنز هؤلاء أهلُ بيتٍ ثارت لهم ثوائرُ مَرّات . فيحتمل أن أولاد الكنز من جُهَينة أيضا جمعا بين المقالتين .

وقد ذكر فى "مسالك الأبصار" : أنّ سلطانَهم كواحد من العـامّة ، وأنه يأْوِى الغرباءُ إلىٰ جامع دُنْقلةَ فُيرْسِل إليهم ، فيأتونه فيُضيفُهم ويُنْعم عليهـم هو وأمراؤُه ، وأن غالب عطائهم الدّكاديك : وهى أكْسيةٌ غِلاظ غالبها سُود . وربما أعطوْا عَبْدا أو جاريةً .

(وقد ذكر فى "الروض المعطار" : أن عمرو بنَ العاص رضى الله عنه قصد قتالَ النُّوبة فرآهم يرمُون الحدَق بالنَّبْـل فكفّ عنهم ، وقرّر عليهم إتاوةً من الرّقيق فى كل سنة)[(1)] ، ولم تزل ملوكُ مصر تأخُذ منهم هذه الإتاوةَ فى أكثر الأوقات حتّى ذكر فى "مسالك الأبصار" أنه كان عليهم فى زمنه مُقَرَّرٌ لصاحبِ مصرَ فى كلّ سنة من العبيد ، والإماء ، والحِراب ، والوُحُوش النُّوبية .

قلت : أمَّا الآنَ فقد آنقطع ذلك . ﴿ وربُّك يَخْلُق ما يَشَاءُ ويَخْتَارُ ﴾ .

---

(١) هذه الجملة مضبب عليها فى القطعة الأزهرية اشارة الى الاستغناء عنها .

المملكة الثالثة

(بلاد البَرْنُو)

وبلاد البرنو ـ بفتح الباء الموحدة وسكون الراء المهملة وضم النون وسكون الواو . وهم مسلمون والغالب على ألوانهم السواد قال فى "التعريف" : وبلاده تُحَدُّ بلاد التَّكْرور من الشرق، ثم يكون حدّها من الشّمال بلادَ أفريقِيَّة، ومن الجنوب الهَمَج .

وقاعدتهم مدينة (كَا كَا) بكافين بعد كلٍّ منهما ألف فيما ذكر لى رسولُ سلطانهم الواصلُ إلى الدّيار المصرية صحبةَ الحجيج فى الدولة الظاهرية (بَرْقوق) . وقد تعرّض إليها فى "مسالك الأبصار" فى تحديد مملكة مالِّى على ما يأتى ذكره إن شاء الله تعالى .

ومن مدنهم أيضا مدينة (كُتْنِسْكِي) بكاف مضمومة وتاء مثناة فوقية ساكنة ونون مكسورة وسين مهملة ساكنة وكاف مكسورة بعدها ياء مثناة تحتية . وهى شرقىَّ (كَا كَا) على مَسِيرة يوم واحدٍ منها .

قلت : وقد وصل كتاب ملك البَرْنُو فى أواخر الدولة الظاهرية (بَرْقوق) يذكر فيه أنه من ذرّية "سيف بن ذى يزن" الا أنه لم يحقق النسب فذكر أنه من قريش وهو غالط منهم فان "سيف بن ذى يزن" من أعقاب تَبَابعة اليمن من حِمْيَر، على ما يأتى ذكره فى الكلام على المُكاتَبات، فى المقالة الرابعة فيما بعدُ، إن شاء الله تعالى .

ولصاحب البَرْنُو هذا مكاتبةٌ عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية، يأتى ذكرُها هُناك إن شاء الله تعالى .

المملكة الرابعـــة
(بلادُ الكانِم)

والكانِم بكاف بعدها ألفٌ ثم نون مكسورةٌ وميم فى الآخر. وهم مسلمون أيضا والغالب على ألوانهم السَّوادُ . قال فى "مسالك الأبصار" : وبلادهم بين أفريقيَّة وبَرْقة ، ممتدَّةٌ فى الجنوب إلى سَمْت الغَرْب الأوسط . قال : وهى بلادُ قَحْط ، وشَظَف، وسُوء مِزَاج مستولٍ عليها . وغالب عيشهم الأُرُزُّ، والقمح، والذُّرَة؛ وببلادهم التِّين، والليمون، واللِّفت ، والباذنجان، والرُّطَب . وذكر عن أبى عبدالله السلايحى ، عن الشيخ عثمان الكانمىّ وغيره أن الأُرُزَّ ينبُتُ عنـدهم من غير بَذْر . ومعاملتهم بقُماش يُنْسَج عنـدهم اسْمُه دندى، طول كلِّ ثوب عشرةُ أذرع فأكثر . قال : ويتعاملون أيضا بالوَدَع ، والخَرَز،والنُّحاس المكسور، والوَرَق، لكنه جميعه يسعَّر بذلك القماش .

وذكر ابن سـعيد : أن فى جَنوبيِّها صَحَارىَ فيهـا أشخاصٌ متوحِّشـة ، كالغُول أقربُ الحيوانات إلى الشَّكْل الآدمىّ، تُؤْذى بنى آدَمَ ولا يلحَقُها الفارس .

وذكر أبو عبد الله المَرَّاكُشىّ فى كتابه "التكملة" عن أبى اسحاق إبراهيم الكانمىّ الأديبِ الشاعر : أنه يظهر ببلاد الكانِم فى الليـل أمامَ المـاشى بالقُرْب منه قَلَل نار تُضىء ، فإذا مشى بعُدتْ منه ، فلا يصل إليها ولو جرى ، بل لا تزال أمامَه . وربمـا رماها بحَجَر فأصابها، فيتشظَّى منها شَراراتٌ . قال فى "مسالك الأبصار" : وأحوالُهـا وأحوالُ أهلها حَسنةٌ ، وربمـا كان فيهم من أخذ فى التعليم ، ونَظَر من الأدب نَظْرة النجوم فقال إنى سَقِيم ؛ فمـا يزال يُداوى عَليل فَهْمه ، ويُدارِى جامح علمه ، حتّى تشرق عليه أشعتها ، ويطَرِّز بديباجه أمتعتها .

وقاعدتها (مدينة جيمى) . قال فى "تقويم البُلْدان" : بكسر الجيم والياء المثناة تحتُ الساكنة وكسر الميم ثم ياء مثناة تحتية فى الآخر حسب ماهو فى خط ابن سعيد . وموقعها فى الإقليم الأول من الأقاليم السبعة قال ابن سعيد : حيثُ الطولُ ثلاثٌ وخمسون درجة ، والعرضُ تسعُ درج ، وبها مَقَرَّة سلطانهم . قال فى " مسالك الأبصار" : ومبدأ هذه المملكة من جهة مصر بلدة اسمها (دلا) وآخرها طُولا بلدة يقال لها (كَاكَا) وبينهما نحْوُ ثلاثة أشهر . وقد تقدّم أن كَاكَا هى قاعدةُ سلطان الْبَرْنو . وبينها وبين جيمى أربعون ميلا . قال وبها فواكهُ لاتُشْبِه فواكهَ بلادنا ؛ وبها الرُّمان ، والخَوْخ ، وقصب السُّكَّر . قال فى "مسالك الأبصار" : وسلطان هذه البلاد رجل مسلم . قال فى "تقويم البُلْدان" : وهو من ولد «سيف بن ذى يزن» . قال فى " مسالك الأبصار " : وأول من بَثَّ الإسلامَ فيهم الهادى العثمانىّ ، آدّعى أنه من ولد « عثمان بن عفَّان » رضى الله عنه وملكها ؛ ثم صارت بعده لليَزَنِيِّين .

وذكر فى "التعريف" : أن سلطان الكانم من بيتٍ قديم فى الإسلام؛ وقد جاء منهم من آدّعى النسبَ العلوىَّ فى بنى الحَسَن . ثم قال : وتمَذْهَب بمذهب « الشافعىّ » رضى الله عنه . قال فى " مسالك الأبصار " : وملكهم على حَقَارة سُلْطانه ، وسُوء بُقْعة مكانه ؛ فى غاية لاتُدْرَك من الكِبْرياء ، يمسح برأسه عَنَان السماء ، مع ضَعْف أجناد ، وقلة متحصّل بلاد ؛ لايراه أحد إلا فى يوم العيدين بُكْرةً وعند العصر . أما فى سائر السنة فلا يكلمه أحد ولو كان أميرا إلا من وراء حِجَاب . قال : والعدل قائم فى بلادهم ، ويتَمَذْهبون بمذهب الإمام « مالك » رضى الله عنه ، وهم ذَوُو آختصار فى اللباس ، يابسون فى الدِّين ؛ وعسكرهم يتَلَثَّمون ؛ وقد بنَوْا مدرسةً للمالكية بالفُسْطاط ينزل بها وُفُودهم .

المملكة الخـامســـــة

(بلاد مالِّى ومُضافاتها)

و(مالِّى) بفتح الميم وألف بعدها لامٌ مشدَّدة مفَخَّمة وياء مثناة تحتُ فى الآخر . وهى المعروفة عند العامَّة ببلاد (التَّكرور) . قال فى "مسالك الأبصار" : وهذه المملكة فى جَنُوب المغرب، متَّصلةٌ بالبحر المحيط . قال فى "التعريف" : وحدّها فى الغرب البحرُ المحيط؛ وفى الشرق بلاد البَرْنُو؛ وفى الشَّمال جبال البَرْبر؛ وفى الجنوب الهَمَج . ونقل عن الشيخ سـعيد الدَّكَّالى : أنها تقع فى جنوب مَرَّاكُش ودواخل بَرّ العُدْوة جنوبا بغرب إلىٰ البحر المحيط . قال فى "مسالك الأبصار" : وهى شديدةُ الحَرّ، قَشِـفَة المعيشة ، قليلةُ أنواعِ الأقواتِ ؛ وأهلهـا طِوَال فى غاية السـواد وتَفَلْفُل الشُّعور؛ وغالب طُول أهلها من سُوقِهم، لا من هَيَاكل أبدانهم . قال ٱبن سعيد : والتَّكْرور قسمان : قسم حَضَر يسكُنون المُدُنَ، وقسم رَحَّالة فى البَوَادى .

وقد حكىٰ فى "مسالك الأبصار" عن الشيخ سعيد الدَّكَّالى : أن هـذه المملكة مُربَّعة ، طولهـا أربعةُ أشهُر أو أزيدُ ، وعرضُها مثـلُ ذلك ؛ وجميعها مسكونةٌ إلاماقَلَّ، وهذه المملكة هى أعظم ممـالك السُّودان المسلمين .

وتشتمل علىٰ ثمـانِ جُمَـــل :

الجمـــلة الأولىٰ

(فى ذكر أقاليمها ومُدُنهـا)

وقد ذكر صاحب "العـــبر" : أنها تشـتمل علىٰ خمســة أقالِيمَ كل إقليم منها مملكةٌ بذاتهـا .

الإقلـــيم الأوّل
(مالّى)

وقد تقدّم ضبطه . وهو إقليمٌ واسطة الأقاليم السبعة الداخلةِ فى هــذه المملكة ، واقعٌ بين إقليم صُوصُو و إقليم كَوْكَو : صُوصُو من غربيه ، وكَوْكَوْ من شرقيّه .

وقاعدته علىٰ ما ذكره فى "مسالك الأبصار" : مدينة (بَنْى)(١) قال فى "مسالك الأبصار" : بالباء الموحدة والنون ثم الباء الموحدة أيضا . قال : وهى ممتــدّة تقديرَ طُول بريد فى عرض مثــل ذلك ، ومَبَانيها متفرّقة ، وبنــاؤُها بالبالستا . وهو أنه يُبْنىٰ بالطين بقدر ثُلُثَىْ ذراع ، ثم يُتْرك حتّى يجفّ ، ثم يُبْنىٰ عليه مثلُه ، وكذلك حتّى ينتهِىَ ، وسقُوفُها بالخشب والقَصَب ، وغالبها قِبَاب أو جَمَلُونات كالأقباء ، وأرضُها تُرابٌ مُرْمِل ، وليس لها سُور ، بل يستديربها عدّةُ فُرُوع مــن النيل من جهاتها الأربع ، بعضُها يُخَاض فى أيام قِلّة المــاء ، وبعضها لا يُعْبَر فيه إلا فى السُّفُن . وللملك عدّة قُصُور يدور بها سُورٌ واحد .

الإقلـــيم الثــانى
(صُوصُو)

بصادين مهملتين مضمومتين ، بعد كلٍّ منهما واو ساكنة . وربمــا أبدلوا الصادَ سينا مهملةً سُمِّىَ بذلك باسم سُكّانه . قال فى "العبر" : وهم يسمُّونها الانكارية . وهو فى الغرب عن إقليم مالّى المقدّم ذِكْرُه فيما ذكره فى "العبر" عن بعض النَّقَلة .

---

(١) فى القطعة الأزهرية "مدينة بيتى بكسر الياء المثناة تحت وسكون الياء الثانية وكسر المثناة فوق و ياء مثناة تحت فى الآخر" .

الإقليم الثالث

(بلاد غانَة)

بفتح الغين المعجمة وألف ثم نون مفتوحة وهاء فى الآخر . وهى غربىّ إقليم صُوصُو المقدّم ذكْرُه تُجاوِر البحرَ المحيط الغربىّ .

وقاعدته (مدينة غانَةَ) التى قد أُضيف إليها . قال فى "تقويم البُلْدان" : وموقعُها خارجَ الإقليم الأوّل من الأقاليم السبعة إلى الجَنُوب . قال ٱبن سعيد: حيثُ الطول [تسعٌ وعشرون درجة](1) والعرضُ عشرُ درَج . قال فى "تقويم البُلْدان" : وهى محلُّ سلطانِ بلاد غانَة .

وقد حكى ٱبن سعيد : أن لِغانَةَ نِيلًا شقيقَ نِيل مصر، يَصُب فى البحر المحيط الغربى عند طُول عَشْر درج ونصف، وعرض أربعَ عشرةَ . وإليها تسير التُّجّار المغاربةُ من سِجِلْماسة فى بَرٍّ مُقْفِر ومفاوزَ عظيمة فى جَنُوب الغرب نحوَ خمسين يوما، فيكون بين غانَةَ وبين مَصَبّه نحوُ أربعِ دَرَج . وهى مبنيَّة على ضَفَّتَىْ نِيلها هذا . قال فى "العبر" : وكان أهلُها قد أسلموا فى أوّل الفتح الإسلامى .

وقد ذكر فى "تقويم البُلْدان" : أنها مدينتانِ على ضفّتَىْ نيلها، إحداهما يسكُنها المسلمون والثانية يسكنها الكُفّار .

وقد ذكر فى "الروض المِعْطار" : أن لصاحب غانة مَعْلَفين من ذهب، يُرْبَط عليهما فرسان له أيامَ مَقْعده .

---

(١) الزيادة عن التقويم نقلا عن ٱبن سعيد .

الإقلـــيم الرابع
(بلاد كَوْكَوْ)

وهى شرقىّ إقليم مالّى المتقدّم ذكره . قال فى "الروض المِعْطار" : ومَلِكها قائم بنفسه ، له حَشَم وقُوّاد وأجنادٌ وزىّ كامل ؛ وهم يركَبُون الخيل والجِمالَ ؛ ولهم بأسٌ وقَهْرٌ لمن جاورهـم من الأمَم . قال : وبهـا ينبُتُ عودُ الحَيَّة : وهوعُود يُشْـبِه العاقِر قَرْحا ، إلا أنه أسودُ ؛ من خاصّته أنه إذا وُضِع علىٰ جُحْر الحَيَّة خرجتْ إليـه بسُرْعة ، ومن أمسكه بيـده أخذ من الحَيَّات ما شـاء من غير جَزَع يُدْرِكه أو يقَعُ فى نَفْسه . ثم قال : والصحيح عند أهل المغرب الأقصىٰ أن هذا العُودَ إذا أمسكه مُمْسك بيده أو عَلَّقه فى عُنُقه لم تقرَبْه حيةٌ البتّةَ .

وقاعدته (مدينة كَوْكَوْ) بفتح الكاف وسكون الواو وفتح الكاف الثانية وسكون الواو بعدها . وموقعها فى الجَنُوب عن الإقليم الأوّل قال ٱبن سعيد : حيثُ الطولُ أربعٌ وأربعون درجة ، والعرضُ عشرُ دَرَج . قال : وهى مَقَرّصاحب تلك البلاد . قال : وهو كافر يقاتل مَنْ غربيّه من مسلمى غانة ومَنْ شرقيّه من مسلمى الكانِم .

وذكر المهلّبى فى العزيزى أنهم مسلمون ، و بينهـا و بين مدينـة غانةَ مسيرةُ شهر ونصف . قال فى "الروض المِعطار" : وهى مدينة كبيرةٌ علىٰ ضَفَّة نَهَر يخرج من ناحية الشمال ، يمّر بها ويجاوِزُها بأيام كثيرة ، ثم يَغُوص فى الصَّحْراء فى رِمَال كما يغُوص الفُراتُ فى بطائح العراق . قال ٱبن سعيد : وكَوْكَوْ فى شرقىّ النهر ؛ ولبـاس عامّة أهلها الجُـلُود يسترون بها عَوراتِهـم ؛ وتُجّارهم يلبَسُون الأكْسِيَةَ ، وعلىٰ رءوسهم الكرازين ، ولِبْس خَوَاصّهم الأزرقُ . قال فى "مسالك الأبصار" : وسُـكّانها قبائلُ يرنان من السُّودان .

الإقلـــيم الخـامس
(بلاد تَكْرُور)

وهى شرقىّ إقليم (كَوْكَوْ) المقدّم ذكره ، ويليه من جهة الغرب مملكة (البرنو) المتقدّمةُ الذكر؛ وبها عُرِفت هذه المملكة على كبرها وآشتهرت .

وقاعدته (مدينة تَكْرُور) بفتح التاء المثناة فوقُ وسكون الكاف وضم الراء المهملة[(1)] وسكون الواو وراء مهملة فى الآخر . قال فى "الروض المِعْطار" : وهى مدينة على النِّيل على القرب من ضِفَافِه أكبرُ من مدينة سَـلَا من بلاد المغرب؛ وطعامُ أهلها السمكُ، والذُّرة ، والألبانُ؛ وأكثرُ مواشيهم الجمـال، والمَعَز؛ ولباسُ عامّة أهلها الصُّوف، وعلى رءوسهم كَرَازِينُ صُوف؛ ولباس خاصّتهم القُطن والمآزِر . قال : وبينها وبين سِجِلْماسـةَ من بلاد المغرب أربعُون يوما بسير القوافل؛ وأقربُ البلاد إليها من بلاد لَمْتُونَةَ بالصحراء آسفِى بينهما خمسٌ وعشرون مرحلة . قال : وأكثر مايُسافَرُ به تُجّار الغرب الأقصى إليها الصُّوف، والنُّحاس، والخَرَز؛ ويخرُجون منها بالتِّبْر، والخَدَم . قلت : وذكر فى "مسالك الأبصار" : أن هـذه المملكة تشتمل على أربعة عشر إقليما . وهى غانةُ، وزافُون، وترنكا، وتَكْرور، وسنغانة، وبانبغو، وزرنطابنا ، وبيترا، ودمورا، وزاغا ، وكابرا، وبراغودى، وكَوْكَوْ ، ومالّى . فذكر أربعة من الأقاليم الخمسة المتقدّمة الذكر، وأسقط إقليم صُوصُو، وكأنها قد آضمحلّتْ وزاد باقِىَ ذلك، فيحتمل أنها آنضافَتْ إلى صاحبها يومئذ بالفتح والآستيلاء عليها .

قال فى "مسالك الأبصار" : وفى شمالىّ بلاد مالّى قبائلُ من البربر بيضٌ تحت حكم سلطانها : وهم نيتصر، ونيتغراس، ومدوسة، ولَمْتونة، ولهم أشياخ تحكم عليهم

(1) ضبطه المجد بالضم ولم يتعقبه شرحه ففيه لغتان .

إلا نيتصر ، فإنهم يتداولهم ملوكٌ منهم تحت حكم صاحب مالّى . قال : وكذلك في طاعته قوم من الكفار بعضهم يأكل لحمَ الآدميين . ونقل عن الشيخ سعيد الدّكّالى : أن فى طاعة سلطانها بلاد مغارة الذهب . وهم بلاد همَج، وعليهم إتاوةٌ من التبر تُحمل إليه فى كل سنة، ولو شاء أخذهم ولكن ملوكُ هذه المملكة قد جرّبوا أنه ما فُتِحت مدينةٌ من هذه المُدُن وفشا بها الإسلام، ونَطَق بها داعى الأذان ، إلا قلّ بها وجودُ الذهب ثم يتلاشىٰ حتّى يعدم ، ويزداد فيما يليه من بلاد الكفار، فرَضُوا منهم ببذل الطاعة ، وحِمل قُرِّر عليهم . وذكر نحو ذلك فى "التعريف" فى الكلام علىٰ غانة .

الجملة الثانية

(فى الموجود بهذه المملكة)

قد ذكر فى "مسالك الأبصار" عن الشيخ سعيد الدّكّالى(١) : أن بها الخيلَ من نوع الأكاديش التتريّة . قال : وتُجلَب الخيل العِرَاب إلىٰ ملوكهم، يتغالَوْن فى أثمانها، وكذلك عندهم البِغال، والحَمير، والبَقر، والغنم، ولكنّها كلّها صغيرة الجُثّة، وتلد الواحدةُ من المَعز عندهم السبعةَ والثمانيةَ ،ولا مَرْعىٰ لمواشيهم، إنما هى جَلّالة علىٰ القُمامات والمَزابل . وبها من الوحوش الفِيَلة ، والآسادُ، والنُّمورة، وكلُّها لا تُؤذِى من بنى آدم إلا مَنْ تعرّض لها . وعندهم وحش يسمّى (تُرُمِّى) بضم التاء المثناة والراء المهملة وتشديد الميم، فى قدر الذئب، يتولد بين الذئب والضَّبُع لا يكون إلا خُنْثىٰ : له ذكر وفرج، متىٰ وَجد فى الليل آدميًا صغيرا أو مُراهِقا أكله . ولا يتعرّض إلىٰ أحد فى النهار، وهو ينْعَر كالثور، وأسنانه متداخلة . وعندهم تماسيحُ عِظام منها ما يكون

(١) نسبة إلىٰ دكالة قال فى القاموس كرمانة . وفى المعجم بالفتح بلد بالمغرب

طوله عشرة أذرع وأكثر ، ومرارته عنـدهم سمٌّ ناقل تحمـل إلى خزانة ملكهم .
وعندهم بقر الوحش ، وحمير الوحش ، والغزلان . ونما يسامت بملاسة من بلادهم
جواميس متوحشـة تصاد كما يصاد الوحش . وبهـا من الطيور الدواجن الإوزّ ،
والدجاج ، والحمام . وبهـا من الحبوب الأرزّ ، والذوقى : وهو دق مزغّب ، يدرس
فيخرج منه حبٌّ أبيض شبيه بالخردل فى المقدار أو أصغر منه ، فيغسل ثم يطحن
ويعمل منه الخبز ، وهـذا الحب هو والأرزّ هما غالب قوتهم ؛ وعندهم الذرة وهى
أكثر حبوبهم ؛ ومنها قوتهم وعليق خيولهم ودوابهم ، وعندهم الحنطة على قلة فيها ،
أما الشـعير فلا وجود له عنـدهم ألبتة ؛ وعندهم من الفواكه البستانية الجميز وهو
كثير لديهم ، وعنـدهم أشجار برية ذوات ثمـار مأكولة مستطابة ، منهـا شجر يسمى
تادموت يحمل شيئا مثل القواديس كبارا فى داخلها شيء شبيه بدقيق الحنطة ، ساطع
البيـاض ، طعمه مزٌّ لذيذ يأكلون منـه ، وإذا جف جعلوه على الحنـاء فيسوّده
كالنوشادر ؛ ومنهـا شجر يسمى زبيزور تخرج ثمرته مثل قرون الخروب فيخرج منها
شيء شبيه بدقيق الترمس حلو لذيذ الطعم ، له نوى . ومنهـا شجر يسـمى قومى ،
يحمل شبيه السفرجل ، لذيذ الطعم يشبه طعم الموز ، وله نوى شبيه بغضروف العظام ،
يأكله بعضهم معه . ومنها شجر آسمه ناريتى ، حمله شبيه بالليمون وطعمه يشبه طعم
الكمثرى بداخله نوى ملحم ، يؤخذ ذلك النوى وهو طرى ، فيطحن فيخرج منه شيء
شبيه بالسمن يجمد ، وتبيض به البيوت ، وتوقد منه السرج ، ويعمل منه الصابون ،
وإذا قصـد أكله وضع فى قدر على نار لينة ، ويسقى المـاء حتى يقوى غليانه وهو
مغطى الرأس ، ويسارق كشف الغطاء فى آنعقاده ، فانه متى كشف القدر فار ولحق
بالسقف . وربمـا آنعقد منه نار فأحرق البيت ، فإذا نضج برد ، وجعل فى ظروف
القرع ، وصار يستعمل فى المأكل كالسمن . ومتى جعـل فى غير ظروف القرع

من الآنية خَرَقها . ويُوجَد بها من الثمرات البرِّيَّة ماهو شَبِيه بكل الفواكه البُستانيَّة علىٰ آختلاف أنواعها ، ولكنها حِرِّيفةٌ لا تُستطاب ، يأكلها الهَمَج من السُّودان ، وهى قُوتُ كثيرٍ منهم .

وبها من الخَضْراوات الُّلوبياء ، والِّلفت ، والثُّوم ، والبَصَل ، والباذِنْجان ، والكُرُنْب ، أما المُلُوخِيَّة فلا تطْلُعُ عندهم إلا بَرِّية ، والقَرْع عندهم بكَثْرة . وعندهم شيءٌ شَبِيه بالقُلْقاس إلا أنه ألَذُّ من القُلْقاس ، يُزْرَع فى الخَلَاء فإن سَرَق منه سارقٌ ، قَطَع المِلكُ رأسَه وعَلَّقه مكانَ ماقُطِع منه ، عادةٌ عندهم يتوارَثُونها خَلَفا عن سَلَف ، لا تُوجَد فيها رُخْصة ، ولا تنفَع فيها شَفاعةٌ .

وجبالُها ذواتُ أشجار مشتَبِكةٍ ، غليظةِ السُّوق إلىٰ الغاية ، تُظِلُّ الواحدةُ منها خَمْسَمِائة فارسٍ . وفيها بغانَةَ وما وراءها فى الجَنُوب من بلاد السُّودان الهَمَج معادِنُ الذهب .

وقد حكىٰ فى "مسالك الأبصار" عن الأمير أبى الحسن علىّ بن أمير حاجب عن السلطان (منسا موسىٰ) سلطان هذه المملكة : أنه سأله عند قُدومه الديارَ المصريةَ حاجًّا عن معادن الذهب عندهم — فقال : تُوجد علىٰ نوعين : نوع فى زمان الربيع ينْبُت فى الصحراء ، له ورق شَبِيه بالنجيل ، أصوله التبر . والثانى يُوجَد فى أماكن معروفة علىٰ ضَفَّات مَجَارى النيل ، تُحفَر هناك حفائرُ فيُوجد فيها الذهبُ كالحجارة والحصىٰ ، فيُؤْخَذ . قال : وكلاهما هو المسمّى بالتِّبر . ثم قال : والأوّل أخلَص[1] فى العيار ، وأفضلُ فى القيمة . وذكر فى "التعريف" نحوه . وذكر عن الشيخ عيسىٰ الزواوىّ عن السلطان (منسا موسىٰ) المقدّم ذكره أيضا أنه يُحْفَر فى معادن الذهب كلُّ حفيرة عمقُ قامة أومايقاربها ، فيُوجد الذهب فى جَنَباتها . وربما وُجد مجتمعا فى سُفْل

(١) فى الأصل والأوّل أ ... ... فى الخيار والتصحيح عن "التعريف" و "المسالك" .

الحفيرة؛ وأنّ في مملكته أُممًا من الكُفّار لايأخُذ منهم جزيةً، إنمـا يستعمِلُهم في إخراج الذهب من مَعَادِنه . ثم قد ذكر في "مسالك الأبصار" : أن النوع الأوّل من الذهب يُوجَد في زمن الربيع عَقيب [الأمطار](١) ينبُتُ في مواقعها، والثاني يوجد في جميع السنة في ضَفّات مَجَاري النِّيل . وذكر في "التعريف" : أن نبات الذهب بهـذه البلاد يَبْدأ في شهر (أغشت) حيثُ سلطانُ الشمس قاهرٌ، وذلك عند أخذ النِّيل في الآرتفاع والزيادة . فإذا آنحطّ النيل تُتُبِّع حيثُ رَكِبَ عليه من الأرض؛ فيوجد منه ماهو نباتٌ يُشْبه النجيلَ وليس به . ومنه مايوجد كالحصىٰ . فجعل الجميع ممـا يحدُث في هـذا الزمن في أماكِنِ النيل خاصّةً، وفيه مخالفة لمـا تقدّم . بل قد قال : إن شهر (أغشت) الذى يطلُعُ فيه الذهب وهو من شهور الروم، ويقع — والله أعلم — أنه يُرَكَّب من (تمُّوز) و(آب) يعني من شهور السريان، وهذا غلط فاحش . فقـد تقدّم في المقـالة الأولىٰ أن شهور الروم منطبقة علىٰ شهور السُّريان في الآبتداء والآنتهاء، دون آبتداء أوّل السـنة؛ وشهر (أغشت) من شهور الروم هو شهر (آب) من شهور السريان بعينه .

ثم قد حكىٰ في "مسالك الأبصار" عن والى مصر عن (منسا موسىٰ) المقـدّم ذكره : أن الذهب ببلاده حِمًى له، يجمعُ له متحصّله كالقَطيعة ، إلا ما يأخُذه أهلُ تلك البلادِ منه علىٰ سبيل السَّرِقَة .

وحكى عن الشيخ سعيد الدَّكّالىّ : أنه إنمـا يُهادىٰ بشيء منـه كالمُصانَعة، وأنه يتكَسَّب عليهم في المَبِيعات لأنّ بلادهم لاشيء بها . ثم قال : وكلام الدَّكّالى أثبت وعليه ينطبق كلامُه في "التعريف" حيث ذكر غانةَ ثم قال : وله عليها إتاوةٌ مقرّرةٌ

(١) بياض بالاصل والتصحيح من "المسالك" .

تحمَلُ إليه فى كلِّ سنة . وبهـذه البلاد أيضا معدنُ نُحاس وليس يُوجَد فى السُّودان إلا عندهم . قال الشيخ عيسى الزواوى : قال لى السلطان موسى : إن عنده فى مدينة آسمها (نكوا) معدنَ نُحاس أحمر، يجْلَب منه قُضْبان إلى مدينة بَنْبى قاعدة مالىِّ فيبعثُ منه إلى بلاد السُّودان الكُفَّار، فيُباع و زن مثقال بثلثَىْ وزنه من الذهب؛ يُباع كُلّ مائة مثقال من هذا النحاس بستةٍ وستين مثقالًا وثلثَىْ مثقال من الذهب .

وبهذه البلاد (مَعْـدِن مِلْح) وليس فى شىء من السُّودان الوالِجين فى الجَنُوب والمُسامتين لسجِلْماسةَ وما وراءها مِلحٌ سواه . قال "المقَرُّ الشهابىّ بن فضل الله" : حدّثنى أبو عبد الله بنُ الصائغ ، أن المِلْح معدومٌ فى داخل بلاد السُّودان؛ فمن الناس من يُغرِّر ويصل به إلى أناس منهم يَبْذُلون نظير كلِّ صُبرة ملح مثـلَه من الذهب . قال آبن الصائغ : وحُدِّثت أن من أمم السودان الداخلة مَنْ لا يَظْهَر لهم بل إذا جاء التُّجّار بالمِلْح وضَـعوه ثم غابوا ، فيجىءُ السُّودان فيضَعُون إزاءَه الذهبَ، فإذا أخذ التجّارُ الذهبَ، أخذ السُّودان المِلْح . قال فى "مسالك الأبصار": قال لى الدَّكَّالىّ: وأهلُ هذه المملكة كثيرٌ فيهم السحر ، ولهم به عِنَاية حتّى إنهم فى بلاد الكُفَّار منهم يصيدون الفِيلَ بالسحر حقيقةً لا مجازا؛ وفى كل وقت يتحا كَمُون عند ملكهم بسببه ، ويقول أحدهم : إن فلانا قَتَل أخى أو وَلَدى بالسِّحْر، والسلطان يحكُم على القاتل بالقِصَاص وقَتْل الساحر .

وحكى عنه أيضا : أن السُّمَوم بهـذه المملكة كثيرة ، فإن عندهم حشائش وحيوانات يركّبون منها السـمُومَ القَتَّالة ، ولا سيما من سَمك يوجَدُ عنـدهم . قال الشيخ سعيد الدَّكَّالى : ومن خِصِّيصة هـذه البلاد أن يسرع فيها فسادُ المدّخرات لاسيما السَّمْن فانه يفْسُد ويُنْتِنُ فيها فى يومين .

الجملة الثـالثـــة
(فى معـاملة هـــذه المملـــكة)

ذكر فى "مسالك الأبصار" عن ٱبن أمير حاجب : أن المعاملة عندهم بالوَدَع وأن التُّجّار تجلِبُهُ إليهم كثيرًا، فتَرْبَح فيه الرِّبح الكثير. وكأن هذا فى المعاملات النازلة من مثل المآكل وما فى معناها، وإلا فالذهب عندهم علىٰ ماتقدّم من الكَثْرة .

الجملة الرابعـــة
(فى ذكر مـــلوك هـــذه المملكة)

قد تقدّم أن هذه المملكة قد ٱجتمع بها خمسة (١) أقاليم ؛ وهى : إقليم مالِّى، وإقليم صُوصُو ، وإقليم غانةَ من الجانب الغربىّ عن مالِّى ، وإقليم كَوْكَوْ ، وإقلـيم تَكْرُور فى الجانب الشرقى عن مالِّى ؛ وأن كلَّ إقليم من هـذه الخمسة كان مملكةً مستقلَّة ، ثم ٱجتمع الكلُّ فى مملكة صاحب هـذه المملكة ، وأن مالِّى هى أصـل مملكته . قال فى "مسالك الأبصار" : وهو وإن غلب عليه عند أهل مصر ٱسمُ سلطان التَّكْرُور فإنه لو سَمِـع هذا أنِفَ منه، لأن التَّكْرور إنما هو إقليم من أقاليم مملكته، والأحبُّ إليه أن يقال (صاحب مالِّى) لأنه الإقليم الأكبر، وهو به أشهرُ. ونَقَل عن الشيخ سعيد الدُّكَّالِىّ : أنه ليس بمملكته من يُطْلَق عليه ٱسم مَلِك إلا صاحب غانةَ وهو كالنائب له وإن كان مَلِكًا . وكأنه إنمـا بقِىَ ٱسم الملك علىٰ صاحب غانةَ دون غيره لعـدم ٱنتزاعها منـه والٱستيلاءِ عليها ٱستيلاءً كلِّيا . فقد قال فى "التعريف" : وأما غانةَ فإنه لايملِكُها وكأنه مالكُها ، يتركُها عن قُدْرة عليها : لأن بها وبمـا وراءها جنوبًا منابِتَ الذهب . وذكر ماتقـدّم من أن بلاد منابتِ الذهب متىٰ فشا فيها الإسـلامُ

(١) فى الأصل سبعة ، وهو سهو من الناسخ لأن المعدود هنا والمتقدم هناك خمسة .

والأذانُ، عُدِم فيها نبات الذهب، وصاحب مالّي يتركها لذلك لأنه مسلمٌ، وله عليها إتاوةٌ كبيرة مقررة تحمَلُ إليه فى كل سنة .

وقد ذكر صاحب "العبر" : أن هذه الممالك كانت بيد ملوكٍ متفرقة، وكان من أعظمها مملكةُ غانَةَ . فلما أسلم المَلَثَّمُون من البربر، تسلَّطُوا عليهم بالغزو حتّى دان كثيرٌ منهم بالإسلام، وأعطىٰ الجزيةَ آخرون ، وضَعُف بذلك مُلْكُ غانةَ وآضمحَلَّ، فتغلَّب عليهم أهلُ صُوصُو المجاورون لهم، وملكوا غانَةَ من أيدى أهلها. وكان ملوك مالّى قد دخلوا فى الإسلام من زمنٍ قديم .

قال: و يقال إن أوّل مَنْ أسلم منهم ملك آسمه (بَرَمِنْدانَةّ) بباء موحدة وراء مهملة مفتوحتين وميم مكسورة ونون ساكنة ودال مهملة بعدها ألف ثم نون مشددة مفتوحة وهاء فى الآخر فيما ضبطه بعضُ علمائهم . ثم حَجَّ بعد إسلامه، فاقتفىٰ سَنَنَه فى الحج ملوكُهم من بعده .

ثم جاء منهم ملك آسمه (مارى جاطة) ومعنى (مارى) الأمير الذى يكون من نسل السلطان ومعنىٰ (جاطة) الأسد، فقوِىَ مُلْكُه وغلب علىٰ صُوصُو، وآنتزع ما كان بأيديهم من مُلْكِهم القديم ومُلْك غانةَ الذى يليه إلىٰ البحر المحيط . ويقال : إنه ملك عليهم خمسًا وعشرين سنة .

ثم ملك بعده آبنه (مَنْسا وَلِى) ومعنىٰ (منسا) بلغتهم السلطان، ومعنى (ولى) علىّ، وكان من أعظم ملوكهم، وحَجَّ أيام الظاهر بِيبَرْس صاحب مصر .

ثم ملك من بعده أخوه (والى) .

ثم ملك من بعده أخوه (خليفةُ) وكان أحمقَ، يغلب عليه الحُمْق فيرمى الناس بالسِّهام فيقتلهم، فوثب به أهلُ مملكته فقتلوه .

وملك بعـده سِبْط من أسباط «مارِى جاطة» المقدّمِ ذكره، آسْمُه (أبو بكر) علىٰ قاعدة العجم فى تمليك البِنْت وآبن البنت .

ثم تغلب علىٰ المُلْك مَوْلًى من مواليهم آسمه (ساكَبُورة) . ويقـال (سيكره) فاتسع نِطَاقُ مملكته وغلب علىٰ البلاد المجاورة له ، وفتح بلاد كُوكَوْ وآستضافها إلىٰ مملكته ؛ وآتَّصل ملكُه من البحر المحيط الغربىّ إلىٰ بلاد التَّكْرُور ، فقوِىَ سـلطانه ، وهابه أمَمُ السُّودان ورحل إليه التُّجَّار مِن بلاد الغرب وأفريقِيَّةَ . وحَجَّ أيام السلطان الملك الناصر «محمد بن قلاوون» ورجع فقتل فى أثر عوده .

وملك بعده (قو) بن السلطان «مارى جاطة» .

ثم ملك من بعده (محمد بن قو) ثم آنتقل الملك من ولد مارى جاطة إلىٰ ولد أخيه أبى بكر .

فولِىَ منهم (مَنْسا موسى) بن أبى بكر . قال فى "العبر" : وكان رجلا صالحا ، ومَلِكا عظيما ، له أخبار فى العدل تُؤْثَر عنه ؛ وعظُمت المملكةُ فى أيامه إلىٰ الغـايةِ ، وآفتتح الكثيرَ من البلاد .

قال فى "مسالك الأبصـار" : حكىٰ آبنُ أمير حاجب والى مصر عنه ، أنه فتح بسيفه وحدَه أربعًا وعشرين مدينةً من مُدُن السُّودان ذواتِ أعمال وقرى وضياع . قال فى "مسالك الأبصار" : قال آبن أمير حاجب : سألتُه عن سبب آنتقال المُلْك إليـه ـ فقال : إن الذى قبلى كان يظُنُّ أن البحر المحيطَ له غايةٌ تُدْرَكُ ، فجهز مِئِين سُفُن ، وشحنها بالرجال والأزواد التى تكفيهم سِنينَ ، وأمر مَنْ فيها أن لا يَرْجِعُوا حتّى يبلغوا نهايته أو تنفَدَ أزوادُهم ، فغابوا مدّة طويلةً ، ثم عاد منهم سفينة واحدة وحضر مقدَّمُها ، فسأله عن أمرهم . فقال : سارت السفُنُ زمانا طويلا حتّى عَرَض

لها فى البحر فى وسط اللُّجَّة وادٍ له جِرْية عظيمة، فابتلع تلك المراكب وكنتُ آخِرَ القوم فرجعت بسفينتى؛ فلم يصدّقه: فجهّز ألفىْ سفينة ألفًا للرجال وألفا للأزْواد، وٱستخلفنى وسافر بنفسه ليعلَم حقيقةَ ذلك، فكان آخِرَ العهد به وبمن معه . قال فى "العبر": وكان حجُّه فى سنة أربع وعشرين وسبعمائه فى الأيام الناصرية «محمد بن قلاوون» .

قال فى "مسالك الأبصار": قال لى المِهْمِندار خرجتُ لمُلتقاه من جهة السلطان فأكرمنى إكراما عظيما، وعاملنى بأجمل الآداب، ولكنه كان لا يحدِّثُنى إلا بتَرْجُمان مع إجادته اللسانَ العربىّ . قال : ولما قَدِم، قدّم للخزانة السلطانية حِمْلا من التِّبْر، ولم يترك أميرا ولا رَبَّ وظيفة سلطانيّةٍ إلا وبعث إليه بالذهب . وكنتُ أحاوله فى طُلُوع القلعة للاجتماع بالسلطان حَسَب الأوامر السلطانية فيأبىٰ خَشْيةَ تقبيل الأرض للسلطان ويقول : جئتُ للحجِّ لا لغيره، ولم أزل به حتّٰى وافق علىٰ ذلك .

فلما صار إلىٰ الحضرة السلطانية . قيل له : قَبِّل الأرض، فتوقف وأبىٰ إباءً ظاهرا . وقال : كيف يجوز هذا؟ فأسرّ إليه رجلٌ كان إلىٰ جانبه كلامًا ــ فقال : أنا أسجُدُ لله الذى خَلَقنى وفَطَرنى ثم سجد، وتقدّم إلىٰ السلطان، فقام له بعضَ القيام وأجلسه إلىٰ جانبه وتحدّثا طويلا؛ ثم قام السلطان موسىٰ فبعث إليه السلطان بالخِلَع الكاملة له ولأصحابه، وخيلا مُسْرجة مُلْجَمة . وكانت خِلْعتُه طَرْدَ وَحْش بقصَب كثير، بسِنْجاب مُقَنْدس، مطرّز بزَرْكش، علىٰ مفرج إسكندرى، وكَلُّوتة زركش، وكَلاليب ذهب، وشاش بحرير، ورَقْم خَلِيفَتِىّ، ومِنْطقة ذهب مرصّعة، وسيف محلًّى، ومنديل مُذْهب خَزّ، وفرسين مُسْرَجين مُلْجَمين بمراكب بغل محلّاة وأعلام؛ وأجرىٰ عليه الأنزالَ والإقامات الوافرةَ مدّةَ مُقامه .

ولما آن أوانُ الحج بعث إليه بمبلغ كبير من الدراهم ، وهُجُن جليلة كاملةِ الأكوار والعُـدّة لمَركبه ، وهُجُن أتباع لأصحابه وأزوادٍ جمة ، ورَكَز له العليقَ فى الطُّرق ، وأمر أميرَ الركب بإكرامه واحترامه .

ولمـا عاد ، بعث إلىٰ السلطان من هَدِيَّة الحجـاز تبرُّكا،فبعث إليه بالخِلَع الكاملة له ولأصحابه ، والتُّحَف والألطاف من البَزِّ السَّكَنْدرىّ والأمتعـة الفاخرة ، وعاد إلىٰ بلاده .

وذَكَر عن ٱبن أمير حاجب والى مصر أنه كان معه مائةُ حِمْل ذهبـا أنفقها فى سَفْرته تلك علىٰ مَنْ بطريقه إلىٰ مصر من القبائل ثم بمصر، ثم من مصر إلىٰ الحجاز توجُّها وعَوْدا حتّىٰ ٱحتاج إلىٰ القَرْض ، فاستدان علىٰ ذِمَّتـه من تُجَّار مصر بمـالهم عليه فيه المَكَاسبُ الكثيرة،بحيث يحصُل لأحدهم فى كلِّ ثلثمائةِ دينارٍ سبْعُمائة دينار رِبْحًا، وبعث إليهم بذلك بعد توجُّهه إلىٰ بلاده . قال فى "العبر" ويقال : إنه كان يَحْمل آلتَهُ اثنا عشرَ ألفَ وصيفةٍ لابساتٍ أقبِيةَ الدِّيباج .

قال فى " مسالك الأبصار " : وذكر لى عنـه ٱبنُ أمير حاجب : أنه حكىٰ له أن من عادة أهـل مملكته أنه إذا نشأ لأحدٍ منهـم بنتٌ حسـناءُ ، قدّمها له أمةً موطوءةً ، فيملكها بغير تزويج مثل ملك اليمين ــ فقلت له : إن هذا لايحل لمسلم شَرْعا ــ فقـال : ولا للملوك ؟ ــ فقلت : ولا للمُلُوك وٱسأل العلمـاء . فقال : والله ما كنت أعلم ذلك ! وقد تركته من الآن . قال فى " العبر " : ودام ملكه عليهم خمسا وعشرين سنة ومات .

فملك بعده ٱبنـه (منسا مَغَا) ومعنىٰ مَغَا عنـدهم محمد ، يعنون السلطان محمدا، ومات لأربع سنين من ولايته .

وملك بعـده أخوه (منسا سليمان) بن أبي بكر ، وهو أخو منسا موسىٰ المقدّم ذكره . قال في "مسالك الأبصـار" : وآجتمع له ما كان أخوه آفتتحه من بلاد السُّودان وأضافه إلىٰ يد الإسلام ، وبنىٰ به المساجدَ والجوامعَ والمناراتِ ، وأقام به الجُمَع والجمـاعات والأذان ؛ وجلب إلىٰ بلاده الفُقَهاءَ من مذهب الإمام مالك رضي الله عنه ، وتفقّه في الدين . قال في "العبر" ودام ملكُه أربعا وعشرين سنةً ، ثم مات .

وولي بعده آبنه (قنبتا بن سليمان)(1) ومات لتسعة أشهر من مُلْكه .

وملك بعده (ماري جاطه) بن منسا مغا بن منسا موسىٰ فأقام أربعَ عشرةَ سنة أساء فيها السيرة ، وأفسد مُلْكهم ، وأتلف ذَخائرهم بسَرَفه وتبذيره ، حتّى آنتهىٰ به الحـالُ في السَّرَف أنه كان بخزائنهم حجرُ ذهبٍ ، زنته عشرون قنطارا منقولا من المعدن من غير سَبْك ولا علاج بالنار ، وكانوا يَرَوْنه من أنفَس ذخائرهم لنُدُور وجود مثله في المَعْدِن ، فباعه علىٰ تُجّار مصر المتردّدين إليه بأبخس ثمن ، وصرف ذلك كله في الفُسُوق ، وكان آخر أمره أن أصابتْه عِلّة النوم وهو مرض كثيرا مايصيب أهلَ تلك البـلاد لا سيّما الرؤساءُ منهم ، يأخذ أحدَهم النومُ حتّى لا يكاد يُفيق ، فأقام به سنتين حتّى مات سنة خمس وسبعين وسبعمائة .

وملك بعده آبنُه (موسىٰ) فنَكَّب عن طريق أبيـه ، وأقبل علىٰ العدل وحُسْن السـيرة .

وتغلب علىٰ دولته وزيره (ماري جاطة) فحَجَره وقام بتدبير الدولة ، وكان له فيها أحسنُ تدبير ، وبقي مَنْسا موسىٰ حتّى مات سنة تسع وثمـانين وسبعمائة .

وملك بعده أخوه (منسا مَغَا) وقُتِل بعده بسنة أو نحوها .

---

(1) وقع في العبر ج ٦ ص ٢٠١ ، ٢٠٢ "قنفتا" .

وملك بعده (صندكى) زوجُ أم موسىٰ المقدّم ذكره، ومعنى (صندكى) الوزير؛ ووثب عليه بعد أشهر رجلٌ من بيت مارى جاطة .

ثم خرج من ورائهم من بلاد الكَفَرة رجل آسمه (محمود) يُنْسَب إلىٰ (منسا قو) آبن منسا ولى، بن مارى جاطة، ولقبُه منسا مغا، وغلب علىٰ المُلْك فى سنة ثلاث وتسعين وسبعمائة .

قال فى "التعريف" : وصاحب التَّكْرور هذا يَدَّعى نسبًا إلىٰ عبد الله بن صالح، آبن الحسن، بن علىّ بن أبى طالب كرم الله وجوههم . قلت : هو صالح بن عبدالله آبن موسىٰ، بن عبدالله أبى الكِرام، بن موسى الجَوْن، بن عبد الله، بن حسن المثنّى، آبن الحسن السبط، آبن أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه .

وقد ذكر فى "تقويم البُلْدان": أن سلطان غانَةَ يَدَّعى النسبَ إلىٰ الحسن بن علىّ عليهما السلام، فيحتمل أنه أراد صاحب هذه المملكة لأنّ من جملة مَنْ هو فى طاعته غانةَ، أو من كان بها فى الزمن القـديم قبل آستيلاء أهل الكُفْر عليها .

الجملة الخامســــة
(فى أرباب الوظائف بهذه المملكة)

قد ذكر فى "مسالك الأبصار" أن بهذه المملكة : الوُزَراء، والقُضاة، والكُتَّاب، والدَّواوين، وأن السلطان لايكتُب شيئا فى الغالب، بل يكِلُ كلَّ أمر إلىٰ صاحب وظيفته من هؤلاء فيفصِلُه . وكتابتهم بالخط العربىّ علىٰ طريقة المغاربة .

الجملة السادسة

(فى عساكر سلطان هذه المملكة ، وأرزاقهم)

أما مقدار العساكر ، فقد ذكر الشيخُ سعيد الدَّكَّالىّ : أن مقدار عسكره مائةُ ألف نفر ، منهم خيَّالة نحو عشرة آلاف فارس ، وباقيهم رَجَّالة لاخيلَ لهم .

وأما الإقطاعات لأمراء هذا السلطان وجنده والإنعامات عليهم ، فقد قال الدَّكَّالى : إن من أكابرهم من يبلغ جملةُ ماله على الملِك فى كلِّ سنة خمسين ألفَ مثقال من الذهب ، وانه يتفقَّدهم مع ذلك بالخيل والقُمَاش ، وإن همته كلها فى تجميل زِيِّهم وتمصير مُدُنِهم .

الجملة السابعة

(فى زىّ أهل هذه المملكة)

قال الدكالىّ : لباسُهم عمائمُ بحنَك مثل الغرب ، وقُماشُهم بياضٌ من ثياب قُطْن تُنْسَج عندهم فى نهاية الرقة واللطف تسمَّى الكمصيا ولِبْسهم شبيه بِلِبْس المغاربة جِبابٌ ودَرارِيعُ بلا تَفْريج والأبطالُ من فُرْسانهم تَلْبَسُ أساورَ من ذهب ، فمن زادت فُروسيَّته لبِس معها أطواقًا من ذَهَب فإن زادت لبِس مع ذلك خلاخل من ذهب ، وكلما زادتْ فُروسيَّة البطل ألبسه الملك سَراويلَ متسعة وسَرَاويلاتهم ضيقةُ أكمام الساقين متَّسعةُ الشرج ؛ وأهل هذه المملكة يركبون بالسُّروج وهم فى غالب أحوالهم فى الركوب كأنهم من العرب ، إلا أن هؤلاء يبدءُون فى الركوب بأرجلهم اليمنىٰ بخلاف غيرهم من سائر الناس جميعا ، ولا يعرف عندهم ركوبُ جَمَل بكور .

الجمـــلة الثـامنة

(فى ترتيب هـــذه المملكة)

أما جُلُوس السُّلطان فى قَصْره فإنه يجلس علىٰ مَصْـطبة كبيرة، علىٰ دِكَّة كبيرة من آبنوسٍ، كالتخت علىٰ قدر المجلس العظـيم المتسع، عليها أنياب الفِيلَة فى جميع جوانبها، النابُ إلىٰ الناب؛ وعنده سِلاحٌ له من ذهب كلُّه : سَيْفٌ، ومِزْراق، وقَوْس، وتركاش، ونُشَّاب؛ وعليه سراويلُ كبير، مفصَّل من نحو عشرين نِصْفية، لايلبس مثلَه أحدٌ منهم ، بل هو من خصوصيَّته ؛ ويقف خَلْفَه نحوُ ثلاثين مملوكا من التُّرك وغيرهم ممن تُبْتاع له من مصر، بيـد واحد منهم چتر من حرير عليه قُبَّة، وطائرٌ من ذهب صـفةُ بازى يحمَل علىٰ يساره، وأمراؤه جلوس حولَه يمينا وشمالا؛ ثم دونهم أعيانٌ من فُرْسانِ عسكرِه جلوس ؛ وبين يديه شخص يغَنِّى له وهو سَيَّافه، وآخَرُ سَفِيرٌ بينه وبين الناس يسمَّى الشاعر؛ وتُنْهىٰ إليه الشَّكاوىٰ والمظالم فيفصِلها بنفسه؛ ولا يكتُبُ شيئا فىالغالب، بل يأمر بالقول بلسانه؛ وحوله أناسٌ بأيديهم طُبُول يَدُقُّون بها، وأناس يَرْقُصون وهو يَضْحَك منهم؛ وخَلْفه صَنْجقان منشوران، وأمامه فَرَسانِ مشـدودان محَصَّـلان لركوبه متىٰ أَحَبَّ ؛ ومن عَطَس فى مجاسـه ضُرِب ضَرْبا مُؤلِما ، لايُسامَحُ أحد فى مثل ذلك ، فإن بغتَ أحدا منهم العُطَاسُ ، آنبطح فى الأرض وعَطَس حتّٰى لا يُعْـلم به . أما الملك فإنه إذا عَطَس ضرب الحاضرون بأيديهم علىٰ صُدُورهم . ولايدخل أحد دارَ السلطان متنعلاً كائنا مَنْ كان، ومن لم يَخْلَع نعليه قُتل بلاعفو : عامدًا كان أوساهيا؛ وإذا قَدِم عليه أحد من أمرائه أو غيرهم ، وَقَفَ أمامَه زمانا ، ثم يُومى القادمُ بيـده اليمنىٰ مثل من يَضْرب الجوك ببلاد توران وإيران من بلاد المشرق . وصفة ذلك أن يكشِفَ مقدّمَ رأسه ويرفعَ

الذى يضربُ الجوك يدَه اليمنىٰ إلىٰ قريبِ أذُنه ، ثم يضعها وهى قائمة منتصبةٌ ، ويُلقيها بيده اليسرىٰ فوق فخذه ، واليَدُ اليسرىٰ مبسوطةُ الكَفِّ لتلقى مِرْفَق اليمنىٰ مبسوطة الكف مضمومة الأصابع بعضها إلىٰ جانب بعض كالمُشْط ، تُمَاسُّ شَحْمة الأُذُن . قال ٱبن أمير حاجب : وقد رأيت هذا عند خِدمتهم للسلطان « موسىٰ » لمـا قدم الديارَ المصرية . فإذا أنعم علىٰ أحد بإنعام أووعده وعْدا جميلا أوشكره علىٰ فعل ، تمرّغ المنعَمُ عليه بين يدَيْه من أوّل المكان إلىٰ آخره ، فإذا وصل إلىٰ آخر المكَان ، أخذ غِلْمــانُ المنْعَم عليه أو مَنْ هو من أصحــابه من رَمَادٍ يكون موضوعا فى آخر مجلس المَلِك مُعَدّا لهذا الشأن ، فيَذُرّ فى رأس المنعم عليه ، ثم يَعُود ويتمرّغ ، إلىٰ أن يصل بين يدَىِ الملك ، ويضرب جوكا آخر بيده ثم يقوم .

وأما فى الركوب فقد جَرَتْ عادةُ سلطان هذه المملكة أنه إذا قَدِم من سفر أن يحمل علىٰ رأسه الجتْر راكبٌ ، ويُنْشَر علىٰ رأسه علم ، وتُضْرَب أمامه الطُّبولَ ، والطَّنابير ، والبُوقات بقُرُون لهم فيها صناعة محكمة . قال ٱبن أمير حاجب : وشِعَار هذا السلطانِ أعلامٌ وألويةٌ كِبار جدّا ، ورَنْكه أصفَرُ فى أرضٍ حمراءَ .

وأما غير ذلك من سائر أموره ، فقد ذكر الشيخ سَعيد الدَّكَّالىُّ : أن من عادة هذا السلطان أنه إذا عاد إليــه أحدٌ ممّن بعثه فى شُغُل له أو أمرٍ مُهِمٍّ أن يسأله عن كلِّ ما حَدَث له من حين مفارقته له وإلىٰ حين عَوْدِه مُفَصَّلا . قال ٱبن أمير حاجب : وقد رأيت السلطان موسىٰ وهو بمصر لا يأكل إلا منفردا وحده ، لا يحضُرُه عنـد الأكل أحد البتّةَ .

المملكة السادســـة

(من ممـالك بلاد السُّودان، مملكة الحَبَشة)

بفتح الحاء المهملة والباء الموحدة والشين المعجمة وهاء فى الآخر .

وهى مملكة عظيمة جليلة المِقْـدار، متسعة الأرجاء، فسـيحة الجَوَانب . قال فى "مسالك الأبصار" : وأرضها صَعْبة المَسْلَك : لكثرة جبالها الشامخة، وعِظَم أشجارها، وآشتباك بعضها ببعض، حتّى إنَّ ملِكَها إذا أراد الخروج إلىٰ جهة من جهاتها، تقدّمه قوم مُرْصَدُون لإصلاح الطُّرُق بآلات لقَطْع الأشجار وإحراقها بالنار. قال : وهم قوم كثيرٌ عَدَدُهم، ولم يملك بلادَهم غيرُهم من النوع الإنسانىّ، لأنهم أجْبَر بَنِى حام، وأخبر بالتوغُّل فى القتال والآقتِحام، طُول زمنهم فى الأسفار، وصيد الوحش، وقتالهم انمـا يكون عُرْياً من غير لَأْمة تَدْفَع عنهم ولا عن خيلهم . ثم وصفهم بعد ذلك بأوصاف لوْلَا ماهُمْ عليه من الشرك لكانوا فى الرُّتْبة العُلْيا من مَرَاتب بنى آدم: فذكر أنَّ المشهور عنهم مع ما هم عليه من المجـاعة أنهم يقبلُون الحَسَب ويصْفَحُون عن الجرائم . ومن عادتهم أنــ مَنْ رمىٰ سلاحه فى القتال حَرُم قتاله ؛ ويُكْرِمون الضيفَ، ولا ينْقُضُ الصديقُ منهم عهدَ صديقه، وإذا أحَبُّوا أظهروا المحبةَ، وإذا أبْغَضُوا أظهروا البُغْض، والغالب عليهم الذَّكاء والفِطْنة وصِدْق الحَدْس، ولهم علومٌ وصِناعات خاصَّة بهم ؛ ولهم قَلَم يكتُبُون به من اليمين إلىٰ الشِّمال كما فى العربىّ، عِدّة حُرُوفه ستّةَ عشر حرفا، لكل حرف منها سبعةُ فروع، فيكون عدّتُها مائةً وآثنين وثمانين(١) حرفا، سوىٰ حروفٍ أُخَر مستقِلّة بذاتها لا تفتقر إلىٰ حرف من الحروف المذكورة، مضبوطة بحركاتٍ نحوية متصلةٍ بالخط لا منفصلةٍ عنه . ومع كونهم جنسا واحدا

(١) كذا فى المسالك أيضا غير أنه قال : الجملة من ذلك مائة وثمـانون فتأمله .

فلُغاتُهم تزيد علىٰ خمسين لسانا ، و يميل الكثير من ألوانهم إلىٰ الصَّفَاء ، ولكل طائفة منهم وَسْم فى وجوههم يعبر عنه بالتلعيط ، بعضهم يَسِم فى الخدَّين وَسْما خَفيفا ، وأَمْحَرا يَسِمُون فى الخَدَّين والجبهة إلىٰ الأنْف خُطُوطا طِوَالا . ويقال : إن أوّلَ بلادهم من الجهة الغربيَّة بلادُ التَّكْرور مما يلى جهةَ اليَمَن ،وأولها من الجهة الشرقية المائلةِ إلىٰ بعض الجهة الشمالية بحرُ الهند واليمن ؛ وفيها يمرّ النهرُ المسمّٰى سَيْحُونَ الذى يُرْفَدُ منه نيلُ مصر . وقد عدّ منها أحدَ عشَرَ إقليما من جهة الغرب [(١)] بمفازة بمكانٍ يسمّٰى (وادى بَرَكَة) يُتَوصَّل منه إلىٰ إقليم يسمّٰى (سَحَرْت) ويسمّٰى قديما تِكْراى ، وكان به فى الزمن القديم مدينة اسمها (احسُرم) بلغة أخرىٰ من لغاتهم ،وتسمّٰى أيضا (زرفرتا) . بها كان كرسىُّ مُلْكِ النَّجَاشىّ ، وكان مستوليا علىٰ أقاليم الحَبَشة . ويليه من جهة الشرق إقليم (أَمْحَرا) الذى به الآن مدينةُ المملكة ، ثم إقليم شاوة ، ثم إقليم داموت ، ثم إقليم لامنان ، ثم إقليم السِّيهُو ، ثم إقليم الزلح ، ثم إقليم عَدْل الأمراء ، ثم إقليم حماسا ، ثم إقليم باريا ، ثم إقليم الطِّراز الإسلامى . قال : وبها أقاليم كثيرة العدد ، مجهولة الأسماء ، غير مشهورة ولا معلومة .

ثم هى علىٰ قسمين :

القسم الأوّل

(بلاد النَّصْرانية)

وهى القسمُ الأوفر عَدَدا ، الأوسَعُ مَجَالا ، وهو الذى يملكه مَلك (أَمْحَرا) بفتح الألف وسكون الميم وفتح الحاء والراء المهملتين وألف فى الآخر . وهم جنس من الحبشة .

ويشتمل علىٰ ستّ جمل :

(١) فى القطعة الازهرية مصلحة هكذا [وأولها من جهة الغرب مفازة الخ] .

الجمـــــلة الأولىٰ

(فى ذكر قواعدها)

وقاعدتها مدينة (مَرِعْدِى) بفتح الميم وكسر الراء وسكون العين وكسر الدال المهملتين وياء مثناة تحتُ فى الآخر . وهى مدينة بإقليم أَمْحَرا المقدّم ذكره فيما ذكره فى "مسالك الأبصار" إلا أنه لم يذكر صِفَتها ، والذى ذكره فى "تقويم البُلْدان" : أن قاعدة الحبشة (مدينة جَرْمِى) بالجيم المفتوحة والراء المهملة الساكنة ثم ميم مكسورة ثم ياء مثناة تحتية فى الآخر كما ضبطه ابن سعيد . وموقعها فى الإقليم الأوّل من الأقاليم السبعة . قال فى "الأطوال" : حيثُ الطولُ خمسٌ وخمسون درجة ، والعرضُ تسعُ درج وثلاثون دقيقة . قال فى "تقويم البُلْدان" : وهى مدينة ذكرها أكثر المصنِّفين فى كُتُب المسالك والممالك والأطوال والعروض ، وأنها كرسىّ مملكة الحَبَشة وقاعدتهم ، ولم يزد علىٰ ذلك ، فيحتمل أنها قاعدةٌ قديمة ، ويحتمل أنها القاعدة المستَقِرّة .

الجمـــــلة الثانيـــــة

(فى الموجود بهـا)

قد ذكر فى "مسالك الأبصار" : أنَّ بها من المَوَاشى ذواتِ الأربع : الخيلَ ، والبغالَ ، والبَقَر ، والغَنَم وما فى معناها ؛ وأغنامُهم تُشْبِه أغنامَ عَيْذَابَ واليَمَن . ومن الوُحُوش الأسَدَ ، والنَّمِر ، والفَهْد ، والفِيلَ ، والزَّرَافة ، والغَزَال ، وبَقَر الوَحْش ، وحِمَار الوحش ، والقِرَدة ، وغيرها من الوُحُوش .

وبها من الطُّيور الجوّية : الصُّقُورة، والبُزَاة بكَثْرة، والنُّسور البِيض والسُّود، والغُرَاب، والحَجَل، وطَيْر الواجِب بجملته، والحَمَام، والعُصْفور، وغير ذلك مما لم يوجَدْ بالديار المِصْرية . ومن الطيور البرّية دَجَاج الحَبَش وأمثالها . ومن الطيور المائية البَطّ؛ وعندهم بنَهرِهم سَمَك يشبه البُورِى، وسمكٌ يُشْبِه الثُّعبان، يطول إلى مقدار ذراعين ونصف، ويغْلُظ إلى مقدار كبار الخَشَب؛ وبنهرهم أيضا التِّمساح وفَرَس البحر، وغير ذلك .

وبها من الحبوب : الحِنْطة، والشَّعير، والحِمَّص، والعَدَس، والبِسِلّا، والذُّرَة، وبعض الباقِلاّ، وحبوبٌ أُخْرَى غير ذلك منها حبٌّ يسمّى (قنابهول) يستعملونه قُوتًا كالحنطة. والحِنطة عندهم على مثال الحنطة الشامِيَّة، والشعيرُ حَبُّه عندهم أكبَرُ من حب الشعير بالديار المصرية والشامية؛ ومنه ضَرْب يسمّى طمجة . ولَوْن الحِمَّص عندهم إلى الحُمْرة . والباقِلاّ عندهم عزيز الوجود فى أكثر البلاد، ولكنهم لا يفتقرون إليه للعَلَف لكثرة المَرَاعى ببلادهم .

وعندهم حَبٌّ يسمّى (طافى) على قَدْر الخَرْدل، ولونُه إلى الحُمْرة، ومَكْسِره إلى السَّواد، يتخذون منه الخُبْز . وعندهم ببعض الأقاليم حَبٌّ شَبِيه بالحنطة إلا أنّ له قِشْرَيْن، يُنْزَع قِشْره بالهَرْس كالأُرُزّ، ويتَّخِذون منه طعاما يكون مُغْنِيًا عن الحِنطة .

وعندهم بِزْر الكَتَّان وحَبُّ الرَّشاد؛ وهم يَزْرَعون على المَطَر فى كل سنة مرتين : مرةً فى الصيف، ومَرّة فى الشتاء، تحصل فى كل مرة الغَلَّات .

ونقل البطرك (بنيامين) أنه يقع عندهم المَطَر الكثير، وتحصُل مع المطر الصواعقُ العظيمة .

وعندهم من أصناف المَقَاثِئ القَرْع، وفى بعض الأقاليم بِطِّيخ صغير .

وعندهم من البقول : الثُّوم ، والبَصَــل ، والـكُزْبُرةُ الخضراء ؛ ومن الرياحين الرَّيْحان ، والقَرَنْفُل ، ونبــاتٌ أبيضُ يسمَّى بَعْتَران . وعنــدهم الياسَمِين البَرِّىّ ، ولكنه ليس بمشْمُومٍ لهم .

وعــندهم من الفواكه العِنبُ الأَسْــودُ علىٰ قِلَّة ، والتِّين الوَزِيرىّ ، وأصنافُ الحَوَامض خَلَا النَّارَنْج .

وعندهم شجر يسمَّى (چان) بجيم بين الجيم والشين لا ثَمَــر له ، وإنمــا له قلوب تُشْبِه قلوبَ النارَنْج تُؤكَل فتزيد فى الذَّكاء والفَهْم ، وتُفرِّح ، إلا أنها تقَلِّل الأَكْل ، والنَّوْم ، والجِمَاع . وعنايتُهم به عنــايةُ أهل الهِنْد بالتَّنْبُل وإن كان بينهما مباينَةٌ . وأىُّ نَفْع فيما فائدتُه تقليل النَّوْم والأَكْل والجِمَــاع ، اللاتى هى لَذَّات الدنيا ، حتَّىٰ يحكَىٰ أنه وُصِف لبعض ملوك اليمن ــ فقال : أنا لا يذهَبُ متحَصَّل مُلْكى إلا علىٰ هذه الثلاث ، فكيف أسعىٰ فى ذَهَابها بأكل هذا ؟

ومن أشجــارهم الزَّيْتون ، والصَّنَوْبَر ، والجُمَّيْز ؛ وفى بعض بلادهم الآبنوس ، وفى بعضها المُقْل ، وفى بعضها القَنَا المجوَّف والمَسْدُود . ومأكَلُهم شحومُ البقر والمَعَز ، وبعضُ شُحُوم الضأن ؛ ومَشْرُوبهم اللَّبَنــ البقَرِىّ ، وفى ضَعْفهم يتداوَوْن باللبن المُدَاف بالمــاء وسَمْن البَقَر .

وعندهم عَسَل النحل بكَثْرة فى جميع الأقاليم ، تختلفُ ألوانُه باختلاف المَرَاعى : منه مايُوجَد فى الجبال فيؤخذ من غير تَحْجر علىٰ أَخْذه . ومنــه ماله خَلَايَا من خَشَب منقورةٌ ، له مُلَّاك يختصُّون به . ووَقُود مَصَابيحهم شُحُوم البقر . أما الزَّيْت الطَّيِّب فيُجْلَب إليهم . وادِّهانُهم بالسَّمْن . وأوانى طعامهم فَخَّار مَدْهون أسودُ . وآغتِسالهم بالمــاء البارد ، وربما آستعملوا الحارّ منه .

وحكى البطرك (بَنْيَامين) أن عندهم من المعادن معدنَ الذهب، ومعْدِنَ الحديد .

وحُكِي عن الشريف عز الدين التاجر: أن فى بعض بلادهم يُوجَد معدِنُ الفِضَّة. ومَصَاغُهم الذَّهب، والفِضَّة، والنُّحاس، والرَّصاص، كل أحد منهم بحسبه .

الجملة الثالثة

(فى ذكر معاملاتهم وأسعار بلادهم)

أما معاملاتهم، فقد ذكر فى "مسالك الأبصار" أن مُعاملَتهم مُقايَضَةٌ بالأبقار والأغنام والحُبُوب وغير ذلك . وأما الأسعار فالقمح والشعير اللذان هما أصل المطعومات ليس لهما عندهم قيمة تذكر، لاستغنائهم عن ذلك باللحم واللَّبَن . وسيأتى ذكر معاملة الطِّراز الإسلامىّ فيما بعدُ إن شاء الله تعالىٰ .

الجملة الرابعة

(فى ذكر زِيِّهم وسلاحهم)

أما زِيُّهم، فقد ذكر فى "المسالك" أن لِبَاسَهم فى الشتاء والصيف واحدٌ : لكُلِّ واحدٍ منهم ثوبانِ غير مَخِيطيْنِ : أحدهما يَشُدّ به وسَطَه ، والآخَرُ يلتحف به ؛ ولا يعرفون لُبْس المَخِيط جملةً، إلا أن الخواصّ والأجناد يفَضّلون فى اللِّبس، فيلبَسُون الحرير والأبراد اليمنيَّة ؛ والعوامُّ يلبَسُون ثِيابَ القُطْن علىٰ ماتقدّم .

وأما سِلاَح المقاتلة منهم، فالسيوفُ ، والحِرَاب، والمَزَارِيق، والقِسِيّ، يرمون عنها بالنَّبْل : وهو نُشَّاب صغير، وربما رمىٰ بعضهم بالنبل عن قوس طويل يُشْبِه قوسَ البُنْدُق، ولهم دَرَقٌ مدوّرة، ودِرَاق طِوَال يتَّقُون بها .

الجملة الخامســـــة

(فى ذكر بَطَارِكَة الإسكندريّة، الذين عن توليتهم تَنْشأ ولاية ملُوك الحَبَشة)

اِعلم أنه قد تقدّم فى المقالة الأولىٰ فى الكلام علىٰ مايحتاج إليه الكاتب عند ذكر النحل والملل أن البَطَاركة عند النَّصارىٰ عبارة عن خُلَفاء الحوارِيِّين الذين هم أصحابُ المَسيح عليه السلام، وأنه كان لهم فى القَدِيم أربعةُ كَرَاسِيّ : كُرسِيٌّ بِرُومِيَةَ : قاعدةِ الروم، وكُرْسِىّ بالإسكَنْدرية من الديار المِصرية؛ وكُرسِىّ بأنْطاكِيَةَ : قاعدةِ العَوَاصم من بلاد الشام، وكُرْسِىّ بَبَيْت المَقْدس . وأن كرسى رُومِيَةَ قد صار لطائفة المَلْكانِيَّة وبه بَطْرَكُهم المعبَّر عنــه بالبابا إلىٰ الآنَ . وكرسِىّ الإسكندرية قد صار آخِرًا لبطرك اليَعَاقِبــة تحت ذِمَّة المسلمين بالديار المصرية من لَدُن الفتح الإسلامىّ وهَلُمَّ جرًّا إلىٰ زماننا . وأن كُرسِىّ بيت المقــدس وكُرسِىّ أنطاكِيَةَ قد بَطَلا بآستيلاء دين الإسلام عليهما . ثم كُرْسِىّ الإسكندرية بعد مَصِيره إلىٰ اليَعَاقبة قد تَبِـع البَطْرَكَ القائمَ به علىٰ مَذْهَب اليعاقبة الحبَشَةُ والنُّوبة وسائرُ متنصِّرة السُّودان، وصار لَدَيْهم كالخليفة علىٰ دين النصرانية عندهم، يتصرَّف فيهم بالوِلَاية والعَزْل، لاتَصِحُّ وِلايةُ مَلِك منهم إلا بتوليته، حتّىٰ قال فى "التعريف" فى الكلام علىٰ مكاتبة ملك الحبشة : ولولا أنَّ معتقَدَ دين النصرانية لطائفة اليَعاقِبة أنه لايَصِحُّ تعمُّد معْمُودِىّ إلا باتِّصال من البطريرك، وأن كرسِىّ البِطْرِيرَك كنيسةُ الإسكندرية، فيَحْتاج إلىٰ أخْذ مُطْران [بعد مُطْران] (١) من عنــده، وإلا كان شَمَخ بأنفه علىٰ المكاتبة، لكنه مضطَرٌّ إلىٰ ذلك . قال : ولأوامر البِطْرِيرك عنده مالشريعته من الحُرْمة، وإذا كتب إليه كتابا فأتىٰ ذلك الكتّابُ إلىٰ أوّل مملكته، خرج عَمِيدُ تلك الأرض فحَمَلَ الكتّابَ علىٰ رأس

(١) الزيادة عن "التعريف" .

عَلَم ، ولا يزال يحمِلُه بيده حتّى يُخْرِجَهُ من أرضه وأربابُ الدولة فى تلك الأرض كالقُسُوس والشَّمامسة حولَهُ مُشاةً بالأَدْخِنَة ، فإذا خرجوا من حَدِّ أرضهم تلقَّاهم مَنْ يليهم أبدًا كذلك فى كل أرض بعد أرض حتّى يَصلوا إلىٰ أَمْرا ، فيخرُج صاحبُها بنَفْسه ، ويفعَل مثل ذلك الفعلِ الأوّل ، إلا أن المُطْرانَ هو الذى يحمِل الكتَابَ لعَظَمته لا لِتَأَبِّى المَلِك ؛ ثم لا يتصرف المَلك فى أمْرٍ ولا نَهْيٍ ولا قليل ولا كثير حتّى يُنادى للكتَاب ويجمع له يومَ الأحد فى الكنيسة ، ويُقْرأُ والملك واقفٌ ، ثم لا يجاس مَجْلِسَه حتّى ينفذ ما أمره به .

ولما تعذر الوقوف علىٰ معرفة تواريخ ملوكهم ، ٱكتفينا بذكر البطاركة الذين عنهم تنشأ ولاياتهم ، فكانوا هم مُلوكَهُم حقيقةً .

اعلم أن أوّل مَنْ وَلِىَ من البَطاركة كنيسةَ الإسكندرية مُرْقُص الإنجيلىّ : تلميذ بُطْرس الحَوَارىّ ، الذى أرسله المسيحُ عليه السلام إلىٰ رُومِيَةَ . وإنما سُمِّى بمرْقُص الإنجيلىِّ لأن بُطْرسَ الحوارىّ حين كتب إنجيلَه كتبه بالرُّومِيَّة ونسبه إلىٰ مُرْقُص المذكور فتلقَّب بالإنجيلى ، وأقام مرقص المذكور فى بَطْرَكية الإسكندرية سبع سنين يدعو إلىٰ النصرانية بالإسكندرية ومصر وبرقة والمغرب ثم قتله نيرون قيصر ٱبن اقليوديش قيصر سادس القياصرة .

وولِىَ مكانَهُ (حنانيا) ويسمّى بالعبرانية أنانيو ثم مات لسبع وثمانين سنة للمسيح .

وولِى مكانه (فابو)[1] فأقام ثلاثَ عشرةَ سنة ثم مات .

فولِىَ مكانَه (كرتيانو) ومات لإحدىٰ عشرة سنة من ولايته فى أيام (طرنبش قيصر) .

(١) فى الخطط المقريزية ج ٢ ص ٤٨٤ مينيو .

ووليَ مكانَهُ (إيريمو) ثنتيْ عشرةَ سنة .

ثم وليَ بعده (نسطس) فى أيام (أندريانوس قيصر) ، وكان حكيما فاضلًا فأقام فى البطركية إحدىٰ عشرةَ سنةً ثم مات .

وولى مكانَهُ (أرمانيون) إحدىٰ عشرةَ سنةً أيضا [ومات] فى أيام (أندريانوس) قيصر أيضـا .

ووليَ بعـده (موقيانو) فلبِثَ تسعَ سـنين ومات فى أيام (أنطونيس قيصر) فى الخامسة من ملكه .

ووليَ بعده (كلوتيانو) فأقام أربعَ عشرةَ سنةً فى أيام أنطونيس قيصر ومات .

ووليَ بعده (أغريتوس) فبقِيَ آثنتيْ عشرةَ سنة ومات .

ووليَ بعده (يليانس) فى أيام [أوراليانس](١) قيصر نلَبِث عشرَ سنين ومات .

فوليَ مكانه فى أيام أوراليانس (ديمتريوس) فأقام ثلاثًا وثلاثين سنةً .

ووليَ بعده (تاوكْلا) فأقام ستَّ عشرة سنةً ومات .

فوليَ بعده (دونوشيوش) فلبث تسعَ عشرةَ سنةً [ومات] .

ووليَ مكانه (مكسيموس) فأقام ثنْتَيْ عشرةَ سنةً ومات .

وولى مكانه (ثاونا) فلبِثَ عشرَ سـنين [ومات] وكان النصارىٰ إذ ذاك يُقيمون الدِّين خُفْيَةً فلمـا صار بطركًا صانع الرومَ ولاطَفَهم بالهدايَا فأذِنُوا له فى بنـاء كنيسةِ مريَمَ، وأعلنُوا فيها بالصلاة .

ثم وليَ بعده (بطرس) فلبث عشْرَ سنين وقتله (ديقلاديانوس قيصر) .

(١) بيض له فى الأصل والتكميل عن المقريزى وفى القطعة الأزهرية [فى أيام طرغش] ولكنه ضبب عليها بالشطب .

ووَلِى مكانه تلميذه (إسكندروس) وكان كبير تلامذته فلَبِث ثلاثاً وعشرين سنةً، وقيل ثنتين وعشرين سنة، وقيل ستَّ عشْرةَ سنة، وكسَرَ صَنَم النُّحاس الذى كان فى هيكل زُحَل بالإسكندرية وبنىٰ مكانَه كنيسةً، وبقيتْ حتّى هَدَمها العُبيديُّون عند مِلْكهم الإسكندريةَ؛ ومات لإحدىٰ وعشرين سنة من مُلْك (قسطنطين) ملك الروم .

ووَلِىَ مكانه تلميذه (اثناسيوس) ووثب عليه أهل إسكندرية ليقتلُوه لانتحاله مذهبا غير مَذْهبهم فهرب .

وتولى مكانه (لوقيوش) ثم رُدّ (اثناسيوس) المتقدّم ذكره إلىٰ كرسيه بعد خمسة أشهر وطرد لوقيوس، وأقام اثناسيوس بطركا إلىٰ أن مات .

فتولّى بعده تلميذه (بطرس) سنتين ووثب عليه أصحابُ لوقيوس فهرب ورُدّ لوقيوس إلىٰ كرسيه، فأقام ثلاث سنين، ثم وثبُوا عليه وردّوا بطرس ومات لسنة من إعادته، وقيل إنه حُبِس وأُقِيم مكانه (أريوس) من أهل سُمَيْساطَ .

ثم وَلِىَ (طيماناواس) أخو بطرس، فلَبِث فيهم سبع سنين ومات . ويقال : إن اثناسيوس المتقدّم ذكره رُدّ إلىٰ كرسيه ثم مات .

فولى مكانَهُ كاتِبُه (تاوفيلا) [فأقام سبعا وعشرين سنة] (١) ومات .

وتولّى مكانه (كيرلس) ابن أخته [فأقام ثنتين وثلاثين سنة] (١) ومات .

فوَلِىَ مكانه (دِيسَقْرس) فأحدث بِدْعةً فى الأمانة التى يعتقدُونها فأجمعوا علىٰ نفيه .

(١) الزيادة من المقريزى .

ووَلّوا مَكانه (برطارس) وٱفترقت النصارىٰ من حينئذ إلىٰ يعقُوبِيّة ومَلكانية .

ووثب أهل الإسكندرية علىٰ برطارس البطرك فقتلوه لست ســنين من ولايته وأقاموا مكانه (طيماناوس) وكان يعقوبيا ، وهو أوّل من ولِىَ البطركية من اليعاقبة بالإسكندرية فأقام فيها ثلاث سنين ثم جاء قائد من القسطنطينية فنفاه وأقام مكانه (سوريس) من المَلَكية ، فأقام تسع سنين . ثم عاد (طيماناوس) المتقدّم ذكره إلىٰ كرسيه بأمر لاون قيصر . ويقال انه بقِى فى البطركيه ٱثنتين وعشرين سنةً ومات .

فولِىَ مكانَه (بطرس) وهلك بعد ثمــان سنين .

ووِلِىَ مكانه (اثناسيوس) وهلك لسبع سنين ، وكان قَيّماً ببعض البِيعَ فى بطركية بطرس ومات .

فولِىَ مكانه (يُوحنا) وكان يعقوبيا ، ومات بعد سبع سنين .

وولى مكانه (يوحنا الحبيس) ومات بعد إحدىٰ عشرةَ سنةً .

فولِىَ مكانه (ديسقرس الجديد) ومات بعد سنتين ونصف .

ثم ولى مكانه (طيماناوس) وكان يعقوبِيًّا ، فمكث فيهم ثلاثَ ســنين ، وقيل سبعَ عشرةَ سنة ، ثم نُفى .

ووِلِىَ مكانَه (بولص) وكان مَلَكيا فلم تقبله اليَعَاقبةُ ، وأقام علىٰ ذلك سنتين .

ثم ولّى قيصر قائدًا من قوّاده ٱسمُه (أثوليناريوس) فدخل الكنيسة علىٰ زِىّ الجُنْد ، ثم لَبِس زِىّ البَطَاركة وحملهـم علىٰ رأْى اليعقوبِيّة ، وقَتَل مَنِ ٱمتنع وكانوا مائتين[1] ، ومات لسبعَ عشرةَ سنةً من ولايته .

---

(١) فى خطط المقريزى مائتا ألف انسان .

ووليَ مكانَهُ (يوحنا) وهلك لثلاثِ سنين .

وانفرد اليَعاقِبــةُ بالإسكندرية وكان أكثَرُهم القبط وقدّموا عليهم طودوشيوش بطركا، فمكث فيهم ثنتين وثلاثين سنةً . ثم جعل الملكيةُ بطركهم داقيانوس وطردوا طودوشيوش عن كرسيِّه ستة أشهر ؛ ثم أمر قيصر بأن يُعادَ فأُعيد ؛ ثم نفاه بعــد ذلك .

وولّي مكانه (بولس التِّنِّيسى) فلم يقبَلْه أهل الإسكندريةِ ولا ماجاء به ؛ ثم مات وغُلِّقت كنائسُ القبط اليعقوبية ، ولَقَوْا شِدّة من المَلَكية ، ومات (طودوشيوش) الذي كان قد نُفِى .

وتولّي البطركية (بطرس) ومات بعد سنتين .

ووليَ مكانه (داميَانو) فمكث سِتاً وثلاثين سنةً ، وخَرِبت الدِّيَرةُ فى أيامه .

ثم وَلِيَ علىٰ الملكية بالإسكندرية ومصر (يوحنا الرَّحُوم) وهو الذى عَمِل البيمارستان للمرضىٰ بالإسكندرية ، ولما سَمِع بسير الفُرْس إلىٰ مصر هرب إلىٰ قُبْرس فمات بها لعشر سنين من ولايته ، وخَلاَ كرسىُّ الملكية بعده بالإسكندرية سبعَ سنين .

وكانت اليعاقبة بالإسكندرية قدّموا عليهم (انسطانيوس) فمكث فيهم ثنتَيْ عشرةَ سنة ، واستردّ ماكانت الملكية استولَوْا عليه من كنائس اليعقوبيَّة ومات .

ثم ولى (اندرانيكون) بطركا علىٰ اليعاقبةِ فأقام ستَّ سنين خَرِبت فيهــا الدِّيَرةُ ، ثم مات .

ووليَ مكانه لأوّل الهجرة (بَنْيامين) فمكث تسعا وثلاثين سنةً . وفى خلال أيامه غَلَب هِرَقْلُ ملكُ الروم علىٰ مصر وملَكها .

وولّى أخاه (منانيا) بطركا على الاسكندرية وواليا وكان مَلَكيًّا . ورأى بنيامين البطرك فى نومه مَنْ يأمره بالاختفاء فاختفى . ثم غضب (هرقل) على أخيه (منانيا) لمعتقَد فى الدين فأحرقه بالنار ثم رمى بجُثّتــه فى البحر ؛ وبقى (بنيامين) مختفيا إلى أن فتح المسلمون الإسكندريةَ فكتب له عمــرُو بن العاص بالأمان ، فرجع إلى الإسكندرية بعد أن غاب عن كرسيِّه ثلاثَ عشرةَ سنة ؛ وبقِىَ حتّى مات فى سنة تسـع وثلاثين من الهجرة ؛ واستمرت البطركية بعــده فى اليعقُوبيَّة بمفردهم وغلَبُوا على مصر ، وأقاموا بجميع كراسيِّهم أساقفةً يَعاقِبةً ، وأرسـلُوا أساقِفتَهم إلى النُّوبة والحبَشة فصاروا يعاقِبةً .

وخلفه فى مكانه (أغاثوا) فمكث سبعَ عشرةَ سنة ، ثم مات فى سنة ستٍّ وخمسين من الهجرة ، وهو الذى فى أيامه قد انتُزِعت كنائسُ المَلَكية من اليعاقبة (١) ، ووُلِّى عليهم بطرك بعد أن أقامُوا من لَدُن خلافة عمرَ بغير بطرك نحوًا من مائةِ سنة ورياسةُ البطرك لليعاقبـة وهم الذين يبعثُون الأساقفَة إلى النَّواحى . ومن هنا صارت النُّوبة ومَنْ وراءهم من الحبشـة يَعَاقبةً ؛ وهو الذى بنى كنيسـةَ مرقص وبقيت حتّى هُدِمت أيامَ العادل أبى بكر بن أيُّوب .

وولى مكانَهُ بطرك اسمه (يوحنا) .

ثم ولى البطركية بعــده (ايسـاك) فأقام سنتين وأحد عشر شهرا [ومات] . وكانت تقدمتُه فى الثامنــةَ عشرةَ ليوشطيان ملك الروم ، وتقرّر أن لا يقــدّم بطركٌ إلا يومَ الأحد .

---

(١) عبارة " العــبرج ٢ ص ٢٢٧ " وفى أيام هشام ردت كنائس الملكية من أيدى اليعاقبة وولى عليهم الخ .

وقُدّم عوضه (سميون السريانى) فأقام سبع سنين ونصفا، ومات فى الرابع والعشرين من أبيب سنة أربعمائة وستّ عشرة للشهداء فى خلافة عبد الملك ابن مروان .

ويقال : إنه وصل إليه رسولٌ من الهند يطلُب منه أن يقدّم لهم أسقفًا وقُسُوسا فامتنع إلىٰ أن يأمره صاحبُ مصر، فمضىٰ إلىٰ غيره ففعل له ذلك .

وقُدّم بعده فى البطركية (الاسكندروس) فى سنة إحدىٰ وثمانين من الهجرة فى يوم عيد مرقص الإنجيلىّ سنة أربعمائة وعشرين للشهداء، فمكث أربعا وعشرين سنة ونصفا، وقيل خمسا وعشرين سنةً، وقاسىٰ شدّةً عظيمة، وصُودِر دَفْعتين، أُخِذ منه فى كل دَفْعة ثلاثةُ آلاف دينار، ومات فى سنة ثمان ومائة، وكانت وفاته بالإسكندرية .

وقُدّم عوضه (قسيا) فأقام خمسة عشر شهرا ومات .

فقُدّم مكانه (تادرس) فى سنة تسع ومائة فأقام إحدىٰ عشرةَ سنةً ومات .

فقُدّم مكانه (ميخائيل)[1] فى سنة عشرين ومائة فأقام ثلاثا وعشرين سنة ولقِىَ شدائدَ من عبد الملك بن موسىٰ نائب مروانَ الجعدىّ علىٰ مصر ثم من مروانَ لما دخل إلىٰ مصر إلىٰ أن قُتِل فى أبى صِير وأطلق البطركَ والنصارىٰ نائبُ أبى العباس السَّفّاح .

وفى سنة إحدىٰ وثلاثين ومائة رُسِم بإعادة ما ٱستولىٰ عليه اليعاقبةُ من كنائس المَلَكية بالديار المصرية إليهم، فأُعيدت وأقيم لهم بطركٌ، وكانت الملكيّة قد أقاموا بغير بطرك سبعا وتسعين سنة من خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه حين الفتح الإسلامىّ إلىٰ خلافة هشام بن عبد الملك .

(١) فى الاصل جاتيل والتصحيح عن المقريزى .

وفى سنة سبع وأربعين ومائة صرف أبو جعفر المنصورُ (ميخائيل) بطرك اليعاقبة، وأقام عوضه (مينا) فأقام تسع سنين، ومات فى خلافة الهادى «محمد بن المهدىّ».

وقُدِّم مكانَه (يوحنا) فأقام ثلاثا وعشرين سنة، ومات سادسَ عشرِ طُوبة سنة خمسمائة وخمسَ عشرةَ للشهداء.

ثم فى سنة ٱثنتين وسبعين ومائة فى خلافة الرشيد قُدِّم فى البطركية (مُرْقص الجديد) فأقام عشرين سنة وسبعين يوما. وفى أيامه رسم الرشيدُ بإعادة كنائس الملكية التى ٱستولىٰ عليها اليعاقبة ثانيا إليهم، وثارت العُرْبان والمغاربة وخَرَّبوا الدِّيرة بوادى هُبَيْب ولم يبقَ فيها من الرُّهبان إلا اليسيرُ ثم مات فى سنة إحدىٰ عشرةَ ومائتين.

وقُدِّم عوضه فى البطركيّة (يعقوبُ) قيــل فى السنة الثالثة من خلافة المأمون. وفى أيامــه عُمِرت الدياراتُ وعادت الرهبانُ إليهــا، ومات فى سنة ٱثنتين وعشرين ومائتيــن.

وقُدِّم عوضه (سيماون) فى السنة المذكورة فى خلافة المعتصم فأقام سنة واحدة. وقيــل سبعةَ شهور وســـتةَ عشرَ يوما. وخلا الكرسىُّ بعده ســنةً واحدةً وتسعة وعشرين يوما.

وفى ســنة سبع وعشرين ومائتين قُدِّم فى البطركية (بطرس) ويقال (يوساب) وكانت تقدمته فى دير (بومقار) بوادى هُبَيْب حادى عشرى هاتور ســنة خمسمائة وسبعة وأربعين للشهداء. وقيل: إنه قُدِّم فى أيام المأمون، وإنه أقام ثمــانِيَ عشرةَ سنة، وسيَّر أساقفةً إلىٰ أفريقيَّةَ والقَيْروان، ومات ســنة ٱثنتين وأربعين ومائتين؛ وخلا الكرسىّ بعده ثلاثين يوما.

وقُدِّم عوضه (جاتيل)(١) فى السنة العاشرة من خلافة المتوكل . ويقال : إنه كان قُسًّا بدير بوحنس ، فأقام سنةً واحدةً وخمسةَ أشهر ، ثم مات ودفن بدير بو مقار ، وهو أوّل من دُفِن [فيه] من البطاركة . وخلا الكرسىّ بعده أحدا وثمانين يوما .

وقُدِّم عوضَه (قسيما) فى سنة أربع وأربعين ومائتين من الهجرة ، وهى الثانيةَ عشرةَ من خلافة المتوكل ، وكان شمَّاسا بدير بُومقار ، فأقام سبع سنين وخمسة شهور ثم مات ودُفِن بدنوشر ، وخلا الكرسى بعده أحدا وخمسين يوما .

وقدّم مكانه بطرك ٱسمه (اساسو) ويقال (سالوسو) فى أوّل سنة من خلافة المعتزّ وأحمدُ بن طولون بمصر ، فأقام إحدىٰ عشرةَ سنة وثلاثة أشهر ومات ، وهو الذى عمل مجارِىَ المياه التى تجرى تحت الأرض من خليج الإسكندرية إلىٰ آدُرِها .

ولما مات قُدِّم مكانه (ميخائيل) فى خلافة المعتمد فى سنة ثلاثٍ وستين ومائتين ، فأقام خمسًا وعشرين سنةً . وصادره أحمدُ بنُ طُولونَ فى عشرين ألفَ دينار ، فباع فى المُصادرة رِبَاع الكنائس بالإسكندريّة ، وبِركةَ الحَبَش بظاهر مصر ، ومات .

فبقِىَ الكرسىُّ بعده أربعَ عشرةَ سنة شاغرا إلىٰ سنة ثلثمائة . [وفى يوم الاثنين ثالث شوّال سنة ثلثمائة](٢) ٱحترقت الكنيسةُ العُظْمىٰ بالإسكندرية التى كانت بنتها (كلا بطره) ملكة مصر هيكلا لِزُحَل .

ثم قُدِّم البطرك (غبريال) فى السنة السابعة من خلافة المقتدر ، وهى سنة إحدىٰ وثلثمائة ، فأقام إحدىٰ عشرةَ سنةً ومات .

---

(١) فى المقريزى ميكائيل .

(٢) الزيادة عن المقريزى ليتضح الكلام .

فقُدِّم مكانه البطرك (قسيا) فأقام اثنتىْ عشرةَ سنة ومات . وفى السنة الأخيرة من رياسته (وهى سنة ثلاثَ عشرةَ وثلثمائة) أحرق المسلمون كنيسةَ مريمَ بدِمَشْق ونهبُوا مافيها وتَدبَّعوا كنائس اليَعاقِبةِ والنَّساطِرة .

ولما مات قسيا المذكور قدّموا عليهم بَطْركا لم أقف على اسمه، فأقام عشرين سنة، ثم مات .

وقُدِّم فى البطركية (تاوفانيوس) من أهل إسكندرية فى السنة الحاديةَ عشرةَ من خلافة المطيع فأقام أربع سنين وستةَ أشهر، ومات مقتولا فى سنة ثمان وأربعين وثلثمائة .

وقُدِّم مكانه البطرك (مينا) فى السنة الخامسةَ عشرةَ من خلافة المطيع، والأخشيد نائبٌ بمصر، فأقام إحدى عشرةَ سنةً ثم مات . وخلا كرسىٌّ اليعاقِبَةِ بعد موته سنةً واحدة .

ثم قُدِّم مكانه بطركٌ اسمه (أفراهام السريانى) فى سنة ست وستين وثلثمائة، فأقام ثلاثَ سنين وستةَ أشهر، ومات فى أيام العزيز الفاطمى بمصر مسموما من بعض كُتّاب النصارى : لإنكاره عليه التسرّى، وقُطِعتْ يدُ ذلك الكاتب بعد موته، ومات لوقته . وخَلَا الكرسىُّ بعده ستةَ أشهر .

وقُدِّم عوضه بطرك اسمه (فيلاياوس) فى سنة تسع وستين وثلثمائة . وقيل : فى السنة الخامسة للعزيز الفاطمىّ فأقام أربعا وعشرين سنةً وسبعةَ أشهر ومات .

وقُدِّم بعده بطركٌ اسمه (دنحريس) فى سنة ثلاث وتسعين وثلثمائة فى أيام الحاكم الفاطمىّ، فأقام ثمانا وعشرين سنة، ثم مات ودفن ببِرْكة الحَبَش . وخلا كرسىّ

اليَعَاقبة بعده أربعةً وسبعين يوما . [ثم قدّم اليعاقبة بعده (سابونين) بطركا فى سنة إحدىٰ وعشرين وأربعمائة ، فأقام خمسَ عشرةَ سنة ومات ، فخلا الكرسىّ بعده سنة وخمسة أشهر] (١) .

ثم قُدِّم بعده بطركٌ آسمه (اخرسطوديس) فى سنة سبع وثلاثين وأربعمائة فى خلافة المستنصر الفاطمى ، فأقام ثلاثين سنة ، ومات فى السنة الحادية والأربعين من خلافة المستنصر المذكور بالكنيسة المعلَّقة بمصر . وهو الذى جعل كنيسةَ بومرقورة بمصر وكنيسةَ السيدة بحارة الروم بطركية . وخلا الكرسىّ بعده آثنين وسبعين يوما .

ثم قُدِّم بعـده البطركُ (كيرلص) فأقام أربعَ عشرةَ سـنةً وثلاثةَ أشهر ونصفا ، ومات بكنيسة المختارة بجزيرة مصر سلْخَ ربيع الآخر سنةَ خمس وثمـانين وأربعمائة . وخلا الكرسىّ بعده مائةً وأربعةً وعشرين يوما .

وقُدِّم عوضه بطركٌ آسمه (ميخائيل) فى سنة آثنتين وثمـانين وأربعمائة ، فى أيام المستنصر الفاطمى صاحب مصر ، وكان قبل ذلك حبيسا بسِنْجَار ، فأقام تسع سنين وثمانية أشهر ، ومات فى المَعلَّقة بمصر .

وقدّموا عوضه بطركا آسمه (مقارى) سنة آثنتين وتسعين وأربعمائة بدير بو مقار ، ثم كمل بالإسكندرية ، وعاد إلىٰ مصر وقدّس بدير بو مقـار ثم فى الكنيسة المعلَّقة . وفى أيامه هدم الأفضلُ بنُ أميرالجيوش كنيسةً بجزيرة مصر كانت فى بستان آشتراه .

ولما مات قُدِّم عوضه بطركٌ آسمه (غبريال) أبوالعلا صاعد ، سنة خمس وعشرين وخمسمائة فى أيام الحافظ الفاطمى ، وكان قبل ذلك شَمَّاسا بكنيسة بومرقورة ؛ فقُدِّم

(١) الزيادة عن المقريزى ، وهى لازمة بها يتم الكلام .

بالمعلّقة، وكُمِّل بالإسكندرية، فأقام أربعَ عشرةَ سنة، ومات بكنيسة بومرقورة .
وخلا الكرسىّ بعده ثلاثة أشهر .

وقُدِّم بعده بطرك آسمه (ميخائيل) بن التقدوسىّ فى السـنة الخامسةَ عشرةَ من خلافة الحافظ أيضا ؛ وكان قبل ذلك راهبا بقَلَّاية دنشرى، قُدِّم بالمعلّقة وكُمِّل بالإسكندرية ، ومات بدير بومقار فى رابع شوّال سنة إحدىٰ وأربعين وخمسمائة .
وخلا الكرسىُّ بعده سنةً واحدة وسبعين يوما .

وقدّم عوضه بطركٌ آسمه (يونُس) بنُ أبى الفتح بالمعلّقة بمصر وكُمِّل بالإسكندرية، فأقام تسعَ عشرةَ سـنة ، ومات فى السابع والعشرين من جُمادىٰ الآخرة سنةَ إحدىٰ وخمسين وخمسمائة . وخلا الكرسىّ بعده ثلاثةً وأربعين يوما .

وقُدّم بعده بطرك آسمه (مرقص) أبو الفَرَج بن زرْعة فى سـنة إحدىٰ وستين وخمسمائة بمصر وكُمِّل بالإسكندرية ، فأقام آثنتين وعشرين سنة وستة أشهر وخمسةً وعشرين يوما، وفى أيامه أُحْرِقت كنيسةُ بومرقورة بمصر، ثم مات . وخَلَا الكرسىّ بعده سبعة وعشرين يوما .

وقدّم بعده بطرك آسمه (يونُس) بنُ أبى غالب فى عاشر ذى الحِجّة سنة أربع وثمانين وخمسمائة بمصر وكُمِّل بالإسكندرية ، وأقام سـتًّا وعشرين سـنة وأحد عشر شهرا وثلاثة عشر يوما؛ ومات فى رابع عشر رمضان المعظَّم قدرُه، سنةَ ثنتَىْ عشرةَ وستمائة بالمعلّقة بمصر، ودُفِن ببركة الحَبَش .

وقُدِّم بعـده بطركٌ آسمه (داود) بن يوحنا، ويعرف بابن لَقْلق بأمر العادل بن الكامل ، فلم يُوافِق عليـه المصريون فأُبْطلت بطركيتـه ، وبقى الكرسىُّ بغير بطرك تسعَ عشرةَ سنة .

ثم قُدِّم بطرك آسمه (كيرلس)[1] داود بن لقلق فى التاسع والعشرين من رمضان المعظم سنةَ ثلاثٍ وثلاثين وستمائة ، فأقام سبعَ سنين وتسعة أشهر وعشرةَ أيام، ومات فى السابع عشر من رمضان المعظم سنة أربعين وستمائة، ودُفن بدير الشَّمَع بالجيزة . وخلا الكرسىّ بعده سبع سنين وستةَ أشهر وستةً وعشرين يوما .

وقُدِّم بعده بطركٌ آسمه (سيوس) بن القُسِّ أبى المكارم، فى رابع رجب سنة ثمان وأربعين وستمائة وكَمَّل بالإسكندرية، وأقام إحدىٰ عشرة[2] سنة وخمسة وخمسين يوما ، ومات فى ثالث المحرم سنة ستين وستمائة . وخلا الكرسىُّ من بعده خمسةً وثلاثين[3] يوما .

ثم قُدِّم بعده فى الدولة الناصريَّة محمد بن قلاوون البطرك (بنيامين) وهو الذى كان معاصِرا للمَقَرّ الشهابىّ بنِ فضل الله، ونقل عنه بعض أخبار الحَبَشة .

ثم قُدِّم بعده المؤتمن (جرجس) بن القُس مفضَّل فى شهور سنة أربع وستين وسبعمائة .

ثم قدّم بعده البطرك متّىٰ وطالت مدّته فى البطركية ثم مات فى شهور سنة آثنتىْ عشرة وثمانمائة .

وآستقرّ بعده الشيخ الأمجدُ (رفائيل) فى أواخر السنة المذكورة ، وهو القائم بها إلىٰ الآن .

---

(١) عبارة المقريزى بعد ماتقدم "ثم قدم هذا القس" يعنى به داود بن لقلق المتقدم فانه بعد أن منع عنها المدة المذكورة قدم اليها فى التاريخ المذكور .

(٢) فى الأصل إحدى وعشرين وهو خطأ ، والتصحيح عن المقريزى .

(٣) فى المقريزى خمسة وثمانين يوما .

* * *

أما ملوكهم القائمون ببلادهم، فلم يتّصِلْ بنا تفاصيلُ أخبارهم؛ غير أنّ المشهورَ أنّ ملكهم فى الزمن المتقدّم كان يلقّب النَّجَاشِيّ، سمةً لكُلّ من ملك عليهم، إلىٰ أن كان آخِرُهم (النجاشيّ) الذى كان فى زمن النبيّ صلى الله عليه وسلم وأسلم وكتب إليه بإسلامه، ومات وصَلَّى عليه صلاةَ الغائب؛ وكان اسْمُه بالحبشية (أَصْحَمَةَ) ويقال (صَحْمَة) ومعناه بالعربية عَطِيَّة .

وقد ذكر المَقَر الشهابىّ بن فضل الله فى "مسالك الأبصار": أن الملِكَ الأكبَرَ الحاكم علىٰ جميع أقطارهم يسمّى بلغتهم (الحَطِّى) بفتح الحاء المهملة وتشديد الطاء المهملة المكسورة وياء مثناة تحت فى الآخر. ومعناه السلطان آسمًا موضوعا لكل مَنْ قام عليهم مَلِكا كبيرا. ثم قال : ويقال : إن تحتَ يده تسعةً وتسعين مَلِكا، وهو لهم تمامُ المائة . وذكر أن المَلِك القائم بمملكتهم فى زمانه آسمه (عَمَدسيُون) ومعناه ركن صِهْيَوْنَ . قال : وصِهْيَوْنُ بِيعةٌ قديمةُ البناء بالإسكندرية معظَّمة عندهم . قال : ويقال : إنه من الشجاعة علىٰ أَوْفَر قِسْم، وإنه حَسَن السِّيرة، عادلٌ فى رعيته . قال فى "التعريف" : وقد بلَغَنا أن الملِك القائمَ عليهم أسلم سِرّا، وآستمرّ علىٰ إظهار دين النصرانية إبقاءً لمُلْكه . فيحتمل أنه (عَمَدسيون) المقدّم ذكره، ويحتمل أنه غيره . قال فى "التعريف" : ومُدَبِّر دولتـه رجل يقْرُب إلىٰ بنى الأرشى الأطباء بدمشق . قال فى "مسالك الأبصار" : ومع ما هم عليـه من سَعَة البلاد، وكثرة الخَلْق والأجناد، مفتقِرُون إلىٰ العنَاية والمُلاحظة من صاحب مصر. لأن المُطْران الذى هو حاكمُ شريعتهم فى جميع بِلادِهم من أهل النصرانيـة لا يُقام إلا من الأقبـاط اليَعَاقِبَـة بالديار المصرية ، بحيث تَخْرُج الأوامر السيلطانية من مصر

للبطرك المذكور بارسال مُطْرانٍ إليهم . وذلك بعد تقدّم سؤالِ ملك الحبشة الذى هو الحَطِّى وإرسال رُسُله وهَدَاياه . قال : وهم يدّعون أنهم يحفَظُون مَجارِىَ النيل المنحَدِرِ إلىٰ مصر، ويُساعِدُون علىٰ إصلاح سُلُوكه تقرّبا لصاحب مصر.

وقد ذكر ٱبن العميد مؤرّخُ النصارىٰ فى تاريخه : أنه لما توقف النيل فى زمن المستنصر بالله الفاطمىّ، كان ذلك بسبب فسادِ مَجَاريه من بِلادِهم، وأنّ المستنصِرَ أرسل البطركَ الذى كان فى زمانه إلى الحَبَشــة حتّى أصلحوه واستقامت مَجَاريه . لكن قد تقدّم فى الكلام علىٰ النيل عنـد ذكر مملكة الديار المصرية من هذه المقالة ما يُخَالف ذلك .

الجمـــلة السادســـة

(فى ترتيب مملكتهم)

قال فى "مسالك الأبصار" : يُقال إن الحَطِّى المذكورَ وجيشَه لهم خيامٌ ينقلونها معهم فى الأسفار والتنزُّهات، وإنه إذا جلس الملك يجْلِس علىٰ كرسىّ، ويجلس حولَ كُرْسيِّه أمراءُ مملكتِه وكبراؤها علىٰ كراسِىَّ من حديد: منها ماهو مُطَعَّم بالذهب، ومنهـا ما هو ساذَج علىٰ قدر مراتبهم . قال : ويُقال إن الملِك مع نَفَاذ أمره فيهم يتثبَّتُ فى أحكامه . ولم يزد فى ترتيب مملكتهم علىٰ ذلك .

ولمَلِك الحبشة هذا مكاتبةٌ عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية، يأتى ذكرُها فى الكلام علىٰ المكاتبات فى المقالة الرابعة إن شاء اللهُ تعالىٰ .

القســـم الثـانى

(من بلاد الحبشة ما بيد مسلمى الحبشة)

وهى البلادُ المقـابلةُ لبرّ اليمنِ علىٰ أعَالى بَحْر القُلْزُم ، وما يتصلُ به من بحر الهند ، ويعبَّر عنهـا "بالطّراز الإسلامى" لأنهـا علىٰ جانب البحر كالطّراز له .

قال فى "مسالك الأبصار" : وهى البلاد التى يُقال لهـا بمصرَ والشأم بلاد الزَّيْلَع . قال : والزَّيْلَع إنمـا هى قريةٌ من قُراها ، وجزيرةٌ من جزائرها ، غلب عليها اسمُها . قال الشيخ عبد المؤمن الزَّيْلعِىُّ الفقيه : وطولُها برّا وبحرا خاصًّا بها نحوُ شهرين ، وعَرْضها يمتدُّ أكثر من ذلك ، لكن الغالب فى عَرْضها أنه مُقْفِر ؛ أما مقدار العِمارة فهو ثلاثة وأربعون يومًا طُولا ، وأربعون يومًا عَرْضا . قال فى "مسالك الأبصار" : وبيوتُهم من طين وأحجار وأخشاب ، مسقّفةٌ بجملُونات وقِباب ، وليسَتْ بذوات أسوار ولا لها فخـامةُ بِناء ، ومع ذلك فلها الجوامعُ ، والمساجدُ ، وتُقام بها الخُطَب والجمع والجماعاتُ ؛ وعنـد أهلها محافظةٌ علىٰ الدِّين ، إلا أنه لا تُعْرف عندهم مَدْرَسة ، ولا خانقاه ، ولا رِبَاط ، ولا زاوِيَةٌ . وهى بلادٌ شـديدة الحرّ ، وألوانُ أهلها إلىٰ الصَّفاء ، وليست شُعورهم فى غاية التفَلْفُل كما فى أهل مالّى وما يليها من جنوب المغرب ؛ وفِطَنُهم أنبَـهُ من غيرهم من السُّودان ، وفِطَرُهم أذْكىٰ ؛ وفيهم الزُّهّاد ، والأبرار ، والفُقَهاء والعلمـاء ؛ ويتمذْهبُون بمذهب أبى حنيفة ، خلا ولاة فان ملكها وغالبَ أهلها شافعيّة .

وتشتمل علىٰ ستّ جمل :

الجمـــــلة الأولىٰ

(فيما آشتملت عليه من القواعد والأعمال)

مقتضىٰ ما ذكره فى "مسالك الأبصار" و"التعريف" أن هـذه البلاد تشتمل علىٰ سَبْع قواعد ، كلُّ قاعدة منها مملكة مستقلّة بها مَلِكٌ مستقل :

القــاعدة الأولىٰ

(وَفَات)

قال فى "تقويم البُلْدان" : بالواو المفتوحة والفاء ثم ألف وتاء مثناة فوق فى الآخر، والعامّة تسميها (أَوْفات) . ويقال لها أيضا (جَبَرَة) بفتح الجيم والبـاء الموحدة والراء المهملة ثم هاء فى الآخر، والنسبة إلىٰ جَبَرَة جَبَرْتِىٌّ . وموقعها بين الإقليم الأوّل وخط الاستِواء . قال فى " تقويم البُلْدان " : والقياس أنها حيثُ الطولُ سبع وخمسون درجةً ، والعرضُ ثمـانُ دَرَج . قال : وعن بعض المسافرين أنهـا من أكبر مُدُن الحبشـة . وهى علىٰ نَشَز من الأرض، وعِمَارتهـا متفرّقةٌ، ودارُ الملك فيها علىٰ تَلٍّ والقلعة علىٰ تَلٍّ ، ولها وادٍ فيه نهر صغير ، وتُمْطَر فى الليل غالبـا مَطَرا كثيرا ، وبها قَصَب السُّكَّر . قال فى "مسالك الأبصار" : وقال الشيخ عبدُالله الزَّيْلَعىُّ : وطول مملكتها خمسةَ عشَر يوما وعرضُها عشرون يومًا بالسير المعتاد . قال : وكلُّها عامرة آهلةٌ بقُرًى متصلة؛ وهى أقرب أخواتها إلىٰ الديار المصرية وإلىٰ السَّواحل المُسامتة لليَمَن؛ وهى أوسعُ الممالك السَّبْع أرضا ؛ والإجلابُ إليها أكثرُ لقُرْبها من البلاد . قال فى " مسالك الأبصار " : وعسكَرُها خمســةَ عشرَ ألفا من الفُرْسان ، ويتْبَعُهم عشرون ألفا فأكثرُ من الرَّجَّالة ، وسيأتى الكلام علىٰ سائر أحوالها عند ذكر أحوال سائر أخواتها فيما بعدُ إن شاء الله تعالىٰ .

ومن مُضافاتها (زَيْلَعُ) . قال فى "تقويم البُـلْدان" : الظاهر أنها بفتح الزاى المعجمة وسكون الياء المثناة التحتية وفتح اللام ثم عين مهملة فى الآخر . وهى فُرْضة من فُرَض هذه البلاد، وموقعها بين الإقليم الأوّل وخَطّ الأستواء . قال فى "القانون" : حيثُ الطولُ إحدىٰ وستون درجةً، والعرضُ ثمانُ دَرَج . قال فى "تقويم البُلْدان" : وهى فى جهة الشرق عن (وَفَات) و بينهما نحوُ عشرين مرحلةً . قال ٱبن سعيد : وهى مدينة مشهورة وأهلها مسلمون ؛ وهى علىٰ رُكْن من البحر فى وَطَاءة من الأرض . قال فى "تقويم البُلْدان" : وعن بعض مَنْ رآها أنها مدينةٌ صغيرة نحو عَيْذابَ فى القَدْر ؛ وهى علىٰ الساحل والتُّجّار تنزل عنــدهم فيُضيفونهم و يبتاعُونَ لهم . قال ٱبن سـعيد : وهى شديدة الحَرّ وماؤها عذبى من جفارات ؛ وليس لهم بساتينُ، ولا يَعْرِفون الفواكهَ . قال فى "القانون" : وفيها مغاصُ لُؤْلُؤٍ . وقد ذكر فى "مسالك الأبصار" أنها فى مملكة صاحب أَوْفات . وذكر فى "تقويم البُلْدان" عن بعض من رآها أن فيهـا شُيوخا يحكُمون بين أهلها، وقال : إن بينها و بين عَدَنَ من اليمن فى البحر ثلاثَ مجارٍ، وهى عن عَدَنَ فى جهة الغرب بميلة إلىٰ الجَنُوب .

القاعدة الثانيــــة

(دَوَارو)

بفتح الدال المهـملة وواو ثم ألف وراء مهـملة وواو وهى مدينـة ذكـرها فى " مســالك الأبصــار " و " التعريف " : ولم يتعرّض لصفتهـا . وذكر فى " مسالك الأبصار " : أنها تلى أوفات المقــدّمةَ الذكرِ ، وان مملكتَها طولُهـا

خمسةُ أيام ، وعرضها يومانِ . ثم قال : وهى علىٰ هذا الضِّيق ذاتُ عَسكرٍ جَمٍّ ، نظير عسكر أَوْفَات فى الفارِس والراجِل . وسيأتى الكلامُ علىٰ تفصيل أحوالها مع أخواتها فيما بعدُ إن شاء الله تعالىٰ .

القاعدة الثالثة

(أرابينى)

وهى مدينةٌ ذكرها فى "المسالك" و"التعريف" أيضا، ولم يذكر شيئا من صفتها . ثم ذكر أن مملكتها مربَّعة : طولُها أربعةُ أيام، وعَرْضها كذلك ؛ وعسكرُها يقارب عشرةَ آلاف فارس . أما الرجَّالة فكثيرةٌ للغاية .

القاعدة الرابعة

(هَدْيةُ)

قال فى "تقويم البُلْدان" : بالهاء والدال المهملة والياء المثناة التحتية ثم هاء فى الآخر علىٰ ماذكره بعض من رآها . وموقعُها بين الإقليم الأول من الأقاليم السبعة وبين خَطِّ الاستواء . قال : والقياس أنها حيثُ الطولُ سبع وخمسون درجة ، والعرض سبْعُ درج . وذكر عن بعض المسافرين أنها جنوبِيَّ (وَفَات) . قال فى "مسالك الأبصار" : وهى تلى أرابينى المقدّمَ ذكرُها، وطولُ مملكتها ثمانيةُ أيام، وعرضُها تسعةُ أيام ؛ وصاحبها أقوىٰ إخْوانِه من ملوك هذه الممالك السبعة ، وأكثر خَيْلا ورِجالا ، وأشدُّ بأسا علىٰ ضِيق بلاده عن مقدار أَوْفات . قال : ولملكها من العسكر نحوُ أربعين ألفَ فارس سِوىٰ الرَّجّالة ، فإنهم خلْق كثير مثل الفُرْسان مرتين أو أكثرَ . قال فى "تقويم البُلْدان" : ومنها تُجْلَب الخُدّام ، وذكر

أنهم يَخْصُونَهم بقريةٍ قريبةٍ منها . وذكر في "مسالك الأبصار" : أن الخُدَّام تُجْلَب إليها من بلاد الكُفَّار . ثم حكىٰ عن الحاج فرج الفوّى التاجر : أنه حدّثه أن ملك أَمْحَرا يمنع من خَصْى العبيد ويُنْكِر ذلك ويُشَدِّد فيه . وإنما السُّرّاق تقصد بهم مدينة آسمها (وَشَلَوْ) بفتح الواو والشين المعجمة واللام ، أهلها هَمَج لادِينَ عندهم فتُخْصىٰ بها العبيدُ ، لايُقْدِم علىٰ هذا في جميع بلاد الحبشة سِواهم . قال : ولذلك التُّجّار إذا آشتَرَوُا العبيد يخْرُجون بهم إلىٰ (وَشَلَوْ) فيَخْصُونهم بها لأجل زيادة الثمن ؛ ثم يحمل من خُصِى منهم إلىٰ مدينة (هَدْيَة) لقربها من (وَشَلَوْ) فتُعادُ عليهم المُوسىٰ مرةً ثانيةً لينفَتِح مَجْرىٰ البول لأنه يكون قد آستَدَّ عند الخَصْى بالقَيْح ، فيُعالِجُون بهَدْية إلىٰ أن يبرءُوا ، ولأن أهل (وَشَلَوْ) وإن كان لهم معرفةٌ بالخَصْى فليس لهم معرفةٌ بالعِلاَج ، بخلاف أهل هَدْيةَ فإنهم قد درّبوا [علىٰ] ذلك وعَرَفوه . ثم قال : ومع هذا فالذى يموتُ منهم أكثَرُ من الذى يعيش ؛ وأضرُّ ما عليهم حملُهم بلامعالجة من مكان إلىٰ مكانٍ ، فإنهم لو عُولِجُوا في مكان خَصْيهم كان أرفَقَ بهم .

القـاعدة الخامســـة

(شَـــرْحا)

بفتح الشين المعجمة وسكون الراء المهملة وحاء ثم ألف .

وهى مدينـــة تَلِي (هَدْيَةَ) المقـــدّمةَ الذكر . ذكرها في "مسالك الأبصـار" و"التعريف" ولم يصرِّحْ لهـا بوصف . قال في "مسالك الأبصار" : وطولُ مملكتهـا ثلاثةُ أيام ، وعرضُها أربعةُ أيام . قال : وعسكرها ثلاثةُ آلاف فارس ، ورجَّالةٌ مثل ذلك مرتين فأكثَرَ ، وسيأتى الكلامُ علىٰ سائر أحوالها مع سائر أخواتها فيما بعدُ إن شاء الله تعالىٰ .

القاعدة السادسة

(بالى)

بفتح الباء الموحدة وألف ثم لام وياء آخر الحروف .

وهى مدينة تلى شَرْحا المقدمة الذكر ذكرها فى " المسالك " و " التعريف " قال فى المسالك : ولكنها أكثر خِصْبا ، وأطيب سكنًا ، وأبردُ هواء ، وسيأتى الكلام علىٰ سائر أحوالها مع سائر أخواتها فيما بعدُ إن شاء الله تعالىٰ .

القاعدة السابعةُ

(دارة)

بفتح الدال المهملة وألف بعدها راء ثم هاء . وهى مدينة تلى (بالى) المقدّمة الذكر، ذكرها فى "المسالك" و"التعريف" . قال فى "المسالك" : وطولُها ثلاثةُ أيام، وعرضُها كذلك . وهى أضعف أخواتها حالًا ، وأقلها خَيْلا ورِجالا . قال : وعسكرُها لا يزيد علىٰ ألفَىْ فارس، ورَجَّالة كذلك؛ وسيأتى الكلام علىٰ سائر أحوالها فى الكلام علىٰ سائر أخواتها فيما بعدُ إن شاء الله تعالىٰ .

الجملة الثانية

(فى الموجود بهذه الممالك، علىٰ ما ذكره فى "مسالك الأبصار")

قد ذكر أنَّ عندهم من المواشى الخيلَ العِرَابَ، والبِغالَ، والحميرَ، والبَقرَ، والغَنَم بكَثْرة . أما المَعَز فقليلٌ عندهم . ومن الوَحْش : البَقر، والحُمُر، والغِزْلان ،

والمَهَا، والإيَّل، والكَرْكَدَّن، والفَهْد، والأسَد، والضَّبُعَة العَرْجاء، وتُسمَّى عندهم مرعفيف، وعندهم جواميس بَرِّيَّة تُصاد كما تقدّم فى إقليم مَالِّى. وعندهم من الطيور الدَّواجِنِ الدَّجاجُ، ولكن لا رغبةَ لهم فى أكله استقذارًا له: لأكله القُمامات والزُّبالات، ودَجاجُ الحَبَش يصيدونه ويأكلونهُ، وهو عندهم مُستطَاب. وعندهم من الحبوب الحِنْطة، والشعير، والذُّرَة، والطَّافِى: وهو حبٌّ نحو الخَرْدَل أحمرُ اللون على ما تقدّم ذكره فى الكلام على القسم الأوّل من بلاد الحَبَشة. وعندهم الخَرْدَل أيضا. وعندهم من الفواكه العنبُ الأسودُ على قِلّة، والمَوْز، والرُّمّان الحامض، والتوتُ الأسودُ على قِلّة فيه، والجُمَّيز بكثرة. وعندهم من المحمَّضات: الأُتْرُجُّ، واللَّيْمون، والقليل من النارَنْج. وعنــدهم تينٌ بَرِّىّ، وخَوْخ بَرِّىّ؛ ولكنهم لا يأكلون الخَوْخ دونَ التين. وعنــدهم فواكهُ أخرى لا تُعرَف بمصر والشأم والعراق، منها شجر يسمى كشباد، ثمره أحمرُ على صفة البُسْر، وهو حلْو مائىّ، وشجر يسمَّى كوشى، ثمره مستدير كالبَرْقُوق، ولونه أصفرُ خَلُوقىٌّ كالمِشْمِش، وهو مُزٌّ مائىٌّ، وشجر يسمَّى طانة، ثمره أصغر من البُسْر، وفى وسطه شــبه النَّوى، وهو حُلْو صادقُ الحلاوة ونَوَاه يُؤْكَل معه لعدم صَلَابته. وشجر آسمه أوَجَاق ــ بفتح الواو والجيم ــ ثمره أكبر من حب الفُلْفُل وطعمُه شبيه به فى الحَرَافــة مع بعض حلاوة. وعنــدهم شجر جان المقــدّم ذكره فى القسم الأوّل من بلاد الحبشة، وهو الذى يُؤْكل عندهم للذَّكاء والفِطْنة، ولكنه يُقِل النومَ والنكاح على ما تقــدّم ذكره هناك. وعندهم من أنواع المَقاثِئ البِطِّيخ الأخضر، والخيار، والقَرْع. ومن الخضروات اللُّوبيا، والكُرُنْب، والباذِنْجان، والشَّمار، والصَّعْتَر. أما المُلُوخيا فإنها تطلُع عندهم بَرِّيَّةً.

الجملة الثالثة

(فى معاملاتهم وأسعارهم)

أما معاملاتهم فعلىٰ ثلاثة أنواع . منها ماهو بالأعراض مُقايَضَةً : تباع البَقَر بالغنم ونحو ذلك كما فى القسم الأوّل من بلاد الحبشة . ومنها ماهو بالدّنانير والدراهم كمصر والشأم ونحوِهما، وهو (وَفَات) وأعمالها خاصّة . قال فى "مسالك الأبصار" : وليس بأَوْفات سِكّةٌ تضرَب بل معاملاتُهم بدنانيرِ مصرَ ودراهِمها الواصلةِ إليهم صحبةَ التُّجّار . وذلك أنه لو ضرب أحدٌ منهم سِكّة فى بلاده لم تَرُجْ فى بلد غيره . ومنها ماهو بالحَكُنَات، جمع حَكُنة ـ بفتح الحاء المهملة وضم الكاف والنون ـ كما ضبطه فى "مسالك الأبصار" وهى قِطَع حديد فى طُول الإبرة، ولكنها أعرضُ منها بحيث تكون فى عَرْض ثلاثِ إبر، يُتَعامَلُ بها فى سائر هذه البلاد سوىٰ ما تقدّم ذكره . قال : وليس لهذه الحَكُنة عندهم سعر مضبوطٌ بل تُباع البقرة الجِّيدة بسبعة آلاف حَكُنة، والشاة الجِّيدة بثلاثة آلاف حَكُنة . وتُكال غلّتهم بكيل آسمه الرابِعِيَّة ، بمقدار وَيْبة من الكيل المِصْرىّ . وزنة أرطالهم اثنتا عشرة أوقية كل أوقية عشرة دراهم بصنجة مصر .

وأما الأسعار فكلُّها رخِيَّة حتّى قال فى "مسالك الأبصار" : إنه يُباع بالدرهم الواحد عندهم من الحنطة بمقدار حِمْل بغل ؛ والشعيرُ لا قيمةَ له . وعلىٰ هذا فَقِس .

الجمـــلة الرابعـــة

(فى ملوكهـــم)

قد تقــدّم فى الكلام علىٰ القسم الأوّل من بلاد الحبشة أنــ الحَطِّى الذى هو سلطانُهم الأكبر تحت يده تسـعةٌ وتسعون مَلِكا وهو لهم تمـامُ المـائة . وقد ذكر فى "التعريف" : أن هذه السبعةَ من جملة التسعة والتسعين الذين هم تحت يَده . قال فى " مسالك الأبصـار " : والمُلْك منهـم فى بيوت محفوظـةٍ إلّا بَالِى اليومَ ، فإن المُلْك بهـا صار إلىٰ رجل ليس من أهل بيت المُلْك ، تقرّب إلىٰ سلطان أمْحَرا حتّى ولّاه مملكة بالى فاستقلّ مَلِكا بهـا . علىٰ أنه قد وَلِيها من أهــل بيت المُلْك رجال أكْفاء ، ولكنّ الأرضَ لله يُورِثهـا مَنْ يَشاء . قال : وجميع ملوك هذه الممـالك وإنــ توارَثُوها لا يستقِلّ منهم بمُلْك إلا مَنْ أقامه سلطانُ أمْحَرا ، وإذا مات منهم مَلِك ومن أهله رجال قصدُوا جميعُهم سلطانَ أمْحَرا ، وتقرّبُوا إليــه جُهْدَ الطاقة ، فيختار منهم رجلا يُولّيه ، فإذا ولّاه سمع البقيّةُ له وأطاعوا ، فهم له كالنُّوّاب ، وأمْرُهم راجع إليه . ثم كُلُّهم متفِقون علىٰ تعظيم صاحب أَوْفات ، مُنْقادُون إليه . ثم قال : وهذه الممـالك السبع ضَعيفة البِناء ، قليلة الغَنَاء ؛ لضَعْف تركيب أهلها ، وقِلّة محصول بلادهم ، وتسلُّط الحَطِّى سلطانِ أمْحَرا عليهم ، مع ما بينهم من عَداوة الدِّين ، ومُبَـاينةِ مابين النصارىٰ والمسلمين . قال : وهم مع ذلك كلمتُهم متفرِّقة ، وذاتُ بَيْنِهم فاسدة .

ثم حكى عن الشيخ عبد الله الزَّيْلَعيّ وغيره : أنه لو ٱتفقتْ هــذه الملوكُ السبعة وٱجتمعتْ ذاتُ بينِهم ، قَدَروا علىٰ مدافعة الحَطِّى أو التمـاسك معه ، ولكنهم مع ماهم عليه مِنــ الضَّعف وٱفتراق الكلمة بينهم تنافُسٌ . قال : وهم علىٰ ماهم عليه

من الذّلّة والمَسْكَنة للحَطّى سلطان أمْحَرا عليهم قطائعُ مقرّرة، تحمل إليه فى كل سنة من القُمَاش الحريرِ والكتّان، مما يُجْلَب إليهم من مصر واليمن والعراق . ثم قال : وقد كان الفقيهُ « عبد الله الزيلعىّ » قد سعىٰ فى الأبواب السلطانية بمصرَ عند وصول رسولِ سلطانِ أمحرا إلىٰ مصر فى تنجُّز كتاب البِطْريرك إليه ، بكف أذيّته عمّن فى بلاده من المسلمين وعن أخذ حريمهم. وبرزَتِ المراسيمُ السلطانيةُ للبطريرك بكتابة ذلك ، فكتب إليه عن نَفْسه كتابا بليغا شافيا ، فيه معنىٰ الإنكار لهذه الأفعال ، وأنه حَرَّم هذا علىٰ مَنْ يفعله ، بعباراتٍ أجاد فيها ؛ ثم قال : وفى هذا دلالة علىٰ الحال .

قلت : وقد كُتِب فى أوائل الدولة الظاهرية « برقوق » كتابٌ عن السلطان فى معنىٰ ذلك، وقرينُه كتابٌ من البطريرك (مَتّى) بطريرك الإسكندرية يومئذ بمعناه . وتوجّه به إلىٰ الحَطّى سلطان الحبشة، «برهانُ الدين الدِّمياطىُّ» فذهب وعاد بالحِبَاء من جهة الملِك ؛ لكن ذكر عنه أنه أتىٰ أمورا هناك تقدح فى عقيدة ديانته، والله أعلم بحقيقة ذلك . وستأتى الإشارة إلىٰ المكاتبة إلىٰ هؤلاء الملوك السبعة فى المقالة الرابعة فى الكلام علىٰ المكاتبات إن شاء الله تعالىٰ .

الجملة الخامسة

(فى زىّ أهل هذه المملكة)

أما لِبْسهم ، فإنه قد جرتْ عادتهم أن الملِك يعصِّب رأسه بعِصَابةٍ من حرير، تدُور بدائر رأسه، ويبقىٰ وسطُ رأسه مكشوفًا ؛ والأمراء والجند يُعَصِّبون رُءُوسهم كذلك بعصَائبَ من قُطْن ؛ والفقهاء يَلْبَسون العمائم ؛ والعامّةُ يلبَسُون كوافىَ بيضا

طاقيات، والسلطان والجند يتّزرون بثياب غير مَخيطة : يُشَدّ وسطَه بثوبٍ، ويتّزر بآخر، ويلْبَسون مع ذلك سراويلاتٍ . ومَنْ عداهم من الناس يقتصِرُون علىٰ شَدّ الوَسَط والاتّزار خاصَّةً بلا لُبْس سراويلَ . وربمـا لَبِس القُمصانَ منهـم بعضُ الفقهاء وأربابُ النِّعم .

وأما رُكُوبهم الخيلَ ، فإنهم يركبونها بغير سُرُوج ، بل يُوَطَّأُ لهم علىٰ ظُهورها بجلود مِرْعِزّى حتّٰى ملوكهم .

وأما سلاحهم فغالبه الحِراب والنُّشّاب .

الجمــلة السادسة

(فى شِــعَار المَلِك وترتيبــه)

أما شعار المَلِك ، فقـد جرتْ عادتُهم أن الملك إذا ركب تقـدّم قُدّامهُ الحُجّاب والنُّقَباء لطَرْد الناس ، ويضرب بالشَّبَّابة أمامه ، ويضرب معها ببُوقاتٍ من خشب ، فى رءوسها قرون مجوّفة ، ويُدَقّ مع ذلك طبولٌ معلَّقة فى أعناق الرجال تسمّٰى عندهم الوَطْواط .. ويتقدّم أمامَ الكل بوقٌ عظيم يسمّٰى الجنبا ، وهو بوق مَلْوِىٌّ من قَرْن وَحْش عندهم من نوع بقر الوحش آسمه (عجرين) فى طول ثلاثة أذرع ، مجوّف يُسمَع علىٰ مسيرة نصف يوم ، يَعْلَم من سمعه ركوبَ الملِك ، فيبادرُ إلىٰ الركوب معه مَنْ له عادةٌ به .

وأما ترتيب المَلِك عندهم ، فإن من عادتهم أن الملك يجلس علىٰ كرسىٍّ من حديد مُطَعَّم بالذهب ، عُلُوُّه أربعــةُ أذرع من الأرض ، ويجلس أكابرُ الأمراء حولَه

علىٰ كراسيَّ أخفضَ من كرسيِّه ، وبقيةُ الأمراء وقوفٌ أمامه ؛ ويحمل زجلان السلاحَ علىٰ رأسه . ويختصُّ صاحبُ (وَفَات) بأنه إذا ركب حُمِل علىٰ رأسه چتر علىٰ عادة الملوك .

ثم إن كان الملك راكبا فرسا ، كان حاملُ الچتر ماشـيًا بإزائه والچتر بيده ، وإن كان راكبا بغلا ، كان حاملُ الچتر رديفه والچتر بيده علىٰ رأس الملك .

وبالجملة فإنه يُعَدّ من حِشْمة الملِك أو الأمير عندهم أنه إذا كان راكبا بغلا أن يُرْدِف غلامَه خلْفَه ، بخلاف ما إذا كان راكبا فرسًا فإنه لا يُرْدِف خلفَهُ أحدا . ومما يعدّ بـ(وَفَات) من حِشْمة الملك أو الأمير أنه إذا مشىٰ يتوكَّأُ علىٰ يدَىْ رجلَيْنِ . وملوكُهم تتصـدّىٰ للحكم بأنفسهم وإن كان عندهم القضاةُ والعُلَماء . وليس لأحدٍ من الأمراء ولا سائر الجُنْـد إقطاعاتٌ علىٰ السـلطان ولا نُقُود كما بمصر والشام ، بل لهـم الدوابُّ السائمـةُ . ومَنْ شاء منهم زرَع وٱسـتغَلّ ولا يُعارَضُ فى ذلك . وليس لأحدٍ من ملوكهم سِمَاطٌ عامٌّ ، بل إنما يمدّ سِمَاطَه له ولخاصَّته ، ولكنه يفَرِّق علىٰ أمرائه بَقَرا عِوَضا عن أمر أكلهم علىٰ السِّماط . وأكثر مايعطى الأميرَ الكبير منهم مائتَا بقرة .

قلت : وأهمل المقرُّ الشهابىّ بن فضل الله فى "مسـالك الأبصار" و"التعريف" عدّةَ بلاد من ممـالك الحبشة المسلمين .

منها (جزيرة دَهْلَك) . قال فى "تقويم البُلْدان" : بفتح الدال المهملة وسكون الهاء ثم لام مفتوحة وكاف . وهى جزيرة فى بحر القُلْزم ، واقعةٌ فى الإقليم الأوّل من الأقاليم السـبعة . قال فى "الأطوال" : حيثُ الطولُ إحدىٰ وسـتُّون درجةً ، والعرضُ أربعَ عشرَةَ درجةً . قال فى "تقويم البُلْدان" : وهى جزيرةٌ مشهورةٌ علىٰ

طريق المسـافرين فى بحر عَيْذاب إلىٰ اليَمَن . قال ٱبن سعيد : غَرْبىّ مدينة (حَلْىٍ) من بلاد اليمن ، فطولها نحو مائتَىْ ميل ، و بينها و بين بَرّ اليمن نحو ثلاثين ميلا [ومَلِك دَهْلَك من الحبش المسلمين](١) وهو يُدارى صاحب اليَمن .

ومنها (مدينة عَوَان) بفتح العين المهملة والواو وألف ثم نون . وهى مدينة علىٰ ساحل بحر القُلْزم مقابِل (تِهامةِ اليَمَن) حيثُ الطولُ ثمـانٌ وسبعون درجة ، والعرضُ ثلاثَ عشرةَ درجةً ونصفُ درجة . قال فى "تقويم البُلْدان" : وإذا كان وقت الضحىٰ ظهر منها (الجَنَاح) وهو جبل عالٍ فى البحر .

ومنها (مدينة مَقْدِشُو)(٢) بفتح الميم وسكون القاف وكسر الدال المهـملة ثم شين معجمة وواو فى الآخر كما نقله فى "تقويم البُلْدان" عن ضبطه فى "مُزِيل الآرتياب" بالشكل . وموقعُها بين الإقليم الأوّل من الأقاليم السبعة وخَطّ الاستواء . قال ٱبن سعيد : حيثُ الطولُ ٱثنتان وسبعون درجةً ، والعرض درجَتانِ . قال فى "مُزِيل الآرتياب" : وهى مدينة كبيرةٌ بين الزَّنْج والحبشة . قال : وهى علىٰ [بحر] الهند ، ولهـا نهر عظيم شَبِيه بنيل مصر فى زيادته فى الصَّيف . قال : وقد ذكر أنه شقيقٌ لنيلِ مصر فى مَخْرَجه من بُحَيْرةِ كورا ، ومَصَبُّه ببحر الهند علىٰ القُرْب من مَقْدِشُو .

قلت : وقد أتى الحطِّى ملك الحبشة النصارىٰ علىٰ معظم هذه الممالك بعد الثمانمائة وخرّبها وقتل أهلها وحَرّق ما بهـا من المصاحف وأكره الكثير منهـم علىٰ الدخول فى دين النصرانية ، ولم يبق من ملوكها سوىٰ ٱبن مسمار المقابلة بلاده لجزيرة دَهْلَك تحت طاعة الحطِّى ملك الحبشة وله عليه إتاوة مقرَّرة ، والسلطان سعد الدين

(١) الزيادة عن تقويم البلدان .

(٢) ضبطها ياقوت بفتح الدال .

صاحب زَيْلع وما معها وهو عاصٍ له خارج عن طاعته بينه وبينه الحروب لا تنقطع، وللسلطان سعد الدين فى كثير من الأوقات النصرة عليه والغلبة والله يؤيد بنصره من يشاء .

* * *

وآعلم أن ماتقدّم ذكره من ممالك السُّودان هو المشهور منها ، وإلا فوراءَ ذلك بلادٌ نائيَةُ الجوانب بعيدة المَرْمىٰ منقطِعة الأخبار .

منها (بلادُ الزنج) . وهى بلادٌ شرقىّ الخليج البربَرىّ المقدّم ذكره فى الكلام علىٰ البِحار، تُقابل بلاد الحبشة من البر الآخرِ .

وقاعدتها (سُفَالة الزَّنْج) . قال فى "تقويم البُلْدان" بالسين المهملة والفاء ثم ألف ولام وهاء فى الآخرِ . وموقعها جنوبىّ خط الاستواء . قال فى "القانون" : حيثُ الطولُ خمسون درجةً، والعرضُ فى الجنوب درجتان . قال فى "القانون" : وأهلها مسلمون . قال آبن سعيد : وأكثر معايِشهم من الذهب والحديد، ولِباسُهم جُلُود النُّمُور . وذكر المسعودىّ أن الخيل لاتَعِيش عندهم، وعسكرهم رَجَّالة ،وربما قاتلوا علىٰ البقر .

ومنها (بلاد الدَّمَج) جنوبىّ بلاد التَّكْرُور. فقد ذكر آبن سعيد أنه خرج علىٰ أصناف السُّودان طائفة منهم يقال لهم [الدَّمَادم][1] يشبِهون التتر، خرجوا فى زمن خروجهم فأهلكوا ماجاورهم من البُلْدان . وذكر فى "مسالك الأبصار" عن آبن أمير حاجب والى مصر عن منسا موسى ملك التَّكْرور أنهم كالتتر فى تدْوِير وجوههم ،وأنهم يركبون خُيُولا مشقَّقة الأنوف كالأكاديش ، وأن همج السودان عدد لا يَسْتَوْعِبُهم الزمان وأن منهم قوما يأكُلُون لحم الناس .

(١) بياض بالأصل والتصحيح من مسالك الأبصار .

الفصـــــل الرابع

من الباب الرابع من المقـالة الثانية

(فى الجهة الشَّمالية عن ممـالك الدِّيار المصرية ومضافاتها، خَلَا ماتقدّم ذكُره
ممـا ٱنضمّ إلىٰ ممـالك المَشْرِق من شَمَـالى الشرق،نحو أرْمينِيَة، وأرّان،
وأذْرَبِيجان، وشمالِى خُرَاسان، وشمالِى مملكة تُوران: من خُوارَزْم،
وما وراء النهر، وبلاد الأَزَق، وبلاد القِرِم، وما والىٰ ذلك
وما ٱنضم إلىٰ ممـالك المغرب من شَمَـالِىِّ الغرب ،
وهـــو الأندَلُس)

وينقســـم ذلك إلىٰ قسمين :

القســـــم الأوّل

(مابيد المسلمين ممـا فى شرقِىِّ الخليج القُسْطَنْطِينىّ فيما بينه وبين أرمينِيَة
وهى البلاد المعروفة ببلاد الرُّوم)

قال فى "التعريف" : وتُعرَف الآنَ ببلاد الدَّرَبَنْدات . وقد سماها فى "التعريف" و "مسالك الأبصار" بلاد الأتْراك، وكأنه يريد بالأتراك التُّرْكُمان ، فإنهم هم الذين ٱنضافَ مُلْكُها بعد ذلك إليهم، علىٰ ما سيأتى بيانه فيما بعدُ إن شاء الله تعالىٰ .

وقد ذكر فى "تقويم البُلْدان" أنه يُحيط بهذه البلاد من جهة الغرب بحرُ الرُّوم، وعامّةُ الخليج القُسْطَنْطِينِى، وبحر القِرِم . ومن جهة الجنوب بلادُ الشام والجزيرة . ومن جهـة الشرق أرمينِيَةُ . ومن جهـة الشَّمال بلاد الكُرْج وبحر القرِم . وذكر

فى "التعريف" ما يخالف ذلك فقال : إنها منحصرة بين بحرى القرم والخليج القسطنطينى ، تنتهى من شرقيها إلى بحر القرم المسمّى بحر نيطش ومانيطش ؛ وفى الغرب إلى الخليج القسطنطينى ، وتنتهى متشاملةً إلى القسطنطينيّة ؛ وتنتهى جنوبا إلى بلاد لاون (١) : وهى بلادُ الأرمن يحدّها البحرُ الشامىّ . وبالجملة فإنها مفارقة مايُسامت شرقيها من بلاد الأرمن المضافة إلى بلاد الشام من ممالك الدّيار المصرية . والحاصل أن هذه البلاد مبتدؤها من الشرق مما يلى المغرب حدودُ أرمينيَةَ فى شمالىّ بلاد الجزيرة وما والاها من بلاد الأرمن المضافة الآنَ إلى مملكة حَلَب ، وتأخذ فى جهة الغرب إلى بحر الرّوم ، فيصير البحر فى جانبها من الجنوب ويمتدّ عليها حتّى يتصل بالخليج القسطنطينى ، فيدور عليها الخليجُ وما يتصل به من بحر القرم من جهة الغرب ثم من جهة الشمال كالجزيرة ويُحيط بها البحرُ من جميع جوانبها خلَا جهةَ الشرق .

وقد كانت هذه البلاد فى زمان الرّوم من مضافات القسطنطينيّة وأعمالها . قال فى "مسالك الأبصار" : وقد كانت هذه البلادُ على عهد الرّوم محتكّ الأعنّه ، ومُشْتَبَكَ الأسنّه ، دارَ القياصره ، ومكْسِرَ الأكاسره . ثم وصفها بأتمّ الأوصاف ، فقال بعد أن ذكر أنها أثرى البلاد : صُخُورها تتفجّر ماء ، وجوّها يسخّر أنواء ، تعقدُ دونَ السماء سَمَاء ، فيُخْصِبُ زَرْعُها ، ويَخْصِم المحلَ ضَرْعُها ، ويَخْصِف ورقَ الجنّة على الحدائق ثمرُها ويَنْعُها ، ويُطْرِبُ وُرْقَها منظرُها البديع ، ويُحبّرها من صناعة صَنْعاء الرّبيع ؛ فلا تسمع إلا كلّ مُطْرِبة تُناجى النّجىّ ، وتَشْجى الشّجىّ ، وتَخْلُب قَلْب الخَلِىّ ، وتَهَبُ الغوانِىَ مافى أطواقها من الحُلىّ ، يُعْجِبُ ثوبُهَا السُّنْدسىّ ، ونَباتُها المتعلّق بذيل البَهار بسجافها القَنْدَسىّ . فلا تجُول فى أرضها إلا على أرائك ، ولاتَنْظُر

(١) فى التعريف آبن لاون .

إلا نِساء كالحُور العِين ووِلْدانا كالمَلائِك . ثم قال بعد كلام طويل : وهى شديدةُ البَرْد لا يُوصَف شِتاؤها ، إلا أن سُكَّانها تستعدّ للشِّتاء بها قبل دُخُوله ، وتحصِّل ما تحتاج إليه ، وتدّخِره فى بيوتها ، وتستكثِر من القَـدِيد والأدْهان والخُمُور ، فتأكُل وتشربُ مدّةَ أيام الشتاء ، ولا تخرجُ من بيوتها ، ولو أرادت ذلك لم تقدِرْ عليه ، حتّى تَذُوبَ الثُّلُوج . قال وهذه الأيام هى بُلَهْنية العيش عندهم .

ويَنْحصِر المقصودُ من ذلك فى خمس جمل :

الجمـــــلةُ الأولىٰ

(فيما آشتملتْ عليه من القواعد ، وهى علىٰ ضربين)

الضرب الأوّل

(القواعدُ المستقرّةُ بهـا الملوكُ والحُكّام
ممن يكاتَبُ عن الأبواب السُّلْطانيّـــة بالديار المصـــرية)

فأما ما ذكره المَقَرّ الشهابىّ بنُ فضل الله من ذلك فى "التعـريف" و"مسالك الأبصار" ، فستَّ عشرةَ قاعدةً عبَّر عنهـا فى "مسالك الأبصار" : بمَالك . ونحن نُورِدها علىٰ ما أوردها وإن كان قد أخَلَّ بها فى الترتيب .

القاعدة الأولىٰ — (كِرْميـان) بكسر الكاف وسكون الراء المهملة والميم وفتح المثناة تحتُ وألف ثم نون فى الآخر . وهى مدينـة فى شرق هذه البلاد ، متوسطةٌ فى المِقْدار ، مبنيَّة بالحجر ، عليها سُور دائر . وبهـا مساجدُ وأسواقٌ وحَمّامات ، وبوسطها قلعةٌ حصينة علىٰ جبـل مرتفع ؛ وخارِجها أنهار تجرِى وبساتينُ ذاتُ أشجار وفواكِهَ متنوّعة ، وأراضٍ مزدَرَعة .

القاعدة الثانية — (طُنْغُزْلُو) بضم الطاء المهملة وسكون النون وضم الغين المعجمة وسكون الزاى المعجمة وضم اللام وواو فى الآخر . وهى مدينة متوسِّطة فى أوساط هذه البلاد، وبناؤها بالحجر، وليس لها سُور . وبها المساجدُ والأسواقُ والحماماتُ . وخارجها أنهار تجرى وبساتينُ محدَّقة ذاتُ فواكهَ وثِمارٍ .

القاعدة الثالثة — (تُوَازَا) بضم التاء المثناة فوقُ وواو مفتوحة بعدها ألف ثم زاى معجمة وألف فى الآخر وهى مدينة عظيمة . قال فى "مسالك الأبصار" : وهذه المملكة تقع شرقى كرميان محضا، وموقعُها مابين جنوبى برَكى إلىٰ قوله ، وكرسيه تُوَازا . قال : ولصاحبها أربع قلاع ونحو ستمائة قرية ، وعساكره نحو أربعة آلاف فارس وعشرة آلاف راجل . وقد عدّها فى " مسالك الأبصار" من جملةُ مضَافات كَصْطَمُونِيَةَ الآتى ذكرها . وذكر أنه كان بها إذ ذاك أميرٌ من قِبَل صاحبها آسمه (مراد بك) . وذكر فى " التعريف " أن آسمه أرينة .

القاعدة الرابعة — (حميدَلِى) . قال فى "مسالك الأبصار" وحميدَلِى اسم للإقليم، وقاعدته مدينةُ (بركو) وموقعُها من قوله الىٰ قراصار . قال : ولصاحبها أيضا اقليم بلواج واقليم قراغاج وإقليم اكرى دوز . قال : وهذه البلاد مدنها قليلة وقراها كثيرة، وبها خمس عشرة قلعةً، وعسكرصاحبها خمسة عشرألف فارس ومثلهم رجّالة وهى نهاية ما أخذ الىٰ الشمال وقد ذكر فى " التعريف " : أن صاحبها كان آسْمه فى زمانه دندار . قال : وهو أخو يُونُس صاحبِ أنْطاليَا، وحينئذ فتكون من مملكة بنى الحميد .

القاعدة الخامسة — (قَسْطَمُونِيَةُ) . قال فى "تقويم البُلْدان" : بفتح القاف وسكون السين و بالطاء المهملتين وضم الميم وسكون الواو وكسر النون و بالياء المثناة

من تحتُ وهاء فى الآخر، وربمـا أبدلوا القاف كافًا ، وعليه جرىٰ فى "التعريف" و "مسالك الأبصار" : وهى مدينةٌ فى شرقىِّ هذه البلاد داخلةٌ فى حدودها، موقعها فى الإقليم السادس من الأقاليم السبعة قال آبن سعيد : حيثُ الطولُ خمس وخمسون درجةً وثلاثون دقيقـة ، والعرضُ ستٌّ وأربعون درجة وثمـانٌ وأربعون دقيقة . قال : وهى قاعدة التُّرْكُمَان، وتَرَاكِمَتُها يغْزُون (القُسْطَنْطِينِيَّة) وهى شرقىّ (هِرَقْلَة) وفى الجنوب عن سَنُوب علىٰ ثلاث مراحِلَ منها ، وقيـــل خمس مَرَاحِلَ . وهى فى الشرق عن أَنْكُورِيه علىٰ خمسة أيام منها . وقد أخبرنى بعضُ أهل تلك النواحى أنها مدينةٌ متوسطةُ المقدار، مبنيةٌ بالحجر، ذاتُ مساجدَ وأسواق وحَمَّامات؛ وليس عليهـا سُور، وخارجَها أنهرٌ وبساتينُ ذاتُ فواكهَ . قال فى "مسالك الأبصار" : وبها الأكادِيشُ الرُّومِيّة الفائقة، المفضَّل بعضُها علىٰ كلِّ سابق من الخيل العِراب؛ ولها أنسابٌ محفوظة عندهم كخيل العَرَب، يُتغالىٰ فى أثمانها لا سِيَّما فى بلادها، حتّٰى تبلغ قيمةُ الواحد منها ألفَ دينار فمـا فوقَهُ، بل لايستكْثِر فيها مَنْ يعرفها بَذْلَ مال . قال فى "التعريف" : وكانت آخر وقتٍ (لسليمان باشاه) وكان أميرا كبيرا كثير العَدَد، مَوْفُور المَدَد، ذا هَيْبة وتمنُّع؛ ثم مات

وورث ملكَه آبنُه (إبراهيم شاه) وكان عاقًّا لأبيه ، خارجا عن مَرَاضيه ؛ وكان فى حياته يَنْفَرِد بمملَكة سَنُوب . قال : وهى الآن داخلة فى مُلْكه ، منخرطة فى سِلْكه . قال : وعسكره علىٰ ما يقال لنا ويبلغُنا نحوُ ثلاثين ألف فارس .

القاعدة السادسة — (فاويا) . قال فى "مسالك الأبصار" : ومملكتها تُجـاوِر سمسون من غربيها . قال : ولصاحبها عشر مدن ومثلها قِلاع، وعسكره نحو سبعة آلاف فارس أما الرجّالة فكثير عددهم ودرهمها نصف درهم فضة خالصة، ورِطلها

ستة عشر رطلا بالمصرى ، ومدّها نحو إردب بالمصرى ، وأسعارها رخيّة وقد ذكر فى "التعريف" : أن اسم صاحبها فى زمانه (مراد الدين حمزة) . قال : وهو ملكٌ مضْعُوف، ورجل بمجالِس أُنْسِه مَشْغوف .

القاعدة السابعة — (بُرْسَا) بضم الباء الموحدة وسكون الراء وفتح السين المهملتين وألف فى الآخر . وربما أبدلت السينُ صادا مهملةً . والموجود فى "التعريف" و"مسالك الأبصار" وغيرهما إثباتُ السين دون الصاد . وهى مدينة كبيرة فى شمالىّ هـذه البلاد ، مبنيةٌ بالطُّوب والحجر ، وسقوفُها من الخشب ، وغالبها جَمَلُونات ؛ وبها مساجد وأسواق وحَمَّامات ؛ وبعض حَمَّاماتها من أعيُنٍ حارَّة تنبُع من الأرض كذلك كما فى طَبَرِيَّةَ بالشام ؛ ولهـا سُور عظيم ؛ وبوسطها قلعة شاهقةٌ مرتفعةُ البناء بها سَكَن سلطانها ؛ وفيها قصور عظيمة متعدّدة، وجامع وثلاثُ حَمَّامات .

وخارج رَبَض المدينة نهران :

أحدهما ـ يسمَّى (كُكْدَرَا) بضم الكاف الأولىٰ وسكون الثانية وفتح الدال والراء المهملتين وألف فى الآخر . ومعناه وادٍ أزرق ، سمِّى بذلك لأنه يخرج من جبلٍ أزرقَ، وتُقْطَع منـه الحجارة بشِدّة جريه، فتجرى منه بجريان المـاء، فيأخذها من عليه من أهل تلك النواحى فيعَمِّر بها ، ومعظم عمارة بُرْسَا منها .

والنهر الثانى ـ يسمى (منرباشى) فى قدر الفُرَات، يشُقُّ المدينة ويمُرّ فى جامعها ؛ وبها جبل عظيم آسمه (كش) به معدِنُ فِضَّة سمِّى باسم الفِضَّة .

وبُرْسَا هـذه هى مَقَرّ مملكة أولاد (عثمان جَق) الذين هم الآن رُءُوس ملوك تلك البلاد، وإليهم آنقياد جميعهم علىٰ ما سيأتى ذكره فى الكلام علىٰ ملوكها . وقد ذكر فى "التعريف": أن صاحبها فى زمانه كان أرخان بن عثمان . وذكر فى "مسالك

الأبصار" عن الشيخ حَيْدَر العُرْيان : أن عسكره نحوُ خمسةٍ وعشرين ألفا، وأن بينه وبين صاحب القُسْطنطِينيَّة الحُروبَ، وأيَّامُها بينهم تارات ، له فى غالبها على صاحب القسطنطينيَّة الغَلَب، وملك الروم يُداريه على مال، يحمِلُه إليه فى كلِّ هِلال .
قال : ولقد جاز الجزيرةَ إلى بلاد النصارى وعاثَ فى نواحيها ، وشدّ على بَطَارِقتها لاعلى فَلَّاحيها، وألقى علوجَها بحيث تعتلج سُيُولُ الدماء ، وتختلج سيوفُ النصرِ من الأعداء، وسيأتى ذكر ما آنتهى إليه فتحه من برِّ القسطنطينيَّة بعد هـذا فى الكلام على ملوك هذه المملكة فيما بعدُ إن شاء الله تعالى .

القاعدة الثـامنة — (أكيرا) . قال فى "مسالك الأبصار" : وهى تجاور مملكة بُرْسا آخذة الى الشمال وجبل القسيس جنوبيها وسنوب شماليها وهى طريق من طرق سنوب وقلاعها وعساكرها كثيرة . ومنها يخرج الحرير الكثير واللاذن الى غيرها من البلاد، ورطلها ثمانية أرطال بالمصرى، ومدّها نحو إردب ونصف وأسعارها رخية وقد ذكر فى " التعريف " : أن صاحبهـا فى زمانه كان (صاروخان بن قرَاسى) ولم يبين من أىّ طوائف التُّرْكُمَان هو .

القاعدة التـاسعة — (مَرْمَرا) بفتح الميم وسكون الراء المهملة وفتح الميم الثانية والراء المهملة الثانية وألف فى الآخر. وهى مدينة فى شمالىّ هذه البلاد، بها جبل فيه مَقْطَع رُخَام . قال فى "الروض المعطار" : والروم تسمِّى الرخام مَرْمَرا، فسميت بذلك . وذكر فى "التعريف" : أن صاحبها فى زمانه كان آسمه (بخشى بن قرَاسى) ولم يبـين من أىِّ طوائف التُّرْكُمَان هو . وقد أخبرنى بعضُ أهـل تلك البلاد أنها قد خَرِبت ودَثَرت، ولم يبقَ بها عمارةٌ .

القاعدة العـاشرة — (مَغْنِيسـيا) بفتح الميم وسكون الغين المعجمة وكسر النون وسكونِ اليـاء المثناة تحتُ وكسر السين المهملة وفتح الياء الثانية وألف فى الآخر .

وهى مدينة فى أوساط هذه البلاد، متوسّطةٌ فى المقدار، مبنيةٌ بالحجر، وعليها سورٌ دائر، وبها مساجد وأسواق وحمامات وبساتين ومُرُوج . وقد ذكر فى "التعريف" : أنه كان آسم صاحبها فى زمانه (صاروخان) ولم يزد على ذلك .

القاعدة الحادية عشرةَ — (نِيْف) بكسر النون وسكون الياء المثناة تحتُ وفاء فى الآخر . وهى مدينة لطيفةٌ بأوساط هذه البلاد، بالقُرْب من (مَغْنِيسِيَا) المقدّم ذكرها على نحو مرحلتين منها . وهى مبنيّة بالحجر، وبها المساجد والأسواق والحمّامات وخارجها الأنهار والزُّروع والبساتين المختلفة الفواكه .

القاعدة الثانيةَ عشرةَ — (بِرِكِى) بفتح الباء الموحدة وكسر الراء المهملة وكسر الكاف وياء مثناة تحتُ فى الآخر. وهى مدينة متوسطةُ القدر على القُرب من نِيف المقدّم ذكرها على نحو مرحلتين منها؛ وبها المساجدُ والأسواقُ والحَمّامات والمياه والبساتينُ والزروع .

القاعدة الثالثةَ عشرةَ — (فُوكه) . وقد ذكر فى "التعريف" : أن صاحبها فى زمانه كان آسمه (أرخان بن منتشا) وآقتصر على ذلك .

القاعدة الرابعةَ عشرةَ — (أَنْطَالِيَا) . قال فى "تقويم البُلْدان" : بفتح الهمزة وسكون النون وفتح الطاء المهملة وألف ولام مكسورة وهاء[1] فى الآخر . وموقعها فى الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال فى "تقويم البُلْدان" : والقياس أنها حيثُ الطولُ أربع وخمسون درجةً وآثنتان وثلاثون دقيقةً ، والعرضُ إحدى وأربعون درجة وأربعون دقيقة . قال آبن سعيد : وهى بلدةٌ مشهورةٌ . وقال آبن حوقل : هى حصن [للروم على شَطِّ البحر منيعٌ واسعُ الرُّسْتاق كثيرُ الأهل][2] . قال

(١) الذى فى التقويم وألف فى الآخر .
(٢) الزيادة عن التقويم .

فى "تقويم البُلْدان" : وهى علىٰ دَخْلة فى البحر، وسُورُها من حجر فى غاية الحَصَانة، ولهــا بابان : بابٌ إلىٰ البحر ، وبابٌ إلىٰ البر . وأخبرنى من رآها أنها ذاتُ أشجار وبساتينَ ومياهٍ تجرى ، وبها قلعة حَصينة بوسطها ؛ وبها نهر يُعرَف بالصَّبَّاب . قال فى "تقويم البُلْدان" : وهى كثيرة المُحمضات : من الأُتْرُجّ، والنارَنْج، والليمون، وما أشبه ذلك . قال آبن سعيد : وكانت للروم فاستولىٰ عليها المسلمون فى عَصْرنا . قال : وبهــا أســطول صاحب الدُّروب، وميناها غيرُ مأمونةٍ فى الأنواء . قال فى " تقويم البُــلْدان " : وكان الحاكم بها شخصًا من أهــل تلك البلاد فخرج منها إلىٰ بعض جهاتها، فكبسها التُّرْكمان وملكوها ثم أمسكوه فقتلوه . قال : وصاحبها فى زماننا واحد من بنى الحميد ملوك التُّرْكمان . وقد ذكر فى "التعريف": أن صاحبها فى زمانه كان آسمه (خَضِر بن يُونُس) . وذكر فى "مسالك الأبصار" : أن صاحبها فى زمانه كان آسمه (خضر بن دندار) من أولاد (منتشا) . وقال : إن عسكره نحو أربعــين ألفَ فارس . ثم قال : إن لبنى دندار هؤلاء إلىٰ ملوك مصر آنتماءً ، وكان بمِصْرَ منهم من له إمرةٌ ثم عاد إلىٰ بلاده .

القــاعدة الخامسةَ عشرةَ — (قَرَاصار) بفتح القاف والراء المهملة وألف ثم صاد مهملة مفتوحة بعدها ألف ثم راء مهملة فى الآخر. وتُعْرَف بقراصار التَّكا بفتح التاء المثناة فوقُ . وهى قلعــة علىٰ جبل مرتفع يحُفُّ بهــا رَبَضٌ بأعلىٰ الجبل ، وحول الرَّبَض فى الجبل زِراعاتُهم وبساتِينُهم . وقد ذكر فى "التعريف": أن آسم صاحبها فى زمانه (زكريا) ولم يزد علىٰ ذلك . وهى غير مدينة قَرَاصَار الصاحب . وهى مدينة لطيفة بأوساط بلاد الروم فى الغرب عن قَرَاصار هذه وفى الشَّمال عن أنْطالِيَا .

القاعدة السادسةَ عشرةَ — (أَرْمَنَاك) بفتح الهمزة وسكون الراء المهملة وكسر الميم وفتح النون وألف ثم كاف فى الآخر . وهى مدينــة فى مَشَارق الروم، مبنيَّــة

بالحجر غير مسوّرة ؛ وبها مساجد وأسواق وحمّامات ؛ وبها بساتين كثيرة وفواكه جمّة إلا أنها شديدةُ البرد . وقد ذكر فى "التعريف" : أنها بيد أولاد قرمان . وذكر فى "مسالك الأبصار" : أن المملكة كانت بيد (محمد بن قرمان) . وذكر فى "التثقيف" : أن آخرَ مَنِ آستقرّ بها فى شوّال سنة سبع وستين وسبعمائة (علاءُ الدين على بك) بن قرمان .



وأما مازاد ذكره فى "التثقيف" : فخمسُ قواعِدَ :

القاعدة الأولى — (العَلَايَا) بفتح العين المهملة واللام وألف بعدها ثم ياء مثناة تحتُ وألف فى الآخر . وموقعها فى الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة . قال فى "تقويم البُلْدان" : والقياسُ أنها حيثُ الطولُ آثنتان وخمسون درجةً ، والعرضُ تسعٌ وثلاثون درجةً وثلاثون دقيقةً . قال : وهى بلدة مُحْدَثة أنشأها (عَلَاء الدّين علىّ) بعضُ ملوك بنى سَلْجوق بالروم فنُسِبت إليه . وقيل لها (العَلَائيّة) على النسب ، ثم خفّفها الناس ، فقالوا : (العَلَايَا) ثم قال : والذى تحقّق عندى من جماعةٍ قدِمُوا منها أنها بُلَيْدة صغيرة أصغرُ من أَنْطاليَا علىٰ دَخْلةٍ فى بحر الروم . وهى من فُرَض تلك البلادِ . وذكر أنها فى الجَنُوب عن أنطاليا علىٰ مسيرة يومين ، وعليها سورٌ دائر، وأنها كثيرةُ المياه والبساتين . وقد ذكر فى "التثقيف": أن الحاكم بها فى زمانه كان آسمه (حُسَام الدين محمود) بن عَلَاء الدين . وقال : إنه كتب إليه عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية فى شوّال سنة سبع وستين وسبعمائة ، ولم يبين من أىّ طوائف التُّرْكمان هو . وذكر فى "مسالك الأبصار" : أنها فى ساحل بلاد بنى قرمان، وأن الحاكم بها من قبلهم حينئذ كان آسمه (يُوسُف) .

القاعدة الثانيــة — (بَلَاط) بفتح البـاء الموحدة واللام وألف ثم طاء مهملة في الآخر . وهي بلدةٌ بأوساط الروم على نحو ثمـانِ مراحلَ من بُرْسَا ؛ وهي مدينة صغيرة بغير سور، وبها قلعةٌ خرابٌ كانت مبنيَّة بالرُّخام؛ وبها مساجدُ وأسواقٌ وأربعُ حَمَّامات . ذكر لي بعضُ أهل تلك البلاد أنها بيد أولاد (منتشا) من ملوك التُّركمان.

القاعدة الثالثـة — (أَكَرْدُور) بفتح الهمزة والكاف وسكون الراء وضم الدال المهملتين وسكون الواو وراء مهملة في الآخر. قال في "التثقيف": ويقال أكردون بالنون بدل الراء الأخيرة . وهي بلدة غير مسوّرة بها قلعة عظيمة على جبل شاهق، وبها مساجدُ وأسواقٌ وحَمَّامات، إلا أنَّ بساتينها قليلة، وبها بُرْجٌ عظيم .

القاعدة الرابعة — (أَيَاسْ لُوقْ) بفتح الهمزة والياء المثناة تحتُ وألف ثم سين مهملة ساكنة ولام مضمومة بعدها واو ساكنة ثم قاف في الآخر . وهي مدينـة عظيمة على ساحل البحر الرومي، بها المساجدُ والأسواقُ والحَمَّـامات ؛ وبها أعينٌ وأنهـار تجْري وبساتينُ ذاتُ فواكهَ . وقد أخبرني بعض أهلِ تلك البلاد أنهـا في ملك بني أيدين .

القاعدة الخامسة — (سَنُوب) . قال في "تقويم البُـلْدان" : بالسين المهملة والنون والواو وباء موحدة في الآخر ولم يقيِّدها بالضبط. وموقعها في الإقليم السادس من الأقاليم السبعة قال ابن سعيد : حيثُ الطولُ سبع وخمسون درجة ، والعرضُ ستٌّ وأربعون درجةً وأربعون دقيقــة . قال في "تقويم البُـلْدان" : وهي فُرْضة مشهورة (يعني على بحر القِرِم) . ثم قال : وهي في الشَّمال عن كَسْطَمُونِيَةَ وفي الغرب عن سامْسُون . قال : وعن بعض الثِّقـات أن بسـنوبَ سُورًا حصينا، يضربُ البحرُ في بعض أبراجه . ولهـا بساتينُ كثيرة إلى الغاية ؛ وبينها وبين سامْسون نحو

أربع مَراحِلَ . ثم قال : وصاحب سنوب في زماننا من ولد البرواناه(١)، وله شَوانٍ يغزو بها في البحر ولا يكاد أن ينقهر . وذكر في "مسالك الأبصار" : أنها من مضافات كَسْطَمُونِيَة المقدّم ذكرها ، وأنه كان بها في زمانه نائب من جهة (إبراهيم آبن سليمان باشاه) صاحب كَسْطَمُونِيَة آسمه غازى چابى . وقال في "التثقيف": يقال إن بها إبراهيم بك بن سليمان باشاه ، فإن كان يريد الذى كان في زمن صاحب "مسالك الأبصار" : بكَسْطَمُونِية ، فقد أبعد المرمىٰ . وإن كان آخر بعده كان سُمّى باسمه ، فيحتمل أنه في "التعريف" قد ذكر صاحبها في جملة ملوك الكُفْر وكأن ذلك كان قبل أن تُفْتَح .

الضرب الثانى

(من هذه البلاد مالم يَسْبِق إلىٰ صاحبه مكاتبةٌ عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية ، ممن هو بصَدَد أن تَطْرأ له مكاتبةٌ ، فيُحْتاج إلىٰ معرفته)

وهى عدّة قواعِد :

منها (سِيوَاسُ) . قال في "تقويم البُلْدان" : بكسر السين المهملة وسكون الياء المثناة تحتُ وفتح الواو ثم ألف وسين مهملة في الآخر . وموقعها في الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" : حيثُ الطولُ إحدىٰ وسبعون درجةً وثلاثون دقيقةً، والعرضُ أربعون درجةً وعشرُ دقائق . قال آبن سعيد : وهى من أُمّهات البلاد مشهورةٌ علىٰ ألسنة التُّجّار، وهى في بَسِيط من الأرض . قال في "تقويم البُلْدان" : وهى بلدة كبيرة مسوَّرة، وبها قلعة صغيرةٌ ذاتُ أعيُنٍ، والشجر

---

(١) في التقويم سامسون ، والصواب ما هنا .

بها قليل، ونهرها الكبير بعيدٌ عنها بمقدار نصف فَرْسَخ . قال : ويقول المسافرون : إن فيها [أربعاً] (١) وعشرين خاناً للسبيل؛ وهى شـديدةُ البَرْد، وبينها وبين قَيْسارِيَّة ستون مِيلاً؛ وكانت سِيواسُ هـذه قد غَلَب عليهـا فى الأيام الظاهرية « برقوق » صاحبِ الديار المصرية قاضيها (القاضى إبراهيمُ) ومَلَكها .

ومنهـا (أَمَاسِيَةُ) . قال فى "تقويم البُلْدان" : بفتح الهمزة والميم وألف وكسر السين المهملة ثم ياء مثناة تحتية مفتوحة وهاء فى الآخر . وموقعها فى الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة قال فى "رسم المعمور" : حيثُ الطولُ سبع وخمسون درجة وثلاثون دقيقة، والعرضُ خمسٌ وأربعون درجة . قال فى "تقويم البُلْدان" : ذكر بعضُ من رآها أنهـا بلدة كبيرة ذاتُ سور وقلعـة ، وفيهـا بساتينُ ونَهر كبير عليـه نَواعِيرُ، يمرّ عليهـا ثم يصُبُّ فى بحر سَـنُوب يعنى بحر القِرم . قال ٱبن سـعيد : وهى من مُدُن الحكماء، وهى مشهورةٌ بالحُسْن وكثرة المياه والبساتينِ والكروم، وهى فى الشرق عن سَـنُوب وبينهما سـتة أيام . ثم قال : وذكر بعضُ مَنْ رآها أن بها معدِنَ فِضَّـة .

ومنها (هِرَقْلَةَ) . قال فى "تقويم البُلْدان" : بكسر الهاء وفتح الراء المهـملة وسكون القاف وفتح اللام ثم هاء فى الآخر . وموقعُها فى الإقلـيم السابع من الأقاليم السبعة قال فى "الأطوال" : حيثُ الطولُ سبع وخمسون درجةً وعشرون دقيقةً، والعرضُ إحدىٰ وأربعون درجةً وثلاثون دقيقةً . قال ٱبن سعيد : وهى فى شرقىّ نهرٍ ينْزِل من جبـل العَلَايا إلىٰ نحو سَنُوب وهِرَقْلَةُ عليه فى قُرْب البحر . قال : وهى التى هدمها الرشيدُ . قال : وفى شرقيها جبل الكَهْف .

(١) الزيادة عن التقويم .

وقد حكى ٱبن خُرْداذْبَة فى كتابه "المسالك والممالك" عن بعضهم أنه سار إلى هذا الكهف ودخل بمساعدة صاحب الروم فوجد به أمواتًا بِرُوَاق فى كَهْف فى جبلٍ عليهم مُسُوح قد طال عليها الزمنُ حتّى صارت تنْفَرِك باليد، وقد طُلِيت أجسادُهم بالمُرِّ والصَّبِر فلم يبْلَوْا، ولَصِقَتْ جلودُهم بِعظَامهم، وجَفَّت، وعندهم سادنٌ يخْدُمهم، وأنه أنكر أن يكون أُولئك هم أهل الكهف المذكورون فى القُرءان، للاختلاف فى محلّ الكَهْف هل هو فى هذه البلاد أو غيرها.

ومنها (أَقْسَرَا). قال فى "تقويم البُلْدان": بفتح الهمزة وسكون القاف وفتح السين والراء المهملتين وألف فى الآخر، وربّما أبدلت السين صادًا مهملة. قال: ويقال إن أصلها (أَخْ سرا) يعنى بالخاء المعجمة بدل القاف. وموقعها فى الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة. قال فى "الأطوال": حيثُ الطولُ خمس وسبعون درجةً، والعرضُ أربعون درجة. قال فى "تقويم البُلْدان": وهى مدينةٌ ذاتُ أشجار وفواكه، ولها نهر كبير يجرُّ وَسَط البلد ويدخُل الماءُ منه بعضَ بيوتها، ولها قلعة حصينة فى وَسَطها. قال ٱبن سعيد: وبها تعمل البُسُط الأَقْصَرِيّة الفائقة؛ ومنها إلى قُونِيَة ثمانية وأربعون فرسخا، وكذلك بينها و بين قَيْسارِيّة.

ومنها (قَيْسارِيَّة). قال فى "اللباب": بفتح القاف وسكون المثناة من تحتها وفتح السين المهملة وألف ثم راء مهملة وياء مثناة تحتية مفتوحة مشدّدة وهاء فى الآخر. قال فى "تقويم البُلْدان": وتقال بالصاد المهملة بدلَ السين. قال ٱبن سعيد: وهى منسوبة إلى قَيْسَر، وموقعها فى الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة. قال فى "الأطوال": حيثُ الطولُ ستون درجة والعَرْض أربعون درجةً. قال ٱبن سعيد: وهى مدينة جليلةٌ يحُلُّها سلطان البلاد. قال فى "تقويم البُلْدان": وهى بلدة كبيرةٌ

ذاتُ أشجـار وبساتينَ وفواكِهَ وعيون تدخُلُ إليهـا . وداخِلَها قلعـةٌ حصينة ، وبها دارٌ للسلطنة .

وقَيْسارِيّةُ هذه كان بها تَخْتُ السلطنة لبنى سَلْجُوقَ بهذه البلاد . ولمـا ملك التتَرُ هـذه البلادَ بَقَوْا بقاياهم فى المُلْك إلىٰ أن دخلها السلطانُ الملك (الظاهر بيبرس) صاحبُ الديار المصرية ، وجلس علىٰ تخت آل سَلْجُوقَ بهـا ، ثم عاد إلىٰ الديار المصرية فزال مُلْك السَّلْجُوقِيَّـة منها من حينئذ، علىٰ ما سيأتى ذكره فى الكلام علىٰ ملوك هذه البلاد .

ومنها (قُونِيَةُ) . قال فى " تقويم البُلْدان " : بضم القاف وسكون الواو وكسر النون وبعدها ياء مثناة من تحت مفتوحة وهاء فى الآخر. وموقعُها فى الإقليم الخامس من الأقاليم السـبعة قال فى " الأطوال " : حيثُ الطولُ ستٌّ وخمسون درجة ، والعرضُ تسعٌ وثلاثون درجة . قال ابن سـعيد : وهى مدينةٌ مشهورة ، وبها دار السلطنة ، والجبال مُطِيفةٌ بها من كل جانب، وتبعُد عنها من جهة الشَّمال . وينزل من الجبل الجنوبىّ منها نهرٌ يدخُل إليها من غربِيِّها ؛ وبها البساتينُ من جهة الجبل علىٰ نحو ستة فراسخَ ، ونهرها يسقِى بساتِينَها، ثم يصير بُحَيْرة ومُرُوجا ؛ وبها الفواكهُ الكثيرة ، وفيهـا يُوجَد المشمش المعـروف بقَمَر الدّين ، وهى ثانى قاعدةِ مملكة السَّلْجُوقِيَّة ببلاد الروم ، كان الملك ينتقل منها إلىٰ قَيْسارِيَّةَ ، ومن قيسارِيَّةَ إليها . قال ابن سعيد [وبقلعتها تُرْبَة][1] أفلاطون الحكيم .

ومنها (أَقْ شَهْر) بفتح الهمزة ثم قاف ساكنة وشين معجمة مفتوحة وهاء ساكنة وراء مهـملة فى الآخر، كما فى " تقويم البُـلْدان " : عمّن يُوثَق به من

(١) بياض بالأصل والتصحيح عن تقويم البلدان .

أهل المعرفة، وربما أبدلوا الهاء ألفا فقالوا (أَقْشَار) . وفى كتاب "الأطوال" : (أَخْ شَهْر) بإبدال القاف خاء معجمة . وموقعها فى الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة ، قال فى "الأطوال" : حيثُ الطولُ خمس وخمسون درجةً، والعرضُ إحدى وأربعون درجةً . قال ابن سعيد : وهى من أنزه البُلْدان ، وبها بساتينُ كثيرة وفواكهُ مفضَّلة . قال فى "تقويم البُلْدان" : وأخبرنى من رآها أنها على ثلاثة أيام من قُونِيَةَ شَمالًا بغَرْب .

ومنها (عَمُّورِيَّة) . قال فى "تقويم البُلْدان" : بفتح العين المهملة وميم مشدّدة مضمومة وواو ساكنة وراء مهملة مكسورة ثم ياء مثناة من تحتُ مفتوحة وهاء فى الآخر . قال : وهى بلدة كبيرة ، ولها قلعةٌ داخلَها حصينة ، وأكثر ساكنيها التركمان وبها بساتينُ قليلةٌ ، ولها نهر وأعينٌ جارية ، وهى التى فتحها « المعتصمُ ابنُ الرشيد » : أحد خلفاء بنى العَبَّاس، وكان المنجِّمُون قد زعموا أنها لا تُفْتَح إلا فى زمان التِّين والعِنَب ، فلما فتحها أنشده أبو تَمَّام قصيدتَه التى أوّلُها :

السَّيْفُ أَصْدَقُ إِنْباءً من الكُتُبِ * فى حَدِّه الحَدُّ بين الجِدِّ واللَّعِب !

ومنها (أَنْكُورِية) . قال فى"تقويم البُلْدان" : بفتح الهمزة وسكون النون وضم الكاف وسكون الواو وكسر الراء المهملة ثم ياء مثناة تحتية مكسورة[1] وهاء فى الآخر . ويقال لها (أَنْقِرَةُ) أيضا بفتح الهمزة وسكون النون ثم قاف وراء مهملة وهاء فى الآخر . وموقعُها فى الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة . قال فى "الأطوال" : حيثُ الطولُ أربعٌ وخمسون درجةً ، والعرضُ إحدى وأربعون درجةً . قال ابن

(١) كذا فى التقويم أيضا مضببا عليه بعلامة التوقف ولعله مصحف عن مفتوحة ونظائرها كثيرة مثل أرمينية وعمورية وانطاكية الخ .

سعيد : وهى بَلْدة لها قلعة علىٰ تلٍّ عالٍ، وهى بين الجبال، وليس بها بساتين ولاماء، وشرب أهلها من الآبار، وهى عن قَسْطَمُونِيَةَ فى جهة الغرب علىٰ خمسة أيام .

ومنها (فَلَكْ بَار) . قال فى "تقويم البُلْدان" : الفَلَك معروف، وبَار بباء موحدة وألف وراء مهملة فى آخرها . قال : وهى مدينة أنشأها مَلِك من ملوك بنى الحميد ٱسمه (فَلَكُ الدين) وهى فى مستوٍ من الأرض فى وَسَط الجبال علىٰ قريب من منتَصَف الطريق بين قُونِيَةَ والعَلَايَا ، فى الغرب من قُونِيَة علىٰ مسيرة خمسة أيام ، وهى فى الشرق عن أَنْطالِيَا علىٰ مسيرة خمسة أيام . قال : وليس فى تلك الجبال الآنَ مدينةٌ أكبرُ منها، وقد صارت قاعدةً لبنى الحميد : ملوك التُّرْكُمان بتلك الناحية .

ومنهـا (لارَنْدَةُ) . قال فى "تقويم البُلْدان" : بلام وألف وراء مهملة مفتوحة ونون ساكنة ثم دال مهملة وهاء فى الآخر . قال : وهى قريبة من قُونِيَةَ علىٰ مسافة يوم من الشرق والشمال، حيثُ الطولُ سبع وخمسون درجة، والعرضُ أربعون درجة وثلاثون دقيقة .

وقد تقدّم فى الكلام علىٰ مملكة الشام من مُضَافات الديار المصرية أن مدينـةَ مَلَطْيَةَ دخلتْ فى مملكة مصر ومضافاتها فصارتْ فى معاملة حَلَبَ .

وٱعلم أنه قد تقدّم أن خليج القُسْطَنْطِينيَّة وما ٱتصل به من بحر نيطش ـ المعروف ببحر القِرِم ـ يُطِيف بهذه البلاد من غربيِّها وشَمَاليِّهـا، وعلىٰ ساحل هـذا البحر عِدّة فُرَض منتظمة فى سلك هـذه البلاد قد ذكرها فى "تقويم البُلْدان" فى الكلام علىٰ مملكة أَرْمِينِيَةَ ومامعها، وأشار إليها فى الكلام علىٰ هـذا البحر عند ذكره له فى جملة البِحَار علىٰ ما تقدّمت الإشارةُ إليه فى الكلام علىٰ البحار فى أوّل هذه المقالة ، غالبها فى مملكة ٱبن عثمان صاحب بُرْسَا .

أوّلها (الجرون) . وهى قلعة خراب عند فَمِ الخليج القسطنطينى من الجهة الشّمالية مقابلَ القُسْطَنْطِينيّة، حيثُ الطول خمسون درجة، والعرضُ خمس وأربعون درجة وعشرُ دقائقَ .

ويليها من جهة الشّمال بمَيْلة إلىٰ الشرق مدينة آسمها (كَرِبِى) بكاف وراء مهملة ثم باء موحدة وياء مثناة تحت فى الآخر .

ويليها فى الشرق مدينة آسمها (بَنْتَر) بباء موحدة ونون وتاء مثناة فوق وراء مهملة .

ويليها فى الشرق والشّمال بلدةٌ آسمها (سامصرىٰ) بسين مهملة وألف ثم ميم وصاد وراء مهملتين وألف فى الآخر .

ويليها فى الشرق أيضا مدينةٌ آسمها (كُتْرُو) بكاف وتاء مثناة من فوق ثم راء وواو فى الآخر وهى آخر أعمال قسطنطينيّة .

ويليها فى الشرق مدينة آسمها (كِينُولِى) بكسر الكاف وسكون المثناة التحتية وضم النون وسكون الواو وكسر اللام وياء مثنّاة من تحتُ فى الآخر .

ويليها فى جهة الغرب (فُرْضَة سَنُوب) المقدّم ذكرها فى الكلام علىٰ مازاده فى "التثقيف" .

ويليها من جهة الشرق مدينةُ (سامْسُون) المقَدّم ذكرها فى الكلام علىٰ الضرب الثانى من هذه البلاد .

ويليها فى جهة الشرق أيضا مدينة (أَطْرابُزُون) بألف وطاء وراء مهملتين وباء موحدة بعدها زاى معجمة ثم واو ونون . وهى آخر مُدُن هذه البلاد علىٰ الساحل، ومنها ينتهىٰ إلىٰ ساحل بلاد الكُرْج علىٰ ما تقدّم الكلامُ عليه فى الكلام علىٰ بحر نيطش .

الجمـــلة الثـانية

(فى ذكر الموجود بهـــذه البـــلاد)

قد ذكر فى "مسالك الأبصار" عن الشيخ حَيْدَر العُرْيان الرُّومى : أن بها من المَوَاشى الخيلَ ، والبَقَر ، والغَنَم مالايقع عليه عَدَد ولا يدخل تحت الإحصاء ، ونِتاج بلادهم من الخيل هى البَرَاذِينُ الرُّوميَّة الفائقة . وقد تقدّم الكلام علىٰ القسطمونيات منها فى الكلام علىٰ قَسْطَمُونِيَة ؛ وتُجْلَبُ إليهم العَرَبيَّات من بلاد الشأم وغيرها ؛ وأكثر مواشيهم نِتاجًا الغنمُ . قال فى " مسالك الأبصار " : وهى مما يُبْسَط فرشُ الأرض [منها] . قال : ومنهـا المعَزَ المِرْعِزّى ، ذواتُ الأوبار المضاهيـةِ لأنْعَم الحرير . ثم قال : وغالب قِنْية أهل الشام وديار بَكْر والعراق و بلاد العجم وذبائحهم مما يَفْضُل عنها ويُجْلَب إليها منها ، وهى أطيبُ أغنام البلاد لحمًا ، وأشهاها شَحْما ؛ ويترتب علىٰ ذلك فى كثرة الوجود الألبـانُ وما يَتحصَّـل عنها من السمن والجُـبْن وغير ذلك .
وبها من الحبوب القمحُ ، والشعير ، والباقِلّا ونحوها ؛ ويزْرَع بها الكَتّان ، والقُطْن الكثير ؛ وبهـا من الفواكه كُلُّ ما يوجَدُ بمصر والشأم من التُّفّاح ، والسَّـفَرْجَل ، والكُمَّثرىٰ ، والقَرَاصِيا ، والإجّاص ، والرمّان : الحلو والمزُّ والحامض ، وغير ذلك . أما المحمضات فلا تُوجَد إلا ببلاد السواحل من بلادهم علىٰ ما تقدّم ذكره ؛ والمَوْز والنَّخيل لا يوجَدُ ببلادهم ؛ وبهـا من العسل مايُضاهِى الثلجَ بياضا والسُّـكَّر لَذاذة وطَعْما ، لاحِدّة فيه ولا إفراطَ حلاوةٍ تُوقِف الأكل عنه ، إلىٰ غير ذلك من الأشياء التى يطول ذكرها . وقد تقدّم أنّ بها معدِن فِضة بمدينة بُرْسا ، ومعدن فضة بأماسية .

وذكر فى " مسالك الأبصار " عن الشيخ حَيْدر العُرْيان أنـ بها ثلاثةَ معادنِ فِضَّـةٍ مستمرّة العمل : معدن بمدينة ركوة ، ومعدن بمدينة كش ، ومعدن بأراضى مدينة تانحرت .

الجملة الثالثة

(فى معاملاتها وأسعارها)

أما معاملاتها، فقد ذكر فى "مسالك الأبصار" عن الشيخ حَيْدَر العُرْيان أن لملوك التُّرْكمان هؤلاء نُقودا ولكن لا يَرُوج نقدُ واحد منهم فى بلادِ الآخَر . قال : ودِرْهمهم فى الغالب تقديرُ نصفِ وربع درهم من نقدِ مصرَ، وأرطالهم مختلفةٌ، وأكثرها بالتقريب زِنَةُ آثنَىْ عشر رطلا بالمصرىّ، وأقلُّها ثمانيةُ أرطال، وكيلهم الذى تُباع به الغَلّات يسمّى الوط تقدير إردبٍّ ونصفٍ بالمصْرىّ .

وأما أسعارها، فقد ذكر أنها رخِيَّة رَخيصةُ الأسعار للغاية لقِلّة المُكُوس وكثرة المَرَاعى وآتِّساع أسباب التجارة وآكتناف البحر لها من كل جانب بحيثُ يحمَلُ إليها علىٰ ظهره كلُّ شيء مما لا يوجَدُ فيها . قال : وقيمة الغَلّات بها دون قيمتها بمصر والشام أو مثْلُهما فى الغالب . والأغنامُ فى غاية الرُّخص، حتّى إن الرأس الغنم الجيِّدَ لا يُجاوز آثنَىْ عشرَ درهما من دراهمهم، يكون بنحو تسعة دراهم من دراهم مصر إلىٰ ما دون ذلك، ويترتب علىٰ ذلك رِخَصُ اللحم . أما اللبَنُ وما يُعمَل منه فإنه لا يكاد يُوجَد مَنْ يشتريه : لآستغناء كلِّ أحد بما عنده من لَبَن مواشيه ، لاسيما فى زمن الربيع . قال : والعسلُ لا يتجاوز الرطلُ منه ثلاثةَ دراهم برطلهم ودرهمهم ، وهو (ذلك الرطلُ الكبير والدرهم الصغيرُ) والفواكه فى أوانها فى حكم اللبَنِ وما فى معناه فى زمن الربيع ، فى عدم وجود مَنْ يشتريه . ثم قال : وبالجملة فبلادُ الروم إذا غلَتْ وأقْحطَتْ كانت كسعْر الشام إذا أقبل وأرخص .

الجمـــــلة الرابعة

(فى ذكر مَنْ ملك هـــذه البلاد)

قد ذكر ٱبن سعيد : أن هذه البلاد كانت بيد اليُونان، وهم بنو يُونان بن علجان ابن يافث بن نوح عليه السـلام من جملة ما بيـدهم قبل أن يَغْلِب عليهـم الرُّوم ؛ ثم غلب عليها الرُّوم بعد ذلك فيما غَلَبُوهم عليه ، وٱستمرَّتْ بأيديهم فى مملكة صاحب القُسْطَنْطِينِيَّة علىٰ ما سيأتى ذكرُه فى الكلام علىٰ مملكة القسطَنْطِينِيَّة فيما بعدُ إن شاء الله تعالىٰ .

وكان كلُّ مَنْ ملك هذه البلاد التى شرقِىّ الخليج القُسْطَنْطِينى يسمَّى (الدُّمُسْتَق) بضم الدال المهملة وفتح الميم وسكون السين المهملة والتاء المثناة فوقُ وقاف فى الآخر، وله ذكر فى حروب الإسلام . قال فى "العبر": وكان ثُغُور المسلمين حينئذ من جهة الشام (مَلَطْيَة) ومن جهة أَذْرَبِيجان (أَرْمِينِيَة) إلىٰ أن دخل بعض قرابة (طُغْرُلْبَكْ) أحد ملوك السَّلْجُوقِيَّة فى عسكرٍ إلىٰ بلاد الروم هذه فلم يَظْفَروا منها بشىء .

ثم دخلها بعـد ذلك (ممانى) أحد أمرائهم بعـد الثلاثين وأربعمائة، ففتح وغَنِم وٱنتهىٰ فى بلادهم حتّى صار من القُسْطنطينيَّة علىٰ خمسَ عشرةَ مرحلة ؛ وبلغ سَبْيُه مائةَ ألف رأس، والغنائم عشرةَ آلاف عَجَلة، والظَّهرُ مالا يُحصىٰ .

ثم فتح (قطلمش) بن إسرائيل بن سَلْجُوق قُونِيَةَ، وأَقْصَرا، وأعمالها، ثم وقعت الفتنة بين قطلَمُش وبين (أَلْب أرسلان) السَّلْجُوقىّ بعد طُغْرُلْبَكْ ، وقُتِل قطلَمُش فى حربه فى سنة ست وخمسين وأربعمائة .

وملك البلادَ من بعده (ٱبنُه سليمانُ) ثم كان بين سليمانَ ومسلم بن قريش صاحب الشأم حروبٌ ٱنهزم سليمان فى بعضها وطعن نفْسَه بخَنْجَر فمات فى سنة ثمان وسبعين وأربعمائة .

وملك بعده ٱبنه (قليج أرسلان) تلك البلادَ ، ثم قُتِل قليج أرسلان فى بعض الوقائع .

ووَلِيَ مكانه بقُونِيَةَ وأقْصَرا وسائر بلاد الروم ٱبنُه (مسعود) وٱستقام له ملكُها، ثم تُوُفِّىَ مسعود بن قليج أرسلان سنة إحدىٰ وخمسين وخمسمائة .

وملك بعده ٱبنُه (قليج أرسلان) .

ثم قسم قليج أرسلان المذكور هذه البلاد بين أولاده : فأعطىٰ قُونِيَةَ وأعمالها لابنه (غياث الدين كيخُسْرَوْ) وأقْصَرا وسِيوَاس لابنه (قطب الدين) ودُوقاط لابنه (ركن الدين سليمان) وأَنْكُورِيَة لابنه (محيي الدين) ومَلَطْية لابنه (عِزّالدين قيصرشاه) والأَبُلُسْتَيْن لابنه (غَيْث الدين) وقَيْسارِيَّة لابنه (نور الدين محمود) وأعطىٰ أماسِيَةَ لابن أخيه . ثم ندم علىٰ هـذه القسمة ، وأراد ٱنتزاعَ الأعمال من أولاده فخرجوا عن طاعته إلا ٱبنَه غياثَ الدين كيخُسْرَوْ صاحبَ قُونِيَةَ فإنه بقِيَ معه . وحاصر ٱبنه محمودا فى قَيْسارِيَّةَ فتُوُفِّيَ وهو محاصر لها فى منتصف شعبان سنة ثمان وثمانين وخمسمائة .

وٱستقلَّ (غياثُ الدين كيخُسْرَوْ) بقُونِيَةَ وما والاها .

ثم ملكها من يده أخوه (نورُ الدين محمود) .

ثم ملك (قطبُ الدين) صاحبُ أقْصَرا وسِيوَاس قَيْسارِيَّةَ من يد أخيه محمود غَدْرا ، ثم مات قطبُ الدين فى أَثَر ذلك .

فملك أخوه (ركنُ الدين سليمان) صاحبُ دُوقاط ما كان بيد أخيه قطبِ الدين من سِيواسَ وأقْصَرا وقَيْسارِيَّةَ . ثم ملك قُونِيَةَ بعد ذلك من يد أخيه غياثِ الدين . ثم ملك أماسِيَةَ ؛ ثم سار إلىٰ مَلَطْيَةَ ، فملكها من يد عز الدين قيصر شاه سنة سبع وتسعين وخمسمائة . ثم ملك أَنْكُورِيَةَ بعد ذلك فى سنة إحدىٰ وستمائة ؛ وآجتمع لركن الدين سليمان سائرُ أعمال إخْوته وتوفى عَقِب ذلك .

وتولَّى بعده آبنُه (قليج أرسلان) فأقام يسيرا ثم قبض عليه أهلُ قُونِيَةَ ومَلَّكُوا عمه غياثَ الدين كَيخُسْرَوْ مكانَه فقوِىَ مُلْكه وعَظُم شأنه ، وبقى حتّٰى قُتِل فى حرب صاحب القُسْطَنْطِينِيَّة سنة سبع وستمائة .

وملك بعده آبنه (كَيكَاوس) وتلقب الغالبَ بالله ، وبقِىَ حتّٰى مات سنة ستَّ عشرةَ وستمائة ، وخلَّف بنين صغارًا .

وملك بعده أخوه (علاءُ الدين كَيقُباد محمد شاه) وبقِىَ حتّٰى توفِّى سنة أربع وثلاثين وستمائة .

وملك بعده آبنه (غياث الدين كيخُسْرَوْ) وتوفى سنة أربع وخمسين وستمائة .

وملك بعده ابنه (عَلَاءُ الدين كَيقُباد) بعهدٍ من أبيه . وفى أيامه أرسل القان (منكوقان بن جنْكِزْخان) صاحب التخت بقَراقُوم عسكرا فاستولَوْا علىٰ قَيْسارِيَّةَ ومسيرةِ شهرٍ معها ورجعوا إلىٰ بلادهم . ثم عادوا فى سنة خمس وخمسين وستمائة وآستولَوْا علىٰ ما كانوا آستولَوْا عليه أوّلا وزادُوا عليه ؛ فسار علاء الدين كيقُباد إلىٰ القان بَهَدايَا آستصحبها معه مُصانِعًا له فمات فى طريقه ؛ فوصل رُفْقَتُه بما معهم من الهدايَا إلىٰ القان ، فأخبروه الخبرَ ، ورَغِبوا إليه فى ولاية (عز الدين كَيكَاوس) أخى كيقُباد المذكور فكتب القانُ إليه بالولاية ؛ ثم أشْرِكَ بعد ذلك بينه وبين أخيه

(ركن الدين قليج أرسلان) علىٰ أن يكون من سِيوَاس إلىٰ تُخُوم القسطنطينيَّة غربا لعز الدين كِيكَاوس . ومن سيواس إلىٰ أرزَنْ الرُّوم شرقا متصلا ببلاد التتر ، لركن الدين قليج أرسلان ، علىٰ إتاوة تُحْمل إلىٰ القان بقَراقُوم ؛ وجهَّز القانُ من أمرائه أميرا ٱسمه (بيدو) علىٰ أن يكون شِحْنَةً له ببلاد الروم ، لا ينفِّذون فى شىء إلا عن رأيه ، ورجعُوا إلىٰ بلادهم ، وقد حملوا معهم جُثَّةَ كِيقُباد إلىٰ قُونِيَةَ فدفنوه بها . ولم يزل الأمرُ علىٰ ذلك حتّٰى سار هولاكو بن طولى بن جنكزخان بعد ٱستيلائه علىٰ بغداد إلىٰ الشام فى سنة ثمانٍ وخمسين وستمائة ، بعث إلىٰ عز الدين كِيكَاوس ، وركن الدين قليج أرسلان المذكورين بالطَّلَب ، فحضرَا إليه وحَضَرا معه فتح حَلَب ، ومعهما مُعين الدين سليمان البرواناه صاحب دقليم ، فاختار هُولاكُو أن يكون البرواناه المذكور سفيراً بينه و بينهما ؛ ثم هلك بيدو الشِّحْنة ببلاد الروم .

وولى بعده ٱبنه (صمغان) ثم غلب ركنُ الدين قليج أرسلان علىٰ أخيه (عز الدين كِيكَاوس) و بقى فى الملك وحده ، وفرّ كيكاوس إلىٰ (ميخائيل اللشكرى) صاحب القسطنطينِيَّة ، فأقام عنده حتّٰى بلغه عنه ما غيَّر خاطِرَه عليه فقبض عليه وٱعتقله حتّٰى مات .

وٱستبدّ ركن الدين قليج أرسلان بسائر بلاد الروم ، فغلب علىٰ أمره معينُ الدين سليمان البرواناه المقدَّم ذكره ، ولم يزل حتّٰى قتله .

وأقام ٱبنَه (غياثَ الدين كِيخُسْرَو) بن قليج أرسلان مكانَه وٱستولىٰ عليه وحجره ، وصار البرواناه هو المستولى علىٰ بلاد الروم والقائم بملكها .

ثم دخل (الظاهر بِيبَرْس) صاحبُ الديار المصرية إلىٰ بلاد الروم فى سنة خمس وسبعين وستمائة ، ولقيه صمغان بن بيدو الشِّحْنة من جهة التتار علىٰ بلاد الروم

فى جيش التَّـتَر، فهزمهم وقَتَل وأَسر، وسار إلىٰ قَيْسارِيَّةَ فملكها وجلس علىٰ تخت آل سَلْجُوق بهـا ، ثم رجع إلىٰ بلاده .

وبلغ ذلك (أبغا) بن هُولاكُو صاحب إيران، فسار فى جموعه إلىٰ قَيْسارِيَّةَ ورأىٰ مصارِعَ قومه فشَقَّ عليه، وآتهم البرواناه فى ممالأة الظاهر، فقبض عليه وقتله .

وآستقلَّ (غياثُ الدِّين كيخُسْرَو) بن ركن الدين قليج أرسلان بالملك بعده .

ثم لمـا وَلِىَ (أرغون) بن أبغا مملكة إيران بعد أبيه، قبض علىٰ غياث الدين كيخُسْرَو وقتله فى سنة إحدىٰ وثمانين وستمائة .

وأقام مكانَه (مسعودا) آبن عمه كيكَاوُس ، وعزل صمغانَ بن بيدو الشِّحْنة . وولَّى مكانه أميرا آسمـه (أولاكو) وبقى مسـعودُ بنُ كيخُسْرَوْ فى المُلْك وليس له منـه سِوىٰ الآسم، والمتحدِّث هو الشِّحْنة الذى من جهة التتر إلىٰ أن مات فى سنة ثمـانَ عشرَة وسبعمائة، وآستقلَّ الشِّحْنة بالمَمْلكة . وبقى أمراء التتر يتغالَبُون علىٰ الشِّحنكِيَّة واحدا بعـد واحد إلىٰ أن كان منهم الأمير (سَلَامش) وبقِىَ بها مدَّةً . ثم آنحرف عن طاعة بيت هُولاكُو صاحبِ إيران ، وكتب إلىٰ الملك المنصور لاچين صاحبِ الديار المصرية يطلب تقليـدا بأن يكون حاكما بجميع بلاد الرُّوم ، وأن يكون (أولاد قرمان) ومَنْ عداهم فى طاعتـه؛ فكُتِب له تقليدٌ بذلك بإنشاء الشيخ شهاب الدين «محمود الحلبى» علىٰ ماسيأتى ذكره فى الكلام علىٰ التقاليد فيما بعدُ إن شاء الله تعالىٰ فى المقالة الخامسة .

ثم خاف علىٰ نفسه من (غازان) صاحب إيران، ففرّ إلىٰ الديار المصرية فى الدولة المنصورية لاچين؛ ثم عاد إلىٰ بلاد الروم لإحضار مَنْ تأخّر من أهله فقبضتْ عليه

عساكرُ غازان وحملته إليه فقتله . ولم يزل أمرُهم على التنقل من أمير إلى أمير من أمراء التتر إلى أن كان منهم الأمير (برغلى) وهو الذى قتل هيتوم ملك الأرمن صاحب سِيس .

ثم كان بعده فى سنة عشرين وسبعمائة الأمير (إَيْشُبغَا) .

ثم ولّى أبو سعيد صاحبُ إيرانَ بعد ذلك على بلاد الرُّوم هذه (دَمرْداش) آبن جُوبان سنةَ ثلاثٍ وعشرين وسبعمائة فقَوِى بها مُلْكه . ثم قتل أبو سعيد جُوبانَ والدَ دَمرْداش المذكور ، فهرب دَمرْداش إلى الملك الناصر محمد بن قلاوون صاحب الديار المصرية . وكان سُنْقر الأشقرُ أحد أمراء الملك الناصر قد هرب إلى السلطان أبى سعيد فوقع الصلحُ بين السلطانين على أن كلًّا منهما يقتل الذى عنده ففعلَا ذلك .

وكان قد بقِىَ ببلاد الروم أميرٌ من أمراء دَمرْداش اسمه (أرتنا) فبعث إلى أبى سعيد بطاعته ، فولّاه البلادَ فملكها ؛ فنزل سِيواسَ وآتخذها كرسيا لمُلْكه ؛ ثم خرج عن طاعة أبى سعيد وكتب إلى الناصر «محمد بن قلاوون» صاحب الديار المصرية ، وسأله كتابةَ تقليدٍ بالبلاد ، فكتَب إليه بذلك وجُهِّزت إليه الخِلَعُ ؛ فأقام دعوةَ الخطبة الناصريَّة على منابر البلاد الرُّوميَّة ، وضرب السِّكَّة بآسمه ، وجهَّز بعضَ الدراهم المضروبةِ إلى الديار المصرية ؛ وصارتْ بلادُ الروم هذه من مُضافاتِ الديار المصريةِ ، ولم يزل (أرتنا) على ذلك إلى أن تُوُفِّى سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة .

وآستولى على الروم أولادُه من بعده إلى أن كان بها (محمد بن أرتنا) فى سنة ست وستين وسبعمائة ، وبقِىَ حتّى تُوفِّى فى حدود الثمانين والسبعمائة وخلَّف آبنا صغيرا .

فاستولى عليه الأمير (قليج أرسلان) أحد أمراء دولتهم وكَفَله .

ثم غدر به (القاضى إبراهيم) صاحب سِيواس وقتله فى سنة ٱثنتين وتسعين وسبعمائة وٱستولىٰ علىٰ مملكة سِيواس .

قال فى "العبر" : وكان من طوائف التُّرْكُمان ببلاد الروم جموعٌ كثيرة ، كانوا يستعِينُون بهم فى حروبهم علىٰ أعدائهم ؛ وكان كبيرُهم فى المِـائة الرابعة أميرا من أمرائهم ٱسمه (جق) فلما ملك سليمانُ بن قطلمُش المقدّم ذكره قُونِيَة وأقْصَرا بعد أبيه علىٰ ماتقدّم ذكره، خرج جق هذا مع « مسلم بن قُرَيش» صاحب المَوْصِل علىٰ سليمان بن قطلَمُش . فلما ٱلتقىٰ الجمعان مال (جق) بمَنْ معه من التُّرْكُمان إلىٰ سليمان بن قطلمُش ، فٱنهزم مسلم بن قريش وقُتِل ؛ وأقام أولئك التُّرْكُمان أيامَ سليمان بن قطلمش بجبال تلك البلاد وسواحلها . فلما ملك التترُ هذه البلادَ وصار الملك لقليج أرسلان بعد غلبة أخيه كيكاوُس ، كان أمراءَ التُّرْكُمان يومئذ (محمد بَكْ) وأخوه (إلياسُ بك) وصهره (على بَكْ) وقريبه (سونج) فخرجوا عن طاعة قليج أرسلان و بعثوا بطاعتهم إلىٰ هُولاكو صاحب إيران وتقريرِ إتاوةٍ عليهم علىٰ أن يبعث إليهم بلواء المُلْك علىٰ عادة المُلُوك ، وأن يبعثِ شِحْنَةً من التتر تختصُّ بهم ؛ فأجابهم إلىٰ ذلك وقلَّدهم الملكَ وبعث إليهم بلِوَاء . فملَّكوا عليهم (محمد بَكْ) .

ثم أرسل هُولاكو يطلب محمد بَكْ ، فامتنع عليه وخالفه صهرُه علىٌ بك فقدِمَ علىٰ هولاكو فقدّمه علىٰ قومه مكانَ محمد بك . ثم جاء محمد بك إلىٰ قليج أرسلان صاحب بلاد الروم مستأمِناً فأمّنه ثم قتله ؛ وٱستقرّ على بك فى إمرة التُّرْكُمان .

ولما تناقص أمر التتر وضَعُف ببلاد الروم المذكورة وٱستقرّ بنو أرتَنا بسيواس وأعمالها ؛ غلَبَ هؤلاء [(١)] علىٰ ماوراء الدروب وما كان فتحه التترُ من نواحى الشمال إلىٰ خليج القسطَنْطِينِيَّة .

وٱشتهر من ملوكهم ستُّ طوائفَ :

(١) فى الأصل «ثم غلب هولاكو الخ» وهو خطأ والصواب ماأثبتناه نقلا عن "العبر ج ٥ ص ٥٦٢".

الطائفـــــة الأولى
(أولاد قَرْمان)

وهم أصحاب أَرْمِنَاكَ وقَسْطَمُونِيَةَ وما والاها من شرق هذه البلاد كما تقدّم . قال في "مسالك الأبصار" : وهم أهلُ بيتٍ توارثُوا هذه البلاد، ولايُخاطَبُ قائم منهم إلا بالإمارة . قال في "التعريف" : وهم أجلُّ من لَدىٰ ملوكنا من التُّرْكمان : لقرب ديارهم ، وتواصل أخبارهم ، ولنكايتهم في متملّك سِيسَ وأهلِ بلاد الأرمن ، وآجتياحِهم لهم من ذلك الجانب، مثلَ آجْتِياح عساكرنا لهم من هذا الجانب . قال : وأكبرهم قَدْرا ، وأفتكُهم نابًا وظُفْرا، الأمير (بهاء الدين موسىٰ) وحضر إلىٰ باب السلطان وتُلُقِّيَ بالإجلال ، وأُحِلَّ في ممتــدّ الظِّلال ، وأُورِد مواردَ الزُّلال، وأُرِيَ مَيامِنَ أسعدَ من طلعــة الهِلال، وحَجَّ مع الركب المِصْرىّ وقضىٰ المناسك ، وأسبَلَ في ثَرىٰ تلك الرُّبا بقيَّــةَ دمعه المتُماسِك ، وشكر أمراءُ الركبِ دِينَه المتين ، وذكروا ما فيه من حُسْن اليقين، وعاد إلىٰ الأبواب السلطانية ، وأجلس في المرتين مع أمراء المَشُورة، فأُشْرِكَ في الرأى وسأل الســلطان في مَنْشور يُكتَبُ له بمـا يفتَحُ بسيفه من بلاد الأرمن ليقاتل بعَلَمه المَنْشُور، ويجتنِيَ من شجر المُرّان جَنىٰ عسَله المَشُور، فكتبه له .

ثم قال : وهم علىٰ ماهم عليه يدارون مُلُوك التتار ، وهو ومَنْ سلف من أهل بيته مع ملوك مصر لاتُغِبُّ المكاتَبات بينهم، ولا يَنْقَطع بذل خدمته لهم، وإقبالُهم عليه، وآعتدادُهم بموالاته .

قال في "مسالك الأبصار" : وهم عُصْبة ذاتُ أيْد ويَدْ، وجُيوش كثيرة العَدَد، وهم أصحاب الحروب التي ضَعْضعت الجبال ؛ ولهم مع الأرمن وبلاد التّكْفور، وقائع

لا يجحَدُها إلا الكَفُور ، تخطَّفهم عِقبانهم القَشَاعِم [وتلتزمهم](١) أُسُودهم الضَّراغِم .
قال : وهم أهل بيت ألقى اللهُ عليهم محبةً منه ، وإذا شاء أميرهم جمع أربعين ألفا .
ثم ذكر بعد ذلك بكلام طويل أنهم هم الذين كانوا ألَّفُوا بين سلامش وبين المنصور لاچين ، وأنهم هم الذين لا يُرْتاب فى رأيهم ، ولا يُطْعَن فى دِينهم ، بل مهما ورد من جهتهم تُلُقِّىَ بالقبول ، وحمل علىٰ أحسن المحامل . ثم قال : وحُكِىَ عمَّن تردّد إليهم وعَرَف ماهم عليه أنهم رجالُ صِدْق ، وقومُ صَبر ، لا تُستَخَفُّ لهم حَفِيظه ، ولا تُرَدّ بحَنَقها لهم صُـدورٌ مَغِيظه ؛ ولهذا أمراءُ الرُّوم لايطَـئُون لهم مَوْطِئًا يَغِيظ ، ولايُواطِئُون لهم عدّة شُهور فى مَشْتًى ولامَقِيظ ؛ وما أحدٌ ممن يحسُدُهم علىٰ ما آتاهم الله من فضـله إلا مَنْ يستجيش عليهم بالتتار ، ويعـدّدُ عليهم عِظامَ الذنوب الكِبَار ؛ ووقايةُ الله تَكْفِيهم ، وحياطتـه عن عيون القوم تُخْفِيهم ؛ ولذلك كان السلطان (محمود غازان) يقول : أنا أطلُب الباغِىَ شرقا وغربا ، والبـاغى فى ثَوْبى ، يريد أولاد قَرْمان وتُرْكُمان الروم [ومع هذا لم يسلَّطْ عليهم](٢) .

وحكى عن الصدر شمس الدين عبـد اللطيف أخى النجيب أنه قال يوما : لولا الأكراد وأولاد قَرْمان وتُرْكُمان الروم ، دُسْتُ بخَيْلِى مَغْرِبَ الشمس .

الطائفة الثانيـــــــــة

(بنو الحميـد)

وهم أصحاب أَنْطالِيَا وفَلَكْ بار علىٰ ماتقدّم ذكره ، وهم من عظماء ملوك التُّرْكُمان .

---

(١) بياض بالاصل والتصحيح عن "مسالك الابصار" .

(٢) الزيادة من المسالك .

الطائفة الثالثة

(بنو أيدين)

وهم أصحاب بِرِكِى وما معها، على ماتقدّم ذكره . قال فى "مسالك الابصار" وقد ذكر محمد بن أيدين صاحب بركى المذكورة : وهذا ٱبنُ أيْدِين ما أعرِفُ أن له بمن حوله من ملوك الممالك إلْماما، ولا أنَّ له أخبارا تَرِدُ طُروقا ولا إلْماما ؛ بل هو فى عُزْلة من كل جانب، لامخالِطَ ولا مُجانِب .

الطائفة الرابعة

(بنو منتشا . وهم أصحاب فولة وما معها)

وقد ذكر فى "مسالك الأبصار" : أن منهم أولاد دندار . ثم قال : ولهؤلاء بَنِى دندار إلى ملوك مصر ٱنتماء، ولهم من تُحَف سلاطينها نَعْماء . قال : وكان بمصر منهم من له إمْرة فيها ثم عاد إلى بلاده بعد مَهْلِكِ تَمرْتاش بن جُوبان ، لأنه كان قد ترك بلاده لأجله ، وفرّ هاربًا من يده لعَداوةٍ كانت قد ٱضْطَرمت بينهما شُرورُها، وٱضطربت أمورُها، فلمّا خلتْ من مجاورة تَمرْتاش تلك البلادُ، عاد . ويقال : إنه قُتِل ولم يصل إلى بلاده .

الطائفة الخامسة

(بنو أُورْخان بن عثمان جَقْ)

وهو صاحب بُرْسا على ماتقدّم ذكره . قال فى "العبر" : وكان قد ٱتخذ بُرْسَا دارًا لملكه ، ولكنه لم يفارق الخيامَ إلى القُصور ، وإنما كان يَنْزِل بخيامه فى بَسِيطها وضواحيها ولم يزل على ذلك إلى أن مات .

وملك بعده ٱبنُه (مرادبَكْ) وتوغَّل فى بلاد النصرانية فيما وراءالخليج القُسْطَنْطِينِىّ فى الجانب الغربىّ ، وفتح بلادهم إلىٰ أن قَرُب من خليج البنادقة ، وجبال جَنَوة، وصير أكثرهم أُمراءَ ورعاياً له، وعاث فى بلاد الكُفَّار بمـا لم يُعْهَد قبله من مثله ؛ وأحاط بالقُسْطَنْطِينِيَّة من كل جانب حتّٰى أعطاه صاحبها الجِزيةَ. ولم يزل علىٰ ذلك حتّٰى قُتِل فى حرب الصَّقَالبة سنة إحدىٰ وتسعين وسبعمائة .

وملك بعده ٱبنه (أبو يَزِيدَ) فجرىٰ علىٰ سَنَن أبيه، وغلب علىٰ قِطْعةٍ من بلاد الروم هذه فيما بين سِيوَاسَ وأَنْطالِيَا والعَلَايا ، بساحل البحر إلىٰ قريب مدينة بنى قَرْمان ؛ ثم تزوّج فى بنى قَرْمان بنتَ أحدهم وغلب علىٰ ما بيـــده من تلك النواحى ؛ ودخل بنو قَرْمان وسائر التُّرْكُمان فى طاعته، ولم يبق خارجًا عن مُلْكه إلا سِيواسُ التى كانت بيـــد قاضيها (إبراهـــيم) المتغلِّب عليها ومَلَطْيَـــةُ الداخلةُ فى مملكة الديار المصرية ومضافاتها علىٰ ماتقدّم . ولم يزل علىٰ ذلك حتّٰى قصده تُمرلنك بعـــد تخريب الشام فى سنة ثلاث وثمـــانمـــائة وقبض عليه، فبقى فى يده حتّٰى مات .

وملك بعده ٱبنه (سليمانُ جلبى) وبقى حتّٰى مات .

فملك بعـــده أخوه (محمد بن أبى يزيد) بن مُراد بَك بن عثمان جق، وهو القائم بمملكتها إلىٰ الآن .

قال فى "مسالك الأبصـــار" : ولو قد ٱجتمعت هـــذه البلاد لسلطانٍ واحد، وكُفَّت بهـــا أَكُفُّ المفاسد، لمـــا وسِع ملوكَ الأرض إلا ٱنتجاعُ سَحابه، وٱرتجاع كل زمانٍ ذاهبٍ فى غير جَنَـــابه ، ثم قال : الله أكبر إن ذلك لَمُلْكٌ عظيم، وسِلْك نظيم ؛ وسلطنة كبرىٰ ودنيا أخرىٰ ﴿ذلك فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ .

———

الجملة الخامسة

(فى زىّ أهل هذه المملكة ، وترتيب الملك بها)

أما زىّ أهلها فإن لِبْس السلطان والأمراء والجُنْد أقبيةٌ تترِيّة ضيقة الأكمام، مَزَنّدة علىٰ الأكُفّ، والأمراء منهم يلبَسُون فوق ذلك أقبيةً قصارَ الأكمام من رقيق الخام مضرَّبة تضريبًا واسعًا، وعلىٰ رءوسهم عمائم من لانس متوسطةُ المقدار بين الكبر والصِّغَر، مكوَّرةٌ تكويرا خاصًّا، حسَنَ الصَّنْعة، متداخِلَ بعض اللفَّات فى بعض، ويلبَسُون خفافا من أدَم، وقد شاهدت أميرا من أمرائهم ورَدَ رسولا عن أبى يزيد آبن مراد بك بن عثمان إلىٰ الظاهر « برقوق » صاحب الديار المصرية وهو علىٰ هذه الهيئة، وكثير من الجُنْد يلبَسُون الطراطيرَ البِيض والحمر المتخذة من اللبد .

⁂

وأما ترتيب مملكتهم فلم تتحرّر لى كيفية ذلك إلا أنه قد تقدّم نقلا عن صاحب "العبر" أنهم كانوا يسكنون الخيم ثم نزلوا المدن بعد ذلك، فلا يبعد أن يكون ترتيب ملكهم على نحو من ترتيب التتر والله أعلم .

القسم الثانى

(من الجهة الشمالية عن الديار المصرية ، مابيد ملوك النصارىٰ)

وهو ثلاثة أضرب :

الضرب الأوّل

(جزائرُ بحر الروم)

وهو البحر الشامىُّ الممتدُّ من البحر المحيط الغربىّ ، المسمّٰى (بحر أوقيانوس) إلىٰ ساحل الشام وما علىٰ سَمْته من بلاد الأرمن الممتدّ ساحله الجنوبىّ علىٰ ساحل

الديار المصرية، ثم على ساحل بَرْقة، ثم على ساحل أفرِيقِيّة، ثم على ساحل الغرب الأوســط ، ثم على ساحل الغرب الأقصى إلى البحر المحيـــط . وساحلُه الشَّمالىّ على بلاد الرُّوم التى شرقىَّ الخليج القسطنطِينِىّ ، ثم على سواحل بلاد الروم والفَرَنْجة من غربىّ الخليج المذكور إلى ساحل الأندَلُس إلى البحر المحيط، على ماتقدّم ذكره فى الكلام على البحار فى أوّل هذه المقالة .

وبه إحدى عشرةَ جزيرةً :

إحداها — جزيرة (قُبْرُس) . قال فى "اللباب" : بضم القاف وسكون البـاء الموحدة وضم الراء المهملة وفى آخرها سـين مهملة . وموقعها فى الإقليم الرابع من الأقاليم السـبعة قال فى "الأطوال" : حيثُ الطولُ سـبع وخمسون درجة ، والعرض خمسٌ وثلاثون درجة . وهى جزيرة فى مَشَارق هذا البحر . قال ابن سعيد: على القُرْب من ساحل الشام بينها وبين الكُرْك[(١)] (بضم الكاف وسكون الراء المهملة من بلاد الأرمن) نحو نصف مجرى . قال : وطولها من الغرب إلى الشرق مائتا ميل، ولهـا ذَنَب دقيق فى شرقيها . قال الإدريسى : ودَوْرها مائتان وخمسون ميـلاً ؛ ولصاحبها مكاتبةٌ تخصه عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية، على ماسيأتى ذكره فى الكلام على المكاتبات، فى المقالة الرابعة إن شاء الله تعالى .

الثانية — (جزيرة رُودِس) . قال فى "تقويم البُلْدان": بضم الراء المهملة ثم واو ساكنة ودال مهملة ويقال معجمة مكسورة ثم سين مهملة . وموقعها فى الإقليم [الرابع][(٢)] من الأقاليم السبعة قال فى "الأطوال" : حيثُ الطولُ إحدى وخمسون درجة وأربعون دقيقة، والعرضُ ستٌّ وثلاثون درجة . قال فى "تقويم البُلْدان" : وهى

(١) كذا فى التقويم أيضا بالكاف فى الآخر ولعله بالجيم .

(٢) بياض بالاصل، والتصحيح عن "تقويم البلدان" .

على حِيَال الإسكندرية، بين جزيرة المَصْطَكَى وجزيرة أقريطش . قال: وآمتدادها من الشَّمال إلى الجنوب بانحراف نحوُ خمسين ميلا ، وعرضُها نصفُ ذلك . وبين هـذه الجزيرة وبين ذَنَب جزيرة أقريطش مجرًى واحدٌ ، وهى فى الغرب عن جزيرة قُبْرس بانحراف إلى الشمال . قال : وبعضها للفَرَنْج ، وبعضها لصاحب اصطنبول (وهى القُسْطَنْطِينِيَّة) ومن رُودِس يُجْلَب العسل الطيبُ العدِيمُ النظير ؛ ولصاحبها مكاتبة تخصه عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية .

الثالثـة — (جزيرة أقْرِيطش) . قال فى "اللباب" : بفتح الألف وسكون القاف وكسر الراء المهملة وسكون اليـاء المثناة من تحت وكسر الطاء وشين معجمة فى الآخر . قال فى "الروض المِعْطار" : سمِّيت بذلك لأن أوّل من عَمَرها كان آسمه (قراطى) قال : وتسمى أيضا (أقريطش البتراليش) ومعناها بالعربية مائة مدينة . وهى على سَمْت بَرْقة ، وموقعها فى الإقليم الخـامس من الأقاليم السبعة ، قال آبن سـعيد : ومدينتها حيث الطولُ سبع وأربعون درجة وثلاثون دقيقـة ، والعرضُ أربعون درجةً وثلاثون دقيقة . قال آبن سـعيد : وهى جزيرةٌ عظيمة مشهورة ، وآمتدادها من الغرب إلى الشرق ودَوْرها ثلثُمائةٍ وخمسون ميلا. وقيل : هذه الأميال إنمـا هى طولها شرقًا بغرب لادَوْرها ؛ وذكر فى "كتاب الأطوال" أن دَوْرها سبعةَ عشرَ يوما . قال فى "تقويم البُلْدان" : ومنها يجلب إلى الإسكندرية العَسَلُ والجُبْن وغير ذلك. قال فى "الروض المعطار": وهى جزيرة عامرة، كثيرةُ الخِصْب، ذاتُ كروم وأشجار ، وبهـا معدِنُ ذهبٍ . وأكثرُ مواشيها المَعَز، وليس بها إبِلٌ؛ ولم يكن بها سَبُع ولا ثَعْلب ولا غيرهما من الدوابِّ الدابَّة بالليل، وكذلك ليس بهـا حَيَّة ، وإن دخلت إليها حيَّة ماتت فى عامها . ويقال : إن صناعة المُوسيقَى أوّل ماظهرت بها ؛ وبينها وبين ساحل بَرْقة يومٌ وليلة ، وبينها وبين قُبْرس أربعة مجارٍ ،

وإليها ينسب الأَنْتِيمون الأَقْرِيطِشيّ المستعمَل فى الأدوية . وكان « عبـد الله بن أبى سرح» أميرُ مصر قد آفتتحها فى زمان إمارته فى خلافة «عثمان» رضى الله عنه، وبقيت بأَيْدِى المسلمين حتّى تغلب عليها النصارىٰ فى سنة خمس وأربعين وثلثمائة . قال فى "الروض المِعْطار" : وهى بيد صاحب القُسْطنطِينِيَّة .

الرابعة — (جزيرة المَصْطَكَى) بفتح الميم وسكون الصاد وفتح الطاء المهـملة والكاف وألف فى الآخر . وسمِّيت بذلك لأنه ينبُت بهـا شجر المَصْطَكىٰ . قال فى "تقويم البُـلْدان" : وهى جزيرة بالقُرْب من فَم الخليج القُسْطَنْطِينى . وقال آبن سـعيد : هى داخلةٌ فى بحر الروم علىٰ مائة وخمسين ميلا من فَم الخليج القُسْطَنْطِينى . قال : وطولها من الشَّمال إلىٰ الجنوب نحوُ ستين ميلا . قال : وهى شرقىّ (جزيرة التغريب) وبينهما نحوُ ثلاثين ميلا . قال فى "تقويم البُلْدان" : وبهـا دُيورةٌ وقُرًى ، ومنها تجلب المَصْطَكىٰ إلىٰ البلاد، وهى صَمْغ شجر ينبُت بها يُشبِه شجر الفُستُق الصغار، يُشْرَط فى فصل الربيع بمَشَارِيط فتسيل منها المَصْطَكىٰ، ثم تجمُد علىٰ الشجر، وربمـا قَطَر منه شىء علىٰ الأرض ، والأوّل أجود .

الخامسة — (جزيرة التَّغْرِيب)[1] بالتاء المثناة فوق المفتوحة وسكون الغين المعجمة وكسر الراء المهملة وياء مثناة تحتُ وباء موحدة فى الآخر. قال فى "تقويم البُلْدان": وهى من الغُرْبة ، وموقعها فى أواخر الإقليم السـادس من الاقاليم السـبعة . قال آبن سعيد : وطَرَفُها الشرقىّ حيثُ الطولُ ثمـانٌ وأربعون درجة وخمسون دقيقة، والعرضُ آثنتان وأربعون درجةً وخمسٌ وخمسون دقيقة . وهى جزيرة كبيرة فى الغرب عن جزيرة المَصْطَكىٰ المقدّم ذكرها، وامتدادها من المغرب إلىٰ المشرق بانحراف إلىٰ

(١) سماها فى تقويم البلدان "جزيرة النقربنت" وذكر أن فى بعض النسخ «التغريب» كما هنا .

الجنوب مائةٌ وخمسون ميــلا ، وفى العرض من عشْرين ميلا إلىٰ نحو ذلك . قال فى "تقويم البُلْدان" : وهى معروفة بخروج الشّوانى والقطائع منها .

السادسة — (جزيرة لَمْرِيَا) . قال فى "تقويم البُلْدان" : بفتح اللام وسكون الميم وكسر الراء المهملة ثم ياء مثناة تحتية وألف فى الآخر . قال : وعن بعض المسافرين أن بعد المثناة هاء . قال آبن سعيد : وتُعْرَف فى الكتب بجزيرة بلونس ، وموقعها فى الإقليم السادس من الأقاليم السبعة . قال آبن سـعيد : ووسَطُها حيثُ الطولُ خمس وأربعون درجة وآثنتان وأربعون دقيقــة ، والعرضُ ثلاثٌ وأربعون درجة وثلاثَ عشرةَ دقيقة . قال : وهى أكبر جزائر الرُّوم ودَوْرها علىٰ التحقيق سبعُمائة ميل ، وفيها أخوار وتعريجات، ومدينتها فى وسطها .

السابعة — (جزيرة صَقَلِّيَة) . قال فى "اللباب" : بفتح[(1)] الصاد المهملة والقاف ولام وياء مثناة من تحت وهاء فى الآخر . وموقعها فى الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة ، وبين ذنبها الغربىّ وبين تونس مَجْرًى وستون ميلا ، ودَوْرها خمسمائة ميل . وهى علىٰ صورة شكلٍ مثلَّث حادِّ الزاوية : فالزاوية الأولىٰ شَمَالية ، وهناك المجاز الضيق إلىٰ الأرض الكبيرة (يعنى التى وراء الأندَلُس) وهو نحو ستة أميال . والزاوية الثانية جنُوبيَّة ، وهى تقابِل برّ طَرابُلُس من أفريقيَّــة من بلاد الغرب . والزاوية الثالثة غربيَّة ، وهناك (بركان النار) فى جزيرة صغيرة منقطعة شَمَــالىَّ الزاوية المذكورة ، وشمَــالِىَّ صَــقَلِّية بلاد قلفريَةَ الآتى ذكرها فى الكلام علىٰ الضرب الثــانى . قال فى " تقويم البُلْدان " : وصاحب صَقَلِّية فى زماننا هــذا فَرَنْجِىّ من الكِيتلان آسمه الريد افريك .

---

(١) ضــبطها ياقوت بثلاث كسرات وتشــديد اللام والياء ثم قال وأكثر أهــل صقلية يفتحون الصاد واللام .

وقاعدتها مدينة (بَلَزْم) بفتح الباء الموحدة واللام وسكون الزاى المعجمة وميم فى الآخر . قال ابن سـعيد : وهى حيثُ الطولُ خمس وثلاثون درجةً ، والعرضُ ستٌّ وثلاثون درجةً وثلاثون دقيقة . وبها عِدّةُ مُدُن غير هذه القاعدة .

منهـا مدينة (مازَر) . قال فى "المشترك" : بفتح الزاى المعجمة وبعدها راء مهملة ، وإليها ينسب "الإمام المازَرِىُّ المالكى" شارح "موطإ مالك" وغيره .

ومنها (قَصْرُ يانَّةَ) بلفظ قصر المعروف ، ويانَّةُ بفتح اليـاء المثناة تحتُ وألف ونون مشدّدة ، وهى مدينة كبيرة علىٰ سِنِّ جبل .

الثامنة ـ (جزيرة سُردانِيَةَ)[1] . قال فى "تقويم البُلْدان" : بضم السـين وكسر الراء وفتح الدال المهـملات ثم ألف ونون مكسورة وياء مثناة تحت مفتوحة وهاء فى الآخر . قال : واسمها بالفَرَنْجية صُردانِى ، يعنى بابدال السين صادا مهملةً وحذف الهـاء من الآخر . وهى غربىّ الجُزُر المتقدّمة الذكر . وموقعُها فى الإقليم الرابـع بين مَرْسىٰ الخَـرَز من البر الجنوبىّ وبين مملكة بِيزَةَ من البَرِّ الشمالىّ . قال فى "الأطوال" : وطولُها إحدىٰ وثلاثون درجة ، وعرضُها ثمانٌ وعشرون درجة . قال ابن سـعيد : وامتدادُها من الطول من الشمال إلىٰ الجنوب مجرًى ونصف ، وفى غربيها مَغَاص المَرْجان الفائق الذى ليس له نظيرٌ، وبها معدِنُ فِضّة ، وهى الآن بيد الفَرَنج الكِيتْلانيين ، ولِمَلِك الكِيتلان نائبٌ بها .

التاسعة ــ (جزيرة قَرْسَقَة) بفتح القاف وسكون الراء المهملة وفتح السين المهملة والقاف وهاء فى الآخر . وهى مقـابل (جَنَوة) الآتى ذكرها فى الضرب الثـانى ؛

(١) فى المعجم بفتح أوّله وسكون ثانيه .

وبينها وبين سَرْدانِيَة المتقدّمة الذكر مجازٌ نحوُ عشرة أميال ؛ وآمتدادُها من الشّمال إلى الجنوب مجرًى ونصف، ووسطها متّسع، ورأسها من جهة جَنَوة ضَيّق .

العاشرة — (جزيرة أنكَلَطْرة) بألف ونون ساكنة وكاف مفتوحة ولام مفتوحة وطاء مهملة ساكنة وراء مهملة مفتوحة وهاء فى الآخر . قال آبن سعيد : ويقال (أنكَلْترة) بابدال الطاء تاء مثناةً من فوقُ . قال : وطُول هذه الجزيرة من الجنوب إلى الشمال بانحراف قليلٍ أربعمائة وثلاثون ميلا، وآتساعُها فى الوسـط نحو مائتَىْ ميل، وفيها معدِن [الذهب](١) والفِضّة والنّحاس [والقصدير](١) وليس فيها كرومٌ لِشدّة البرد بها، وأهلها يحملُون الذهبَ إلى بلاد الفَرَنج، ويعتاضُون عنه الخمرَ لعدمه عندهم .

وقاعدتُها (مدينة لندرس) بلام ونون ودال وراء وسين مهملات . وصاحب هذه الجزيرة يسمى (الانكِتار) بنون وكاف وتاء مُثناة فوقية وألف وراء مهملة فى الآخر، وهو الذى عقد الهُدنةَ بينـه وبين الملك العـادل « أبى بكرِ بن أيوب » فى سـنة ثمان وثمانين وخمسمائة، والملكُ العـادلُ على عسقلانَ . وكان من أمره أنه لم يحلف على الهُدْنة بل أُخِذَتْ يده وعاهدوه، وآحتج بأن الملوك لا يحلِفُون؛ وكانت الهُدْنة بينهما ثلاث سنين وثلاثة أشهر، أوّلها كانون الأوّل الموافق لحادى عشرى شعبان من السنة المذكورة .

الحـاديةَ عشرةَ — (جزيرة السَّنَاقِر) . جمع سُنْقُر وهو الجارح المعروف المقدّم ذكره فى الكلام على مايحتاجُ الكاتب إلى وصفه فى المقالة الأولى . وهى جزيرة على القُرْب من (جزيرة أنكَلْترة) المقدّمة الذكر . قال آبن سعيد : وآمتدادُها فى الطُّول شرقا بغربٍ سبعةُ أيام، وفى العرض أربعةُ أيام . قال فى "تقويم البُلْدان" : ومنها

(١) الزيادة عن التقويم .

ومن الجزائر التى شماليها تجلب السَّناقِرُ التى هى أشرفُ أنواع الجَوَارِح ، وإلىٰ ذلك أشار فى "التعريف" فى الكلام علىٰ أوصاف السَّنَاقر بقوله وهى مجلوبةٌ من البحر الشامىّ . قلت : وجزيرة جِرْبَةَ تقــدّم ذكرها مع بلاد أفريقيَّةَ . وجزيرة مَيُورْقَةَ وجزيرة يابسةَ وجزيرة قادس تقدّم ذكرها مع جزيرة الأندَلُس .

الضرب الثــانى

(ماشمالىَّ بحر الروم المقدّم ذكرُه من غربىّ الخليج القُسْطَنْطِينىّ ممـا يمتدّ غَرْبا إلىٰ البحر المحيط الغَرْبىّ ، وما يتصل بذلك مما شمالىّ بحر نيطش المعروف ببحر القِرِم إلىٰ أقصىٰ الشمال ، وهو جهتان)

الجهــــة الأولىٰ

(ما هو فى جهة الغرب عن الخليج القُسْطَنْطِينىّ . وهو قُطْرانِ)

القُطْـــــر الأوّل

(ما بين الخليج المذكور وبين جزيرة الأندَلُس ، وما علىٰ سَمْت ذلك . ويشتمل علىٰ ممـالكَ كِبَار وممالكَ صِغار)

فأما الممـالك الكِبَار ، فالمشهور منها خمس ممـالكَ :

المملكة الأولىٰ

(مملـــكة القُسْـــطَنْطِينَة)

قال فى "اللُّبَاب" : بضم القاف وسكون السين المهملة وفتح الطاء المهملة وسكون النون وكسر الطاء الثانيــة وسكون المثناة من تحت ثم نون (يعنى مفتوحة) ثم هاء فى الآخر . قال فى "تقويم البُلْدان" : وتسمّى بُوزَنْطِيا يعنى بالبــاء الموحدة والواو

والزاى المعجمة والنون والطاء المهملة ثم ياء مثناة من تحت وألف فى الآخر . وربما قالوا : بُوزَنْطِيَةُ بابدال الألف هاء . وموقعها فى الإقليم السادس من الأقاليم السبعة قال فى "رسم المعمور" : حيث الطولُ ثمانٌ وأربعون درجةً ، والعرضُ خمس وأربعون درجةً ، ووافقه علىٰ ذلك صاحب "الأطوال" وصاحب "القانون" وآبن سعيد : وهى قاعدة الرُّوم بعد رُومِيَةَ وعَمُّورِيَةَ ؛ وهى المستقِرّة قاعدةَ مُلْك لهم إلىٰ الآنَ .

قال فى "الروض المعطار" : نزل رُوميةَ من ملوك الروم عشرون مَلِكا ؛ ثم نزل عَمُّورِيَةَ منهم مَلِكان ؛ ثم عادت المملكة إلىٰ رُومِيَةَ فنزلها منهم ملكان ؛ ثم ملك (قُسْطَنْطِين) بن هيلانى ، فجدّد بناء بُوزَنْطِيَةَ وزاد فى بنائها ، وسماها قُسْطَنْطِينِيَّةَ نسبةً إليه ونزل بها فصارت دار ملك للرُّوم بعده إلىٰ الآنَ . قال : وهى علىٰ ضَفَّةَ الخليج المُنْصَبِّ من بحر نيطش ومانيطش إلىٰ بحر الرُّوم ، وقد صار هذا الخليج مشهورًا بها ، فيقال فيه (الخليج القُسْطَنْطِينِىّ) كما تقدّم . وجهاتُها الثلاثُ من الشرق والغرب والجنوب إلىٰ البحر ، والجهة الرابعة وهى الشَّمال إلىٰ البَرّ ، وقُطْرها من الشرق إلىٰ الغرب ثمانيةٌ وعشرون ميلا ؛ ولها سُوران من حجارة بينهما فضاء ستُّون ذراعا ، وعَرْض السُّور الداخل آثنا عشر ذراعا ، وآرتفاعه آثنان وسبعون ذراعا ، وعَرْض السُّور الخارج ثمانيةُ أذرع ، وآرتفاعه آثنان وأربعون ذراعا ؛ وفيما بين السُّورَيْنِ نهر يسمّى (قُسْطَنْطِينِيَانُوس) مغطًّى ببلاط من نُحَاس ، يشتمل علىٰ آثنين وأربعين ألفَ بلاطةٍ ، طولُ كلِّ بلاطة ستة وأربعون ذراعا ؛ وعمق النهر آثنان وأربعون ذراعا . ولها نحوُ مائة باب أكبرها باب الذهب : وهو باب فى شَمَالِيِّها ، طوله أحد وعشرون ذراعا ، وهو مضبَّب بالحديد ، وبه أعمدةٌ من ذهب ؛ وبها قصر فى غاية الكِبَر والعُلُوّ ، وطريقه الذى يُتَوصل إليه منه يعرف بالبدندون . وهو من

عجائب الدنيا، يُمْشىٰ فيه بين سَطْرين من صُوَر مفرَّغة من النحاس البديع الصِّناعة علىٰ صُوَر الآدميين وأنواع الخيل والسِّباع وغير ذلك ، وفى القصر ضروب من عجائب المصنوعات .

قال فى "تقويم البُلْدان" : وحكىٰ لى بعضُ من سافر إليها أن داخلَها مزدرع وبساتينُ، وبها خراب كثير ، وأكثر عِمارتها فى الجانب الشرقىّ الشَّمالىّ ؛ وكنيستها مستطيلةٌ، وإلىٰ جانب الكنيسة عمودٌ عالٍ دَوْرُه أكثر من ثلاثة باعات ، وعلىٰ رأسه فارسٌ وفرسٌ من نُحَاس، وفى إحدىٰ يديه كُرَة كبيرة، وقد فتح أصابع يده الأخرىٰ وهو مشير بها . قيل: إن ذلك صورةُ (قُسْطَنْطِين) بانى المدينة . قال فى العزيزىّ : ولها أربعَ عشرةَ معاملةً .

وآعلم أن هــذه المملكة كانت أوّلا بيد اليُونان . قال البيهقى : وهم بنو يُونانَ بن علجَانَ، بن يافثَ، بنِ نوح عليه السلام . وفى التوراة أن يُونانَ ابنُ يافثَ لصلبه، وآسمه فيها (ياڤان) بفاء تقْرُب من الواو . وخالف الكندىّ فنسبهم إلىٰ عَابَر بن فالَغ فجعــل يُونانَ أخًا لقَحْطانَ ؛ وذكر أنه خرج من اليمن بأهــله وولده مُغاضبًا لأخيه قَحْطانَ فنزل ما بين إفْرَنجة والرُّوم ، فاختلط نسـبُه بنسبهم . وردّ عليه أبو العبَّاس[(1)] الناشى فى ذلك بقوله :

[و] تَخْلِطُ يُونانًا بقَحطانَ ضِـلَّةً * لعَمْرِى لقد باعدْتَ بينهما جِدًّا!

---

(١) هو عبد الله بن محمد الناشى وأوّل الأبيات :

أبا يوســف إنى نظرت فــلم أجد * علىٰ الفحص رأيا صح منك ولا عقدا
وصرت حكيما عنــد قوم إذا آمرؤ * بلاهم جميعا لم يجــد عندهم عنــدا
أتقرن الحــادا بدين محمــد * لقــد جئت شيئا يا أخا كندة إدّا

وتخلط الخ اه من مروج الذهب (ج ١ ص ١٣٨) .

وقيل إنهم إنما نجَوا من رجل يقال له (الكن) وُلِد سنة سبع وأربعين لوفاة موسى عليه السلام .

وكانت قاعدةُ ملكهم الأولى (مدينةَ أغريقيَّة) . وهى مدينة بناها (أغْريقِش) آبن يُونانَ المقدّم ذكره على الجانب الغربىّ من الخليج القُسْطَنْطِينىّ ، وهى أول مُدُنهم ، ثم هدمها هيليوس أحدُ ملوكهم وبنى (مدينة مَقَدُونِيَة)[1] فى وسط المملكة بالجانب الغربىّ أيضا ونزلها فصارت منزلا لملوكهم من بعده ، وإليها يُنْسب ملوكهم فيقال ملوكُ مَقَدُونِيَة ؛ وقد كان يقال للإسكندر بن فيلبس المَقَدُونى نسبة إلى مَقَدُونِيَة هذه . ومن طائفة اليُونان كان معظمُ الحكماء الذين عنهم أُخذَتْ علومُ الفلسفة ، ومنهم بقراط وسقراط وأفلاطُن وأرَسْطُوطاليس وإقليدس وغيرهم من الحُكَماء .

وكان لهم عدّة ملوك ، أوّلهم (يُونانُ) بن يافِثَ بنِ نوح .

ثم ملك بعده آبنه (أغْرِيقِش) وهو الذى بنى مدينةَ أغْرِيقيَّةَ المتقدّم ذكرها . وتوالى الملك فى ولده ، وقهروا اللَّطِينيِّين ودَالَ مُلْكُهم فى أرمينِيَةَ .

ثم ملك (هِرَقْلُ الجَبَّار) بن مَلْكان ، بن سلَقُوس ، بن أغْرِيقِش .

ثم ملك بعده آبنه (بلاق) وإليه تُنْسَب الأمَّة البلاقِيَّة التى هى الآن على بحر سُوداق ، وآتصل الملكُ فى عقب بلاق المذكور إلى أن ظهر عليهم إخوانُهم الرومُ وآستبدُّوا بالملك .

فكان أوّلهم (هِردوس) بن مطرون ، بن رُومى ، بن يُونان ؛ فملك الأمَمَ الثلاثةَ ، وصار آسمه لَقَبًا لكل مَنْ ملك بعده .

---

(١) قال ياقوت : بفتح أوّله وثانيه وضم الذال المعجمة الخ .

ثم ملك بعده آبنُه (هرمس) وحاربه الفُرْسُ فقهروه وضربُوا عليه الإتاوةَ .

ثم ملك بعده آبنُه (مطرنوس) لحمل الإتاوةَ للفُرْس .

ثم ملك بعده (فيلبوس) فظهر علىٰ الأعداء وهدم مدينــةَ أغْرِيقيَّةَ، وبنىٰ مدينة مَقَدُونِيَةَ المتقدّم ذكرُها، وكان محبًّا فى الحكمة فكثر الحكماءُ فى دولته .

ثم ملك بعده آبنُه (الإسكَنْدرُ) فاستقام له الأمرُ وملك الشامَ، وبيت المَقْدِس، والهندَ، والسِّــنْدَ ، وبلادَ الصين، والتُّبَّت، وخُراسان، وبلادَ الــتُّرك؛ وذلّتْ له سائر الملوك، وهاداه أهلُ المَغْرب والأَنْدلُس والسُّودان ؛ وبنىٰ مدينةَ الإسكندريَّة بالديار المصرية عنــد مصَبِّ النيل علىٰ ساحل البحر الرُّومىّ ، وبنىٰ بالسِّــنْد أيضا مدينةً سمـاها الإسكندريَّة ، ورجع إلىٰ بابِلَ فمات بها، وعُرِضَ المُلْكُ علىٰ آبنــه إسكندَرُوس فأبىٰ وآختار الرَّهْبانِيَّة .

ثم ملك بعده (لُوغُوس) من بيت المُلْك، وتلقب (بَطْلَيْمُوسَ) فصار ذلك علمـا علىٰ كل مَنْ ملك منهم. وقيل: هو بَطْلَيْمُوس بن لاوىٰ صاحب عسكر الإسكندرية، وهلك لأربعين سنةً من مُلْكه .

وملك بعــده آبنه (فلديفش) فأقام ثمـانيا وثلاثين ســنة؛ وتُرجِمَتْ له التوراةُ من العبْرانِىّ إلىٰ الرُّومىّ .

ثم ملك بعده آبنُه (أنطرطيش)(١) فأقام ستًّا وعشرين سنةً وهلك .

فملك بعده أخوه (قلوباطر)(٢) فأقام سبعَ عشرةَ سنةً وهلك .

فملك بعده آبنه (أَبِيفانش) فأقام أربعا وعشرين سنة .

(١) فى "العبر ج ٢ ص ١٨٩" انطريس .

(٢) فى "العبر ج ٢ ص ١٨٩" فلوباذى .

وملك بعده آبنه (قلوماطر) فأقام خمسًا وثلاثين سنةً . وكان مَقرّه الإسكندرية وهلك .

فملك بعده آبنه (إبرياطش) فأقام سبعا وعشرين سنةً . وعلى عهده آستفحل مُلْكُ رُومةَ، وملكوا الأندلُس وأفريقيّةَ وهلك .

فملك بعده آبنُه (شوطا)[1] فأقام سبعَ عشرةَ سنة، وهلك .

فملك بعده أخوه (الإسكندر) فأقام عشرَ سنين وهلك .

فملك بعده (دُنُونُشْيُش) بن شوطا، فأقام ثمانياً وثلاثين سنة، وفى أيامه ملك الرُّوم بيتَ المقدس وأنطاكِيَةَ، وهلك .

فملك بعده بنته (كلابَطْرةُ) فأقامت سنتين، وكان سكنُها الإسكَنْدريةَ . وكان الملك على الروم يومئذ أغُشْطُش قيصر ملك الروم، فقصدها، فاحتالت بأن آتخذَتْ حيَّةً تُوجَد بين الحجاز والشام، فلَمَست الحيةَ فيَبِسَتْ مكانَها، وبقيت الحيةُ فى رَيَاحِينَ حولَها، وحضر أغشْطُش فوجدها جالسةً ولم يشْعُرْ بموتها، فتناول من الرياحين ليَشَمَّها فلسَعَتْه الحيةُ فمات[2] . وزالت دولةُ اليُونان بزوالها .

هكذا رتّبهم (هروشيوش مؤرّخ الروم) وسبب ذلك أن الرومَ واليُونان كانوا متجاورِينَ متلاصِقين لعَلَاقة النَّسَب فقد نقل آبن سعيد عن البيهقى أن الرُّوم من ولد رُومِيّ بن يُونان المقدّم ذكره . وقيل هم بنو لَطِين بن يُونان أخى رُوميّ المذكور، ولذلك يقال لهم اللَّطِينِيُّون . وقيل هم من بنى كِتّيم بن ياثان وهو يُونان . وقيل بل هم من بنى عِيصُو بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام .

---

(١) فى "العبر" ج ٢ ص ١٩٠ "شوطار" .

(٢) فى القطعة الأزهرية إصلاح على هذا الوجه [فبطل شقه ولم يمت إذ كانت الحية قد أفرغت سمها فى كلابطرة قبله] .

قال صاحب حماة فى تاريخه : وكان أوّلُ ظهورِهم فى سنة ستٍّ وتسعين وثلثمائة لوفاة موسىٰ عليه السـلام . قال : وهم يُعْرفُون ببنى الأَصْفَر ، والأصفر هو رُوَيْم آبن العِيص . قال فى "العبر" : وذلك أنه لمـا خرج يوسُفُ عليه السلام من مصر بأبيه يعقوبَ ليدْفِنَه بالشأم عند الخليل عليه السلام ، آعترضه بنو عِيصُو فحـاربهم وهَزَمهم، وأسر منهم صفوا بن إليفار بن عيصو، وبَعَث به إلىٰ أفرِيقِيَّةَ، فأقام بها وآتصـل بمَلِكِها وآشتهر بالشجاعة ، ثم هرب من أفرِيقِيَّةَ إلىٰ أَسْبانِيَةَ ، فزوّجوه وملَّكوه عليهم؛ فأقام فى المُلْك خمسا وخمسين سنة، وبقِىَ المُلْك فى عَقِبه إلىٰ أن كان منهم ملك آسمه (رُومِيش) فبنىٰ مدينة رُومِيَةَ وسكَنها فعُرِفت به. وبالجملة فإنهم كانوا مجاوِرينَ لهم : الرومُ فى المغرب، واليُونان فى المَشْرِق؛ فوقعت الحربُ بينهم، وكانت الغَلَبة للروم علىٰ اليُونان مرةً بعـد أخرىٰ إلىٰ أن كانت غلبة أُغُشْطُش علىٰ قُلوبطرا علىٰ ما تقدّم ذكره .

ثم ملوكُ الرُّوم علىٰ طبقات :

الطبقة الأولىٰ

(مَنْ مَلَك منهم قبل القَيَاصِرة)

قال "هروشيوش" مؤرِّخ الرُّوم : وأوّل من ملك منهم (بيقش)[1] بن شطونش آبن يوب ، فى آخر الألف الرابع من أوّل العالَم علىٰ زمن تِيهِ بنى إسرائيل .

ثم ملك بعده آبنه (بَرْيامِش) وآتصـل الملكُ فى عقب بيقش المذكور وإخوته إلىٰ أن كان منهم كرمنش بن مرسية بن شبين بن مُرْكة، بعد أربعة الآلاف وخمسين

(١) فى العبر ج ٢ ص ١٤٦ "الفنش" .

لأوّل العالم فى زمن بار بن كلعاد من ملوك بنى إسرائيل، وهو الذى ألّف حروف اللسان اللّطينىّ ولم تكن قبله .

ثم كان منهم (أناش) من عَقِب بريامش بن بيقش[(١)] المتقدّم ذكره لأربعة آلافٍ ومائة وعشرين للعالم .

وفى أيامه خرّب الأغريقيّون مدينة طروبة المتقدّم ذكرها فى قواعد مملكتهم .

ثم ملك بعده آبنه (أشكانيش) وهو الذى بنىٰ مدينة ألبا، ثم آتصل الملكُ فيهم إلىٰ أن آفترق أمرهم؛ ثم كان من أعقابهم برقاش علىٰ عهد عُزْرِيَا بن أَمْصِيا من ملوك بنى إسرائيلَ . وآتصــل الملكُ لآبنــه ثم لحافِدَيْه روملش وراملش لأربعة آلافٍ وخمسمائة سنة للعالَم . وهما اللذان آختطّا مدينة رُومِيَة، وكان الرُّوم بعــد روملش وراملش وآنقراضِ عَقِبهم قد سَئِمُوا ولايةَ المُلوك عليهم، فصيَّروا أمرهم شُورىٰ بين سبعين وزيراً . وقال آبن العميد : كانوا يقدّمون شيخا بعد شيخ، ولم يزل أمرهم علىٰ ذلك مدّة سبعِمائة سنةٍ، تقترع الوزراءُ فى كل سنة، فيخرج قائدٌ منهم إلىٰ كل ناحيــة علىٰ ماتُوجِبه القُرْعة؛ فيحاربون الأممَ والطوائفَ، ويفتحون المــالكَ حتّىٰ ملكوا الأندَلُس وأثخنوا فى الجَلالِقَة، وملكوا سَمُورِيَة[(٢)] مدينــة القُوط، وآســتولَوْا علىٰ الشأم وأرضِ الحجاز، وآفتتحُوا بيت المَقْدِس وأسروا ملِكَها، وكانت الحرب بينهم وبين الفُرْس سِجَالا إلىٰ أن كانت القياصرة كما سيأتى إن شاء الله تعالىٰ .

---

(١) فى العبر ج ٢ ص ١٤٦ "الفنش" .

(٢) فى القاموس والمعجم سمورة أى بدون ياء فلعلها من الناسخ .

الطبقة الثانيـــــــة

(القياصرة قبل ظُهور دِين النّصْرانية فيهم)

قال ٱبن العميد: لم يزل تدبيرُ المشايخ الذين رتَّبُوهم نافذًا فيهم، إلىٰ أن كان آخِرَهم أغانيوش فدَبَّرهم أربعَ سنين وتسمّى قَيْصَر، وهو أوّل من تسمّى بذلك من ملوكهم، ثم صار سِمةً لمن بعده . وسيأتى الكلام علىٰ معنىٰ هذه اللفظة .

ثم مَلَك بعده (بوليوش قيصر) ثلاثَ سنينَ .

ثم مَلَك بعــده (أوغشطش قَيْصَر) بن مونوخس ، وهروشيوش يسمِّيه (أكتبيان قيصر) وهو الثـانى من القياصرة ، وهو الذى سلب مُلْكَ كلابَطْرا آخِر ملوك اليونان المقدّم ذكرها . وٱستولىٰ علىٰ مصْرَ والإسكندريةِ وسائر ممالك اليُونانِ[1] الرُّوم . ويقال : إنه كان آخِرَ قُوَّاد الشيخ مدَبِّر رُومةَ ، وإنه توجه بالعساكر لفتح الأندَلُس ففتحها ثم عاد إلىٰ رُومةَ فملكها وطرد الشيخَ عنها، ووافقه الناسُ علىٰ ذلك، ثم قتل نائبَهُ بناحية المَشْرِق وٱستولىٰ عليها لِثْنَتَى عشرةَ سـنةً من مُلْكه [ولثنتين وأربعين ســنة من ملك أغشطش وُلِد المسيحُ بعــد مَوْلِد يحيىٰ بثلاثة أشهر وذلك][2] لتمــام خمسة آلاف وخمسمائة سنةٍ شمسيَّة للعالَم .

ثم ملك من بعده ٱبنه (طباريش قيصر) فاستولىٰ علىٰ النَّواحى ، وفى أيامه كان رفعُ المسيح عليه الســلام وٱفتراقُ الحوارِيِّين فى الآفاقِ لإقامة الدِّين وحمل الأُمَم علىٰ عبادة الله تعالىٰ . ومات لثلاثٍ وعشرين سنةً من مُلْكه بعد أن جدّد مدينةَ طَبَرِيَّةَ وٱشْتُقَّ ٱسْمُها من ٱسمه .

(١) هنا انتهت القطعة الأزهرية وتوحد الأصل والله المستعان .

(٢) الزيادة من "العبرج ٢ ص ٢٠٠" ليتم الكلام وفيه فى بعض أسماء الملوك مغايرة لما فى الأصل .

ثم ملك من بعده (غابيش قيصر) وهو الرابع من القياصرة . وقال هروشيوش: وهو أخو طباريش، وسماه غابيش قليفة بن أكتبيان . قال ٱبن العميد : ووقعت فى أيامه شِــدّةٌ علىٰ النصارىٰ، وقتــل يعقوبُ أخاه يُوحَنَّا من الحواريّين، وحبس بُطْرس رَأْسهم؛ ثم وثب عليه بعضُ قُوَّاده فقتله .

وملك من بعده (فَلوديش قيصر) وهو الخامس من القياصرة . قال هروشيوش: هو ٱبن طباريش المتقدّم ذكره فيكون أخَا(١) غابيش، وعلىٰ عهده كَتَب مَتّى الحوارىّ إنجيلَهُ فى بيت المَقْــدس بالعِبْرانية ، ونقله يُوحَنَّا بن زندى إلىٰ الروميَّــة، وكتب بطرس رأسُ الحواريّين إنجيلَه بالروميَّــة وبعث به إلىٰ بعض أكابر الرُّوم، وهلك فلوديش قيصر لأربعَ عشرةَ سنةً من ملكه .

وملك بعده ٱبنُه (نيرون قيصر) وهو السادس من القياصرة،وكان غَشُوما فاسقا، فأنكر علىٰ مَنْ أخذ بدين المَســيح وقتلهم؛ وقتــل بُطْرسَ وبُولِسَ الحوارِيّيْنِ ، وقتل مُرْقُصَ الإنجيلىَّ : بطركَ الإسكندرية لثنْتَىْ عشرةَ سنة من مُلْكه. وفى أيامه هدم اليهودُ كنيسةَ النصارىٰ بالقُدْس ، ودفنوا خشَبَتَىِ الصَّليب بزعمهم فى الزُّبالة . قال هروشيوش : وقتله جمــاعةٌ من قُوّاده لأربعَ عشرةَ سنة من مُلْكه ؛ وٱنقطع ملك آل يوليوش قيصر لمائة وستَّ عشرةَ سنة من أوّل ملكهم . قال هروشيوش: وكان نيرون قيصر قد وجَّه قائدا إلىٰجهة الأندَلُس فافتتحها وعاد إلىٰ رُومةَ بعد مَهْلِك نيرون قيصر فملّكه الروم عليهم . وكان لنيرون قيصر صهرٌ علىٰ أختــه يســمّى (يشبشيان) وٱبن العميد يسميه (إشبا شيانس) وكان نيرون قيصر قد وجهه لفتح بيت المَقْدس ففتحه وعاد فقتل ذلك القــائدَ الذى ٱســتولىٰ علىٰالمملكة بعد نيرون

(٢) لعل الصواب فيكون ٱبن أخى غابيش .

قيصر، ومَلَكَ مكانَه، وتسمّى قيصر كمن كان قبله وآستقام له الملك، هكذا ذكره هروشيوش .

والذى ذكره آبن العميد أنه لما هلك نيرون قيصر وإشباشيانس الذى سماه هروشيوش يشبشيان [محاصرٌ للقدس][1] مَلَّك الروم عليهم غلياش قيصر، فأقام تسعةَ أشهر وكان ردىءَ السيرة فقتله بعضُ خَدَمه .

ثم ملَّكُوا عِوَضَه (أنون) ثلاثةَ أشهر، وملَّكوا (بطالس) ثمانيةَ أشهر، وسار إليه اشباشيانس الذى يسميه هروشيوش يشبشيان فقتله ، وهلك اشباشيانس المذكور لتسع سنين من مُلْكه .

وملك بعده آبنه (طيطش قيصر) لأربعمائة سنة من مُلْك الإسْكَندر، فأقام فيهم سنتين وقيل ثلاثا وقيل أربعا ، وكان حَسَن السيرة متفننا فى العلوم .

ثم ملك بعـده أخوه (دومريان قيصر) وقيل آسمه دوسطيانوس ، وقيل دوماطيانوس، فأقام خمسَ عشرةَ سنة ، وقيل ستَّ عشرةَ سنة، وقيل تسع سنين؛ وهو ابن أخت نيرون قيصر المتقدّم ذكره؛ وكان ظَلُوما غاشمًا فحبَس يُوحَنَّا الحَوَارِىَّ ؛ وأمر بقتـل النصارىٰ ونَفْيِهم ؛ وقتل اليهودَ من نسـل داود حِذارَ أن يَمْلِكوا، وهلك فى حرب الفَرَنج .

وملك بعده (نربا) آبن أخيه طيطش ، وقيل آسمه تاوداس ، وقيل قارون ، وقيل : برسطوس، فأقام نحوًا من سنتين أو سنةً ونصفا، فأحسن السِّيْرة وأمر بردّ مَنْ نُفِى من النصارىٰ وخَلَّاهم ودِينَهُم ، ولم يكن له ولد .

(١) الزيادة من الدبرج ٢ ص ٢٠٢ ليستقيم الكلام .

فعَهِد بالمُلْك إلىٰ (طريانش) من عظماء قُوّاده . وقيل : آسمه أندِيانُوش ، وقيل طرينوس ، فملك بعــده وتسمّٰى قيصر ، فأقام تسعَ عشرةَ ســنة ، ولقى النصارىٰ فى أيامه شِــدّةً وتتبع أئمّتهم بالقتل وآستعبد عامّتهم . وفى زمنه كتب يُوحَنّا إنجيلَه برُومةَ فى بعض الجزائر ، وهلك طريانش المذكور لتسعَ عشرةَ سنةً من ولايته .

وملك بعده (أندريانوس) فأقام إحدىٰ وعشرين ســنةً (١) ، وقيل عشرين سنة وهو الذى بنىٰ مدينة القُــدْس وسماها إيليَا ، وكان شديدًا علىٰ النصارىٰ وقتَلَ منهم خلقا كثيرا ، وأخَذ النــاسَ بعبادة الأوثان ، وألزم أهل مصر حَفْر خليجٍ من النيل إلىٰ القُلْزم لحفروه وأجْرَوْا فيه ماءَ النيل ثم آرتدم بعد ذلك .

ولــا جاء الفَتْح الإســلامىُّ ألزمهم عمرُو بنُ العاص رضى الله عنه حَفْرَه لحفروه وجرىٰ فيــه المــاءُ ثم آرتدم أيضا ، وبقِىَ علىٰ ذلك مردوما إلىٰ زماننا . ومات أندريانوس لاحدىٰ وعشرين سنةً من مُلْكه .

فملك بعده آبنه (آنطونيش) وتسمّٰى (قيصَرَ الرحيم) فأقام ثنتين وعشرين سنة ، وقيل إحدىٰ وعشرين سنة وهلك .

فملك بعــده أخوه (أوراليانس) وقيل آسمه أورالش ، وقيــل آسمه أنطونيش الأصغر ، وأصاب الأرضَ فى زمنه قَحْط ووباءٌ عظيم ، وأصاب النصارىٰ فى أيامه شدّةٌ عظيمة ، وقتل منهم خلقا كثيرا ، وهلك لتسعَ عشرةَ سنة من مُلْكه .

وملك من بعــده آبنه (كمودة) ويقال بالقاف بدل الكاف ، فأقام ثلاثَ عشرةَ ســنة ، وقيل ثانىَ عشرةَ ســنة . وفى عاشرة مُلْكه ظهر « أردشير بن بابَكْ » أوّل

(١) فى الأصل إحدى عشرة والتصحيح من العبر ج ٢ ص ٢٠٤ .

ملوك الساسانية من الفُرْس . وفى زمنه كان «جالينوسُ» اليونانىُّ المشهورُ بالطِّب ، و «بقراطس» الحكيم ، ومات كمودة المذكور .

فملك بعده (ورمتيلوش قيصر) وقيل آسمه برطنوش ، وقيل آسمه فرطيخوس ، وقيل برطانوس ، وقيل أليبش بن طنجيش فأقام ثلاثةَ أشهر ، وقيل شهرين ، وقيل سنة ، وقتله بعضُ قوّاده .

فملك بعده (يوليانوس قيصر) فأقام شهرين ومات .

فملك بعــده (سوريانوس قيصر) وقيــل آسمه سورس ، وقيل طباريش ، فأقام تسعَ عشرةَ سنة ، وقيل ثمــانَ عشرةَ ، وقيل ستَّ عشرةَ ، وقيل ثلاثَ عشرةَ ، وقيل ست سنين ، وآشتدّ علىٰ النصارىٰ وفتك فيهم وسار إلىٰ مصر والإسكندرية فقتلهم ، وهدم كنائسهم وشرَّدهم فى البلاد ، وهلك .

فملك من بعده (أنطونيش قيصر) وقيل أنطونيش قسطس لخمسٍ وعشرين سنة وخمسمِائة لغلبــة الإسكندر ، فأقام ستَّ سنين ، وقيل ســبْعَ سنين ، وضَعُف عن مقاومة الفُرْس فغَلَبُوا علىٰ أكثر مُدُن الشام ونواحى أرمينِيَةَ ، وهلك فى حروبهم .

فملك بعده (مقرين قيصر) بن مُزْكة ، وقيل آسمه مَقْرونيوس ، وقيل مَرْقيأنوس ، فأقام سنة وقتله قوّادُ رُومةَ .

ثم ملك من بعده (أنطونيش) قيل ثلاثَ سنين ، وقيل أربعَ سنين ، وفى أوّل ســنة من ملكه بُنِيتْ مدينــةُ عِمْواس[1] بأرض فِلَسْطين من الشام ومَلَك سابورُ آبنُ أرْدَشِير مُدُنا كثيرة من الشام ، ومات .

(١) وقع فى العبر ج ٢ ص ٢٠٦ عمان والصواب ما فى الاصل لان عمواس هى التى من أرض فلسطين أنظر معجم ياقوت .

فملك من بعده (اسكندروس) فأقام ثلاثَ عشرةَ سنةً ، وقيل عشرين سنة ، وكانت أمُّه نَصْرانيَّةً، فكانت النصارىٰ معه فى سَعَة من أمرهم . قال هروشيوش: ولعشرٍ من مُلْكه غزا فارسَ وقتل سابورَ بنَ أَرْدشير ملكَ الفُرْس، وثار عليه أهل رُومةَ فقتلوه .

وملك بعده (مخشميان) بن لوجيه ، وقيل آسمه نقيموس ، فأقام ثلاثَ سنين ولقِىَ النصارىٰ منه شِدّةً عظيمة . قال آبن العميد : وفى ثالثة مُلْكه مات سابورُ آبن أَرْدَشِير، وهو خلافُ ما تقدّم من كلام هروشيوش أنه قتله [اسكندروس] فى العاشرة من ملكه، وهلك .

فملك بعده (يونيوش) وقيل آسمه لوكيوش قيصر، وقيل بلينايوس، فأقام ثلاثةَ أشهر وقُتِل .

ثم ملك بعده (غرديانوس قيصر) وقيل آسمه فودينوس، وقيل فرطانوس وقيل غرديان بن بلذسيان، فأقام ستَّ سنين، وقيل سبع سنين؛ وطالتْ حروبه مع الفُرْس؛ وقتله أصحابه علىٰ نهر الفُرَات .

وملك بعده (فلفش قيصر) بن أوليان بن أنطونيش، فأقام سبعَ سنين، وقيل ستَّ سنين، وقيل تسع سنين؛ ودانَ بدِين النصرانية. وهو أوّلُ من تنَصَّر من ملوك الروم؛ وقتله قائد من قوّاده .

وملك ذلك القائدُ الذى قتله مكانَه، وكان من أولاد الملوك . وآسمه داجية ابن مخشميان فأقام خمس سنين، وقيل سنتين، وقيل سنة، وكان يعبد الأصنامَ ولقِىَ النصارىٰ منه شِدّةً؛ قيل وفى أيامه كانت قصّةُ أهل الكَهْف مع مَلِكهم؛ وهلك .

فملك من بعده (غالش قيصر) فأقام سنتين، وقيل ثلاثَ سنين، واستتبع فى قتل النصارىٰ . وكان فى أيامه وباءٌ عظيم أقفرَتْ منه المُدُنُ، ومات .

فملك بعده (والاريانس) لسبعين وخمسمائة لغَلَبة الإسكندر، وقيل آسمه غاليوش، وقيل أقيوس وغاليوش آبنه، وقيل أورليوس، وقيل غليوش، وقيل أدريالليانوس، فأقام إحدىٰ عشرةَ سنةً، وقيل خمسَ عشرةَ سنة، وقيل أربعَ عشرةَ ســنة، وقيل خمسَ سنين؛ وكان يعبد الأصنامَ فلقِى النصارىٰ منه شِــدّةً عظيمةً، ووقع فى أيامه وباءٌ عظـــيم فرَفَع الطلبَ عن النصارىٰ بسببه . وفى أيامه خرج القُوطُ من بلادهم وتغلّبوا علىٰ بلاد مَقَدُونِيَة وبلاد النَّبَط وآقتلعوها منه؛ وقتله بعضُ قوّاد رُومةَ .

وملك بعـــده (افلوديوش قيصر) لثمــانين وخمسمائة للإسكندر ، فأقام ســنةً واحدة، وقيل سنةً وتسعةَ أشهر، وقيل هو فلوديش بن بلاريان ولم يكن من بيت الملك وأقام سنتين، وقيل ملك [بعده أخوه][1] قنطل فأقام ســبعةَ عشرَ يوما؛ ودفع القُوطَ عن مَقَدُونية وأرمِينِيَةَ، وقتله بعضُ قوّاده .

ثم ملك (أوريليانس) وقيل آسمه أوراليوس، وقيل أورينوس، وقيل أروليوس، وقيل أوراليان بن بلنسيان، فأقام ستَّ سنين، وقيل خمس سنين؛ وآشــتدّ علىٰ النصارىٰ وجدّد بناءَ رُومةَ؛ وفى سادسة ملكه وُلد قُسْطنطين، ثم قتل .

وملك بعـــده (طافيش بن اليش) وقيل آسمه طافسيوس، وقيل طافساس، فأقام نحوَ سنة، وقيل تسعةَ أشهر، وقيل ستةَ أشهر .

---

(١) الزيادة عن العبرج ٢ ص ٢٠٨ .

ثم ملك بعـده (فروفش قيصر) وقيل آسمه فرويس ، وقيل برويش ، وقيل ولاكيوش ، وقيل ارفيون ، فأقام خمسَ سنين ، وقيل ستَّ سنين ، وقيل سبع سنين ، وقتله قُوّاد رُومةَ .

ثم ملك بعـده (قاريوش قيصر) وقيل آسمه قوروش ، وقيل قاروش لخمسمائة وثنتين وتسـعين للإسكندر فى زمن سابُورَ ذى الأكتاف : أحدِ ملوك الساسانيَّة من الفُرْس ، فأقام سنتين ، وقيل ثلاثَ سنين ، وتغلَّب علىٰ كثير من بلاد الفُرْس ، وآشتدّ علىٰ النصارىٰ وقتل منهم خلقا كثيرا وهلك فى الحرب .

فملك بعده آبنه (مناريان) وقُتِل لوقته .

ثم ملك من بعده (ديقلاديانوس) لخمسمائة وخمس وتسـعين سنة للإسكندر ، وقيل آسمه دقلطيانوس ، وقيل غرنيطا ، فأقام إحدىٰ وعشرين سنةً ، وقيل عشرين سنة ، وقيل ثمانَ عشرةَ ، ولقى النصارىٰ منه شدّةً وأمر بغَلْق الكنائس ، وقتل جملةً من أعيان النصارىٰ ، وهلك .

فملك بعده آبنه (مقسيانوس قيصر) فأقام سبع سنين ، وقيل سنةً واحدة .

وكان شريكه فى الملك (مفطوس) وهو أشدّ كفرًا منه ، ولقى النصارىٰ منهما شدّة عظيمةً وقتل منهم خلقا كثيرا ، ووقع فى كلام هروشيوش مايخالف هذا الترتيب ، ولا حاجة بنا إلىٰ ذكره .

الطبقة الثـالثـــة

(القَيـاصرة المتنصرة إلىٰ الفتح الإسلاميّ)

وكانوا يَدينون أوّلًا بِدين الصـابئة ، ثم دانُوا بدين المَجُوسـيَّة ؛ ثم بعـد ظهور الحَوَاريِّين وتسلُّطهم عليهم مرةً بعد أخرىٰ أخذوا بدين النَّصْرانية . وكان أوّل من أخذ منهم به قُسْطَنْطِين بن قسطنش بن وليتنوش ؛ وكان قد خرج علىٰ مقسيانوس قيصر: آخرِ القياصرة من الطبقة الثانية، فهزمه ورجع مقسيانوس إلىٰ رُومةَ، فازدحم عســكره علىٰ الجَسْر فغَرِق فيمن غَرِق؛ ودخل قُسْطَنْطِين رُومةَ وملكهـا فبسط العدلَ، ورفع الجَوْر، وتنصر لثنتَيْ عشرةَ سنة من مُلْكه؛ وهدم بيوتَ الأصـنام، وتوجهتْ أمُّه (هلانة)[1] إلىٰ القُدْس وآستخرجتْ خشبةَ الصَّلَبُوت بزعمهم من تحت القُمَامات، وبنَتْ مكانها كنيسةَ قُمامةَ، وذلك لثلثمائة وثمانٍ وعشرين سنةً من مَوْلِد المسيح عليه السلام . وفى السنة التاسعةَ عشرةَ من مُلْكه كان مجمعُ الأَسَاقِفة بِنيقيَةَ . ولمـا تنصر قُسْطنطِينُ وخرج عن دين المجوسيَّة ، خاف من قومه فارتحل من رُومةَ إلىٰ مدينة بُوزَنْطِيَةَ فجدّدها وزاد فيها وسمـاها القُسْطنْطينيَّة باسمه، وأقام فى المُلْك خمسين سنة : منها ببوزنطيَةَ ستٌّ وعشرون سنة قبل غَلَبة مقسيانوس، وأربع وعشرون بعد آستيلائه علىٰ الرُّوم، وهلك لستمائة وخمسين للإسكندر .

وملك بعده آبنه (قُسْطنطين الأصغر) بن قسطنطين، بن قسطنطين[2]، بن قسطنش فأقام أربعًا وعشرين سنةً ومات .

(١) الذى فى تاريخ أبى الفداء أن آسمها "هيلانى" .

(٢) لعل هذا اللفظ زائد من قلم الناسخ .

فملك بعده ٱبنُ عمه (يوليانش) فأقام سنةً واحدة ، وقيل سنتين ، فكان على غير دين النصرانية : فقتل النصارى وعَزَلهم عن الكنائس وٱطَّرحهم من الدِّيوان ، وسار لقتال الفُرْس فمات من سَهْمٍ أصابه ، وقيل ضَلَّ فى مفازة فقتله أعداؤه .

وملك بعده (يليان) بن قسطنطين سنةً واحدة وهلك .

فملك بعده (بوشانوش) فأقام سنةً واحدة ، وقيل إنما هو بلنسيان بن قُسْطَنْطين ، وقيل واليطينوش ، وانه ملك ثنتَىْ عشرةَ سنة أو خمسَ عشرةَ سنة ثم هلك بالفالج .

وملك بعده أخوه (واليش) وقيل ٱسمه وَالَاش فأقام أربعَ سنين ، وقيل ثلاثَ سنين ، وقيل سنتين ، وقيل إنه كان شريكَ واليطينوش المتقدّم ذكره فى المُلْك ؛ ثم خرج على واليش خارجٌ من العرب وقُتِل فى حربه .

وملك بعده (اغراديانوس قيصر) وهو أخو واليش ، ويقال إن ولنطيانش ويقال والنطوش بن واليش كان شريكًا له فى الملك فأقام سنة واحدة ، وقيل سنتين ، وقيل ثلاثَ سنين ، ومات اغراديانوس وٱبن أخيه فى سنة واحدة .

وملك بعدهما (تاوداسيوس) ويقال إنه طودوشيوش لستمائة وتسعين من مُلْك الإسكندر ، فأقام سبعَ عشرةَ سنة ، وفى الخامسةَ عشرةَ من مُلْكه ظهر أهلُ الكَهْف وأفاقوا من نَوْمهم ، فأرسل فى طَلَبهم فوجدهم قد ماتُوا فأمر أن تبنى عليهم كنيسةٌ ويُتَّخَذ يومُ ظهورهم عيدًا . وفى أيامه كان المَجْمَع بقُسْطَنطينِيَّة لِمائتين وخمسين سنة من [مَجْمَع] نيقِيَة .

ثم ملك (اركاديش) بن تاوداسيوس ، فأقام ثلاثَ عشرةَ سنة ، ووُلِد له ولد سماه طودوشيوش ، فلما كَبِر هَرَب إلى مصر وترهَّب ، وأقام فى مَغَارة فى الجبل المُقَطَّم ومات ، فبنى الملكُ على قبره كنيسةً وديرا يسمَّى دير القُصَيْر ، وهو دير البَغْل ، وهلك .

فملك بعده ٱبنــه (طودوشيش قيصر) الأصغر، فأقام ثِنْتين وأربعين سنةً . وفى أيامه كان المجمَعُ الثالثُ للنصارىٰ بمدينة أُفْسُس، وولّى أخاه أنوريش علىٰ رومة وٱقتسما الملكَ بينهما ، وقيــل إن أركاديش بن طودوشيوش(١) ولّى أخاه أنوريش علىٰ رُومةَ وٱقتسما الملك وإنه لمــا هلك أركاذيش ٱستبــدّ أخوه أنوريش قيصر بالملك خمسَ عشرةَ سنة؛ وإنه لمــا هلك ملك من بعده طودوشيش المقدّم ذكره .

ثم ملك (مرقيان قيصر) ويقال بالكاف بدل القاف ، فأقام ستَّ سنين . وفى أيامه كان المَجْمَع الرابعُ بخَلْقَدُونِيَةَ وٱنقسم النصــارىٰ إلىٰ يَعْقُوبيّــة ومَلَكية ، ونَسْــطُورِيّة . وفى أيامه سكن شَمْعُون الحبيس الصَّومعةَ بأَنْطــاكِيَةَ وترَّهب فيها وهو أوّل من فعل ذلك من النصارىٰ؛ ثم مات مرقيان .

وملك بعده (لاون قيصر) ويُعْرَف بلاون الكبير لسبْعمائةٍ وسبعين سنةً من مُلْك الإسكندر، وقيل ٱسمه ليون بن شميخلية، وكان مَلَكيًّا فأقام ستَّ عشرةَ سنة ومات .

وملك بعــده (لاون قيصر) ويعرف بلاون الصغير، وكان يعقوبيًّا فأقام ســنةً واحدةً وهلك .

فملك بعده (زينون قيصر) وقيل ٱسمه سينون بالسين المهملة بدل الزاى، وكان يعقوبيًّا فأقام سبعَ عشرةَ سنةً وهلك .

فملك بعــده (نشطاش قيصر) لثمانِمــائة وثلاث سنين للإسكندر ، فأقام سبعا وعشرين ســنةً ، وكان يعقوبيًّا ، وسكن حماةَ من الشأم ، وأمر أن تُشادَ وتُحَصَّن فبُنِيت فى سنتين؛ وأمر بقتل كلِّ ٱمرأةٍ قارئةٍ كاتبةٍ؛ وهلك .

---

(١) تقدم أن ٱسمه "تاوداسيوس" .

فملك بعده (يشطيانش قيصر) لثمانمائة وثلاثين للإسكندر ، وكان مَلَكِيًّا فأقام تسعَ سنين ، وقيل سَبْعَ سنين ، ويقال إنه كان معه شريكٌ فى مُلْكه يقال له يشطيان ، وهلك .

فملك بعده (يشطينانش قيصر) لثمانمائة وأربعين للإسكندر ، وكان مَلَكِيًّا وهو آبن عم يشطيانش الملك قبله ، وقيل كان شريكَه فأقام أربعين سنةً ، وقيل ثلاثا وثلاثين سنة ، وأمر بأن يُتَّخذ عيدُ الميلاد فى الرابع والعشرين من كانُون ، والغِطَاس فى ستٍّ منه ، وكانا قبل ذلك جميعًا فى سادسه ، وكانت كنيسةُ بيتِ لَحْم بالقُدْس صغيرةً فزاد فيها ووسَّعها حتّى صارتْ علىٰ ما هى عليه الآنَ . وفى أيامه كان المَجْمَع الخامسُ للنصارىٰ بالقُسْطَنْطِينِيَّة ، وهلك .

فملك بعده (يوشطونش قيصر) لثمانمائة وثمانين سنةً للإسكندر فى زمن كِسْرىٰ أَنُوشِرْوانَ فأقام ثلاثَ عشرةَ سنةً ، وقيل إحدىٰ عشرةَ سنةً ، وهلك .

فملك بعده (طباريش قيصر) لثمانمائةٍ وثنتين وتسعين للإسكندر ، فأقام ثلاث سنين ، وقيل أربعَ سنين ، وهلك .

فملك بعده (موريكش قيصر) لثمانمائة وخمسٍ وتسعين للإسكندر ، فأقام عشرين سنة ، وكان حَسَن السِّيرة ، ووثَب عليه بعضُ مماليكه فقتله .

وملك بعده (قوقاص قيصر) قريب موريكش الملك قبله ، وكان هو الذى بعث مملوكَهُ علىٰ قتله . وفى أيامه ثار كِسْرىٰ أبرويز علىٰ بلاد الرُّوم ، وملك الشأمَ ومصرَ ، وأقاما فى مملكة الفُرْس عشرَ سنين ، وحاصر القُسْطَنْطِينِيَّة طلبا لثأر موريكش لمصاهرةٍ كانت بينهما ، فثار الرُّوم علىٰ قوقاص فقتلته بسبب ماجلبه إليهم من الفتنة .

وملك بعــده (هِرَقْلُ) بن أنطونيش، وقيــل هِرَقْل بن هِرَقْل بن أنطونيش. لستمائة وإحدىٰ عشرةَ من تاريخ المَسيح، ولألف ومائةٍ من بنــاء رُومةَ، ولتسعمائة وثنتين وعشرين ســنةً للإسكندر، ولأوّل سنةٍ من الهجرة، وقيل لإحدىٰ عشرةَ ســنة منها، وقيل لتسع سنين. فارتحل أبرويز عن القُسْطنْطِينيَّة راجعا إلىٰ بلاده؛ وأقام هِرَقْلُ فى المُلْك إحدىٰ وثلاثين سنةً ونصفا، وقيل ثنتين وثلاثين سنة، وثار علىٰ بلاد الفُرْس فخرَّبهــا فى غَيْبــة كِسْرىٰ، وضعُفتْ مملكةُ الفُرس بسبب ذلك، وآستولىٰ هِرَقْلُ علىٰ ما كان كِسرىٰ آســتولىٰ عليه من بلاده: وهو مصر والشأم، وأعاد بناء ما كان خَرَّب من الكنائس فيهما، وكتب إليه النبىُّ صلّى الله عليه وســلم يدعوه للإسلام.

قال المسعودىّ، وقيل إن مَوْلِد النبىّ صلّى الله عليه وسلم كان فى أيام يوشطيانش، وإن ملكه كان عشرين سنة. ثم ملك (هِرَقْل بن نوسطيونس) خمسَ عشرةَ سنة، وإليه تُنْسَب الدراهم الهِرَقْليَّة. ثم ملك بعده (مورق بن هرقل). قال: والمشهور بين الناس أن الهجرةَ وأيامَ الشيخين كان مُلْكُ الروم لهِرَقْل. قال: وفى كتب السير أن الهجرةَ كانت علىٰ عهد قَيْصَر بن مورق، ثم كان بعده قَيْصَر بن قيصر [أيام أبى بكر ثم هِرَقْل بن قَيْصَر][1] أيام عمر، وعليه كان الفتح وهو المُخْرَج من الشأم.

---

(١) الزيادة من (العبر ج ٢ ص ٢٢٢).

الطبقة الرابعـــــــة

(ملوكُ الروم بعد الفتح الإسلامىّ إلىٰ زماننا)

قد تقدّم أن النبىّ صلّى اللهُ عليه وسلم بُعِثَ وهاجَرَ وهِرَقْلُ ملكُ الروم، وكتب إليه يدعوه إلىٰ الإسلام . وبقِىَ هِرَقْلُ إلىٰ أن ٱفتتح المسلمون الشأْمَ فى خلافة عمرَ ٱبنِ الخطَّاب رضى الله عنه . فلمـا غلب المسلمون علىٰ أكثرِ بلاد الشأم ، خرج إلىٰ الرُّهَا ، ثم عَلَا علىٰ نَشَزٍ من الأرض وٱلتفت إلىٰ الشأم وقال : "السـلامُ عليكِ ياسُورِيا سلامٌ لا ٱجتماعَ بعده ، ولا يَعُودُ إليكِ رُومِىٌّ بعدها إلا خائفًا" وسار حتّى بلغ القُسْطنْطِينِيَّةَ فأقام بهـا ؛ وٱستولىٰ المسلمون علىٰ الشأم ومصر والإسكندرية وأفريقِيَّةَ والأندَلُس ؛ وٱستولوا علىٰ جزائرِ البحر الرُّومى : مثل صِقِلِّيَّة ، ودانِيَــةَ ، ومَيُورْقَــة وغيرها ممـا كان بيدِ الرُّوم . وأقام فى المُلْك إحدىٰ وثلاثين سنةً ، وهلك لإحدىٰ وعشرين سنةً من الهجرة .

وملك بعده علىٰ الرُّوم بقُسطَنْطِينِيَّةَ ٱبنُه (قُسْطَنْطِين) بنُ هِرَقْل فأقام ستة أشهر وقتله بعضُ نساء أبيه .

وملك بعده أخوه (هِرَقْلُ) بنُ هِرَقْلَ ، فتشاءم به الرومُ فخلعوه وقتلوه . وملّكوا عليهم (قسطينو بن قسطنطين) فأقام ستّ عشرة ســنة . وفى أيامه غزا مُعاوِيةُ ٱبنُ أبى ســفيان بلادَ الرُّوم وهو أمير علىٰ الشأم من قِبَل عمر بنِ الخطاب فى ســنة أربع وعشرين من الهجرة فدوّخ البـلاد وفتح منها مُدُنا كثيرة ؛ ثم أغزىٰ عساكرَ المسلمين إلىٰ قُبْرُصَ فى البحر فى سنةِ سبع وعشرين ، ففتح منها حُصُونا ، وضرب الجِزْيةَ علىٰ أهلها . ومات قسطينو سنةَ سبع وثلاثين من الهجرة .

فملك بعده ٱبنه (يوطيانُس) فأقام ٱثنتَىْ عشرةَ سنة ، ومات سنة ثمـانٍ وأربعين من الهجرة .

وملك بعده ٱبنُه (لاون)[1] فأقام ثلاث سنين ، ومات سنة خمسين من الهجرة .

فملك بعده (طيباريوس قيصر) فمكث سبْعَ سـنين . وفى أيامه غزا يزيدُ بنُ معاويةَ القسطنطينية فى عساكر المسـلمين وحاصرها مُدّةً ، ثم أفرج عنها واستُشْهِد أبو أيُّوبَ الأنصارىُّ فى حِصَارها ودُفِن فى ساحتها، وقُتِل طيباريوس المذكور سنة ثمـانٍ وخمسين من الهجرة .

وملك بعده (أغشطش قيصر) فذبحه بعضُ عبيده .

وملك بعده ٱبنه (إصطفانيوس) فى أيام عبد الملك بنِ مَرْوان ثم خُلِـع .

وملك بعده (لاون) ومات سنة ثمـانٍ وسبعين من الهجرة .

وملك بعده (طيباريوس) سبعَ سنين، ومات سنة ستٍّ وثمانين من الهجرة .

وملك بعـده (سطيانوس) فى أيام الوليدِ بنِ عبـد الملك بانِى الجامع الأُمَوىّ بدِمَشْـق .

ثم ملك بعده (تداوس) فى سنة إحدىٰ ومائة من الهجرة، فأقام سنةً ونصفا .

ثم ملك بعده (لاون) فأقام أربعا وعشرين سنة .

وملك بعده ٱبنـه (قسطنطين) . وفى أيامه غزا هشامُ بنُ عبد الملك الصائفةَ اليُسْرىٰ من بلاد الروم ، وأخوه سليمان الصائفة اليُمْنىٰ فى سنة ثلاثَ عشرةَ ومائة، فلقيهم قسطنطين المذكور فى جُمُوع الرُّوم فانهزم وأُخِذ أسيرا ثم أُطْلق .

(١) كذا فى العبر أيضا الا أنه جعله تاريخا لوفاة يوطيانس وأسقط لاون من البين .

ثم ملك بعده رجل آسمه (جرجس) من غير بيت المُلْك فبقى ايامَ السَّفّاح، والمنصور وأمْرُهُ مضطرب ثم مات .

وملك بعده (قسطنطين) بن لاون، وبنىٰ المُدُن وأسكنها أهل أرمينيَةَ وغيْرَهم، ثم مات .

وملك بعده آبنه (لاون) وهلك .

فملك بعده (نقفور) وهلك فى خلافة الأمين بنِ الرَّشيد .

وملك بعده آبنُه (استيراق قيصر) وأقام إلىٰ خلافة المأمون . وفى أيام المأمون غلب قسطنطين [بن قلفط][1] علىٰ مملكة الروم، وطرد آبن نقفور، هكذا رتّبه آبن العميد . وفى كلام المسعودىّ ما يخالفه .

قال المسعودىّ : ثم ملك بعد قسطنطين (نوفيل) أيَّامَ المعتصم .

ثم ملك من بعده (ميخائيل) بن نوفيل أيَّامَ الواثق ، والمتوكل ، والمنتصر ، والمستعين .

ثم تنازع الرومُ وملَّكُوا عليهم (نوفيل بن ميخائيل) أيام المعتز، والمهتدى، وبعض أيام المعتَمِد .

ثم ملك من بعده آبنُه (أليون) بن نوفيل [بقية] أيام المعتَمِد وصَدْرا من أيام المعتَضِد .

ثم ملك من بعده (الإسكندروس) بن أليون، فَنَقَموا سيرتَه، فخلَعُوه .

وملَّكوا عليهم أخاه [لاوى][1] بن اليون، فأقام [بقية] أيام المعتضد والمكتفى، وصدرا من أيام المقتَدِر ثم هلك .

(١) الزيادة عن "العبر ج ٢ ص ٢٢٩ نقلا عن المسعودى" لتتم الفائدة .

وملك ٱبنُه (قسطنطين) صــغيرا ؛ وقام بتدبير دولته أرمنوس بِطْرِيق البحر، وزوّجه ٱبنته وتَسَمَّى بالدمستق، والدمستق هو الذى يلى شرقَ الخليج القسطنطينىّ وٱتصل ذلك أيامَ المقتدر، والقاهر، والراضى، والمتقى . ثم ٱفترق أمرُ الروم .

ثم ظاهرُ كلام ٱبن الأثير أن أرمنوس المتقــدّم ذكره صار إليــه المُلْك بعد قسطنطين . قال : وكان الدمســتق على عهده قوقاس فملك مَلَطْيَةَ من يد المسلمين بالأمان فى ســنة ثِنْتين وعشرين وثلثمائة ، وولّى تقفورَ دمســتقا ؛ وهلك أرمنوس وترك ولدين صغيرين وكان تقفور الدمستق غائبا ببلاد المسلمين فلمــا رجع ٱجتمع إليــه زعماءُ الروم وقدّموه لتدبير أمر الصغيرين وألبسوه التــاجَ ، ثم دَسَّت عليــه أم[1] زوجة أرمنوس أم الصغيرين، فقتلته فى سنة ستين وثلثمائة .

وقام ٱبنها الأكبر وهو (بســيل بن أرمنوس) بتدبير مُلْكه فطالت مدّته ، وأقام فى الملك نَيِّفا وسبعين سنة ، وهلك بسيل سنة عشر وأربعمائة .

وملَك بعده أخوه (قسطنطين) فأقام تسعَ سنين ؛ ثم هلك عن ثلاث بنات .

فملّك الرومُ عليهم الكُبْرىٰ منهن ، وقام بأمرها ٱبنُ خالها (أرمانوس) وتزوّجت به فاستولىٰ علىٰ مملكة الرُّوم ؛ ثم مالت زوجته إلىٰ المتحَكِّم فى دولتــه ، وٱسمه ميخائيل فدسَّتْه عليه فقتله وٱستولىٰ علىٰ الأمر ، ثم أصابه الصَّرْع ودام به .

فعهِد لٱبن أخت له ٱسمه (ميخائيل) فأحسن السِّيرة وطلب من زوجة خاله أن تَخْلَع نفسها عن المُلْك فأبتْ فنفــاها إلىٰ بعض الجُزُر ، وٱستولىٰ علىٰ المملكة ســنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة ؛ وأنكر عليه البطرك خَلْع المرأة فهمّ بقتله ، فنادىٰ البَطْركُ

(١) لعل لفظ أم زائد ، أنظر العبر .

فى النصارىٰ بخَلْعه فخلعوه، وآستدعىٰ الملِكة التى خلعها وأعادها إلىٰ المُلْك، ونفَتْ ميخائيل كما نفاها؛ ثم آتفق البطرك والروم علىٰ خَلْعها فخُلِعَتْ .

وملَّكوا عليهم أختها (ندورة) وسَمَلُوا ميخائيل فوقع الخُلْف بسبب ذلك، فأقرعوا بين المترشِّحين للمُلْك منهم فخرجتْ علىٰ رجل منهم آسمه (قسطنطين) فملّكوه عليهم وزوّجوه بندورة الملكة فى سنة أربع وثلاثين وأربعمائة ، ثم تُوفِّى قسطنطين المذكور سنةَ ستٍّ وأربعين وأربعمائة .

ومُلِّك علىٰ الروم (أرمانوس) وذلك لأوّل دولة السَّلْجُوقيَّة، وخرج لبلاد الإسلام [فزحف إليه ألب أرسلان من أذْرَبِيجانَ فهزمه وحَصَل فى أسره ، ثم فاداه علىٰ مال يُعْطِيه وأجروه عليه وعقد معه صلحا](١) .

فوثب (ميخائيل) بعده علىٰ مملكة الروم . فلما آنطلق من الأَسْر وعاد إلىٰ قُسْطنطِينيَّة، دفعه ميخائيلُ عن المُلْك، وآلتزم لألْب أرسلان ما آنعقد عليه الصلح . وترهَّب أرمانوس وترك المُلْك . إلىٰ هنا آنتهىٰ كلام آبن الأثير .

ثم توالتْ عليها ملوكُ الروم واحدًا بعد واحد إلىٰ آخر المائة السادسة . وكان مَلِكُ القُسْطنطِينيَّة يومئذ قد تزوّج أختَ الفَرَنْسيس ملك الفَرَنجة، فوُلِد له منها آبنٌ ذكر .

ثم وثب بالمَلِك أخوه فسَمَله وملَك مكانَهُ ؛ ولحق الآبن بخاله الفَرَنْسيس ، فوجده قد جَهَّز الأساطيلَ لآرتجاع بيت المَقْدس وفيها ثلاثة من ملوك الفَرَنْجة وهم كيدقليس : أحد ملوكهم ، وهو أكبرهم ؛ ودوقس البنادقة ، والمركين مقدّم الفَرَنْسيس . فأمرهم الفَرَنْسيس بالجواز علىٰ القسطنطينية ليُصْلِحوا بين آبن أخته

(١) الزيادة عن العبر ج ٢ ص ١٣١ ليتضح المقام .

وبين عمه ملك الروم . فلمــا وصــلُوا إلىٰ مَرْسىٰ القسطنطينيّة خرج إليهـــم عمُّه وحاربهم فهزموه ودخلوا البَــلَدَ ، وأجلسوا الصــبيّ علىٰ سرير المُلْك ، وساء أمرُهم فى البلد ، وصادرُوا أهل النِّعم ، وأخذوا أموال الكنائس ، وثقُلَتْ وطْأتهم علىٰ الرُّوم ، فعقَلُوا الصبيّ وأخرجُوهم من البــلد ، وأعادوا عَمَّ الصبيّ إلىٰ المُلْك . ثم هجم الفَرَنْج البلد وآستباحُوها ثمــانيةَ أيام حتّى أقفرَتْ ، وقتــلوا مَنْ بها من القِسّيسِينَ والرُّهبانِ والأساقفة ، وخلَعُوا الصبِيَّ ، وآقترع ملوك الفرنج الثلاثةُ علىٰ المُلْك ، فخرجت القرعة علىٰ كيدقليس كبيرهم فملَّكوه علىٰ القسطنطينية وما يجاورها . وجعلوا لدوقس البنادقة الجزائرَ البحريّة : مثل أقريطش و رودس وغيرهمــا ، وللمركين البلاد التى فى شرقىّ الخليج : مثــل أرسوا ولارتو فى جوار سليمان بن قليج أرسلان ، فلم يحصل لأحد منهم شىءٌ من ذلك إلا لمن أخذ شرقِىّ الخليــج . ثم تغلَّب علىٰ القسـطنطينية بِطْرِيق من بَطَارقة الرُّوم شهرته لشكرىّ واسمه (ميخائيل) فدفع عنها الفَرَنْجَ وملَكَها وقتل الذى كان مَلِكا قبله ، وعقد معه الصُّلح الملكُ المنصور « قلاوون الصالحىّ » صاحب مصر والشام ، وتُوفِّىَ سنة إحدىٰ وثمــانين وستِّمائة .

وملك بعده آبنه (ياندر) وتلقَّب الدوقس ، وشهرتهم جميعا اللشكرى ، و بقى بنوه فى مُلْكها إلىٰ الآنَ . ولم أقف علىٰ تفاصيل أخبارهم غير أنه لم يبقَ بيدهم سوىٰ قسطنطينيَّةَ وبعضِ أعمالها المجاورةِ لهــا . وقد آستولىٰ الفرنجُ علىٰ جهاتها الغربية ، وآستولىٰ المسلمون علىٰ ماهو شرقِىّ الخليج القسطنطينى وعلىٰ أعمالٍ كثيرة من غربِيِّه إلىٰ مايقارب خليجَ البنادقةِ علىٰ ما تقدّم بيانه فى الكلام علىٰ القسم الأوّل من هــذا المَقْصِد ، مع تسلُّط صاحب السَّراى مَلِك تتر الشمال من بنى جنكزخان عليه بالبُعُوث والسَّرايَا قبل ذلك ، حتّى إن « القان أزبك » صاحب هــذه المملكة قَرَّر عليه إتاوةً تُحمَلُ إليه فى كل ســنة ليكُفَّ عنه ، كما أشار إليــه فى "التعريف" فى الكلام علىٰ

مكاتبة صاحب القُسْطنطينيّة . قال ابن سعيد : ومنتهى حكم اللشكرىّ صاحب القسطنطينية الآن إلى إيثنية . قال فى "تقويم البُلْدان" : بالهمزة والياء المثناة التحتية والثاء المثلثة ونون ثم ياء مثناة تحتية ثانية وهاء فى الآخر . قال ابن سعيد : وهى غربىّ الخليج القسطنطينى بشَمَال . قال ابن حوقل : وهى مدينةٌ بها مجمَع النصارى بقُرْب البحر، وهى دار حِكْمة اليونان فى القديم ، وبها تُحفَظ علومهم، وحِكَمُهم .

ولصاحب القسطنطينية المستقرّ بها مكاتبةٌ تخصُّه من الأبواب السلطانية بالديار المصرية ، على ما يأتى بيانه فى الكلام على مكاتبات ملوك الكُفْر فى المقالة الرابعة إن شاء الله تعالى .

المملكة الثانية

(مملكة الألمان)

قال المؤيد صاحبُ حماةَ فى تاريخه : وهم من أكبر أمَم النصارى، يسكُنُون فى غربىّ القُسْطنطينيّة إلى الشَّمال، وملِكُهم كثيرُ الجنود . قال : وهو الذى سار إلى الشأم فى زمن السلطان صلاح الدين «يوسف بن أيوب» فى سنة ستٍّ وثمانين وخمسمائة ، فهلك قبل وصوله إلى الشام . وكان قد خرج بمائة ألفِ مقاتل فسلَّط الله عليهم الغَلَاء والوباء فمات أكثَرُهم فى الطريق ، ولما وصل إلى بلاد الأرمن نزل يغتسل فى نهر هناك فغرِق فيه، وبقِىَ من عسكره قدرُ ألف مقاتل لا غير فعادُوا إلى بلادهم . ﴿ وَرَدَّ اللهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا ﴾ .

وقاعدتهم فيما ذكر آبن سعيد (مدينة بُرْشان) . قال فى " تقويم البُلْدان " : بضم الباء الموحدة وسكون الراء المهملة وفتح الشـين المعجمة ثم ألف ونون فى الآخر . قال : ويقال لها أيضا (بُرْجَان) بالجيم وذكر آبن سعيد : أنه كان بها الأُمَّة المسماة بُرْجَان فى قديم الزمان فاستولت عليهم الألمـانِيَّة وأبادوهم حتّى لم يَبْقَ منهم أحد، ولم يبق لهم أثر . وهٰؤلاء البُرْجان هم الذين كان يقاتلهـم قُسْطَنْطين ورأىٰ فى منامه أعلاما عليها صُلْبان فتنَصَّر .

المملكة الثـالثـــة

(مملكة البنـادقة)

وهم طائفةٌ مشهورة من الفَرَنْج، وبلادهم شرقىّ بلاد (الأنبردية) الآتى ذكرهم .

وقاعدة مملكتهم (البُنْدُقِيَّة) . قال فى " تقويم البُـلْدان " : بضم الباء الموحدة وسكون النون ثم دال مهملة وقاف ومثناة تحتية وهاء فى الآخر . وموقعها فى الإقليم السادس من الأقاليم السبعةِ قال آبن سعيد : حيثُ الطولُ آثنتان وثلاثون درجةً، والعرضُ أربعٌ وأربعون درجةً . قال آبن سعيد : وهى علىٰ طَرَف الخَليج المعروف بجَوْن البَنَادقة، وقد تقدّم الكلام عليه عند ذكره فى الكلام علىٰ بحر الرُّوم . قال : وعَمَارتها فى البحر، وتخترق المراكبُ أكثَرَها ، تتردَّد بين الدُّور، ومَرْكَب الإنسان علىٰ باب داره، وليس لهم مكانٌ يتمشَّوْن فيـه إلا الساباط الذى فيه سُوق الصَّرْف، صنعوه لراحتهم إذا أرادوا التَمَشِّىَ، ومَلِكهم من أنفسهم يقال له الدُّوكُ، يعنى بضم الدال المهمـلة وسكون الواو وكاف فى الآخر . ودنانيرهم أفضـلُ دَنَانيرِ الفَرَنْجة ، وقد تقـدّم فى الكلام علىٰ معاملة الديار المِصْرية فى أوّل هـذه المقالة أن دينارهم

يقال له (دُوكَات) نسبة الىٰ الدُّوك الذى هو مَلِكهم، وإليها يُنْسَب الجُوخُ البندُقِىّ الفائق لكل نوع من الجُوخ .

قال السلطان عمادُ الدِّين صاحب حماةَ فى تاريخه : وهى قريبة من جَنَوة فى البر، و بينهما نحو ثمانية أيام . أما فى البحر فبينهما أمدٌ بعيدٌ أكثرُ من شهرين ، وذلك أنهم يخرُجُون إلىٰ بحر الرُّوم فى جهة الشرق ثم يسيرون فى بحر الرُّوم إلىٰ جهة الغرب .

قال فى "تقويم البُلْدان" : ومن أعمال البُنْدُقِية (جزائر النَّقْرَبَنْت) بفتح النون وسكون القاف والراء المهملة وفتح الباء الموحدة وسكون النون وتاء مثناة فوقية فى الآخر . قال : وكثيرا مايكْمُن بين تلك الجزائر شوانى الحَرَامِيَّة .

ثم قال : وفى شمالىّ هذه الجزائر مملكة (أُسْتِيبَ) بفتح الهمزة وسكون السين المهملة وكسر المثناة الفوقية وسكون المثناة التحتية وباء موحَّدة فى الآخر . وفى مملكة أُسْتِيبَ هذه يُعْمَل الأطلس المعدنىّ .

المملكة الرابعة

(مملكة الجَنَويين)

وهم طائفة من الفرنج مشهورة أيضا .

وقاعدة مملكتهم (مدينة جَنَوَة) . قال فى "تقويم البُلْدان" : بفتح الجيم والنون والواو ثم هاء فى الآخر . وموقعها فى الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة قال ابن سعيد : حيثُ الطولُ إحدىٰ وثلاثون درجةً ، والعرضُ إحدىٰ وأربعون درجةً وعشرون دقيقة . قال : وهى علىٰ غربىّ جَوْن عظيم من البحر الرومىّ ، والبحر فيما بينها وبين

الأَنْدَلُس يدخُل فى الشَّمال . وهى غربىّ (بلاد البَيَازِنة) . قال الشريف الإدريسىّ:
وبهـا جَنَّات وأَوْدِية، وبهـا مَرْسًى جيِّدٌ مأمونٌ ، ومَدْخَلُه مِن الغرب . قال
فى "تقويم البُلْدان" : وعن بعض أهلها أنهـا فى ذَيْل جبل عظيم، وهى علىٰ حافَةِ
البحر، ومِيناها عليها سُورٌ، وأنهـا مدينة كبيرة إلىٰ الغاية، وفيهـا أنواعُ الفَوَاكه،
ودُورُ أهلها عظيمة، كلُّ دار بمنزلة قَلْعة، ولذلك آغتَنَوْا عن عمل سُورٍ عليها، ولها
عيونُ ماء ، منهـا شُربهم وشُرْب بساتينهم . قال المؤيَّدُ صاحب حماةَ فى تاريخه :
ولها بلادٌ كثيرةٌ .

المملكة الخامســـة

(بلاد رُومِيَّةَ)

بضم الراء المهملة وسكون الواو وكسر الميم وفتح الياء المثناة تحت المشـدّدة وهاء[1]
فى الآخر. قال فى "تقويم البُلْدان" : ويقال لها أيضا رُومَةُ (يعنى بضم الراء وسكون
الواو وفتح الميم وهاء فى الآخر) . وهى مدينةٌ عظيمة واقعةٌ فى الإقليم الخـامس من
الأقاليم السبعة قال فى " القانون " : حيثُ الطولُ خمس وثلاثون درجةً وعشرون
دقيقة ، والعرضُ أربعون درجةً وخمسون دقيقةً . قال آبن سـعيد : وهى مدينة
مشهورةٌ فى جَنُوبِىّ جَوْن البَنَادقةِ علىٰ جانبَىْ نهرٍ يُعْرف بنهر الصُّفْر .

وقد ذكر « هروشيوش » مؤرّخ الروم أنهـا بُنِيت لأربعةِ آلافٍ وخمسمائةِ سنة
من أوّل العالَم ، علىٰ زمن حزقيا بن احاز رابع عشر ملوك بنى إسرائيل . وذكر آبن
كريون : أنها بُنِيت فى زمن داود عليه السلام، وبينهما تفَاوتٌ كثير فى المدّة . قال

(١) ضبطها ياقوت بتخفيف اليـاء ونقل عن الأصمعى أنها مثـل أنطاكية وأفامية إلى أن قال وهو كثير
فى كلام الروم وبلادهم فانظره ج ٢ ص ٨٦٦ .

فى "الروض المعطار" : وهى من أعظم المدن وأحفلها . يقال : إنه كان طولها من الشمال إلى الجنوب عشرين ميلا ، وعرضها من الشرق إلى الغرب اثنى عشر ميلا . وقيل : دورها أربعون ميلا ، وقطرها اثنا عشر ميلا ، وارتفاع سورها ثمانية وأربعون ذراعا . وقيل اثنان وسبعون ذراعا ، فى عرض اثنى عشر شبرا مبنى بالحجر ، وهى فى سهل من الأرض تحيط بها الجبال على بعد ، وبينها وبين البحر الرومى اثنا عشر ميلا ، ويشقها نهر ينقسم داخلها قسمين ثم يلتقيان آخرها ؛ وأرضه مفروشة بالنحاس الأصفر مسافة عشرين ميلا ، وفى وسطها صحن فى صخرة مرتفعة لم يظفر به عدو قط .

وفى داخلها كنيسة طولها ثلثمائة ذراع وارتفاعها مائتا ذراع ، لها أربعة ابواب من فضة سبكا واحدا ، مسقفة بالنحاس الأصفر الملصق بالقصدير ، وحيطانها ملبسة بصفائح النحاس ؛ وبها كنيسة أخرى بها برج طوله فى الهواء مائة ذراع ، وعلى رأس ذلك البرج قبة مبنية بالرصاص ، وعلى رأس القبة زرزور من نحاس إذا أدرك الزيتون انحشرت إليه الزرازير من الأقطار البعيدة ، فى منقار كل زرزور زيتونة وفى رجليه زيتونتان ، فيطرحها على ذلك البرج فيعصر ويؤخذ زيته ، فيستصبح به فى الكنيسة جميع السنة . قال : وأهل رومية أجبن خلق الله تعالى ، ومن سنتهم أنهم لايدفنون موتاهم ، وإنما يدخلونهم فى مغائر(1) ويتركونهم فيها فيستوبئ هواؤهم ويقع الذباب على الموتى ، ثم يقع على ثمارهم فيفسدها ، ولذلك هم أكثر بلاد الله تعالى طواعين ، حتى إن الطاعون يقع فيها ولا يتعداها إلى غيرها فوق عشرين ميلا ؛ وجميع أهلها يحلقون لحاهم ، ويزعمون أن كل من لا يحلق لحيته

(1) لعل الصواب "مغارات" أو "مغاور" فان وزنها مفعلة لا فعالة حتى تجمع هذا الجمع ولم ينبه عليها اللغويون فى الشواذ .

فليس نصرانيًّا كاملا ، زاعمين أن سبَبَ ذلك أن شَمْعون الصفا والحَوَاريِّين جاءُوهم وهم قومٌ مساكينُ ليس مع كل واحد منهم إلا عصا وجرابٌ، فدعَوْهم إلى النَّصرانية فلم يُجيبوهم، وأخذُوهم فعذَّبوهم وحَلَقوا رُءُوسهم ولِحَاهم . فلما ظهر لهم صِدْقُ قولهم واَسَوْهم بأن فعلوا بأنْفُسهم مثلَ ذلك .

ولم تزل رُومِيَةُ هى القاعدةَ العُظمىٰ للرُّوم حتّى بنيت القُسْطَنْطِينِيَّة وتحوّل إليها قُسْطَنْطِين ، وصارت قسطنطينِيَّةُ هى دارَ مُلْكِ الروم على ما تقدّم ذكره فى الكلام عليها، مع بقاء رُومِيَةَ عندهم على رفعة المحَلّ وعِظَم الشأْن إلى أن غلب عليها الفَرَنْج وآنتزعوها من أيديهم ، ورفعوا منها قواعِدَهم وآستولَوْا على ما وراءها من النواحى والبُلْدان والجزائر: كجَنوةَ، والبُنْدُقيَّة، وأقْريطش، ورُودِس ؛ وآسترجعوا كثيرا ممّا كان المسلمون آستولَوْا عليه من بلاد الروم كغالب الأنْدَلُس . ثم حدثتِ الفتنُ بينهم وبين الروم بالقُسْطنطِينِيَّة ، وعَظُمت الفتنُ بينهم ودامتْ نحوا من مائةِ سنةٍ «وملك الروم بالقُسْطنطِينِيَّة معهم فى تناقُص» حتّى إن رجّار صاحب جزيرة صِقِلِّية صار يغزو القسطنطينِيَّة بأساطيله ويأخذ ما يجد فى ميناها من سُفُنِ التُّجّار وشَوَانِى المدينة ، وآنتهى أمره أن جرجا بن ميخائيل صاحب أساطيله دخل إلى مِينا القسطنطينية فى سنة أربع وأربعين وخمسمائة ورمى قصر الملك بالسِّهام، فكان ذلك أنكىٰ على الروم من كلّ نِكاية . ثم تزايد الحالُ إلى أن آستولى الفَرَنْج على القسطنطينِيَّة نفسِها فى آخر المائةِ السادسة، وأوقعوا بأهلها وفتَكُوا وخَرَّبوا على ما تقدّم بيانه فى الكلام على ملوك القسطنطينية . وبالجملة فرومِيَةُ اليوم من قواعد الفَرَنج ، وهى مقرّ (بابهم) الذى هو خليفةُ النصارىٰ المَلِكانية وإليه مرجعهم فى التحليل والتحـــريم .

ولهذا البـابِ مكاتَبَةٌ تخصُّه عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية، كما سيأتى ذكره فى الكلام علىٰ المكاتَبَات فى المقالة الرابعة إن شاء الله تعالىٰ .

* * *

وأما الممالك الصغار فسبعُ ممَـالكَ :

الأولىٰ

(مملكة المَـرَا)

قال فى "تقويم البُلْدان" : بفتح الميم والراء المهملة وألف . وهى مملكة تبتدئ من الخليج القُسْطنطِينِىّ من الغرب علىٰ ساحل بحر الروم وتمتدّ مغرِّبا [وتشتمل علىٰ قطعـة من] (١) ساحل بحر الروم وعلىٰ بلادٍ وجبالٍ خارجةٍ عن البحر . قال : وهذه المملكة مناصَفَة بين صاحب قسطنطينيَّة وبين جنس من الفَرَنج يقال لهم (القيتلان) بالقاف واليـاء الساكنة آخر الحـروف والمثناة الفوقيـة ولام ألف ونون ، ويقال (الكيتلان) بإبدال القاف كافا، وهذا هو الجارى علىٰ ألسنة الناس فى النطق بهم .

الثـانيـــة

(بلاد المَلْفَجُـــوط)

قال فى "تقويم البُلْدان": بفتح الميم وسكون اللام وفتح الفاء وضم الجيم وسكون الواو وطاء مهملة فى الآخر . وهم جنس من الروم لهم لسان ينفردون به ، وبلادهم من أعمـال قُسْطنطِينِيَّةَ علىٰ ساحل بحر الروم ممـا يلى مملكة المَرَا المقدّمَ ذكرها من جهة الغرب فى مقابلة مشاريق بَرْقَةَ من البر الآخَرِ ، على ما تقدّم ذكره فى الكلام علىٰ بحر الروم فى أوّل هذه المقالة .

---

(١) الزيادة من التقويم ص ١٩٨ ليستقيم الكلام .

الثــالثـــــة

(بـــلاد إقْـــلِرنْس)

قال فى "تقويم البُلْدان" : بكسر الهمزة وسكون القاف وكسر اللام والراء المهملة وسكون النون وسين مهملة فى الآخر . وهى بلاد علىٰ ساحل بحر الروم غربىّ بلاد المَلْفَجُوط المقــدّم ذكرها وشرقىّ بلاد الباسَليســة الآتى ذكرُهــا ، وهم فى مملكة الباسليسة المذكورة .

الرابعـــــة

(مملـــكة بُولِيـــةَ)

بضم البــاء الموحدة وسكون الواو ولام وياء آخر الحروف وهاء . قال : ويقال لها أَنْبُولِيةُ أيضا يعنى بزيادة همزة فى أوّلها ونون ساكنة بعــدها . وهى مملكة علىٰ بحر الروم عند فَم جَوْن البنادقة من غربِيّــه ، فى مقابل مملكة الباسَليسة من بر الجَوْن المذكور من الجهة الشرقية ، وبِبُولِيةَ هــذه يُعْرف الزيت المعروفُ بالبوليــة . قال فى " تقويم البُلْدان " : وملك بولية هذه فى زماننا يقال له الريدشار .

الخامســـــة

(بـــلاد قَلفْـــرِيَةَ)

قال فى " تقويم البُلْدان " : بفتح القاف واللام وسكون الفاء وكسر الراء المهملة وفتح المثناة تحتُ وهاء فى الآخر . قال : ويقال لها قَلَوْرِيَةُ أيضا بابدال الفاء واوا . وهى من جملة بُولية المقــدّمة الذكر ، واقعة فى غربيها وشرقىّ مملكة رُومِيَةَ المتقدّمة الذكر ، وقد تقدّم فى الكلام علىٰ بحر الروم أنه يقابلها طرابُلُس الغرب من البر الآخَر .

السادســـة

(بـــلاد التُّسْقان)

قال فى "تقويم البُلْدان" : بضم المثناة الفوقيّـة وسكون السين المهملة وقاف وألف ونون . قال : وهم جنس من الفَرَنْج ليس لهم ملكٌ بعينه يحكم عليهم بل لهم أكابرُ يحكمون بينهم، ثم قال : وبتلك البلاد يكون نَبَـاتُ الزَّعفران، وقد تقـدّم فى الكلام على البحر الرومىّ أنه يقابلها مدينة تُونُس من البرّ الآخر .

السابعـــة

(بـــلاد البَيَـــازِنَة)

بفتح الباء الموحدة والياء المثناة تحتُ وألفٍ ثم زاى معجمة مكسورة ونون مفتوحة وهاء فى الآخر . وهم فِرقة من الفَرَنْج .

وقاعدة مُلْكهم (مدينةُ بِيزَة) . قال فى "تقويم البُلْدان" : بباء موحدة مكسورة وياء آخر الحروف ساكنة وزاى معجمة يعنى وهاء فى الآخر . قال : وقد تُبْـدَل الزاى شينا معجمةً . وموقعها فى الإقليم السادس من الأقاليم السبعة قال : والقياس أنهـا حيثُ الطولُ آثنتان وثلاثون درجةً ، والعرضُ ستٌّ وأربعون درجة وسـبعٌ وعشرون دقيقةً . وقد ذكر فى "تقويم البُلْدان" أنهـا على الركن الشَّمالىِّ من بلاد الأنْدَلُس فى مقابِل جزيرة سِرْدانِيَةَ المقـدّمة الذكر . وهى غربىّ بلاد رُومِيَـةَ ؛ وليس لهم مَلك وإنما مرجعُهم إلى الباب : خليفةِ النصارى؛ وإلى بِيزَةَ هذه تُنْسَب الفَرَنج البَيازِنَةُ والحديد البِيزَانِىّ . وقد تقدّم فى الكلام على البحر الرومىّ أنه يقابلها من البر الآخر مَرْسىَ الخَرَز .

القطـــر الثـانى

(ممـا غَرْبىّ الخليج القسطنطينىّ الأرضُ الكبيرةُ)

قال صاحب حماةَ : وهى أرضٌ متسعةٌ فى شَمَالىّ الأندَلُس ، بهـا ألسُنٌ كثيرةٌ مختلفة . وقد ذكر فى "التعريف" أنها فى شرق الأندَلُس، ولا يصح ذلك إلا أن يُرِيد منها ماهو شرق شمالى الأندلس .

ويتعلق الغرض منها بثلاث ممـالك :

المملكة الأولى

(مملكة الفَـرَنْج القديمـة)

وقاعدتها (مدينة فَرَنْجَة) بالفاء والراء المهملة المفتوحتين وسكونِ النون وفتح الجيم وهاء فى الآخر، وقد تُبْدَل الجيم منهـا سينا مهـملة فيقال فَرَنْسَة . ويقال لملكهم ريدإفْرَنْس، ومعناه ملك إفْرَنْس، والعامّة تقول الفَرَنْسِيس . وهو الذى قصد ديار مصرَ وأخذ دِمياطَ وأسره المسلمون ثم أطلقوه . يشير بذلك إلىٰ قَضِـية تاريخية ، وهى أنَّ الفَرَنْج فى سـنة خمسَ عشرةَ وسِتِّمـائة وهم مستولُون علىٰ سواحل الشام يومئـذ سار منهم نحوُ عشرين مَلِكا من عَكَّا وقصدُوا دِمياطَ فى أيام الملك العـادل «أبى بكرِ بن أيُّوب» رحمه الله، وسار العادل من مِصْرَ إليهم فنزل مقابِلَهم ؛ وأقاموا علىٰ ذلك أربعةَ أشهرٍ ، ومات العادل فى أثنـاءِ ذلك ، وآسـتقرّ بعده فى المُلْك آبنُه الملك «الكاملُ محمد» فوقع فى عسـكره آختلافٌ تشاغَلَ به ؛ فهجم الفَرَنْج دِمْيـاطَ وملَكُوها عَنْوة فى سنة ستَّ عشْرةَ وسِتِّمائة ،وطَمِعوا بذلك فى مملكة الديار المصرية ، فبنىٰ الملكُ الكامل بلدةً عند مَفْرَق النيل : الفِرْقة الذاهبة إلىٰ دمياط ، والفرقة الذاهبة إلىٰ أُشْمُوم طَنَاح، وسماها (المنصورةَ) ونزلها بعساكره ؛ ولم يزل الأمر علىٰ ذلك إلىٰ

أن دخلتْ سنةُ ثمانَ عشرةَ وستِّمائة، وقد آشتدّ طَمَعُ الفَرَنْج فى الديار المصرية، وتقدّموا عن دِمْياط إلىٰ المنصورة وضايقوا المسلمين إلىٰ أن سألهم الملكُ الكاملُ فى الصُّلْح علىٰ أن يكون لهم القُدْس، وعَسْقلانُ، وطبَرِيَّةُ، واللاذِقيَّة، وجَبَلة، وسائر ما فتحه السلطان صلاحُ الدين من سواحل الشأم، خلا الكَرَك والشَّوْبك؛ فأبَوْا إلا أن يكون لهم الكَرَك والشَّوْبك أيضا، وأن يُعْطَوْا مع ذلك ثلثَمائةِ ألف دينار فى نظير ما خَرَّبوه من سُور القُدْس؛ فأعمل المسلمون حينئذ الحِيلةَ فى إرسال فَرْع من النيل فى إبَّان زيادتِهِ، حالَ بين الفَرَنْج وبين دِمْياطَ، آنقطع بسببه المِيرةُ عنهم، وأشرفوا علىٰ الهَلاك؛ وكان آخِرُ أمرِهم أن أعرضُوا عن جميع ما كانوا سئلوا به من الاماكن المتقدّمة الذكر ونزلوا عن دِمياطَ للمسلمين، وتسلَّمها الملكُ الكاملُ منهم؛ ثم عاد إلىٰ مصر وبقيَتْ دِمْياطُ بيد المسلمين إلىٰ أن قصدها الفَرَنْسيس فى خمسين ألفَ مقاتل، ومعه الأَدْفُونش صاحب طُلَيْطلةَ فى أيام الملك «الصالح أيوب» بن الكامل محمد، بن العادل أبى بكر، بن أيُّوبَ فى سنة سبع وأربعين وستمائة، وهَجَم دِمْياط وملَكها عَنْوة؛ وسار المَلِكُ الصالح فنزل بالمنصورة، وسار الفَرَنْج فنزلوا مقابِلَه؛ ثم قصدوا دِمْياطَ فتبعهم المسلمون وبذَلُوا فيهم السيْفَ، فقتلوا منهم نحوَ ثلاثين ألفا، وأُسِرَ الفَرَنْسِيس وحُبِس بالمنصورة بدار الصاحب «فخر الدين إبراهيم بن لُقْمانَ» صاحب ديوان الإنشاء، ووُكِّل به الطَّوَاشىّ صَبِيح «المعظمىّ» ومات الصالح فى أثناء ذلك، وآستقرّ آبنه الملك المعظَّم مكانَهُ فى المُلْك؛ ثم قُتِل عن قريب، وفُوِّض الأمر إلىٰ «شجرة الدُّرّ» زوجةِ الملك الصالح، وقام بتدبير المملكة معها «أيبك التُّرْكُمانىّ» ثم تسلم المسلمون دِمياطَ من الفَرَنْسيس وأطلقوه فسار إلىٰ بلاده فيمن بقِىَ معه من جماعته . وفى ذلك يقول جمالُ الدِّين يحيىٰ بن مطروح الشاعر :

قُـلْ للفَرَنْسِيسِ إذا جِئْتَــه * مَقالَ صِدْقٍ من قَئُولٍ نَصُوحْ:[1]

أَتَيْتَ مِصْرًا تَبْتَــغِى مُلْكَها * تَحْسَبُ أن الزَّمْرَ ياطبلُ رِيحْ

وكُلُّ أَصْحابِكَ أودَعْتَهُـــمْ * بحُسْنِ تَدْبِيرِكَ بَطْنَ الضَّرِيحْ!

خمسين ألفًا لا ترىٰ مِنْهُمُ * غيرَ قتيلٍ أو أسـيرٍ جَرِيحْ!

وفَّقَـــكَ اللهُ لأمْثالِهَـا * لَعَلَّ عِيسىٰ مِنكُمُ يَسْتَرِيحْ

آجَرَكَ اللهُ علىٰ ما جَـرىٰ * أَفْنَيْتَ عُبَّادَ يَسُوعَ المَسِيحْ

فَقُـلْ لَهُمْ إن أضْمَرُوا عَوْدَةً، * لأَخْذِ ثارٍ أو لقَصْـدٍ صَحِيحْ!

دارُ «ٱبنِ لُقْمانَ» علىٰ حالِهَـا * والقَيْدُ باقٍ، والطَّواشِى صَبِيحْ!

وقد تعرّض فى "التعريف" للإشارة لهذه الواقعة فى الكلام علىٰ مكاتبة الأدفونش صاحب طُلَيطِلةَ من الأندلُس، وٱقتصر من هذه الأبياتِ علىٰ الأوّل والأخيرِ فقط.

المملكة الثانيـــــة

(مملكة الجَلالِقَة)

قال السلطان عمادُ الدين صاحب حماةَ فى تاريخه: وهم أُمّة كالبهائم، يغلب عليهم الجَهْل والجَفَاء. ومن زِيِّهم أنهم لا يَغْسِلون ثيابَهم، بل يتركونها عليهم إلىٰ أن تَبْلىٰ، ويدخلُ أحدُهم دارَ الآخَرِ بغير إذْن. قال: وهم أشدُّ من الفَرَنْج، ولهم بلادٌ كثيرة شمالىَّ الأندَلُس، ونِسْبتهم إلىٰ مدينة لهم قديمة تسمى جِلِّيقِيَّة. قال فى "اللباب": بكسر الجيم واللام المشدّدة وبعدها ياء آخر الحروف وقاف. قال فى "تقويم البُلْدان": [ثم ياء ثانية][2] وهاء.

---

(١) فى تاريخ أبى الفداء وخطط المقريزى "قـئول نصيح وفى ٱبن إياس فصيح".

(٢) الزيادة عن تقويم البلدان.

وقاعدتها (مدينة سَمُّورَة) بسين مهملة وميم مشدّدة مضمومة وراء مهملة مفتوحة وهاء فى الآخر. وموقعها فى الإقليم السادس من الأقاليم السبعة قال ابن سعيد : حيثُ الطولُ عشرُ دَرَج ، والعرض ستٌّ وأربعون درجة . قال فى "اللباب" : وهى من بلاد الرُّوم المتاخمةِ للأندلس ؛ وكأنه يريد أنها كانت للروم أوّلا . قال فى "تقويم البُلْدان" : وعن بعضهم أنها مدينةٌ جليلةٌ معظَّمة عندهم . قال ابن سعيد : وهى قاعدة جِلِّيقيَّة ، أكبر مُدُن الفنش ، فى جزيرة بين فرعين من نهر يُعْرَف بها . قال : وكان المسلمون قد مَلَكوها ثم استرجعها الجَلَالِقةُ زمن الفِتْنة ، ونهرُها يصُبُّ فى البحر المحيط الغربىّ حيثُ الطولُ خمسُ درج وثلاثون دقيقةً من الجزائر الخالدات ، والعرضُ ستٌّ وأربعون درجة .

المملكة الثالثة

(مملكة اللُّنْبَرْدِيَّة)

قال فى "تقويم البُلْدان" : باللام المشدّدة المضمومة والنون الساكنة والباء الموحدة المفتوحة والراء المهملة الساكنة والدال المهملة والياء المثناة التحتية والهاء . قال : ويقال لها النُّوبرديَّة ، والأنبرديَّة . وموقعها فى أوّل الإقليم السادس من الأقاليم السبعة قال ابن سعيد : حيثُ الطولُ ثلاثون درجةً وسبعٌ وثلاثون دقيقة ، والعرضُ ثلاث وأربعون درجة وخمسون دقيقةً . قال فى "تقويم البُلْدان" : وهى ناحية من الأرض الكبيرة ، وبلادها تُحيط بها جبالٌ إلى حدّ جَنَوةَ . قال : ومَلِكها فى زماننا صاحبُ القُسْطنطِينيَّة ، ورثها من خاله المركيش .

ثم قال : وغربىّ هذه البلاد (الرِّيْدراقُون) بكسر الراء المهملة وسكون المثناة التحتية ثم دال مهملة وراء مهملة [وألف](١) وقاف مضمومة وواو ونون فى الآخر. ومعنـاه ملك راقون ، وقد تُبْـدَل القاف غينا معجمة . فيقـال ريدراغون وهو الموجود فى مكاتبات أهل الأندَلُس وهُدَنِهم .

الجهة الثانيـــــــة

(ماشَمَالىَّ مدينة القسطنطينية وبحر نِيطش وما نِيطِش إلىٰ نهاية المعمور فى الشَّمال)

ويشتمل علىٰ عدّة ممـالك وبلاد :

منهـا (بلاد الجَرْكَس) : قال السلطان عمـادُ الدين صاحب حماةَ فى تاريخه : وهم علىٰ بحر نيطش من شرقِيِّه ، وهم فى شَظَفٍ من العيش . قال : والغالب عليهم دِينُ النصرانية .

قلت : وقد جلب منهم «الظاهرُ برقوق» صاحبُ الديار المصرية من الممـاليك أيامَ سلطنته مايربُو علىٰ العَدَد حتّىٰ صار منهم معظَمُ جُنْد الديار المصرية ، وصار بهم جَمَالُ مواكبها ، والمُلْك باقٍ فيهم بالديار المصرية إلىٰ الآنَ .

ومنها (بلادُ الآصِ) : بفتح الهمزة(٢) الأولىٰ والثانية وصاد مهملة فى الآخر . وهم طائفة ، وبلادهم علىٰ بحر نيطش .

وقاعدتهم (مدينة قِرْقِر) . قال فى "تقويم البُلْدان" : بكسر القاف وسكون الراء المهملة وسكون القاف الثانيـة وكسر الراء المهـملة فى الآخر . وموقعها فى الشَّمال

(١) الزيادة من التقويم .

(٢) تقدّم له ضبطه بمد الهمزة وبالصاد وهو الصواب .

عن الإقليم السابع أو فى آخره . قال : والقيـاس أنها حيثُ الطولُ خمس وخمسون درجة وثلاثون دقيقة، والعرضُ خمسون درجة . وهى قلعـة عاصيَةٌ منيعة فى جبل لايَقْدِر أحد علىٰ الطلوع إليه، وفى وسط الجبل وطاءة تَسَع [أهل](١) تلك البلادِ؛ وعندها جبل عظيم شاهق يقال له (جاطِرْ طاغ) يظهر لأهل السفن من بحر القِرِم . وهى فى شمـالىّ صارِى كَرْمان علىٰ نحو يوم منها .

ومنها (بلاد البُرْغال) بضم الموحدة وسكون الراء وفتح الغين المعجمة وألف ثم لام فى الآخر . ويقال لهم أولاقُ أيضا بقاف فى الآخر .

وقاعدتهم (مدينـة طِرْنَوْ) . قال فى "تقويم البُلْدان" : بالطاء المكسورة والراء الساكنة المهملتين والنون المفتوحة وواو فى الآخر . وموقعها فى الإقليم السابع . قال : والقياس أنها حيثُ الطولُ ستٌّ وأربعون درجة وثلاثون دقيقة ، والعرض خمسون درجة . وهى غربىّ صَقْجى علىٰ ثلاثة أيام وأهلها كُفّار . قال بعض المسـافرين وهى علىٰ خَوْر البُرْغال .

ومنها (بلاد البُلْغار والسِّرْب) . وهما طائفتان علىٰ بحر نيطش .

فأما البُلْغار فبضم البـاء الموحدة وسكون اللام وفتح الغين المعجمة وألف ثم راء مهـملة . قال المؤيَّد صاحب حماة فى تاريخه : وهم منسوبون إلىٰ المدينـة التى يسكُنُونها . وقد سماها فى كتابه "تقويم البُلْدان" بُلَار بضم الباء وفتح اللام وألف وراء مهملة فى الآخر . ثم قال : ويقال لها بالعربية (بُلْغَار) .

وأما السِّرْب فبفتح السـين وسكون الراء المهملتين و باء موحدة فى الآخر . وهم فى مملكة صاحب البُلْغار . وقاعدة ملكهم مدينة بُلْغار المذكورة، وموقعها فى الشَّمال

(١) بياض بالأصول والتصحيح عن تقويم البلدان .

عن الإقليم السابع من الاقاليم السبعة . قال في "الأطوال" : حيث الطول ثمانون درجة ، والعرضُ خمسون درجة وثلاثون دقيقة . قال : وهى بَلْدة فى نهاية العِمارة الشمالية قريبةٌ من شط إِتِل من الجانب الشمالىّ الشرقىّ ، وهى وصَرَاى فى بَرٍّ واحد ، و بينهما فوق عشرين مَرْحلةً ؛ وهى فى وطاءة ، والجبل عنها أقلُّ من يوم ؛ وبها ثلاثُ حَمَّامات ، ولا يكون بهـا شيء من الفَوَاكه ولا أشجارِ الفواكه من العنب وغيره لشدّة بردها ؛ وبها الفُجْل الاسودُ فى غاية الكِبَر . قال المؤيَّد صاحبُ حماةَ : وحَكىٰ لى بعضُ أهلها انَّ فى أوّل فصل الصيف لا يغيب الشَّفَق عنها و يكون ليلُها فى غاية القِصَر . ثم قال : وهذا الذى حكاه صحيحٌ موافق لمـا يظْهر بالأعمال الفَلَكيَّة ، لأن من عَرْض ثمـانية وأربعين ونصفٍ يبتدئ [عدمُ](١) غَيْبوبةِ الشَّفَق فى أوّل فصل الصيف ، وعرضُها أكثر من ذلك ، فصحَّ ذلك علىٰ كل تقدير .

وقد حكى فى " مسالك الأبصار " عن حَسَنٍ الرومى عن مسـعود الموَقِّت بها : أنـ أقصر ليلها أربعُ ساعات ونصفٌ تحريرا ، وأنهـم جَرَّبوه بالآلات الرَّصْدية فوجدوه كذلك . قال صاحب حمـاة فى تاريخه : وكان الغالبُ عليهـم النصرانيةَ ثم أسـلم منهم جماعةٌ . وذكر فى " تقويم البُلْدان " أن أهلها مسـلمون حنفيّة . وذكر المسعودى فى "مروج الذهب" أنه كان بالسَّرْب والبُلْغار دارُ إسلام من قديم . قال فى "مسالك الأبصار" : أما الآن فقد تبدّلتْ بإيمانها كُفْرا ، وتداولها طائفةٌ من عُبَّاد الصَّلِيب ، ووصلَتْ منهم رُسُلٌ إلىٰ صاحب مصر سنةَ إحدىٰ وثلاثين وسبعمائة بكتاب من صاحب السَّرْب والبُلْغار ، يعرضُ نفسَه علىٰ مودّته و يسألُه سيفا يتقلَّدُه ، وسَنْجَقا يقْهَر أعداءه به ؛ فأكرم رسولَه ، وأحسن نُزُلَه ، وجهّزله معه خِلْعةً كاملةً :

(١) الزيادة عن تقويم البلدان ليستقيم الكلام .

طَرْدَ وَحْش بقَصَب بسنجابٍ مُقَنْدس ، علىٰ مفرَّج إسكندرى ، وَكَلُّوته زركش ، وشاش بطَرَفين رقم ، ومِنْطَقة ذهب ، وَكلاليب كذلك ، وسيفٍ محـلًّى ، وسَنْجَق سلطانىّ أصفر مُذْهَب . قال فى "التعريف": وجهز له أيضا الخيلَ المُسْرَجة الملجمة. ور بمـا أنه يُظْهِر لصاحب السراى الانقيادَ والطاعة . قال فى "مسالك الأبصار" : وذلك لعَظَمة سلطانه عليهم، وأخذه بخِناقهم لقربهم منه .

ولصاحب السِّرْب والبُلْغار مكاتبة تخصه عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية .

ومنهـا (بلادُ أفْتَكُون) بألف وفاء وتاء مثناة ثم كاف و واو ونون . وهى بلادٌ تلى بِلادَ البُلْغار فى جهة الشَّمال .

وقاعدتهم مدينة تسمّى (قَصَبة أفتكون) . والقَصَبة فى مصطَلَحهم المدينةُ الصغيرة . قال فى "مسالك الأبصار" : و بينها و بين البُلْغار مسافةُ عشرين يومًا بالسير المعتادِ . وحُكِى عن مســعود الموقِّت بالبُلْغار أنه حَرَّر ليلهـا فوجد أقصرَ ليلِها ثلاثَ ساعاتٍ ونصف ، أقصَرُ من ليل البُلْغار بساعةٍ واحدة .

ومنها (بلادُ الصَّقَالِبَة) بفتح الصاد المهملة والقاف وألف وكسر اللام وفتح الباء الموحدة وهاء فى الآخر . ويقال لبعض بلادها بلاد سبراو ير . وهى تلِي بلادَ أفْتَكُون فى جهة الشمال . قال فى "مسالك الأبصار" : وهى بلادٌ شـديدةُ البرد، لايفارقها الثلْجُ مدّةَ ستةِ أشهر لا يزال يسقُط علىٰ جبالهم و بُيوتِهم ، ولهذا تقلُّ المواشى عندهم . وحكىٰ عن الفاضل شجاع الدين : عبـد الرحمن الخوارزمى الترجمان أن منها يُجْلَب السَّمُّور والسِّنْجاب . ثم قال : وليس بعدهم فى العمارة شىءٌ . وذكر أنه جاء جَدَّه فُتْيا من بعض اهلها يسأل فيها كيف تكونُ صلاةُ أهلِ بلدٍ لا يَغِيبُ عندهم الشفقُ

حتّى يطلُع الصبحُ ؟ لسرعة انقضاء الليل.وهذا ظاهر فى أن هــذه البلاد مسلمون أو فيهم المسلمون .

ومنهــا (بلاد جُولمــان) بجيم وواو ولام ثم ميم وألف ونون . وهى تلى بلاد سبراوير المقدّمة الذكر فى جهة الشمال . وهى علىٰ مثل حال بلاد سبراوير فى شــدّة البَرْد وكَثْرة الثلج وأشدّ من ذلك . قال فى "مسالك الأبصار" قال حسن الرومىّ : وهؤلاء هم سُكّان قلب الشّمال ، والواصل إليهم من الناس قليلٌ ، والأقوات عندهم قليــلةٌ حتى يحكىٰ عنهم أنّ الإنسان منهــم يجمع عظام أىّ حيوانــ كان ، ثم يغلى عليــه بقَدْرِ كفايته ثم يتركها ، وبعد سـبْع مرات لايبقىٰ فيهــا شىء من الوَدَك . قال : وهم مع ضِيق العيش ليس فى اجناس الرَّقيق أنعَمُ من أجسامهم ، ولا أحسنُ من بياضهم ؛ وصورتُهــم تامةُ الخِلقــة فى حُسْن وبياضٍ ونُعُومة عجيبة ، ولكنهم زُرْق العيون . وإذا سافر المسافر من جُولْمــان إلىٰ جهة الشرق ، وصل إلىٰ مدينة قَراقُوم قاعدة القان الكبير القديمة . قال : وهى من بلاد الصين ، وإذا سافر منها إلىٰ جهة الغرب وصل إلىٰ بلاد الرُّوس ، ثم إلىٰ بلاد الفَرَنْج .

ومنها (بلادُ الرُّوس) بضم الراء المهــملة وسكون الواو وسين مهملة فى الآخر . قال فى "مسالك الأبصار" : وهى بلادٌ واغلة فى الشَّمَال ، فى غربىِّ بلاد جُولْمــان المقدّمةِ الذكر . قال صاحب حماةَ فى تاريخه : ولهم جزائرُ أيضا فى بحر نيطش .

ومنها (بلادُ الباشقرد) . قال صاحب حماةَ فى تاريخــه : وهم أمة كبيرة مابين بلاد الباب وبلاد فَرَنْجــةَ . قال : وغالبهم نصارىٰ وفيهم مســلمون ، وهم شَرِسُو الأخلاق . قال فى "مسالك الأبصار" : وهى مُصاقِبة لبلاد جُولْمــان . ثم قال : وفى باشقرد قاضٍ مسلمٌ معتبر .

ومنها (بلاد البُرْجان) بضم الباء الموحدة وسكون الراء المهملة وفتح الجيم وألف ونون، وقد تبدل الجيم شينا . قال صاحب حماة فى تاريخه : وهم أمم كثيرةٌ طاغية قد فشا فيهم التثليثُ . قال : وبلادهم واغلةٌ فى الشَّمال، وأخبارهم وسِيَرُ ملوكهم منقطعة عنَّا لبُعْدهم وجفاء طِباعهم . وقد تقدّم أن البُرْجان غلب علىٰ مكانهم الألمانِيَّةُ، فيحتمل أنهم هؤلاء، ويحتمل أنهم طائفة أخرىٰ منهم غير هؤلاء .

ومنها (بلاد بَمْخ) بباء موحدة وميم ثم خاء معجمة . قال فى "مسالك الأبصار": وهى بلاد مشتركة بين بلاد الروس والفَرَنْج .

ومنها (بلاد بُوغْزَة) بباء موحدة ثم واو وغين وزاى ثم هاء فى الآخر . قال فى "مسالك الأبصار": قال الشيخ عَلَاء الدين بنُ النُّعمان الخوارزمى : وهى بلادٌ فى أقصىٰ الشَّمال ، وليس بعدها عِمَارة غير بُرج عظيم من بناء الإسكندر علىٰ هيئة المَنَارة العالية، ليس وراءه مذهب إلا الظلمات؛ وهى صَحَار وجبالٌ لا يفارقها الثلج والبَرْد، ولا تطْلُع عليها الشمس ، ولا ينبُت فيها نَبَات ، ولا يعيش فيها حيوان أصلا، متصلةٌ ببحرٍ أسودَ لا يزال يُمْطَر والغيم منعقِدٌ عليه، ولا تطلُع عليه الشمس أبدا . قال ابن النعمان : ويقال إن الإسكندرَ مرّ بأطراف أوائل جبال الظُّلُمات الغربيةِ من العِمارة فرأىٰ فيه أُناسًا من جنس التُّرك أشْبَهَ شىء بالوحوش لا يعرف أحدٌ بلُغتهم، وإذا أمسكهم أحد فَرُّوا من يده، يأكلون من نبات الجبال المجاوِرة لهم فإذا أَقْحَطوا أكل بعضُهم بعضا؛ فتركهم ولم يعترضهم .

واعلم أنه قد ذكر فى "مسالك الأبصار" عن الشيخ عَلَاء الدين بن النُّعمان أن التُّجَّار المتردّدين إلىٰ بلاد الديار المصرية لا يتعدَّوْن فى سفرهم بلادَ البُلْغار ، ثم يرجعون من هناك؛ ثم تُجَّار بُلْغار يُسافرون منها إلىٰ بلاد جُولْمان، وتُجَّار جُولْمان

يسافرون إلىٰ بلاد بُوغْرة التى ليس بعدها عمارة . وقد ذكر فى "تقويم البُلْدان" أن شمالىّ بلاد الرُّوس ممــا هو متصــل بالبحر المحيط الشمالىّ قوما يُبَايعون مُغايبةً . وذكر عن بعض من سافر إلىٰ تلك البلاد أنه إذا وصــل التُّجَّار إلىٰ تُخُومهم، أقاموا حتّٰى يعلموا بهم ، ثم يتقدّمون إلىٰ مكانٍ معروفٍ عندهم بالبيع والشراء ، فيضعُ كُلُّ تاجرٍ بضاعتَه ، ويعلِّمها بعلامة ، ثم يرجعون إلىٰ منازلهم ، ثم يحضُرُ أولئــك القومُ ويضعون مُقابِلَ تلك البضائع السَّمُّور ، والوشقَ ، والثعلبَ ، وما شاكل ذلك؛ ويَدَعُونه ويَمْضُون ، ثم يحضُر التجّار من الغَــد فمن أعجبه ذلك أخذه وإلا تركه ، حتّٰى يتفاصلوا علىٰ الرضا . وقد تقدّم ذكر مثلِ ذلك عن قوم بالهند وعن قوم ببلاد السُّودان فى الكلام علىٰ مملكة مالِّى .

قلت : وقد تقدّم فى الكلام علىٰ مملكة خوارزم والقَبْجاق من مملكة التورانيين فى القسم الثانى منهــا أن الجَرْكَس والرُّوس والآص أهلُ مُدُن عامرةٍ آهلة ، وجبال مُشْجِرة مُثْمِرة؛ ينْبُتُ عندهم الزرع ، ويدُرُّ الضَّرْع؛ وتجرى الأنهار، وتُجْنَى الثِّمار؛ ولا طاقة لهم بسلطان تلك البلاد . وإنْ كان فيهم ملوك فهم كالرَّعايا لصاحب السراى إن داروه بالطاعة والتُّحَف والطُّرَف كفَّ عنهم وإلاشنّ عليهــم الغارات وضايقهم وحاصرهم .

المقالة الثالثة

(فى ذكر أمورٍ تشترك فيها أنواعُ المكاتَبات ، والوِلايات ، وغيرِهما من الأسماء ، والكُنىٰ ، والألقابِ ، ومَقَادِيرِ قَطْع الورَق ، وما يناسب كلَّ مِقْدار منها من الأقلام ؛ ومقاديرِ البياض فى أوّل الدَّرْج وحاشيتِه ، ومقدارِ بُعْد مابين السُّطُور فى الكتابات ، وبيان المستَنَدات التى يصدُرُ عنها ما يُكْتَب من ديوان الإنشاء بهذه المملكة : من مكاتبات ، وولايات ، وكتابة الملَخَّصات ، وكيفيةِ تعيين صاحب الدِّيوان لها ، وبيان الفَوَاتح ، والخَوَاتم . وفيه اربعة أبواب) .

الباب الأوّل

(فى الأسماء والكُنىٰ والألقاب ، وفيه فصلان)

الفصل الأوّل

(فى الأسماء والكُنىٰ ، وفيه طَرَفان)

الطَّرَف الأوّل

(فى الأسماء)

والاَسمُ عند النُّحاة مادلَّ علىٰ مسمًّى دِلالةَ إشارة ، واشتقاقه من السِّمَة وهى العَلَامةُ لأنه يصير علامةً علىٰ المسمّى يميزه عن غيره ؛ أو من السمُوّ لأن الاَسم يَعْلُو المسمّى باعتبار وضعه عليه .

ثم المراد هنا بالاَسم أحدُ أقسام العَلَم : وهو ماليس بكُنْية ولالَقَب ، وفيه جملتان :

الجمـــــلة الأولىٰ

(فى أصـــل التسمية والمقصودِ منها، وتنويع الأسمـاء،
وما يُسْتَحْسن منها، وما يُسْتَقْبَح)

أما أصلُ التسمية فهى لاتخرج عن أمرين :

أحدهما أن يكون الآسم مُرْتَجَلا : بأن يَضَعُه الواضعُ علىٰ المسمّٰى آبتداء ، كأُدَد آسم رجل، وسُعَادَ آسم آمرأة، فإنهما ليسا بمسبوقين بالوضع علىٰ غيرهما . والرجوعُ فى معرفة ذلك إلىٰ النقل والآستقراء .

والثانى أن يكون الآسم منقولًا عن معنًى آخَر، كأسَدٍ إذا سمّى به الرجلُ نقلا عن الحيوان المفترِس ، وزيدٍ إذا سُمِّى به نقلا عن معنَى الزيادة وما أشبه ذلك . وهذا هو أكثر الأسمـاء الأعلام وُقوعًا، والرجوع فى معرفته إلىٰ النقل والآستقراء أيضا كما تقدّم فى المرتَجَل .

⁂

وأما المقصود من التســمية ، فتمييز المســمّٰى عن غيره بالآسمِ الموضوعِ عليــه ليتعـــرّف .

⁂

وأما تنويع الأسمـاء ، فيختلف باختلاف المســمِّينَ وما يَدُور فى خَزَائن خيالهم ممـا يألَفُونه ويُجاوِرُونه ويخالِطُونه .

فالعرب ــ أكثر أسمائهم منقولةٌ عَمَّا لدَيْهم مما يَدُور فى خزائن خَيَالهم إما من أسمـاء الحيوان كبَكْر : وهو ولَدُ الناقة ، وأَسَد : وهو الحيوان المفترِسُ المعروفُ ، وإما من

أسماء النَّبات كحَنْظَلَةَ : وهو آسم لواحدة الحَنْظل الذى هو النباتُ المعروفُ من نبات البادِيَة ، وطَلْحةَ : وهو آسمٌ لشجرة من شجر الغَضٰى ، وعَوْسَجَةَ : وهو آسم لشجرة من شجر البادِيَة . وإما من أجزاء الأرض كحَزْن : وهو الغليظُ من الأرض ، وصَخْر : وهو الصَّلْد من الحجارة . وإما من أسماء الزَّمان كرَبيع : وهو أحد فُصُول السنة الأربعةِ . وإما من أسماء النُّجوم كَسِمَاك : آسم لنَجْم معروف . وإما من أسماء الفاعلين : كحارث فاعِل من الحَرْث ، وهَمَّام فاعِل من هَمَّ أن يفعل كذا ، إلىٰ غير ذلك من المنقُولات التى لا تُحْصىٰ .

وكان من عادتهم أن يختاروا لأبنائهم من الأسماء مافيه البَأْس والشِّدّةُ ونحو ذلك : كمُحَارب ، ومُقاتِل ، ومُزَاحِم ، ومُدَافِع ونحو ذلك ؛ ولمواليهم ما فيه معنىٰ التَّفاؤُل : كفَلَاح ، ونَجَاح ، وسالِم ، ومُبارَك ، وما أشبهها ؛ ويقولون : أسماءُ أبنائنا لأعدائنا ، وأسماءُ مَوَالينا لنا ؛ وذلك أن الإنسان أكثرُ مايدعُو فى ليله ونَهارِه مواليَهُ للآستخدام دُونَ أبنائه فإنه إنما يحتاج إليهم فى وقت القتال ونحوه .

والتُّرْك — راعَوْا فى أسمائهم ما يدُلُّ علىٰ الجَلَادة والقُوّة مما يألَفُونه ويُجاوِرُونه ، وغالبُ ما يسمُّون باسم بَغَا ، ومعناه بلُغتهم الفحلُ : إما مفردًا كما تقدّم وهو قليل ، وإما موصوفًا بحيوان من الحيوانات ، مقدِّمينَ الصفةَ علىٰ الموصوف علىٰ قاعدة لُغَتهم فى ذلك ، كطيبغا بمعنىٰ فحلِ مُهْرٍ . وإما بمعدِنٍ من المعادن : كالطنبغا بمعنى فحلِ ذهبٍ ، وكمشبغا بمعنىٰ فحلِ فضةٍ ، وتمربَغا بمعنى فحلِ حديد . وربما أبدل آسمُ الفحل باسم الحديد ، وآسمه بلغتهم دُمُر كبى دُمُر بمعنى أسير حديد ، وطى دُمُر بمعنى مهر حديد . وربما أفردُوا الآسم بالوصف كدُمُر بمعنى حديد ، وأرسلان بمعنى أسد ، وتُنْكُز بمعنى بحر ، ونحو ذلك إلىٰ غير ذلك من المفردات والمركَّبات التى لا يأخذها

حصر . وكذلك كلُّ أمة من أمم الأعاجم تُراعِى فى التسمية ما يدور فى خِزَانة خيالها مـا يخالِطُونه ويُجاورونه .

وأما الأمم المتدينة فإنهم راعَوْا فى أسمائهم التسميةَ بأسماء أنبيائهم وصحابهم .

فالمسلمون — تسمَّوْا باسْمَيِ النبيّ صلى الله عليه وسلم الواردَيْنِ فى القرءان وهمـا "محمد" و "أحمد" إذ يقول صلَّى الله عليه وسلم، تَسَمَّوْا باسمى . وكذلك تسمَّوْا باسم غيره من الأنبيـاء عليهم السـلام : إما بكَثْرةٍ : كإبراهيمَ ، ومُوسٰى ، وهارونَ ، وإما بقِـلَّةٍ : كآدمَ، ونُوحٍ ، ولُوطٍ . وأخذوا بوافِرِ حَظٍّ من أسمـاء الصَّحَابة رِضْوان الله عليهم : كأبى بَكْرٍ ، وعُمر، وعُثمانَ، وعلىٍّ، وحَسَنٍ، وحُسَيْن، وما أشبه ذلك .

والنصارىٰ — تسمَّوْا باسم عيسٰى وغيره من الانبياء عليهم السـلام ممن يعتقدون نُبوّتَه : كإبراهيم، وإسحاقَ ، ويعقُوب ، ويُوسفَ، وموسٰى ؛ وكـذلك أسمـاء الحوارِيِّين : كبُطْرُس ، ويُوحَنَّا ، وتُوما ، ومَتّٰى ، ولُوقَا، وسِمْعان ، وبرتلوما، وأندراوس، ونحوها : كمُرْقُص، وبُولص، وغيرهما .

واليهود — تسمَّوْا باسم موسٰى عليه السـلام وغيره من الأنبيـاء الذين يعتقدون نُبوّتَهم : كإبراهيم ، وإسحـاقَ، ويعقوبَ ، ويُوسفَ ؛ ولم يتسمَّوْا باسم عيسٰى عليه السلام لإنكارهم نبوّتَهُ .

***

وأما مايُسْتحسن من الأسماء فما وردت الشريعةُ بالنَّدْب إلىٰ التسمية به : كأسماء الأنبياء عليهم السلام ، وعبد الله ، وعبدِ الرحمن ، ففى سُنَنِ أبى داود والتِّرْمذىّ من

رواية أبى وَهْبٍ الجُشَمِىّ أن النبىّ صلّى الله عليه وسلم قال : «تَسَمَّوْا بأسماءِ الأنبياء، وأَحَبُّ الأسماءِ إلىٰ اللهِ عبدُ اللهِ، وعبدُ الرحمن؛ وأصدَقُها حارثٌ، وهَمَّام؛ وأقبحُها حَرْبٌ، ومُرَّةُ» .

* * *

وأما ما يُسْتَقْبَح فما وردتِ الشريعةُ بالنهى عنه : إما لكَرَاهةِ لفظه كحَربٍ ومُرَّة، وإما للتطَيُّر به كرَبَاح، وأفْلَح، ونَجِيح، وراجِح، ورافِع، ونحوها . ففى صحيح مسلم وغيره النهىُ عن التسمية بمثـل ذلك معلَّلًا بأنك تقول : أثَمَّ هو ؟ فيُقَال لا،وإما لعَظَمةٍ فيه : كالتسمية بشاهِنْشاهْ، ومعناه بالفارسية مَلِك الأملاك . ففى الصحيحين من رواية أبى هُرَيْرة أنه أخْنَعُ اسمٍ . وقد ورد فى جامع الترمذىّ من حديث عائشةَ رضى الله عنها، «أن النبىّ صلّى الله عليه وسلم كان يُغَيِّر الاسمَ القَبِيحَ» .

الجمـــــــلة الثانية

(فى مواضع ذكر الأسماء فى المكاتَبَات والوِلَايات)

أما المُكاتباتُ ، فالأسماء التى تذكر فيها علىٰ أربعة أنواع :

النوع الأوّل

(اسم المكتوب عنــــه)

وذِكره إنمـا يقَع فى المكاتبات فى موضع الخُضُوع والتواضُع ، إذ من شأن المكتوب عنه ذلك؛ وله مَحلّان :

المحل الأوّل — فى نفس المكاتَبة وذلك فيما إذا كانت المكاتبة بصورةِ «من فلان إلىٰ فُلانٍ» كما كان يُكْتَب عن النبىّ صلى الله عليه وسـلم : من محمدٍ رسولِ الله إلىٰ

فلانٍ ، وكما كان يُكْتَب عن الخلفاء : من عبدِ الله فلانٍ أمير المؤمنـين إلىٰ فلانٍ ، وكما يكْتَب الآن فى المكاتبات السلطانيــة إلىٰ ملوك المغرب ، وما يكتب عنهم إلىٰ الأبواب السلطانية ونحو ذلك .

المحل الثانى — العَلَامة فى المكاتَبات كما يكتب الملوك فلان، أو أخوه فلان ، أوشاكِرُه فلانٌ، أوفلانٌ فقط، ونحو ذلك علىٰ آختلاف المراتب الآتية علىٰ ماسيأتى الكلام عليه إن شاء الله تعالىٰ .

النـــــــوع الثانى

(آسمُ المكتوب إليه، وله مَحَلّان)

المحل الأوّل — ابتداء المكاتبــة كما يُكْتَب فى بعض المكاتبات «من فلان إلىٰ فلان ، أو إلىٰ فلانٍ من فلانٍ» ونحو ذلك؛ وكما يكتب فى مكاتبات القانات، فُلَان خان؛ وكما يذكر آسم ملوك الكُفْر فى مكاتباتهم عن الأبواب السلطانية ونحو ذلك . وفيما عدا ذلك من المكاتبات المصدّرة بالتقبيل والدعاء وغيرهما من المصطلح عليــه فى زماننا وما قاربه لايُصَرَّح باسم المكتوب إليــه غالبا تعظيما له عن التفوّه بذكره ، إذ ترك التصريح بالآسم دليــلُ التعظيم والتوقير والتبجيلِ ، بخلاف الكُنْية واللَّقَب ، فإنهما بصدد التعظيم للقَّب أو المَكْنِيّ علىٰ ما سـيأتى بيانُه فيما بعدُ إن شاء الله تعالىٰ ولذلك لم يخاطِبِ اللهُ تعالىٰ نبيَّه محمدا صلّى الله عليه وسلم فى كتابه العزيز بآسمه تشريفًا لمَقَامه ، ورفعةً لمحله ، فلم يقل يامحمدُ وياأحمدُ كما قال يا آدمُ ، يا نوحُ ، ياإبراهـيمُ ، ياموسىٰ ، ياعيسىٰ . بل قال ﴿ يـٰأيُّها الرَّسولُ . يـٰأيُّها النبىُّ ﴾ وقد صرَّح أصحـابنا الشافعيةُ وغيرهم أنه لايجوز نِداؤُه صلّى الله عليه وسلم بآسمه آحتجاجا بالآية الكريمة .

وفى كتاب ابن السنىّ عن أبى هريرة رضى الله عنه « أن النبىّ صلّى الله عليه وسلم رأىٰ رجُلًا معه غُلامٌ فقال للغُلَام : مَنْ هذا ؟ ــ قال أبِى ــ قال : فلا تَمْشِ أمامَهُ ولا تَسْتَسِبَّ له ، ولا تجلِسْ قَبْلَهُ ، ولا تَدْعُهُ بِاسْمِهِ » .

المحل الثانى ــ العُنْوان من الأدنىٰ إلىٰ الأعلىٰ ، كما يكتب فى عُنْوان بعض المكاتبات « مُطالَعة الملوك فلان » علىٰ ماسيأتى فى الكلام علىٰ العنوان . وإذا كان من تعظيم المخاطَب أن لايُخاطَب باسمه فكذلك فى مكاتَبته : لأن المكاتبة الصادرةَ إلىٰ الشخص قائمةٌ مَقامَ خِطابه ، بل المكاتبة أجدرُ بالتعظيم لاصطلاحهم فى القديم والحديث علىٰ ذلك .

النـــوع الثالث

(اسـم المكتوب بسـببه)

وهو ممـا لانقْصَ فيه بسبب ذكره ، إذ لا بُدّ من التصريح باسمه ليُعْرف ، اللهم إلا أن يَشْتَهِر حتّى تغنِيَ شُهرتُه عن ذكر اسمه ؛ وله محلان :

المحل الأوّل ــ فى الطرّة بأن يقال « هذا ماعَهِد به فُلَانٌ » إما الخليفةُ فى عهده بالخلافة أو السَّلْطنة ، أو السلطانُ فى عهده بالسلطنة علىٰ ماسيأتى بيانُه . وفى معنىٰ ذلك البَيْعات بأن يقال « مبايعةٌ شريفة لفلان » ونحو ذلك .

المحل الثانى ــ صَـدْر الولاية حيث يقال : هذا ماعهِد عبدُ الله ووليُّه فلان ، أو من عبدِ الله ووليِّـه فُلان ، ونحو ذلك علىٰ اختلاف المذاهب فى الابتـداء علىٰ ماسيأتى .

النـــــــوع الرابع

(آسم مَنْ تَصْدُر إليه الوِلايةُ، وله محلان)

المحل الأوّل — فى الطُّرّة إما فى العُهود حيث يقال : هذا ماعهِد فلانٌ إلىٰ فلان . وإما فى التقاليد والتواقيع والمَرَاسِيم، حيث يقــال : أن يُفوّض إلىٰ فلان، أو أن يستقِرّ فلان، أو أن يرتّب فلانٌ .

المحل الثانى — أثناء الولاية حيث يقــال : أن يُفوّض إلىٰ فلان، أو أن يستقِرّ فلان ، أو أن يُرتّب فلان ، علىٰ نظير ما فى الطرّة ؛ أما المولّى عليه فقلّ أن يُذْكَر كما فى التحدّث علىٰ شخص معيّن ونحوه .

الطَّــــرَف الثــانى

(فى الكُنىٰ)

والكُنْية عند النُّحاة أحد أقسام العَلَم أيضا، والمراد بها ماصُدِّر بأبٍ أو أُمٍّ، مثل أبى القاسم، وأمّ كُلْثُوم وما أشبه ذلك . وقد كان للعرب بالكُنىٰ أتمّ العِنَاية ، حتّى إنهم كنّوا جملةً من الحيوان بكُنًى مختلفة : فكَنّوا الأسدَ بأبى الحارِث ، والثعلبَ بأبى الحُصَيْن، والدِّيكَ بأبى سُلَيمان؛ وكَنّوا الضَّبُعَ بأمّ عامرٍ، والدَّجاجةَ بأمّ حَفْصَة، والجَرَادةَ بأُمّ عَوْف ونحو ذلك . وفيه ثلاثُ جمل :

الجمـــــلة الأولىٰ

(فى جواز الكُنْية ، وهى علىٰ نوعيـــن)

النــــــــوع الأوّل

(كُنىٰ المسلمين)

قال الشيخ محيي الدين النووىّ رحمه الله فى كتابه "الأذكار" : وجوازُ التكنِّى أشهرُ من أنـــ نذكُر فيه شيئًا منقولا ، فإن دلائله يشترك فيها الخواصُّ والعوامُّ . قال : والأدبُ أن يُخاطَب أهلُ الفضل ومَنْ قاربهم بالكُنْية ، وكذلك إن كَتَب إليه رسالةً ، أو روىٰ عنه روايةً . فيقال : حدثنا الشيخ أو الإمامُ أبو فلانٍ فلانُ بنُ فلان وما أشبهه .

وآعلم أنـــ الأوّلين أكثرُ ما كانوا يعظِّمون بعضُهم بعضا فى المخاطبات ونحوها بالكُنىٰ ، ويَرَوْن ذلك فى غاية الرِّفعة ونهاية التعظيم حتّٰى فى الخلفاء والمُلُوك : فيقال: أبو فُلان فُــلانٌ ، وبالَغُوا فى ذلك حتّٰى كَنَّوْا من آسمُــه فى الأصــل كُنْيةٌ فقــالوا فى أبى بكر «أبو المَنَاقِب» آعتناءً بشأن الكُنْية ؛ وربما وقف الأمرُ فى الزمنِ القديم فى تكنيَة خاصَّــة الخليفة وأمرائه علىٰ ما يكَنِّيه به الخليفــةُ ، فيكون له فى الرِّفْعــة منتهًى ينتهى إليه ؛ ثم رجع أمرُهم بعد ذلك إلىٰ التعظيم بالألقاب . علىٰ أن التعظيم بالكُنىٰ باقٍ فى الخلفاء والمُلُوك فَــنْ دُونَهم إلىٰ الآنَ علىٰ ما ستقف عليه فى مواضعه إن شاء الله تعــالىٰ ، وكذلك القُضاةُ والعلماء ، بخلاف الأمراء والجُنْــد والكُتَّاب ، فإنه لاعِنايةَ لهم بالتَّكَنِّى .

ثم لا فرق فى جواز التكَنِّى بين الرجال والنساءِ، فقد كانت «عائشةُ» أمُّ المؤمنين رضى الله عنهـا تكَنّى «بأمِّ عبدِ الله» وكذلك غيرُها من نساء الصحابةِ والتابعـين كان لهنَّ كُنًى يكْتَنِينَ بها .

النـــــوع الثـانى

(كُنىٰ أهل الكُفْر والفَسَقة والمبتدِعين)

قال النووىّ : والكافِرُ والفاسقُ والمبتـدِعُ إن كان لا يُعْرَف إلا بالكُنْية جاز تكْنِيَتُه . قال تعالى ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِى لَهَبٍ ﴾ وآسمه عبدُ العُزّىٰ، قيـل : إنه ذكر تكنِيَتَه لكونه كان لا يُعْرَف إلا بها، وقيل : كراهةً لآسمه حيثُ جُعِل عبدًا للصَّنَمِ؛ وقد تكرر فى الحديث ذكْرُ أبى طالبٍ بكنيته ، وآسمه عبـدُ مَنَاف . وفى الصحيح أنه صلّى الله عليه وسلم «لَمَّـا مَرَّ بأرضِ الحِجْر من الشأم ، قال هذا قَبْرُ أبِى رِغَالٍ» لعاقرِ الناقةِ من قومِ ثَمُودَ . قال : وكذلك إذا خِيف من ذكره باسمه فتنةٌ، كما ثبت فى الصحيحين «أن رسولَ اللهِ صلّى الله عليه وسلم رَكِبَ علىٰ حِمَارٍ ليعُودَ سَعْدَ بنَ عُبَادةَ رضى الله عنه، فَمَرّ فى طَرِيقه علىٰ عبدِ الله بنِ أُبَىٍّ ابنِ سَلُولَ المنافِقِ ، وما كان من بَذَاءتِه علىٰ النبىّ صلّى الله عليه وسلم حِينَ مَرّ عليه ، وأن النبىّ صلّى اللهُ عليه وسـلم سار حتّى دخل علىٰ سَـعْدِ بنِ عُبادةَ ــ فقال النبىّ صلى الله عليه وسـلم : ألم تَسْمَعْ إلى ماقال أبو حُبَابٍ ؟ (يريدُ عبدَ الله بنَ أبَىٍّ آبنَ سَلُولَ) قال كذا وكذا . وذكر الحديثَ . قال : فإن كان يُعْرَف بغير الكُنْية ولم تُخَفْ فتنةٌ لم يُزَدْ علىٰ الآسم كما ثبت فى الصحيحين أن النبىَّ صـلى الله عليه وسـلم كتَبَ «من محمدٍ عبدِ الله ورسولِهِ إلىٰ

هِرَقْلَ » فسمّاه باسمه ولم يكنّه ولا لقّبه بمَلِك الرُّوم . قال : ونظائر هذا كثيرة، وقد أُمِرْنا بالإغْلاظِ عليهم، ولا ينبغِى لنا أن نُكَنّيهم، ولا نَرْفُقَ بهم، ولا نُلِينَ لهم قولا، ولا نُظْهِرَ لهم وُدّا ولا مُؤالَفَة .

الجملة الثانية

(فيما يُكْنىٰ به، وهو علىٰ نوعين)

النوع الأوّل

(كُنىٰ الرجال، ولها حالان)

الحال الأول — أن يكون للرجُل ولَدٌ أو أولادٌ . قال النووىّ : فإن كان له ولَدٌ يُكَنّى به، ولا فرقَ فى ذلك بين أن يكون الولد ذكرًا أو أنثىٰ، فيجوز تكنية الرجل بأبى فلانةَ كما يجوز بأبى فلان . فقد تكنّىٰ جماعةٌ من أفاضل السَّلَف من الصحابة والتابعين رضى الله عنهم بأبى فلانةَ، فمن الصحابة أبو لَيْلَىٰ : والدُ عبد الرحمن بن أبى لَيْلَىٰ، وأبو فاطمةَ الليثىُّ، وأبو مَرْيَمَ الأزْدىُّ، وأبو رُقَيَّةَ تميمٌ الدارىُّ، وأبو زُرْعة المِقْدادُ بن معدِى كربَ . ومن التابعين أبو عائشةَ مَسْروقُ بن الأجْدَع وخلائقُ لا يُحْصَوْن . وإن كان له أولادٌ يكنّى بأكبرهم : فقد كان النبىّ صلى اللهُ عليه وسلم يُكَنّىٰ بأبى القاسِم، وكان القاسمُ أكبرَ بنِيهِ .

وفى سُنَنِ أبى داودَ والنَّسائىّ عن شُرَيْح الحارثىّ أنه وَفَد علىٰ رسول اللهِ صلى الله عليه وسلم مع قَوْمِهِ فسَمِعهم يُكَنُّونه بأبى الحَكَم، فدعاه رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم فقال : إنَّ اللهَ هو الحَكَمُ وإليه الحُكْم ! فلِمَ تُكَنّىٰ أبا الحَكَم ؟ — فقال : إنَّ قومى

ٱختَلَفُوا فى شَىْء فأتَوْنِى فحَكَمْتُ بينهم فرضِىَ كِلَا الفريقَيْنِ ـ فقـال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما أحسَنَ هذَا ! فما لَكَ من الوَلَدِ؟ ـ قال : شُرَيْحٌ، ومسلِمٌ، وعبدُ الله ـ قال : فمَن أكبَرُهم؟ ـ قال ـ شُرَيْح ـ قال : فأنْتَ أبو شُرَيْح »

فلو تكنّى بغير أولاده فلا بأس به قاله النووىّ . ثم قال : وهـذا البابُ واسعٌ لايُحصَى من يتّصف به .

وقد اختُلِف فى جواز التكنّى بأبى القاسم : فنص الشافعىّ رضى الله عنه على أنّه لا يجوز التكنّى بذلك مُطْلَقا، لما ورد أنه صلى الله عليه وسلم قال «تَسَمَّوْا باسْمِى ولا تَكْتَنُوا بكُنْيَتِى». وذهب ذاهبُونَ إلى تخصيص ذلك بحياتِه صلى الله عليه وسلم احتجاجًا بأن المنعَ فيـه كان لِعِلّة : وهى أن اليهودَ كانوا يُنادُون ياأبا القاسِم ! فإذا ٱلتفتَ النبىُّ صلّى الله عليه وسلم قالوا : لم نَعْنِكَ ، قصْدًا لإيذائِهِ صلّى الله عليه وسلم وقد زالت هـذه العلّة بوفاته صلى الله عليه وسـلم ، وٱختاره النووىُّ من أصحابنـا الشافعيةِ. وذهب آخَرُون إلى تخصيص المَنْع بما إذا جُمِع لواحدٍ بين الآسم والكُنْيَة، بأن يتَسمّى محمدا و يتكَنّى بأبى القاسم، بخلاف ما إذا لم يكن ٱسمُه محمدا فإنه يجوز، وهو وَجْه قوىّ .

الحال الثـانى ـــ أن لا يكون للرجُل ولدٌ بأن لم يُولَدْ له ولَدٌ اصـلا ، قال النووىّ : فيجوز تكنيَتُه حتّى الصّـغيرِ . ففى الصحيحين عن أنس بنِ مالك رضى الله عنه قال : « كان النبىُّ صلّى الله عليـه وسلم أحسَنَ الناسِ خُلُقًا، وكان لِى أخٌ يُقَال له أبُو عُمَيْرٍ (قال الراوى) : أَحْسَـبُه فَطِيما، وكان النبىُّ صلى الله عليه وسـلم إذ اجاء يقول ياأبا عُمَيْر، ما فعل النُّغَيْر؟ لنُغَيْرٍكان يلْعَبُ به » . قال النووىّ : وكان من الصحابة رضوانُ الله عليهـم جماعاتٌ لهم كُنًى قبـل انـــ يُولَد لهم ،

كأبى هريرةَ وخلائقَ لا يُحْصَوْن من التابعين فمن بعدهم . قال : ولا كراهةَ فيه بل هو محبوب بشَرْطه .

وآعلم أن الرجل قد يكون له كُنيتانِ فأكثرُ، فقد كان لأمير المؤمنين عثمانَ بن عفّانَ رضى الله عنه ثلاثُ كُنًى : أبو عَمْرو، وأبو عبد الله، وأبو لَيْلىٰ .

النـــوع الثـانى
(كُنىٰ النساء)

والحال فيه أنه إن كان للمرأةِ ولدٌ تكنّتْ به ذكرا أو أنثىٰ ، كما تقدّم فى الرجل . وإن كان لها أولاد تكنّتْ بأكْبَرِهم مع جواز الكُنْية بغير أولادِها كما فى الرجل أيضا . قال النووىّ : ويجوز تكنيتُها ولو لم يُولَدْ لها، ففى سُنَن أبى داودَ وغيره بأسانيدَ صحيحةٍ عن عائشــةَ رضى الله عنها قالت : « يارسولَ اللهِ كُلُّ صَوَاحِبِى لَهُنّ كُنًى ؛ قال : فاكْتَنِى بابْنِك عَبْدِ اللهِ ـ يعنى عبدَ الله بنَ الزُّبير، وهو آبن أختها أسماءَ، وكانت عائشةُ رضى الله عنها تكنىٰ أمَّ عبدِ الله» قال : هــذا هو الصحيح المعروف . وما رواه آبن السنىّ عن عائشة أنها قالت «أَسْقَطْتُ من النبىّ صلى الله عليه وسلم سِقْطا فسمّاه عبدَ الله » فحديث ضعيف . ثم كما تجوز تكنيةُ الرجل بأبى فلانة، يجوز تكنية المرأة بأُمّ فلانةَ من باب أوْلىٰ .

الجمـــــــــلة الثـالثة

(فى التكنّى فى المكاتبـات والولايات)

فأما الكُنْية فى المكاتبات فعلىٰ ثلاثة أنواع :

النوع الأوّل

(تكنّى المكتوب عنـــه)

قال محمد بن عمر المداينى فى كتاب "القلم والدواة" : أوّلُ من آكتنىٰ فى كُتُبه «الوليدُ بنُ عبد الملك» . قال النووى فى "الأذكار" : والأدبُ أن لايذْكُر الرجلُ كنيتَه فى كتابه ولا فى غيره إلا أن لايُعْرف إلا بكُنْيته، أوكانت الكنية أشهرَ من آسمه . وقال أبو جعفر النحاسُ : إذا كانت الكنيةُ أشهرَ، يكنّى علىٰ نظيره ويسمّى لمَنْ فوقَه ثم يُلْحَقُ «المعروفَ أبَا فُلانٍ، أو بأبِى فُلانٍ» .

ثم الكنية من المكتوب عنـه قد تكون فى صَـدْر الكتاب كما يُكْتَب عن الخلفاء « من عبد الله ووَلِيّه أبِى فلانٍ فلانٍ أميرِ المؤمنـين » أو فى موضع العَلَامة كما يكتب فى الطغراة من السـلطان لملوك الكُفْر بعـد سِيَاقةِ ألقـاب السـلطان « أَبُو فُلانٍ فلانٌ » أو فى العُنْوان كما كان يكتب فى المصطلَح القديم «من أبِى فلانٍ فلان إلىٰ فُلانٍ» .

النوع الثـانى
(تَكْنِيَة المكتوب إليـه)

وبه كان الاعتناء فى الزمن المتقدِّم لا سِيَّما إذا كان المكتوبُ إليه ممَّن يَسْتحِقُّ التعظيمَ بالتكنِيَة . وكنيةُ المكتوبِ إليـه[1] تارةً تكون فى عُنْوان الكتاب كما يُكْتَب « إلىٰ أبى فُلانٍ فُلان » وتارة تكون فى صَـدْر الكتاب كما كان يكتب « من فُلان إلىٰ أبى فُلانٍ فُلانٍ» .

النوع الثـالث
(تكنيةُ المكتوب بسببه)

وهى تارةً تذكر فى طُـرَّة الكتاب فيقـال فيمن قُصِـد تعظيمه « بمـا قصـده أبُو فلان فُلان» وٱستعماله قليل . وتارة تذكر فى أثناء الكتاب حيث يجرى ذكُره .

* * *

وأما الكنية فى الولايات فلها محلان :

أحدهما ـ فى طُرَّة الولاية، حيث يقال : «عَهْد شريف [لأبى فُلانٍ][2] فُلان» أو «تقليدٌ شريفٌ بأن يُفَوّض إلىٰ [أبى فلانٍ][2] فُلان» .

والثانى ـ فى أثناء الولايات حيثُ يجرِى ذكُره علىٰ ماسيأتى بيانه إن شاء الله تعالىٰ.

---

(١) فى الاصل عنه ، وهو غير مناسب ، والتصحيح عن الضوء للؤلف .

(٢) الزيادة عن الضوء .

الفصـــل الثـانى

من البـاب الأوّل من المقـالة الثـالثة

(فى الألقاب، وفيه طرفان)

الطَّرَف الأوّل

(فى أصول الألقاب، وفيه جملتان)

الجمـــلة الأولىٰ

(فى معنى اللَّقَب والنَّعْت، وما يجوز منه ويمتنِـع)

أما اللقب فأصلُه فى اللغة النَّــبَزُ ــ بفتح البـاء . قال آبن حاجب النعمان فى "ذخيرة الكُتَّاب" : والنَّبَز مايخاطَبُ به الرجلُ الرجلَ من ذكرعيوبه وما سَتْره عنده أحبُّ إليه من كَشْفه، وليس من باب الشَّتْم والقَذْف .

✤

وأما النعتُ فأصله فى اللغة الصِّفَة . يقال : نعتَه يَنْعَتُـه نَعْتا إذا وصَفَه . قال فى "ذَخِيرة الكُتَّاب" : وهو مُتَّفَق علىٰ أنه ما يختاره الرجل ويُؤْثِره ويزيد فى إجلاله ونَبَاهتــه، بخلاف اللَّقَب . قال : لكن العامَّةُ آستعملت اللقَبَ فى موضع النَّعْت الحَسَن، وأوقعوه مَوْقِعَه لكثرة آستعمالِهِمْ إيَّاه، حتّىٰ وقع الاتِّفاق والاَصطِلاحُ علىٰ آستعماله فى التشريف والإجْلال والتعظيم والزيادةِ فى النَّبَاهة والتَّكْرِمة .

قلت : والتحقيق فى ذلك أن اللَّقَب والنعت يُستعملانِ فى المَدْح والذمِّ جميعا: فمن الألقاب والنُّعوت ماهو صــفةُ مدحٍ ومنها ما هو صــفةُ ذمٍّ . وقد عرّفت النحاةُ اللقَبَ بأنه ما أدّىٰ إلىٰ مَــدْح أو ذمٍّ ؛ فالمؤدِّى إلىٰ المدح كأميرِ المؤمنين ،

وزَيْنِ العابدين ، والمؤدّى إلى الذمّ كأنف الناقة وسعيد كُرْز وما اشبه ذلك .
والنعتُ تارةً يكون صفةَ مدح ، وتارةً يكون صفةَ ذمٍّ ، ولا شكَّ أن المراد هنا من اللقَب والنَّعْت ما أدّى إلى المدح دُونَ الذمِّ . وقد اصطلح الكُتَّاب على أن سَمَّوا صِفاتِ المدح التى يُوردونها فى صُدور المُكاتبات ونحوها بصيغة الإفراد كالأميرِ والاميرىّ والأجلِّ والأجلِّىّ والكَبِير والكَبِيرىّ ونحو ذلك ألقاباً ، وصِفاتِ المدح التى يُوردُونها على صورة التركيب كَسَيْف أمير المؤمنين وظَهير الملوك والسَّلاطين ونحو ذلك نُعوتاً ، ولا معنى لتخصيص كلِّ واحدٍ منهما بالاسم الذى سَمَّوْه به إلا مجرّدُ الاصطلاح ، ولا نزاع فى إطلاق اللقَب والنعْتِ عليهما باعتبارين : فمن حيث إنها صفاتٌ مؤدّيةٌ إلى المدح يُطْلَق عليها اسمُ اللقَب ، ومن حيث إنها صفاتٌ لذواتٍ قائمةٌ بها يطْلَق عليها اسمُ النعْتِ .

⁂

وأما مايجوز من ذلك ويمتنع ، فالجائز منه ما أدّى إلى المَدْح مما يحبّه صاحبه ويُؤْثِره ، بل ربما استُحِبَّ ، كما صرح به النووىّ فى «الأذكار» للإطباق على استعماله قديمًا وحديثًا . والممتنع منه ماأدّى إلى الذمّ والنَّقِيصةِ مما يكْرَهه الإنسان ولا يُحِبُّ نسبتَه إليه . قال النووىّ : وهو حرام بالاتفاق ، سواء كان صفةً له : كالأعْمَش ، والأجْلَح ، والأعمى ، والأحْوَل ، والأبْرَص ، والأشَجّ ، والأصْفَر ، والأحْدَب ، والأصَمِّ ، والأزْرَق ، والأشْتَر ، والأثْرَم ، والأقْطَع ، والزَّمِن ، والمُقْعَد ، والأشَلِّ ، وما أشبه ذلك . أو كان صفة لأبيه : كابنِ الأعمى ، أو لأمّه : كابن الصَّوْراء ونحو ذلك مما يكرهه قال تعالى : ﴿ولا تَنَابَزُوا بِالألْقاب بِئْسَ الاسْمُ الفُسُوقُ بَعْدَ الإيمانِ﴾

قال : وٱتفقوا علىٰ جواز ذكره بذلك علىٰ جهةِ التعريفِ لمَنْ لايَعْرِفه إلا بذلك؛ ودلائلُ ذكره كثيرةٌ مشهورة، وهو أحدُ المواضع التى تجوزُ فيها الغِيبةُ .

الجمـــــلة الثـانية

(فى أصل وضع الألقابِ والنُّعوت المؤدِّيةِ إلىٰ المَدْح)

وٱعلم أن ألقـاب المَدْح ونُعوتَه لم تزل واقعـةً علىٰ أشراف الناس وجِلَّة الخَلْق فى القديم والحديث؛ فقد ثبت تلقيبُ إبراهيم عليه السلام بـ«الخَليل» وتلقيبُ موسىٰ عليه السلام بـ«الكَليم» وتلقيبُ عيسىٰ عليه السلام بـ«المَسيح» وتلقيبُ يونُس عليه السلام بـ«ذِى النُّون» وكان النبيّ صلى الله عليه وسلم يلَقَّب قبل البعثة بـ«الأَمين» ووردت التواريخ بذكر ألقابِ جماعةٍ من العرب فى الجاهليَّة : كذى يَزَن، وذى المَنار، وذى نُوَاس ، وذى رُعَيْن ، وذى جَدَنٍ ، وغيرهم ممـا هو مشهورٌ شائع . وكذلك وقعت ألقابُ المَـدْح علىٰ كثيرٍ من عُظَماء الإسـلام وأشرافِه كالصحابة رضوانُ الله عليهم فمَنْ بَعدَهم من الخُلَفاء والوُزَراء وغيرهم : فكان لقبُ أبى بكر «عَتيقًا» ثم لُقِّب بـ«الصِّدّيق» بعـد ذلك ، ولَقَبُ عُمَر « الفـاروقَ » ولقَبُ عثمانَ « ذا النُّورَيْن » ولقب علِيٍّ «حَيْدَرَةَ» ولقبُ حمزةَ بنِ عبدالمطلب «أسدَ اللهِ» ولقبُ خالدِ بنِ الوليد «سيفَ الله» ولقبُ عَمْرو(1) بن عمرو «ذا اليدَيْنِ» ولقبُ مالك بن التَّيِّهان الأنصاريّ «ذا السَّيْفَيْنِ» ولقبُ خزيمةَ بنِ ثابت الأنصاريّ «ذا الشَّهادتينْ» ولقب جَعْفَر بن أبى طالب بعد ٱستشهاده «ذا الجَنَاحَيْنِ» .

وأما الخُلَفاء، فخلفاء بنى أُمَيَّة لم يتلقبْ أحدٌ منهم، فلما صارت الخلافةُ إلىٰ بنى العَبَّـاس وأُخِذت البيعةُ لإبراهيم بن محمدٍ، لُقِّب بـ«الإمام» ثم تلقب مَنْ بعده من

(1) فى كتب اللغة والحديث أن اسمه الخرباق فلعل فيه خلافا .

خلفائهم : فتلقّب محمدُ بن علىّ بـ«السَّفّاح» لكثرة ماسَفَح من دماء بنى أُميّة . وآختُلف فى لقبه بالخلافة : فقيل «القائم» وقيل «المهتدى» وقيل «المرتضى» وألقابُ الخُلفاء بعده وإلى زماننا معروفة مشهورةٌ علىٰ مامرّ ذكره فى المقالة الثانية . وعلىٰ ذلك كانت ألقابُ خلفاء بنى أُميّةَ بالأندلس إلىٰ حين آنقراضهم علىٰ ما هو مذكور فى مكاتبة صاحب الأندلس ، علىٰ ماسيأتى فى المكاتبات فى المقالة الرابعة إن شاء اللهُ تعالى .

ثم تعدّت ألقابُ الخلافة إلىٰ كثير من ملوك الغَرْب بعد ذلك ، وتلا الخلفاءَ فى الألقاب الوزراءُ لآستقبال الدولة العباسيّة وما بعد ذلك : فلُقِّب أبوسلمةَ الخَلّالُ وزيرُ السَّفّاح بـ«وزير آل محمد» ولَقَّب المهدىُّ وزيرَه يعقوبَ بن داودَ بن طَهْمان «الأخَ فى الله» ولَقَّب المأمونُ الفضلَ بنَ سهل حين آستوزره «ذا الكِفايتَيْن» ولَقَّب أخاه الحسنَ بن سَهْل «ذا الرِّياستَيْن» ولقَّب المعتمدُ علىٰ الله وزيرَه صاعِدَ آبنَ مخلد «ذا الوزارتَيْن» إشارة إلىٰ وزارة المعتمِد والموفَّق ؛ وكان لقبُ إسماعيل آبن بلبل الشكور «الناصرَ لدين الله» كألقاب الخلفاء .

وكذلك وقع التلقيبُ لجماعة من أرباب السُّيوف وقُوّاد الجيوش : فتلقب أبو مُسْلم الخُراسانىّ صاحبُ الدَّعوة بـ«أمير آل محمد» . وقيل «سَيْف آل محمد» وتلقب أبو الطيِّب طاهرُ بن الحسين بـ«ذى اليَمينَيْن» ولَقَّب المعتصمُ بالله حيدَرَ آبن كاووس بـ«الأَفْشين» لأنه أُشْرُوسَنِىٌّ ، والأَفْشِينُ لقبٌ علىٰ المَلِك بأُشْرُوسَنَةَ ولُقِّب إسحاق بن كيداح أيامَ المعتمد بـ«ذى السَّيفَيْن» ولُقِّب مُؤْنس فى أيام المقتدِر بـ«المظَفَّر» ولُقِّب سلامةُ أخو نُجْح أيام القاهر بـ«المؤتَمَن» ولُقِّب أبو بكر آبن محمد بن طُغْج(1) الراضى بالله بـ«الأَخْشِيد» والأَخْشِيد لَقَبٌ علىٰ المَلِك بفَرْغانة .

(1) معنى طغج عبد الرحمن كما فى آبن خلكان .

ثم وقع التلقيب بالإضـافة إلى الدَّوْلة فى أيام المكتفِى بالله : فلَقَّب المكتفِى أبَا الحُسَيْنِ بنَ القاسم بنِ عُبَيْـد الله « وَلِيَّ الدولة » (١) ، وهو أوّل من لُقِّب بالإضافة إلى الدولة ، ولَقَّب المقتدرُ بالله علىَّ بنَ أبى الحسين المتقدّم ذكره «عَمِيدَ الدولة» (١) .

ووافت الدولة البُوَيْهِيَّة أيام المُطِيع لله والأمرُ جارٍ على التلقيب بالإضافةللدولة ، فافتُتِحت ألقاب المُلوك بالإضافة إلى الدولة ، فكان أوّلَ من لُقِّب بذلك من الملوك بَنُو بُوَيْه الثـلاثة : فلُقِّب أبو الحسن علىّ بن بُوَيْه بـ«عِمَاد الدولة » ولقِّب أخوه أبو علىّ الحسنُ بـ«رُكْن الدولة» وأخوهما أبو الحُسَين أحمدُ بـ«مُعِزّ الدولة» ثم وافى «عضُدُ الدولة» من بعــدهم فاقترح أن يلَقَّب بـ«تاج الدَّوْلة» فلم يُجَبْ إليــه وعُدِل به إلى « عَضُــد الدولة » ، فلما بذل نفْسه للعاونة على الأتراك ، آختار له أبو إسحاق الصابى صاحبُ ديوان الإنشاء « تاجَ المِلَّة » مضافا إلى عَضُد الدولة ، فكان يقال « عَضُــد الدولة وتاجُ المِلَّة » ولُقِّب أبو محمد الحسنُ بنُ حَمْدانَ أيامَ المتقى لله «ناصرَ الدولة» ولُقِّب أخوه أبو الحسن علىُّ بنُ حَمْدان «سَيْف الدولة» .

وبقِىَ الأمرُ على التلقيب بالإضافة إلى الدولة إلى أيام القــادر بالله فافتتِحَ التلقيبُ بالإضافة إلى الدين . وكان أوّلَ مَنْ لقِّب بالإضافة إليه أبو نَصْر بهــاءُ الدولة بنُ عَضُــد الدولة بنِ بُوَيه ، زِيدَ على لقبــه بهاءِ الدولة « نِظامُ الدِّين » فكان يقال «بهــاءُ الدولة ونِظَام الدِّين» قال آبن حاجب النعمان : ثم تزايد التلقيبُ به وأَفْرَط ، حتّى دخل فيــه الكُتَّاب والجُنْــد والأعرابُ والأكراد ، وسائرُ من طَلَب وأراد ، وكره (؟) حتّى صار لقبا على الأصل . ولا شـك أنه فى زماننا قد خرج عن الحدّ

(١) لم يذكر فى الضوء لفظ الأب فى المحلين .

حتّٰى تعاطاه أهـلُ الأسواق ومَنْ فى معناهم ، ولم تَصِر به مِيزةٌ لكبير علىٰ صـغير ، حتى قال قائلهم :

طَلَع الدِّينُ مسـتغيثًا إلىٰ اللهِ * وقال : العِبـادُ قد ظَلَمُونى !

يَتَسَمَّوْن بى ، وحقك لا أعـ * ـرِفُ مِنْهُمْ شخصًا ولا يَعرِفُونى !

أما الديارُ المِصرية فكان جريهم فى الألقاب علىٰ ما ينتهى إليهم خبرُه من ألقاب الدولة العباسِيَّة ببغدادَ ، فتلقب خلفاءُ الفاطميِّين بها بنحو ألقاب خُلَفاء بنى العَبَّاس ببغداد ، فكان لقبُ أوّل خلفائهم بهـا «المعزّ لدين الله» وثانيهم بهـا «العزيز بالله» وعلىٰ ذلك إلىٰ أن كان لقبُ آخرهم «العاضِد لدِين الله» علىٰ ما تقدّم فى المقالة الثانية فى الكلام علىٰ مُلُوك الديار المِصْرية .

وتلقَّب وُزَراؤهم وكُتَّابهم بالإضافة إلىٰ الدولة ؛ وممن لُقِّب بذلك فى دولتهم «وَلِىّ الدولة » بنُ أبى كُدَيْنَةَ وزيرُ المستنصر ، وأيضا « ولىُّ الدولة » بنُ خَيْران كاتبُ الإنشاء المشهور . ولما صارت الوزارة لبدر الجمالىّ تلقَّب بـ«أمير الجُيُوش» . ثم تلقب الوُزَراء بعده بنحو « الأفْضَل » و « المأمُون» . ثم تلقبوا بالمَلِك الفُلانىّ ، كـ«الملك الأفْضـل » و « الملك الصالح » ونحو ذلك علىٰ ما سـيأتى بيانه إن شاء الله تعـالىٰ .

وكان الكُتَّاب فى أواخر الدولة الفاطميَّة إلىٰ أثناء الدولة الأيُّوبِيَّـة يلقَّبُون بـ«الفاضل » و «الرَّشيد » و « العِمَاد» وما أشبه ذلك ؛ ثم دخلوا فى عموم التلقيب بالإضافة إلىٰ الدين ، واختص التلقيب بالإضافة إلىٰ الدولة كولىّ الدولة بكُتَّاب النصارىٰ ، والأمرُ علىٰ ذلك إلىٰ الآنَ .

الطرف الثـانى

(فى بيان معانى الألقاب، وفيه تسعُ جملٍ)

الجمـــــــلة الأولىٰ

(فى الألقاب الخاصّة بأرباب الوظائف المعتبَرة التى بهـا ٱنتظامُ أمور المملكة وقِوَامُها؛ وهى قسمان)

القســــم الأوّل

(الألقابُ الإسلاميّة؛ وهى نوعان)

النـــوع الأوّل

(الألقاب القديمةُ المتداوَلة الحُكْم إلىٰ زماننا ، وهى صنفان)

الصنف الأوّل

(ألقاب أرباب السيوف، وهى سبعةُ ألقاب)

الأوّل ـــ الخليفةُ . وهو لَقَبٌ علىٰ الزعيم الأعظم القائم بأمور الأُمّة ؛وقد ٱختُلِف فى معناه، فقيل : إنه فَعِيلٌ بمعنىٰ مفعول، كَجَرِيح بمعنىٰ مَجْروح، وقَتِيل بمعنىٰ مَقْتول ويكون المعنىٰ أنه يَخْلُفه مَنْ بعده ؛وعليه حمل قوله تعالىٰ﴿إِنِّى جَاعِلٌ فى الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ علىٰ قول من قال : إن آدم عليه السلام أوّلُ من عَمَر الأرضَ وخَلَفه بَنُوه من بعده. وقيل : فَعِيل بمعنىٰ فاعل، ويكون المراد أنه يَخْلُف[1] من بعـده، وعليه حمل الآيةَ من قال إنه كان قبْـلَه فى الأرض الجنُّ وإنه خَلَفَهم فيهـا ، وٱختاره النّحّاس

(١) كذا فى الضوء أيضا وفى نسخة أخرى والأظهر من قبله .

فى "صناعة الكُتّاب" : وعليه اقتصر البَغَوىّ فى "شرح السُّنّة" والماوَرْدىُّ فى "الأحكام السُّلْطانية". قال النحّاس : وعليه خُوطِب أبو بكر الصِّدّيق رضى اللهُ عنه بخليفةِ رسولِ الله .

وقد أجازوا أن يُقال فى الخليفة « خَليفةُ رسول الله » لأنه خَلَفه فى أُمَّته . وٱختلَفُوا هل يجوز أن يُقال فيه خَليفةُ الله : فجوّز بعضُهم ذلك لقيامه بحقوقه فى خَلْقه محتجِّين بقوله تعالىٰ : ﴿وَهُوَ الَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ﴾ وامتنع جُمْهورُ الفقهاء من ذلك محتجِّين بأنه إنما يَسْتَخْلِف من يَغيب أو يموتُ واللهُ تعالىٰ باقٍ موجود إلىٰ الأبَد لايَغيب ولا يموتُ . ويؤيّد مانُقِل عن الجمهور بما رُوِى أنه قيل لأبى بكرٍ رضى الله عنه : ياخليفَةَ الله — فقال : لَسْتُ بخَليفةِ اللهِ ولكنِّى خَليفةُ رسولِ اللهِ ، وقال رجل لعمَرَ بنِ عبد العزيز : ياخليفَةَ اللهِ — فقال : وَيْلَكَ ! لقد تَناوَلْتَ مُتناوَلًا بَعيدا ! إنَّ أُمِّى سمَّتْنِى عُمَرَ ، فلو دعَوْتَنِى بهذا الاسم قَبِلْتُ ، ثم كَبِرت فكُنِّيتُ أباحَفْصٍ ، فلو دَعَوْتَنِى به قَبِلْتُ ، ثم وَلَّيْتُمونِى أُمورَكم فسَمَّيتمونى أميرَالمؤمنين ، فلو دعَوْتَنِى به كفاك . وخصّ البغوىُّ جوازَ إطلاقِ ذلك بآدمَ وداودَ عليهما السلام ، محتجًّا بقوله تعالىٰ فى حق آدم : ﴿إِنِّى جَاعِلٌ فِى الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ وقوله فى حَقِّ داود : ﴿يادَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِى الْأَرْضِ﴾ ثم قال : ولا يسمّى أحدٌ خليفةَ الله بعدهما . قال فى "شرح السنّة" : ويسمّى خليفةً وإن كان مخالفا لسيرة أئمة العَدْل .

ثم قد كَرِه جماعةٌ من الفقهاء منهم « أحمدُ بنُ حنبل » إطلاقَ ٱسم الخليفةِ علىٰ ما بعدَ خلافة « الحسنِ بنِ علىّ » رضى الله عنهما فيما حكاه النحاسُ وغيره ، محتجِّين بحديثِ «الخِلافةُ بَعْدِى ثَلاثُونَ» يعنى ثلاثين سنة ، وكان ٱنقضاءُ الثلاثين بانقضاء

خلافةِ الحَسَن ؛ ولمـا ٱنقضتِ الخلافةُ صارت مُلْكا . قال المعافىٰ بنُ إسماعيل فى تفسيره : وقد رُوِى أن عُمَرَ بن الخطاب رضى الله عنه سأل طلحةَ والزُّبَيْرَ وكَعْبا وسَلْمانَ عن الفَرْق بين الخَليفة والمَلِك ــ فقال طلحةُ والزبير لانَدْرِى ــ فقال سَلْمانُ : الخليفةُ الذى يَعْـدل فى الرعيَّه ، ويَقْسِم بينهم بالسَّوِيَّه ، ويُشْفِق عليهم شَفقةَ الرجل علىٰ أهله والوالِدِ علىٰ وَلَده ، ويقضِى بينهم بكتَاب الله تعالىٰ ــ فقال كعب : ماكُنْتُ أحْسَب أن فى هذا المجلس مَنْ يُفَرِّق بين الخليفة والمَلِك ، ولكِنَّ الله ألهم سَلْمانَ حُكْما وعِلْمـا ! .

وٱختُلِف فى الهـاء فى آخره : فقيـل أُدْخِلت فيه للمبالغـة كما أُدْخِلت فى رجلٍ داهيـةٍ وراوِيَةٍ وعَلَّامة ونَسَّابة وهو قول الفَرَّاء ، وٱستحسـنه النحاسُ ناقلا له عن أكثر النحويين وخَطَّأه علىُّ بنُ سـليمانَ محتجًّا بأنه لو كان كذلك لكان التأنيثُ فيـه حقيقيًّا . وقيـل : الهـاء فيه لتأنيث الصِّـيغةِ . قال النحاس : وربمـا أسقطُوا الهـاءَ منه وأضافُوه فقالوا «فلانٌ خَلِيفُ فلانٍ» يعنون خليفتَهُ .

ثم الأصل فيه التذكيرُ نظرا للمعنىٰ لأن المراد بالخليفـة رجلٌ وهو مذكَّر ، فيقال أمر الخليفةُ بكذا علىٰ التذكير ، وأجاز الكوفيُّون فيه التأنيثَ علىٰ لفظِ خليفـةٍ فيقال أمرتِ الخليفةُ بكذا ، وأنشد الفرَّاء .

* أَبُوكَ خَلِيفةٌ وَلَدَتْه أُخْرىٰ *

ومنعه البَصْريون محتجين بأنه لو جاز ذلك لجاز قالتْ طلحةُ فى رجل اسمه طلحةُ وهو ممتنع . فإنْ ظهر ٱسمُ الخليفة تعين التذكيرُ باتِّفاق فتقول قال أبُو جعفرٍ الخليفةُ او قال الراضى الخليفةُ ونحو ذلك . ويجمَعُ علىٰ خُلَفَاءَ ككريم وكُرَماءَ ، وعليه ورد قوله تعـالىٰ : ﴿ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ ﴾ وعلىٰ خَلائِفَ كصحيفةٍ

وصحائف، وعليه جاء قوله تعالى : ﴿وَهُوَ الَّذِى جَعَلَكُمْ خَلائِفَ الأرض﴾ والنسبةُ إليــه خَلَفىّ كما يُنْسَب إلى حنيفة حَنَفىّ . وقول العامة درهم خَليفَتِيّ ونحوه خطأ، إذ قاعدةُ النسب أن يحذَفَ من المنسوب إليــه الياء وهاء التأنيث على ما هو مقرّر فى علم النحو . وممن وَهِم فى ذلك المقرُّ الشهابىُّ بنُ فضــل الله رحمــه الله فى كتابه "التعريف" حيث قال : وأوّل مانبدأ بالمكاتبة إلى الأبواب الشريفة الخليفتيَّة ، ولعله سبقُ قلم منه، وإلا فالمسألة أظهرُ من أن يجهلَها أو تخفى عليه .

الثانى — المَلِك . وهو الزَّعيم الأعظمُ ممن لم يُطْلَق عليه آسمُ الخلافة، وقد نطق القرءانُ بذكره فى غير موضع كما فى قوله تعالى : ﴿إنَّ اللهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طالُوتَ مَلِكًا﴾ ﴿وقال المَلِكُ ائْتُونِى بِهِ﴾ إلى غير ذلك من الآيات . ويقال فيــه مَلْك بكسر اللام ومَلْك بإسكانهــا ومَليك بزيادة ياء، ومنــه قوله تعــالى : ﴿عِنْــدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ﴾ قال الجوهرىّ : والمَلِك مقصورٌ من مالك أو مَليك ؛ ويجمع على مُلُوك وأمْلاك . ويقال لموضع المُلْك المَمْلَـكة .

الثالث — السُّــلْطان . وهو آسمٌ خاصٌّ فى العُرف العــامّ بالملوك . ويقال : إن أوّلَ من لُقِّب به « خالدُ بنُ بَرْمَك » وزيرُ الرشيد، لَقَّبه به الرشــيدُ تعظيما له، ثم آنقطع التلقيب به إلى أيام بنى بُوَيْه فتلقب به مُلُوكُهم فمَنْ بعدهم مِن الملوك السَّلاجِقَة وغيرهم وهَلُمَّ جرًّا إلى زماننا .

وأصلُه فى اللغة الحُجَّة قال تعالى : ﴿وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ من سُلْطان﴾ يعنى من حُجَّة . وسُمِّى السلطان بذلك لأنه حُجَّة على الرعية يجب عليهم الآنقيادُ إليه .

وآختُلِف فى آشتقاقه : فقيــل إنه مشتقٌّ من السَّــلاطة وهى القهر والغَلَبة : لقهره الرعيةَ وآنقيادِهم له، وقيل مشتقٌّ من السَّليط : وهو الشَّيْرَجُ فى لغة أهلِ اليمن

لأنه يُستضاءُ به في خَلاص الحقوق ، وقيل من قولهم لسانٌ سَليط أي حادّ ماضٍ لمضيّ أمره ونُفوذِه . وقال محمد بن يزيدَ البَصْريّ : السُّلْطانُ جمعٌ واحده سليط كقفيز وقُفْزانٍ، وبَعير وبُعرانٍ .

وحكىٰ صاحب "ذخيرة الكُتَّاب": أنه يكون واحدًا ويكون جمعا، ثم هو يُذَكَّر علىٰ معنىٰ الرجل، ويؤنَّث علىٰ معنى الحُجَّـة . وحكىٰ الكسائىُّ والفرَّاءُ علىٰ التأنيث عن بعض العرب قضَتْ به عليك السلطانُ . قال العسكرىّ فى كتابه " الفُرُوق " فى اللغـة : والفرق بينـه وبين المَلِك أن المِلكَ يختَصُّ بالزعيم الأعظم، والسُّـلطانَ يُطْلَق عليه وعلىٰ غيره . وعلىٰ ماذكره العسكرىّ عُرْف الفقهاء فى كتبهم، إذ يُطْلقونه علىٰ الحـاكم من حيثُ هو حتّٰى علىٰ القاضى فيقولون فيمن ليس لهـا وَلِىّ خاصٌّ يزوّجُها السـلطانُ ونحو ذلك . ومن حيث إن السـلطان أعمُّ من الملِك يُقَـدَّم عليه فى قولهم السلطانُ الملكُ الفلانىّ : ليقع السـلطانُ أوّلا علىٰ الملك وعلىٰ غيره ثم يخرج غيرُ الملك بعد ذلك بذكر الملك .

الرابع ــ الوزير . وهو المتحدّث للمَلِك فى أمر مملكته . وآختُلِف فى آشتقاقه : فقيل مشتق من الوَزَر بفتح الواو والزاى وهو المَلْجأ ، ومنه قوله تعالىٰ : ﴿كَلَّا لَا وَزَرَ﴾ سُمِّى بذلك لأن الرعية يَلْجَـُون إليه فى حوائجهم ، وقيل مشـتق من الأوْزَار وهى الأمتعة، ومنه قوله تعالىٰ : ﴿ولٰكِنَّا حُمِّلْنَا أوْزارًا من زِينَةِ القَوْمِ﴾ سمِّى بذلك لأنه متقلِّد بخزائن المَلِك وأمتعته، وقيل مشتق من الوِزْر بكسر الواو وإسكان الزاى وهو الثِّقْل، ومنه قوله تعـالىٰ : ﴿حَتّٰى تَضَعَ الحَرْبُ أوْزارَها﴾ سمى ذلك لأنه يتحمل أثقال المَلِك، وقيل مشـتق من الأَزْر : وهو الظَّهر، سمى بذلك لأن المَلِك يقوىٰ بوزيره كقوّة البَدَن بالظهر، وتكون الواو فيه علىٰ هذا التقدير منقلبةً عن همزة . وقد

أوضحت القولَ فى ذلك فى "النفحات النَّشْرية فى الوزارة البَدْرية" . قال القُضاعى فى " عيون المعارف فى أخبار الخلائف " : وأوّل من لُقِّب بالوِزَارة فى الإسلام أبوسلَمةَ : حفصُ بن سَلْمان الخَلَّال و زيرُ السفَّاح . قال : وإنما كانوا قبل ذلك يقولون كاتِب . ثم هو إما وَزيرُ تفويضٍ : وهو الذى يُفَوِّض الإمامُ إليه تدبيرَ الأمور برأيه وإمضاءَها علىٰ آجتهاده كما كانت الوُزَراء بالديار المصرية من لَدُنْ وِزَارة بَدْرٍ الجَمَالىّ وإلىٰ حين آنقراضها، وإما وزيرُ تنفيذٍ : وهو الذى يكون وَسيطا بين الإمام والرَّعايا معتمِدا علىٰ رأْيِ الإمام وتدبيرِه . وهذه هى التى كان أهلُ الدولة الفاطميةِ يعبِّرون عنها بالوَسَاطة . أما الوِزَارة فى زماننا فقد تقاصَرتْ عن ذلك كلِّه حتّى لم يبقَ منها إلا الآسمُ دون الرَّسْم ؛ ولم تزل الوِزَارةُ فى الدُّوَل تتردّد بين أرباب السيوف والأقلام تارةً وتارةً إلا أنها فى زماننا فى أربابِ الأقلام .

الخامس — الأمير . وهو زعيمُ الجيش أو الناحيةِ ونحو ذلك ممن يولِّيه الإمامُ . وأصله فى اللغة ذو الأمْر وهو فعيل بمعنى فاعل فيكون أمير بمعنى آمِر ، سمى بذلك لآمتثال قومه أمره . يقال : أَمُرَ فلان إذا صار أميرا ، والمصدر الإمْرة والإمَارة بالكسر فيهما ، والتأميرُ توليةُ الأمير؛ وهى وظيفةٌ قديمة .

السادس — الحاجبُ . وهو فى أصل الوضع عبارةٌ عمن يبلِّغ الأخبارَ من الرعيَّة إلىٰ الإمام و يأخُذُ لهم الإذنَ منه ؛ وهى وظيفة قديمةُ الوضع كانت لآبتداء الخلافة فقد ذكر القُضاعىّ فى "عيون المَعَارف" لكل خليفة حاجبًا من آبتداء الأمْرِ وإلىٰ زمانه : فذكر أنه كان حاجبُ أبى بكرٍ الصدّيقِ رضى الله عنه «شديدًا» مولاه، وحاجبُ عمر «يَرْفأ» مولاه ، وحاجبُ عثمانَ «حُمْرانَ» مولاه، وحاجب علىّ «قُنْبراً» مولاه، وعلىٰ ذلك فى كل خليفة، ماعدا الحسنَ بنَ علىّ رضى الله عنهما فإنه لم يذكر له حاجبًا . وسمِّى الحاجب بذلك لأنه يحجُب الخليفةَ أو المَلِكَ عمّن

يدخُل إليه بغير إذن . قال زياد لحاجبه : « وَلَّيتك حِجَـابِي وعَزَلْتك عن أربع : هـذا المنادِى إلىٰ اللهِ فى الصلاة والفَلَاح فلا تعُوجَنَّه عنِّى ولا سُلطانَ لك عليـه ، وطارقُ الليـل فلا تحجُبْه فَشَرٌّ مَّا جاء به ولو كان خيرًا ما جاء فى تلك السـاعة ، ورسولُ الثَّغْر فإنه إن أبطأ ساعةً أفسد عَمَلَ سنةٍ فأدخِلْه عَلَىَّ وإن كنتُ فى لِحَـافِى ، وصاحبُ الطعام فإن الطعام إذا أُعِيد تسخِينُه فسد » .

ثم تصرَّف الناسُ فى هذا اللقَب ووضعُوه فى غير موضعه ، حتّٰى كان فى أعقابِ خلافةِ بنى أُمَيَّةَ بالأندَلُس ربمـا أُطْلِق علىٰ من قام مَقامَ الخليفة فى الأمر ، وكانوا فى الدولة الفاطميّـة بالديار المصرية يعبِّرون عنـه بصاحبِ البـاب كما سـبق بيانُه فى المقـالة الثانية فى الكلام علىٰ ترتيب دولتهم . اما فى زماننا فإنه عبارةٌ عمن يَقِف بين يدَىِ السلطان ونحوِه فى المواكب ، ليبَلِّغ ضَروراتِ الرعية إليه ، ويركب أمامه بعصًا فى يده ، ويتصدّٰى لفَصْل المَظَالم بين المتداعيَيْنِ خصوصا فيما لاتسوغ الدعوىٰ فيـه من الأمور الدِّيوانية ونحوها . وله ببلاد المغرب والأندَلُس أوضاعٌ تخصُّـه فى القديم والحديث ، علىٰ ما سيأتى ذكره فى الكلام علىٰ مكاتباتهم فى المقالة الرابعـة إن شاء الله تعالىٰ .

السابع — صاحبُ الشُّرْطة . بضم الشين المعجمة وإسكان الراء : وهو المعبَّر عنه فى زماننـا بالوالى ، وتجمع الشُّرْطة علىٰ شُرَطٍ بضم الشين المعجمة وفتح الراء . وفى آشتقاقه قولان : أحدهما أنه مشتقٌّ من الشَّرَط بفتح الشين والراء وهى العَلَامة ، لأنهـم يجعلون لأنفسهم علاماتٍ يُعْرَفون بهـا ؛ ومنه أشْراطُ الساعة يعنى علاماتها ، وقيل من الشَّرَط بالفتح أيضا : وهو رُذَال المـال ، لأنهم يتحدّثون فى أراذِل الناس وسِفْلتهم ممن لامالَ له من اللُّصوص ونحوهم .

الصّنف الثّانى

(ألقابُ أربابِ الأقلام، وفيه ثلاثةُ ألقاب)

الأوّل — القاضى . وهو عِبارةٌ عمن يتولّى فصلَ الأمور بين المتداعيَيْن فى الأحكام الشرعيّة . وهى وظيفةٌ قديمة كانت فى زَمَن النبىّ صلّى الله عليه وسلم . فقد ذكر القُضَاعىّ أنه صلّى الله عليه وسلم وَلّى القضاءَ باليمن علىَّ بنَ أبى طالب ومُعَاذَ بنَ جَبَل وأبا مُوسٰى الأشعرىَّ ؛ وأن أبا بكر رضى الله عنه ولّى القضاءَ عُمَرَ آبنَ الخطاب رضى الله عنه .

ثم هو مشتَقٌّ من القضاء ؛ وآختُلِف فى معناه فقال أبو عبيد : هو إحكامُ الشىء والفَرَاغُ منه ، ومنه قوله تعالىٰ : ﴿وقَضَيْنَا إلىٰ بَنِى إِسْرائِيلَ فى الكِتَابِ﴾ أى أخبرناهم بذلك وفرَغْنا لهم منه . قال أبو جعفر النحاس : وسمِّى القاضِ قاضيًا لأنه يقال قَضىٰ بين الخصمين إذا فَصَل بينهما وفَرَغ ؛ وقيل معناه القَطْعُ ، يقال قضىٰ الشىءَ إذا قَطَعه ، ومنه قوله تعالىٰ : ﴿ فَاقْضِ ما أَنْتَ قَاضٍ ﴾ وسمى القاضى بذلك لأنه يَقْطَع الخصومة بين الخصمين بالحُكْم . علىٰ أن كُتَّاب الزمان يُطْلِقون هذا اللقبَ والالقاب المتفرّعة منه كالقضائىّ والقاضَوِىّ علىٰ أرباب الأقلام فى الجملة ، سواء كان صاحبُ اللَّقَب متصدّيا لهذه الوظيفة أو غيرها ، كسائر العُلَماء والكُتّاب ومَنْ فى معناهم ؛ وعلىٰ ذلك عُرْفُ العامّة أيضا .

الثانى — المحتسِبُ . وهو عبارةٌ عمن يقوم بالأمر بالمعروف والنّهى عن المنكر، والتحدّث فى أمْر المَكَاييل والمَوَازين ونحوهما . قال الماوردىّ فى "الأحكام السلطانية" : وهو مشتقٌّ من قولهم حَسْبُك بمعنى اكْفُفْ ، سُمِّى[1] بذلك لأنه يكفى

(١) عبارة الضوء نقلا عن الماوردى هكذا (وهو مشتق من قولهم حسبك بمعنى اكفف لأنه يكف عن الظلم وقال النحاس من قولهم أحسبه إذا كفاه لأنه يكفى الخ) وبه تعلم ما فى الاصل .

النـاسَ مئُونةَ من يَبْخَسُهم حقوقَهـم . قال النحاس : وحقيقتُـه فى اللغة المجتهِد فى كِفَاية المسلمين ومنفعتِهم إذ حقيقةُ ٱفتعل عند الخليل وسيبويه بمعنى ٱجتَهَد .

وأوّلُ مَنْ قام بهذا الأمر وصنَع الدِّرّة عمرُ بنُ الخَطّاب رضى الله عنه فى خلافته. وقد كانوا فى الأيام الفاطميَّة بالديار المصرية يُضِيفونها إلىٰ الشُّرْطة فى بعض الأحيان، كما هو موجود فى تقاليد الحِسْبة فى زمانهم .

الثالث — الكاتب . وقد تقدّم ٱشتقاقُه ومعناه فى مقدِّمة الكتاب، وأنه كان فى الزمن الأوّل عنـد الإطلاق إنمـا يُراد به كاتبُ الإنشاء ثم تغيَّر الحـال بعد ذلك إلىٰ أن صار فى العُرْف العـامِّ بالديار المصرية عنـد الإطلاق يراد به كاتبُ المـال ومَنْ فى معناه . وهو من الألقاب القديمة فقد تقدّم فى الكلام علىٰ الوِزَارة من كلام القُضَاعىّ أنهم قبل التلقيب بالوِزَارة فى الدولة العباسيَّة فى خلافة السفَّاح إنمـا كانوا يقولون كاتِب .

قلت : ووراء ماتقدّم من الألقاب القديمة المتداوَلة ألقابٌ أُخْرىٰ كانت مستعملةً فى الأيام الفاطمية ثم رُفِضت الآنَ وتُرِكَتْ .

كـ«صاحب المَظَالم» وهو المتحدِّث فى فصل الخُصُومات .

وصاحب الصَّلاة : وهو المتحدِّث فى أمر المساجد والصلوات .

وكالمتحدّث فى الوَسَاطة ، وهى القيام بوظيفة الوِزَارة ممن لم يؤهَّل لإطلاق ٱسم الوِزَارة عليه .

وصاحبِ البابِ كنحو الحاجب .

وداعى الدُّعاة للشِّيعة ونحو ذلك .

النـــــوع الثـانى
(الألقابُ المحدَثة)

وهى إما عَرَبيَّة ، وإما عَجَميَّة . والعجميَّة منها إما فارسيَّة ، وإما تُرْكيَّة ، وأكثرها الفارسيَّة . والسببُ فى استعمال الفارِسِىّ منها وإن كانت الفُرْس لم تَلِها فى الإسلام أن الخلافةَ كانت ببغْدادَ وغالبُ كلام أهلها الفارسيةُ ، والوظائفُ منقولةٌ عنها إلىٰ هذه المملكة ، إما مُضاهاةً كما فى الدولة الفاطمية علىٰ قِلَّة ، كما فى الاسْفَهْسلاَر ، وإما تبعا كما فى الدولة الأيوبية فما بعدها .

وهى أربعة أصناف :

الصنف الأوّل
(المفـرَدة ، وهى ضربان)

الضرب الأوّل
(مالفظه عَرَبِىّ ، وهو ثلاثة ألقاب)

الأوّل — النائِبُ : وهو لقبٌ علىٰ القائم مَقامَ السلطان فى عامَّة أموره أو غالبِها ، والألِف[1] فيه منقلبةٌ عن واو . يقال : نابَ فلانٌ عن فلانٍ يَنُوب نَوْبا ومَنَابا إذا قام مَقامه فهو نائبٌ . ويطلق هذا اللقب فى العُرْف العامِّ علىٰ كل نائبٍ عن السلطان أو غيره بحضرتِه أو خارجا عنها فى قُرْب أو بُعْد ، إلا أن النائب عن السلطان بالحضرة يُوصَف فى عُرف الكُتَّاب بالكافِل : فيقال « النائبُ الكافلُ » وفى حال الإضافة «كافِلُ الممالكِ الإسلاميَّة» علىٰ ماسيأتى ذكره فى النُّعوت إن شاء الله تعالىٰ ،

(١) مراده الهمزة التى هى عين فاعل .

والنـائبُ عنه بدِمَشْق يقال فيـه «كافِلُ السَّلْطنة» ومَنْ دونه من أكابر النُّوّاب : كنائب حلَبَ ونائب طَرَابُلُس ونائب حَماةَ ونائب صَـفَدَ ونائب الكَرَك من الممـالك الشامية، ونائبِ الإسكندريّة ونائبَيِ الوجهين : القِبْلى والبحرىّ بالديار المصرية . [يقال فيه نائب السلطنة الشريفـة بكذا ليس إلا](١) ويقال فيمن دُونَهم من النُّوّاب بالممـالك الشامية كنائب حمْص ونائب الرَّحْبة وغيرهما «النائبُ بفلانة» .

الثـانى ــ الساقِى . وهو لَقَب علىٰ الذى يتولّى مدَّ السِّماط وتقطيعَ اللحم وسَقْىَ المشروب بعد رَفْع السِّماط ، ونحو ذلك . وكأنه وُضِع فى الأوّل لسَقْىِ المشروب فقط ثم ٱستُحْدث له هذه الأمورُ الأُخْرىٰ تبعًا . ويجوز أن يكون لُقِّب بذلك لأنّ سَقْىَ المشروب آخرُ عمله الذى يَخْتِمُ به وظيفتَهُ .

الثـالث ــ المُشْرِف . وهو الذى يتولّى امر المَطْبَخ ويَقِف علىٰ مشـارَفة الأطبخة فى خِدْمة إستادار الصُّحْبة الآتى ذكره، ومعناه ظاهر .

الضرب الثـانى

(مالفظه عجمىّ وهو لَقَبٌ واحدٌ)

وهو «الأَوْجَاقِىّ» وهو لقبٌ علىٰ الذى يتولّى ركوبَ الخيول للتسْـيير والرياضة، ولم أقف علىٰ معناه .

---

(١) الزيادة من الضوء ص ٣٤٢ ليتم الكلام .

الصنف الثانى
(المركّبة، وهى ثلاثة اضرب)

الضرب الأوّل
(ماتمحّض تركيبُه من اللفظ العربىّ، وفيه سبعةُ ألقاب)

الأوّل — مَلِك الأُمَراء . وهو من الألقاب التى ٱصطُلِح عليها لكُفّال الممالك من نُوّاب السلطنة، كأكابر النُّوّاب بالممالك الشامية ومَنْ فى معناهم . وذلك أنه قام فيهم مَقامَ المَلك فى التصرّف والتنفيذ، والأمراءُ فى خِدْمته كخِدْمة السلطان . وأكثرُ ما يخاطَبُ به النوّابُ فى المكاتَبات ، وذلك مختصٌّ بغير المخاطَبات السلطانية ، أما السلطان فلا يُخاطَب عنه أحدٌ منهم بذلك .

الثانى — رأْس نَوْبة . وهو لَقَب علىٰ الذى يَتحدّث علىٰ مماليك السلطان أو الأمير، وتنفيذِ أمْرِه فيهم ، ويجمع علىٰ رُءُوس نُوَب . والمراد بالرأس هنا الأعلىٰ أخذا من رأس الإنسان لأنه أعلاه . والنَّوْبة واحدةُ النُّوَب وهى المرّة بعد الأُخْرىٰ، والعامّة تقول لأعلاهم فى خِدْمة السلطان « رأْس نَوْبة النُّوَب » وهو خطأ لأن المقصود علُوُّ صاحب النَّوْبة لا النوبة نفسها، والصواب فيه أن يقال : « رأْس رءُوس النُّوَب» أى أعلاهم .

الثالث — أمير مَجْلِس . وهو لقَبٌ علىٰ مَنْ يتولّىٰ أمر مجلس السلطان أو الأمير فى الترتيب وغيره ؛ ويجمع علىٰ أُمَراءَ ؛ ومعناه ظاهر، والأحسنُ فيه أن يقال أميرُ المجْلِس بتعريف المضاف إليه، وتكون الألف واللام فيه للعهد الذِّهْنى ، إما مجلسُ السلطان أو غيرِه .

الرابع ــ أميرُ سِــلاح . وهو لقبٌ علىٰ الذى يتولّى أمْرَ سِلاح السلطانـ أو الأمير . ويجمع علىٰ أُمَراءِ سِلاح ، والسـلاح آلة القتال . قال الجوهرىّ : وهو مذكَّر ويجوز تأنيثه .

الخامس ــ مُقَدَّم المماليك . وهو لقبٌ علىٰ الذى يتولّى أمر المَماليك للسلطان أو الأمير ــ من الخُدّام الخِصْيان المعروفين الآنَ بالطَّواشيَّة . ومقامُه فيهم نحو مَقام رأس النَّوْبة ، ولفظ المقدَّم والمماليك معروف .

السادس ــ أمــيرُ عَلَم . وهو لقبٌ علىٰ الذى يتـولّى أمرَ الأعلام السـلطانية والطَّبْلخاناه وما يجرِى مَجْرىٰ ذلك . والعَلَم فى اللغــة يطلق بإزاء معانٍ أحدها الرايةُ[(١)] ، وهو المراد هنا .

السـابع ــ نقيبُ الجَيْش . وهو الذى يتكفَّل بإحضار مَنْ يطلُبه السلطان من الأمراء وأجناد الحَلْقــة ونحوهم ، والنقيب فى اللغــة العَرِيف الذى هو ضَمِين القوم وفى التنزيل حكايةً عن بنى اسرائيل : ﴿وبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾ ويقال : نَقَب علىٰ قومه يَنْقُب نَقْبا مثل كَتَب يكتُب كَتْبا . والجَيْش العسكر ويجمع علىٰ جُيُوش . أما بالمَمَالك الشامية فإنه يقال فى مثله نَقِيب النُّقَباء .

الضرب الثـانى

(ماتمحّض تركيبُه من اللفظ العجمىّ)

وقاعدةُ اللُّغات العجميَّة تقديمُ المضافِ[(٢)] إليه علىٰ المضاف ، والصِّفةِ علىٰ الموصوف ، بخلاف اللغة العربية . ولهذا الضرب حالتان :

---

(١) فى الأصول التروية ، والتصحيح عن الضوء .

(٢) فى الاصول " المضاف علىٰ المضاف اليه " وهو سبق قلم .

الحـالة الأولىٰ

(أن تكون الإضافةُ إلىٰ لفظ دار)

وهى لفظةٌ فارسـية معناها مُمسِكٌ فاعل من الإمساك . وكثير من كُتَّاب الزمان أو أكثرُهم بل كلُّهم يظُنُّون أن لفظ دار فى ذلك عربىّ بمعنى المَحلّة، كدار السلطان أو الأمير ونحو ذلك، وهو خطأ كما سيأتى بيـانه فى الكلام علىٰ إسْتَدّار، وخِزَنْدار وغيرهما .

والمضافُ إلىٰ لفظ دار من وظائف أرباب السيوف تسعةُ ألقاب :

الأوّل — الإِسْتَدّار . بكسر الهمزة وهو لَقَب علىٰ الذى يتولّٰى قبضَ مالِ السلطان أو الأميرِ وصرفَهُ، وتُمتثل أوامرُه فيه . وهو مركَّب من لفظتين فارسيتين : إحداهما إستذ، بهمزة مكسورة وسين مهملة ساكنة بعدها تاء مثناة من فوق ثم ذال معجمة ساكنة، ومعناها الأخْذ . والثانية دار، ومعناها المُمْسِك كما تقدّم، فأدغمت الذال الأولىٰ وهى المعجمةُ فى الثانية وهى المهملةُ فصار إستَدّار . والمعنىٰ المتولّى للأخْذ، سمى بذلك لمـا تقدّم من أنه يتولّٰى قبضَ المال . ويقال فيه أيضا : سِتَدّار بإسقاط الألف من أوّله وكسر السـين؛ والمتشدّقون من الكُتّاب يضُـمُّون الهمزةَ فى أوّله ويُلْحِقُون فيه ألفًا بعد التاء، فيقولون : «أُسْتادّار» وربمـا قالوا : «أُسْتاذ الدار» بادخال الألف واللام علىٰ لفظِ الدارِ ظنًّـا منهم أنـ المرادَ حقيقةُ الدار فى اللفظ العربىّ، وأن أُسْتاذ بمعنى السيد أو الكبير، ولذلك يقولون « أستادّار العالية » : أو « أستاذ الدّار العاليـة » وهو خطأ صريح لمـا تقدّم بيانهُ . علىٰ أن العامة تنْطِق به علىٰ الصواب، من كسر الهمزةِ وحذفِ الألف بعد التاء . ثم قد يُزاد فى هذا اللقَب لفظُ الصُّحْبة، فيصير «إسـتَدّار الصُّحْبة» ويكون لقبـا علىٰ متولّى أمرِ المَطْبخ، وكأنه لُقِّب بذلك لملازمته البابَ سَفَرا وحَضَرا .

الثـانى ــ الجُوكَانْدار. وهو لقبٌ على الذى يحمل الجُوكان مع السلطان فى لَعِب الكُرَة، ويجمع على جُوكان داريّة، وهو مركَّب من لفظتين فارسيَّتين أيضا: إحداهما جوكان، وهو المِحْجَن الذى تُضْرَب به الكُرَة، ويعبر عنه بالصَّوْلَجَان أيضا: والثانية دار، ومعناه مُمْسِك كما تقدّم . فيكون المعنى ممسك الجُوكَان . والعامّة تقول: « جُكَندار » بحذف الواو بعد الجيم والألِف بعد الكاف .

الثـالث ــ الطَّبَرْدَار . وهو الذى يحمل الطَّبَر حولَ السلطان عند ركوبه فى المَوَاكب وغيرها . وهو مركَّب من لفظين فارسيين: أحدهما طَبَر ومعناه الفَأْس، ولذلك يقولون فى السُّكَّر الصُّلْب الشديد الصَّلابة طَبَرْزَذ بمعنى يكسر بالفأس . والثانى دار ومعناه ممسك كما تقدّم، فيكون المعنى مُمْسِك الطَّبَر .

الرابع ــ السَّنْجَقْدَار . وهو الذى يحمل السَّنْجَق خلفَ السلطان . وهو مركب من لفظين : أحدهما تُرْكِيٌّ وهو سَنْجَق، ومعناه الرُّمْح وهو فى لغتهم مصدر طَعَن، فعبِّر به عن الرُّمح الذى يُطْعَن به . والثانى دار ومعناه ممسك كما تقدّم، ويكون المعنى مُمْسِك السَّنْجق وهو الرمح . والمراد هنا العَلَم الذى هو الراية كما تقدّم، إلا أنه لما كانت الرايةُ إنما تُجْعل فى أعلى الرمح عُبِّر بالرمح نفسِه عنها .

الخامس ــ البُنْدُقْدار . وهو الذى يحمِل جراوة[1] البُنْدُق خلفَ السلطان أو الأمير . وهو مركَّب من لفظتين فارسيتين إحداهما بُنْـدُق، وإن كان الجوهرىّ قد أطلق ذكره فى الصحاح من غير تعرُّض لأنه معرَّب فقال : والبُنْدُق الذى يُرْمى به . ثم هو منقولٌ عن البُنْدُق الذى يؤكَل وهو الجِلَّوْز بكسر الجيم والزاى المعجمة فى آخره .

---

(١) كذا فى الاصل ولعله مصحف عن غرارة أو نحوه .

فقد قال أبو حنيفة فى كتاب "النبات" الجلَّوْز عربىّ وهو البُنْدُق والبُنْدق فارسىٌّ .
اللفظة الثانية دار ومعناها ممسك كما تقدّم، ويكون المعنىٰ ممسك البُنْدق .

السادس — الجَمَدار . وهو الذى يتصدّى لإلباس السلطان أو الأمير ثِيَابَهُ .
وأصله جَامَا دار فحُذِفت الألف بعد الجيم وبعد الميم آستثقالا وقيل جَمَدار .
وهو فى الأصل مركب من لفظين فارسيين احدهما جاما، ومعناه الثوب . والثانى دار،
ومعناه ممسك كما تقدّم فيكون المعنىٰ ممسك الثوب .

السابع — البَشْمَقْدار . وهو الذى يحمل نعلَ السلطان أو الأمير، وهو مُرَكَّب
من لفظين : أحدهما من اللغة التركية وهو بَشْمَق ومعناه النعلُ . والثانى من
اللغة الفارسية وهو دار ومعناه مُمْسِك علىٰ ماتقدّم . ويكون المعنىٰ ممسكَ النعلِ .
علىٰ أن صاحب « الأنوار الضَوِّية فى إظهار غلط الدرّة المضية فى اللغة التركية »
قد ذكر أن الصواب فى النعل بصمق بالصاد المهملة بدل الشين المعجمة، وحينئذ
فيكون صوابه علىٰ ما ذكر بَصْمَقْدار . والمعروف فى ألسنة الترك بالديار المصرية
ما تقدّم .

الثامن — المَهْمَنْدار . وهو الذى يتصدّى لتلقى الرُّسُل والعُرْبان الواردين علىٰ
السلطان ويُنْزِلهم دارَ الضيافة ويتحدّثُ فى القيام بأمرهم . وهو مركب من لفظين
فارسيين : أحدهما مَهْمَن بفتح الميمين ومعناه الضيف ، والثانى دار ومعناه ممسك
كما تقدّم، ويكون معناه ممسكَ الضيف، والمراد المتصدّى لأمره .

التاسع — الزّنَانْ دار المعبر عنه « بالزّمام دار» . وهو لقب علىٰ الذى يتحدّث
علىٰ باب ستارةِ السلطان أو الأمير من الخُدّام الخِصْيان . وهو مركّب من لفظين
فارسيين : أحدهما زَنَان بفتح الزاى ونونين بينهما ألف ، ومعناه النساء .

والثانى دار، ومعناه ممسك كما تقدّم فيكون معناه ممسك النّساء، بمعنىٰ أنه الموكَّل بحفظ الحريم إلا أن العامّة والخاصة قد قلبوا النونين فيــه بميمين فعبّروا عنــه بالزِّمام دار كما تقــدّم ، ظنًّا أن الدار علىٰ معناها العربىّ والزِّمام بمعنىٰ القائد ، أخذا من زِمَام البعير الذى يُقاد به .

الحالة الثانيـــــــــة

(أن تكون الإضافة إلىٰ غير لفظ دار، وفيها لقبان)

الأوّل ــ الجَاشْنَكِير . وهو الذى يتصدّىٰ لذَوَقَان(١) المأكول والمشروب قبـلَ السلطان أو الأمير خوفًا من أن يُدَسّ عليه فيه سُمٌّ ونحوه . وهو مركَّب من لفظين فارسيين : أحدهما چاشْنا بجيم فى أوّله قريبةٍ فى اللفظ من الشين ، ومعناه الذَّوْق، ولذلك يقولون فى الذى يذوقُ الطعام والشرابَ الشِّيشْنِىُّ . والثـانى كِير وهو بمعنىٰ المتعاطى لذلك، ويكون المعنىٰ الذى يذوقُ .

الثانى ــ السَّرَاخُور . وهو الذى يتحدّثُ علىٰ عَلَف الدّوابِّ من الخيل وغيرها. وهو مركَّب من لفظين فارسيين : أحدهمـا سَرَا(٢) ومعناه الكبيرُ . والثـانى خُور، ومعناه العلَف، ويكون المعنىٰ كبيرُ العلَف والمراد كبير الجمـاعة الذين يتولَّوْن علَفَ الدّوابِّ . والعامّة يقولون سَرَاخُورِىٌّ باثبات ياء النسب فى آخره ولا وجه له . ومتشدّقو الكُتّاب يُبْدِلون الراء فيه لاما فيقولون سَلَاخُورِىّ وهو خطأ .

---

(١) مصدر ذاق الذوق والمذاق والذواق فـا فى الأصل جارىٰ فيه لغة العامة .

(٢) خالف فى هذا قاعدة اللغة العجمية من تقدم المضاف اليه علىٰ المضاف . ووجد بهامش بعض النسخ "السراخور مركب من سرا فارسى بمعنى الرأس واخور بمعنى اصطبل فمعناهما رأس الاصطبل السلطانى" .

الضرب الثالث

(ماتركّب من لفظ عربىّ ولفظٍ عجمىّ، وله حالتان)

الحالة الأولىٰ

(أن يصدّر بلفظ أمير وهو لفظٌ عربىّ كما تقدّم
فى الكلام علىٰ ألقابِ أربابِ الوظائف، وفيها أربعةُ ألقاب)

الأوّل — أَميرآخُور . وهو الذى يتحدّثُ علىٰ إصطبل السلطان أو الأمير، ويتولّى أمرَ مافيه من الخيل والإبل وغيرهما مما هو داخل فى حكم الإصطبلات؛ وهو مركّبٌ من لفظين : أحدهما عربىّ وهو أمير، والثانى فارسىّ وهو آخُور بهمزة مفتوحة ممدودة بعدها خاء معجمة ثم واو وراء مهملة ومعناه المَعْلَف، والمعنىٰ أمير المَعْلَف : لأنه المتولِّى لأمر الدوابِّ علىٰ ماتقدّم وأهمُّ أمورها المَعْلَف .

الثانى — أميرُ جانْدار . وهو لقب علىٰ الذى يستأذِنُ علىٰ الأمراء وغيرِهم فى أيام المواكبِ عند الجُلُوس بدار العَدْل . وهو مركّب من ثلاثةِ ألفاظ : أحدها عربىّ وهو أَمير وقد تقدّم معناه . والثانى جان بجيم وألف ونونٍ، ومعناه الروح بالفارسيَّة والتركية جميعا . والثالث دار، ومعناه ممسك كما تقدّم، فيكون المعنىٰ «الأمير الممسك للروح» ولم يظهر لى وجهُ ذلك إلا أن يكون المراد أنه الحافظُ لدم السلطان فلا يأذَنُ عليه إلا لمن يأمَنُ عاقبتَه .

الثالث — أميرُ شِكَار . وهو لقب علىٰ الذى يتحدّث علىٰ الجوارح من الطيور وغيرها وسائرأمور الصيد . وهو مركّب من لفظين : أحدهما عربىّ وهو أمير والثانى فارسىّ وهوشِكَار بكسر الشين المعجمة وكاف وألف ثم راء مهملة فى الآخر، ومعناه الصيد فيكون المرادُ «امير الصيد» .

الرابع — أمير طَبَر . وهو لَقَب علىٰ الذى يتحدّث علىٰ الطَّبَرْدارِيَّة الذين يحملون الأطْبـارَ حولَ السلطان فى المواكب ونحوها . وهو مركَّب من لفظين : أحدهما عربىّ وهو أمير، والثانى طَبَر وهو بالفارسية الفأسُ كما تقـدّم فى الكلام علىٰ الطَّبَرْدَار .

الحـالة الثانيــــة

(أن لا يُصدَّرَ اللقبُ بلفظ أمير، وفيها خمسةُ ألقاب)

الأول — الدَّوَادَار . وهو لقب علىٰ الذى يحمـل دَواةَ السلطان أو الأمير أو غيرِهما، ويتولّى أمْرَها مع ماينضَمُّ إلىٰ ذلك من الأمور اللازمةِ لهذا المعنىٰ من حُكْمٍ وتنفيذِ أمور وغير ذلك بحسب مايقتضيه الحالُ . وهو مركَّب من لفظين : أحدهما عربىّ وهو الدَّواة، والمـراد التى يُكْتَب منها . والثـانى فارسىّ وهو دار، ومعناه ممسك كما تقدّم . ويكون المعنىٰ « مُمْسِك الدَّواة » وحُذِفَتِ الهـاء من آخر الدواة ٱستثقالا . أما فى اللغــة العربية فإنه يقال لحامل الدواة « داوٍ » علىٰ وزن قاضٍ، فتثبُت الياء فيــه مع الألف واللام فتقول جاء الدَّاوِى ورأيت الداوِىَ ومررت بالدَّاوِى، ويجوز حذفها كما فى سائر الأسماء المنقوصة .

الثـانى — السِّلاح دَار . وهو لقب علىٰ الذى يحملُ ســلاحَ السلطان أو الأميرِ ويتولّى أمر السِّلَاح خَانَاه وما هو من توابع ذلك . وهو مركَّب من لفظين : أحدهما عربىّ وهو السِّلَاح، وقد تقدّم معناه فى الكلام علىٰ أميرِ سِلاح . والثانى فارسىّ وهو دار ومعناه مُمْسك كما تقدّم، ويكون المعنى «مُمْسك السِّلَاح» .

الثـالث — الخِزَنْدار بكسر الخاء وفتح الزاى المعجمتين . وهو لَقَب علىٰ الذى يتحدّث علىٰ خِزَانة السلطان أو الأمير أو غيرهما . وهو مركَّب من لفظين : أحدهما

عربيّ وهو خِزانة : وهى ما يُخْزَن فيه المـالُ . والثـانى فارسيّ وهو دار، ومعناه مُمْسك كما تقـدّم فحذفت الألف والهـاء من خِزَانةٍ استثقالا فصار خِزَنْدار ويكون المعنى «مُمْسِك الخِزَانة» والمرادُ المتولّى لأمرها، ومتشدّقو الكُتّاب يُسْقطون الألف والهاء من خِزَانة على ما تقدّم ويُلْحِقون بعد الخـاء ألفا فينقُلُون لفظ خزانة إلى خازِن فاعلٍ من الخَزْن ويُضيفونه إلى دار، ظنًّا منهم أن الدار على معناها العَرَبىّ كما تقدّم فى الإسـتدّار والزّنّان دار، وهو خطأ كما تقدّم بيـانه هناك . على أن العامةَ تنطِق بحروفه على الصواب إلا أنهم يكسِرُون الزاىَ بعد الخاء والصواب فتحها .

الرابع — العَلَمْ دار . وهو لقبٌ على الذى يحمل العَلَم مع السلطان فى المواكب . وهو مركّب من لفظين : أحدهما عربىّ وهو العَلَم، وقد تقدّم أن معناه الراية . والثانى فارسىّ وهو دار ومعناه ممسك كما تقدّم، ويكون المعنى « ممسك العَلَم » .

الصـــنف الثـانى[1]

(ألقابُ أربابِ الأقلام، وهى على خمسة أضرب)

الضرب الأوّل

(ألقابُ أرباب الوظائف من العُلَماء، وفيه خمسة ألقاب)

الأوّل — الخَطِيبُ . وهو الذى يَخْطُب النـاسَ ويُذَكِّرهم فى الجُمَع والأعيـاد ونحوهمـا . وقد كان ذلك فى الزّمن المتقـدّم مختصًّا بالخلفاء والأمراء بالنّواحى على ماتقدّم فى الكلام على ترتيب الخِلافة فى المقالة الثانية .

---

(١) كذا فى الأصل ولعله الثالث ومع ذلك لم يذكر الصنف الرابع وقد جعل فى الضوء هذا القسم من نوع ألقاب أرباب الوظائف الدينية وهو الموافق .

الثـانى ــ المُقْرِئُ . وهو الذى يُقْرِئُ القرءانَ العظيمَ، وقد غلب ٱختصاصُه فى العُرْف علىٰ مشايخ القِرَاءة من قُرَّاء السبعة المُجيدين المتصَدِّين لتعليم عِلْم القِراءة .

الثالث ــ المُحدِّث . والمراد به مَنْ يتعاطىٰ علم حَديثِ النبيّ صلّى الله عليه وسلم بطريق الرِّواية والدِّراية، والعلمِ بأسمـاء الرجال وطُرُقِ الأحاديث، والمعرفةِ بالأسانيد ونحو ذلك .

الرابع ــ المُدَرِّس. وهو الذى يتصدّىٰ لتدريس العلوم الشرعية : من التفسير، والحـديثِ، والفِقْهِ، والنحو، والتصريف ونحو ذلك . وهو مأخوذ من دَرَسْت الكتَابَ دِرَاسةً إذا كَرَّرته للحفظ .

الخامس ــ المُعيد. وهو ثانى رُتْبةِ المدرِّس فيما تقدّم، وأصلُ موضوعه أنه إذا ألقىٰ المدرِّسُ الدرسَ وٱنصرف أعاد للطلبةِ ماألقاه المدرِّسُ إليهم ليفهَمُوه ويُحسنُوه.

الضرب الثـانى

(ألقـابُ الكُتَّاب، وهى نَمَطانِ)

النمـــــط الأوّل

(ألقاب أرباب الوظائف من كُتَّاب الإنشاء . وفيه ثلاثة ألقاب)

الأوّل ــ كاتبُ السِّر . وهو صاحبُ دِيوان الإنشاء وقد تقـدّم الكلامُ عليـه مستوفًى عند الكلام علىٰ الكِتَابة والكُتَّاب فى مقدّمة الكِتَاب .

الثـانى ــ كاتبُ الدَّسْت . وهو الذى يجْلِس مع كاتِب السرّ بدار العدل أمامَ السلطانِ أو النائبِ بمملكة من المَمالك ، و يوقِّع علىٰ القِصَص . وهم جمـاعة وقد تقدّم الكلام عليهم فى المقدّمة أيضا .

الثـالث — كاتب الدَّرْج . وهو الذى يكتُب المكاتبـات والوِلَايات وغيرها فى الغالب وربما شاركه فى ذلك كُتَّاب الدَّسْت ، ويعبَّر الآنَ عنه بالمُوَقِّع ، وقد تقدّم الكلام عليه هناك ايضا .[1]

الضرب الثـالث

(ألقاب ارباب الوظائف من كُتَّاب الأموال ونحوِها ، وفيه تسعةُ ألقابٍ)

الأوّل — الوَزير إذا كان من أرباب الأقلام ، وقد تقـدّم الكلامُ عليه فى ألقاب أربابِ السُّيوف فى الصِّنْف الأوّل .[2]

الثـانى — النـاظِرُ . وهو مَنْ ينظُر فى الأموال ويَنَفِّذ تصرُّفاتها ويُرْفَعُ إليـه حسابُهـا لينظر فيـه ويتأمّلَه فيُمْضِى ما يُمْضِى ويردُّ ما يردُّ . وهو مأخوذ إمّا من النظر الذى هو رأىُ العين : لانه يُدير نظَرَه فى أمور ما ينظُر فيه ، وإما من النظر الذى هو بمعنى الفِكْر : لأنه يفكّرُ فيما فيه المصلحةُ من ذلك . ثم هو يختلِفُ باختلاف ما يُضاف إليـه كـ(ناظر الجَيْش) وهو الذى يتحدّثُ فى أمر الجُيُوش وضَبْطِها . أو (ناظر الخَاصّ) وهو الذى ينظُر فى خاصّ أموال السلطان . أو (ناظر الدَّواوِين) وهو الذى يعبَّر عنـه بناظر الدَّوْلة ويُشَارِكُ الوزيرَ فى التصرف . أو (ناظر النُّظَّار بدِمَشْقَ) وهو الذى يقومُ بها مقامَ الوزير بالديار المصرية . او (ناظر المَمْلكة) بحلَبَ ، أو طرابُلُسَ ، أو حماةَ ونحوها . أو (ناظِر أوقافٍ أو جِهات بِرٍّ) وما يجرى مجرىٰ ذلك .

---

(١) لم يذكر النمط الثـانى من هذا الضرب ولعله سهو من الناسخ . وهو كذلك فى نسخة أخرىٰ .

(٢) أى من الالقاب الاسلامية القديمة وقد تقدم فى ص ٤٤٨ من هذا الجزء .

الثـالث — صـاحبُ الديوان . وكانوا فى الزمن الأوّل يعبّرون عنـه بمتولّى الدّيوان ، وهو ثانى رتبةِ الناظر فى المراجَعة . وله أمورٌ تخصُّــه كترتيب الدَّرْج ونحو ذلك .

الرابـــع — الشاهد . وهو الذى يَشْهَد بمتعلّقات الديوان نَفْيا وإثباتًا .

الخامس — المستَوْفِى . وهو الذى يَضْبِط الديوانَ، وينبِّه علىٰ ما فيه مصلحته من آسـتخراج أموالِهِ ونحو ذلك . ولعظَم موقِعِه أشار إليـه الحريرىُّ فى مَقاماته بقوله : «منهم المستَوْفِى الذى هوقُطْب الدِّيوان» إلىٰ آخره. ثم فىبعض المُبَاشَرات قد ينقسم إلىٰ مستوفٍ أصـلٍ ومستَوْفِى مباشَرة ، ولـكلٍّ منهما أعمال تخصُّه .

السادس — العامل . وهو الذى ينَظِّم الحسـبانات ويكْتُبها . وقد كان هـذا اللقبُ فى الأصل إنما يقع علىٰ الأمير المتولّى العمل ثم نقله العُرفُ إلىٰ هذا الكاتب وخصَّه به دُونَ غيره .

السابع — المـاسِحُ . وهو الذى يتصدّى لقياس أرض الزِّراعة، وهو فاعِلٌ من مَسَحَ الأرض يَمْسَحُها مِساحةً إذا ذَرَعَها .

الثـامن — المُعِين . وهو الذى يتصدّى للكتابة إعانةً لأحدٍ من المبـاشِرين المذكورين، ومعناه وآشتقاقه ظاهر .

التـاسع — الصَّـيْرَفِىُّ . وهو الذى يتولّى قبضَ الأموال وصَرْفهـا . وهو مأخوذ من الصَّرْف : وهو صَرْفُ الذهب والفِضّة فى الميزان . وكان يقال له فيما تقدّم الجِهْبِذُ .

الضـــــرب الرابع

(ألقابُ أربابِ الوظائِف من أهل الصِّناعات ، وفيه خمسةُ ألقاب)

الأوّل — مُهَنْـدِس العمائِرِ . وهو الذى يتولّى ترتيبَ العمائر وتقـديرَها ويحكم علىٰ أربابِ صناعاتِها . والهندسةُ عِلْم معروف فيه كُتبٌ مفردَة بالتصنيف .

الثـانى — رئيس الأطِبّـاء . وهو الذى يحكم علىٰ طائفةِ الأطِبّـاء ويأْذَنُ لهم فى التطْبيب ونحو ذلك . وسيأتى الكلامُ علىٰ ضَـبْط ذلك ومعنـاه فى الكلام علىٰ الرئيس فى الألقاب المُفْرَدة فى حرف الراء فيما بعدُ إن شاء الله تعالى .

الثالث — (رئيسُ الكَحّالين) . وحكمه فى الكلام علىٰ طائفـةِ الكَحّالين حُكْمُ رئيس الأطِبّاء فى طائفة الأطِبّاء .

الرابع — رئيس الجَرائحيّة . وحكمُـه فى الكلام علىٰ طائفةِ الجرائحيّة والمجبّرين كالرئيسَيْن المتقدّمَيْنِ .

الخـامس — رئيس الحَرّاقة . وهو الذى يحكُم علىٰ رجال الحَرّاقة السـلطانية ويتولّى أمْرَها . وكان فى الزمن المتقـدّم يقال له رئيس الخِلَافة جَرْيًا علىٰ ما كان الأمر عليه فى الخلافة الفاطمية بالديار المصرية .

الضـــــرب الخـــامس

(ألقاب أربابِ الوظائفِ من الأتباع والحواشى والخَدَم، وهم طائفتان)

الطـائفة الأولىٰ

(الأعوانُ، وهم نَمَطان)

النمـــط الأوّل

(ما تمحّضتْ ألفاظه عربيةً، وفيه ثلاثة ألقاب)

الأوّل — مُقَدَّم الدَّوْلة . وهو الذى يتحدّثُ علىٰ الأعوان والمتصرِّفين لخِدْمة الوزير . والمراد المقدَّمُ علىٰ الدولة، والدولةُ لفظٌ قد خصه العُرْف بمتعلّقات الوِزَارة . كما يقال لناظر الدَّواوين ناظر الدولة علىٰ ما تقدّم ذكْرُه .

الثـانى — مُقدَّم الخاصّ . وهو المتحدِّث علىٰ الأعوان والمتصرفين بديوان الخاصِّ المختصِّ بالسلطان، كمقدَّم الدولة بالنسبة إلىٰ أعوان الوِزَارة .

الثالث — مقدّم التُّرْكُمان . ويكون بالبلاد الشاميّة والحَلَبية متحدّثًا علىٰ طوائف التُّرْكُمان الذين يُقَدَّمُ عليهم .

النمـــط الثـانى

(ما تمحّض لفظُه عجميًّا، وفيه لَقَب واحد)

وهو (البَرْدَدار) . وهو الذى يكون فى خدمة مباشِرى الدِّيوان فى الجملة متحدّثًا علىٰ أعوانه والمتصرِّفين فيه، كما فى مقدّم الدولة والخاصّ المقدّم ذكرهما . وأصـله

(فَرْدادار) بفاء في أوّله وهو مركّب من لفظين فارسيين : احدهما فَرْدا ، ومعناه الستارة . والثانى دار، ومعناه ممسك، والمراد «ممسكُ السِّتارة» وكأنه فى أوّل الوضع كان يقف بباب السِّتارة ثم نقل إلىٰ الديوان .

الطائفة الثانيـــة
(أرباب الخِدَم ، وهم نَمَطان)

النَّمَـــط الأوّل

(مايُضاف إلىٰ لفظ الدار كما تقدّم فى أرباب السُّيوف، وهى سبعة ألقاب)

الأوّل — الشَّرَبْدَار . وهو لقبٌ علىٰ الذى يتصـدَّى لِلخِدْمة بالشَّرابْ خاناه، التى هى أحدُ البيوتِ . وهو مركب من لفظين : أحدهمـا شَرَاب وهو مايُشْرَب من ماء وغيره، فحذفوا الألف فيه آستثقالا . والثانى دار، ومعناه ممسك علىٰ ماتقدّم، والمعنىٰ «ممسكُ الشَّراب» .

الثـانى — الطَّشْتَ دَار . وهو لقبٌ علىٰ بعض رجال الطَّشْت خاناه . وهو مركب من لفظين أحدُهمـا طَشْتٌ بفتح الطاء وإسـكان السين المهـملة فى اللغة العربية، وهو الذى يُغْسَل فيه، ويجمع علىٰ طُسُوس بسينين من غير تاء ، ويقال فيه أيضا طَسٌّ بإسقاط التـاء ، إلا أن العامة أبدلُوا السين المهملة فيه بشين معجمة . والثانى دار ومعناه ممسكٌ علىٰ ماتقدّم، فيكون معناه «مُمْسِك الطَّشْت» .

الثالث — البَازْدَار . وهو الذى يحمل الطيورَ الجوارحَ المَعَدّةَ للصيد علىٰ يَدِه . وخُصّ باضافته إلىٰ البازِ الذى هو أحد أنواع الجوارح دُونَ غيره لأنه هو المتعارَف بين الملوك فى الزمن القديم ، علىٰ ما سيأتى ذِكْرُه فى موضعه إن شاء الله تعالىٰ .

الرابع — الجَوْندار . وهو الذى يتصــدّى لخدمة طُيُور الصــيد من الكَرَاكِيّ والبَلَشُونات ونحوها ، ويحملهــا إلىٰ موضع تعليم الجَوَارح . وأصله « جَيَوَانْ دَار » أطلق الحيوانــ فى عُرْفهم علىٰ هذا النوع من الطيور، كما أُطْلِق علىٰ مَنْ يتعانىٰ معامل الفَرُّوج الحَيَوانِيّ .

الخــامس — المَرَقْدَار . وهو الذى يتصدّى لخِدْمة ما يحوزُ المَطْبَخُ وحفظِه. سُمِّى بذلك لكثرة معاطاته لمَرَق الطعام عند رفع الخِوَان ونحو ذلك .

السادس — المِحَفَّدار بكسر الميم . وهو الذى يتصدّى لخِدْمة المِحَفَّة . وهو مركب من لفظين . أحدهمــا مِحَفَّة حـذفت التاء منها آستثقالا ، والثــانى دار ، ومعناه ممسكٌ علىٰ ما تقدّم ، فيكون بمعنى « ممسك المِحَفَّة » .

النمــــط الثــانى

(مالا يتقيّد بالإضافة إلىٰ دار ولا غيرها ، وفيه خمسة ألقاب)

الأوّل — المِهْتــارُ . وهو لقبٌ واقع علىٰ كبير كلِّ طائفة من غِلْمــان البيوت ، كمِهْتَار الشّراب‌خاناه ، ومِهْتار الطَّشْت‌خاناه ، ومِهْتار الرِّكَاب خاناه . ومِهْ بكسر الميم معناه بالفارسية الكبير ، وتَار بمعنى أفعل التفضيل ، فيكون معنىٰ المهتار الأكبر .

الثــانى — الْبَابَا . وهو لقبٌ عامٌّ لجميع رجال الطَّشْت خَانَاه ممن يتعاطىٰ الغَسْل والصَّقْل وغير ذلك . وهو لفظ رومىّ ، ومعناه أبو الآباء علىٰ ماسيأتى بيانه فى لقب البــابِ فى الكلام علىٰ ألقاب أهــل الكُفْر . وكأنه لُقِّب بذلك لأنه لمــا تعاطىٰ ما فيه ترفِيــهُ مخدومه : من تنظيف قُمَــاشه وتحســين هيئته أشْــبَهَ الأبَ الشفيق فلُقِّب بذلك .

الثالث — الرَّخْتَوان . وهو لقبٌ لبعض رجال الطشْت خاناه يتعاطى القُماش، والرَّخْت بالفارسية اسمٌ للقماش، والواو والألف والنون بمعنى ياء النسب، ومعناه «المتولِّى لأمر القُمَاش» .

الرابع — الخِوَان سَلَار . وهو لقب مختصٌّ بكبير رجال المَطْبَخ السلطانىّ، القائم مقام المِهْتار فى غير المَطْبَخ من البيوت . وهو مركَّب من لفظين : أحدهما خِوَان، وهو الذى يؤكل عليه . قال الجوهرىّ : وهو معرَّب . والثانى سَلَار، وهى فارسية ومعناها المقدّم وكأنه يقول مقدّم الخِوَان . والعامة تقول : «إخوان سلار» بألف فى أوّله وهو لحن .

الخامس — المِهْمَرْد . وهو الذى يتصدّى لحفظ قُماش الجِمَال او قُماش الإصطبل والسقائين ونحو ذلك . ومعناه باللغة الفارسية «الرجل الكبير» فِمهْ اسمٌ للكبير، ومَرْد اسمٌ للرجل .

السادس — (الغُلَام) . وهو الذى يتصدّى لخِدْمة الخيل، ويجمع على غِلْمانٍ وغِلْمةٍ بكسر الغين وسكون اللام . وهو فى أصل اللغة مخصوصٌ بالصبىّ الصغير والمملوك ثم غَلَب على هذا النوع من أرباب الخِدَم ؛ وكأنهم سَمّوه بذلك لِصغره فى النُّفوس . وربما أُطْلِق على غيره من رجال الطّشْت خاناه ونحوهم .

القســـم الثــانى

(من ألقاب أربابِ الوظائف ألقابُ أرباب الوظائف من أهل الكُفْر،
والمشهور منهــم طائفتانـــ)

الطائفة الأولىٰ النصارىٰ

(والمشهور من ألقاب أرباب وظائفهم ثمـانيةُ ألقابٍ)

الأوّل ـــ الپاپ ـ بباءين موحدتين مفخمتين فى اللفظ . وهو لقب علىٰ القائم بأمور دِين النصارىٰ المَلِكانيَّة بمدينة رُومِيَة . وما ذكره فى "التثقيف" من أنه عندهم بمثابة القانِ عنـد التتار خطأٌ ظاهر : لأن الپـاپ قائم فى النصارىٰ مَقام الخليفة، بل به عندهم يُناطُ التحليلُ والتحريمُ، وإليه مرجعهم فى أمر دِياناتهم بخلاف القان فإن أمره قاصرٌ علىٰ أمر المُلْك، وأصله الپاپا بزيادة ألف فى آخِره، والكُتّاب يُثْبِتُونها فى بعض المواضع ويحذفونها فى بعض، وربمـا قيل فيه الپاپه بابدال الألف هاءً . وهى لفظة رومِيَّـة معناها أبو الآباء . وأوّل ماوُضِع هـذا اللقبُ عندهم علىٰ بَطْرك الإسـكندرية الآتى ذكره فيما بعـدُ ؛ وذلك أن صاحب كلِّ وظيفة من وظائفهم الآتى ذكْرُها كان يخـاطِبُ مَنْ فوقه منهم بالأَبِ ، فالْتَبَس ذلك عليهـم فاخْتَرَعُوا لبطرك الإسكندرية البَابَا دفعًا للاشتراك فى آسم الباب، وجعلوه أبًا للْكُلِّ ؛ ثم رأَوْا أن بَطْرَكَ رُومِيَةَ أحقُّ بهذا اللقب : لأنه صاحب كرسىِّ بُطْرس كبير الحَوَارِيِّينَ ورسولِ المسيح عليه السـلام إلىٰ رُومِيَـةَ ؛ وبطركُ الإسكندرية صاحبُ كرسىِّ مُرْقُص الإنجيلى تلميذ بُطْرس الحوارىّ المقـدّم ذكره فنقـلوا آسمَ الپاپا إلىٰ بَطْرك رُومِيَة، وأبقَوا آسم البطرك علىٰ بَطْرك الإسكندرية .

الثـانى ــ البَطْرَك ــ ببـاء موحدة مفتوحة ثم طاء مهملة ساكنة وبعدها راء مهـملة مفتوحة ثم كاف فى الآخر . وهو لقب علىٰ القائم بأمور دين النَّصْرانيـة . وكراسىُّ البَطارِكةِ عندهم أربعةٌ : كرسىّ بروميةَ وهو مَقَرّ الپاپ المقدّم ذكره، وكرسىٌّ بأنْطاكِيَةَ من بلاد العواصم ، وكرسىٌّ بالقُدْس، [وكرسىٌّ بالإسكندرية](1) وقد غلب الآن بالديار المصرية علىٰ رئيس النصارىٰ اليَعْـقُوبِيَّة بالديار المِصرية وهو المعبر عنه فى الزمَن القديم ببطرك الإسكندرية، ومقرّه الآن بالكنيسة المعلقة بالفُسْطاط علىٰ ماسيأتى ذكره فى موضعه ان شاء الله تعالىٰ .

وأصله البَطْرِيَرْك بزيادة ياء مثناة تحتُ مفتوحة بعـدها راء سـاكنة وهو لفظ رومىّ معناه ... ...(2) ورأيت فى ترسُّل العَلَاء بن موصَلَايَا كاتب القائم بأمر الله العباسىّ فى تقليدٍ أنشأه "الفَطْرك" بابدال الباء الموحدة ناءً . وقد تقدّم أن هذا البطرك هو الذى كان يُدْعىٰ أوّلا بالپاپا ثم نُقِل ذلك إلىٰ بابا روميـة ، علىٰ أن بطرك الإسكندرية لم يكن فى الزمن المتقدّم مختصا ببطرك اليعـقوبية بل كان تارةً يكون يعقوبيا وتارةً يكون مَلِكانيا وانمـا حدث اختصاصه باليعـقوبية فى الدولة الإسلامية علىٰ ما سيأتى بيانه فى موضعه إن شاء الله تعالىٰ .

الثالث ــ الأُسْقُفّ ــ بضم الهمزةِ والقاف . وهو عندهم عبارة عن نائب البَطْرَك .

الرابع ــ المِطْرانُ ــ بكسر الميم . وهو عبارة عن القاضى الذى يفصِل الخُصوماتِ بينهـــم .

الخـامس ــ القِسّيسُ ــ بكسر القاف . وهو القارئ الذى يَقْرأ عليهم الإنجيلَ والمَزَاميرَ وغيرها .

---

(1) الزيادة من الضوء .

(2) بيـاض بالاصول .

السادس — الجاثَلِيقُ ـ بجيم بعدها ألف ثم تاء مثناة[1] فوق ولام ثم ياء مثناة تحتُ وقاف فى الآخر . وهو عندهم عبارة عن صاحبِ الصَّلاة .

السابع — الشَّمَّاس ـ بشين معجمة فى الأوّل وسين مهملةٍ فى الآخر وميم مشدّدة . وهو عبارة عندهم عن قَيِّم الكَنِيسة .

الثامن — الراهِبُ . وهو عبارةٌ عن الذى حَبَس نفسَه على العبادة فى الخَلْوة .

الطائفة الثانية اليهود

(والمشهور من ألقابِ أربابِ وظائفهم ثلاثةُ ألقابٍ)

الأوّل — الرئيس . وهو القائم فيهم مَقامَ البَطْرك فى النصارى ، وقد تقدّم الكلامُ على لفظ الرئيس وأنه يقال بالهمز وبتشديد الياء .

الثانى — الحَزَّان ـ بحاء مهملة وزاى معجمة مشدّدة وبعد الألف نون . وهو فيهم بمثابة الخَطِيب يَصْعَد المِنبَر ويَعِظهم .

الثالث — الشِّلِيَحْصَبُّور ـ بكسر الشين المعجمة واللام وفتح الياء المثناة تحتُ وبعدها حاء مهملة ساكنة ثم صاد مهملة مفتوحة و باء موحدة مشدّدة مضمومة بعدها راء مهملة . وهو الإمام الذى يصلِّى بهم .

---

(١) نص فى القاموس على جواز الفتح والكسر فيه وأورده بالثاء المثلثة فلعل ما أثبته فى الأصل تصحيف أولغة .

الجمـــــلة الثـانية

(فى ذكر الألقاب المرتَّبة علىٰ الأصول العِظام من ألقابِ أرباب الوظائف المتقدّمة، وهى نوعان)

النــــوع الأوّل

(ألقابُ الخُلَفاء المرتَّبة علىٰ لقب الخليفة، وهى صنفان)

الصـــــنف الأوّل

(ماجرىٰ منها مَجْرىٰ العُمُوم، وهو لقبان)

الأوّل ـــ أميرُ المؤمنين . وهو لقَبٌ عامٌّ للخلفـاء . وأوّل من لُقِّب به منهم عمرُ آبنُ الخطاب رضى الله عنه فى أثناءِ خلافته، وكانوا قبل ذلك يَدْعُون أبا بكر الصدّيقَ رضى الله عنــه بخليفةِ رسول الله، ثم دَعَوْا عُمَر بعــده لأبتداء خلافته بخليفةِ خليفةِ رســـول الله .

وآختُلِف فى أصل تلقيبه بأمير المؤمنين فروىٰ أبو جعفر النحاسُ فى "صناعة الكُتَّاب" بســنده إلىٰ أبى وبْرَة، أن أصلَ تلقيبه بذلك أن أبا بكر وعمر رضى الله عنهــما كانا يَجْلِدان فى الشراب أربعين ، قال فبعثنى خالدٌ إلىٰ عمر فى خلافته أسأله عن الجَلْد فى الشراب بخَتْمه، فقلت : ياأمير المؤمنين إن خالدًا بعثنى اليك ـ قال فِيمَ ؟ قلت : إن الناس قد تَخَافُّوا العقوبة وآنهمكوا فى الخمر فما ترىٰ فى ذلك فقال عمرُ لمن حولَه ما تَرون فى ذلك فقال علىّ نرىٰ يا أمير المؤمنين ثمــانين جلدةً فقبِل ذلك عمرُ فكان أبو وبْرَة ثم علىّ بن أبى طالب أوّلَ من لَقَّبه بذلك .

وذكر أبو هلال العسكرىّ فى كتابه "الأوائل" أن أصل ذلك أن عمر رضى الله عنه بعث إلىٰ عامله بالعراق أن يرسل إليه رجلين عارفين بأمور العراق يسألهما عما يريد فأنفذ إليه لبيدَ بنَ رَبيعةَ وعدىَّ بن هشام[1] فلما وصلا المدينةَ دخلَا المسجدَ فوجدَا عَمْرو بن العاص فقالا له : ٱستأذِنْ لنا علىٰ أمير المؤمنين ـ فقال لهما عمرو : أنتما أصبتُما اسمَه ! ثم دخل علىٰ عمرَ فقال السلام علىٰ « أمير المؤمنينَ » ـ فقال : مابَدَا لك يا ٱبنَ العاص ؟ لَتَخْرُجَنَّ من هذا القول ! فقصَّ عليه القصةَ فأقرّه علىٰ ذلك ، فكان ذلك أوّلَ تلقيبه بأمير المؤمنين ، ثم ٱستقرّ ذلك لقبًا علىٰ كلِّ من وَلِىَ الخلافةَ بعده أو ٱدّعاها خَلَا خلفاءَ بنى أُميَّة بالأندَلُس فإنهم كانوا يخاطَبُون بالإمارة فقط إلىٰ أن وَلِىَ منهم عبدُ الرحمن بنُ محمدِ بن عبد الله ، بنِ عبد الرحمن ، وهو الثالثَ عشرَ من خلفائهم إلىٰ زماننا .

الثانى ــ عبدُ الله ووليُّه . وهو لقبٌ عامٌّ للخلفاء أيضا ، إذ يُكْتَب فى نعت الخليفة فى المكاتبات ونحوها « من عبدِ الله وَوَلِيِّه أبى فلانٍ فُلانٍ أمير المؤمنين » فأما عبدُ الله فأوّلُ من تلقَّب به أميرُ المؤمنين عمرُ بن الخطاب رضى الله عنه أيضا ، فكان يكتُب فى مكاتَباته « من عبدِ الله عمرَ » ولزم ذلك مَنْ بعده من الخلفاء حتّى إن المأمون كان ٱسمه عبدَ الله فكان يكتب من «عبدِ الله عبدِ الله بن هارون» مكرِّرًا لعبدِ الله علىٰ الاسم الخاص واللقبِ العامّ ، وأما إردافها بقوله « ووليُّه » فأحْدِث بعد ذلك .

---

(١) كذا فى الأصول ومثله فى الضوء وفى مروج الذهب عدىّ بن حاتم وهو الصواب .

الصـــنف الثـانى
(ألقابُ الخلافة الخاصـــةُ بكل خليفة)

والمتلقِّبون بألقاب الخلافة خمسُ طوائف :

الطائفة الأولىٰ
(خلفـــاء بنى العبَّـاس)

قد تقدّم فى الجملة الثانية من الطَّرَف الأوّل من هذا الفصل فى الكلام علىٰ أصلِ وضْع الألقاب والنُّعوت أن خلفاء بنى أُمَيَّــة لم يتلقَّبْ أحدٌ منهم بألقابِ الخلافة ، وأن ذلك ٱبتُدِئَ بابتداء الدولة العبَّاسية فتلقب إبراهيمُ بنُ محمدٍ حين أُخذتْ له البيعةُ بـ«الإمام» وأن الخُلْف وقع فى لقب السفَّاح : فقيل «القـائِم» وقيل «المهتدِى» وقيل « المرتضِى » ، ثم تلقب أخوه بعده بـ«المنصور» وٱستقرّت الألقابُ جاريةً علىٰ خلفائهم كذلك إلىٰ أن وَلِىَ الخلافةَ أبو إسحاق إبراهيمُ بنُ الرشيد بعد أخيه المأمون فتلقَّب بـ « المعتصِم بالله » فكان أوّلَ من أُضِيف فى لَقَبه من الخلفاء ٱسمُ الله . وجرىٰ الأمر علىٰ ذلك فيما بعده من الخلفاء، كـ«الواثِق بالله» و «المتوكِّل علىٰ الله» و«الطائع لله» و «القائم بأمر الله» و «الناصِر لدِين الله» وما أشبه ذلك من الألقاب المتقدّمة فى الكلام علىٰ ترتيب الخلافة فى المقالة الثانية .

وكان من عادتهم أنه لا يتلقَّب خليفةٌ بلقبِ خليفــةٍ قبْلَه إلىٰ أن صارت الخلافةُ إلىٰ الديار المصرية فترادَفُوا علىٰ الألقاب السابقة ، واستعملوا ألقابَ مَنْ سلف من الخلفــاء علىٰ ماتقدّمت الإشارة إليــه فى الكلام علىٰ ترتيب الخلفاء، إلىٰ أن تلقب أميرُ المؤمنين محمدُ بنُ أبى بكر خليفــةُ العصر، بـ « المتوكل علىٰ الله » وهو من أوائل ألقاب الخلافة العباسية .

الطائفـــة الثـانية

(خلفـاء بنى أُميَّـــةَ بالأندَلُس)

(حين غلب بنو العباس على الأمر بالعراق، وآنتزعوا الخلافة منهم)

وأوّل من وَلِىَ الخلافة منهم بالأندَلُس « عبدُ الرحمن » بنُ معاوية ، بنِ هشامٍ، آبنِ عبدالملك، بنِ مَرْوان، المعروفُ (بالداخل) لدخوله الأنْدَلُس فى سنة تسع وثلاثين ومائة على ماسيأتى ذكره فى مكاتبة صاحب الأندَلُس . ولم يتلقّبْ بلقبٍ من ألقاب الخلافة جَرْيا على قاعدتهم الأولى فى الخلافة . وجرى على ذلك مَنْ بعده من خلفائهم إلى أن وَلِىَ منهم « عبدُ الرحمن » بنُ محمد، المعروف بـ«المَقْبول» فتلقب بـ« النـاصر» بعد أن مضى من خلافته تسعٌ وعشرون سنة ، وتبعه مَنْ بعـده منهم على ذلك إلى أن ولى عبدُ الرحمن بنُ محمد ، بن عبد الملك ، بن الناصر عبد الرحمن المقدّم ذكره، فتلقب بـ«المرتضِى بالله» وهو أوّل من أُضِيف فى لقبه بالخلافة منهم آسمُ الله، مضاهاةً لبنى العباس ، وذلك فى حدود الأربعمائة . وبقى الأمرُ على ذلك فى خلفائهـم إلى أن كان آخرهم هشام بن محمد فتلقب بـ«المعتمد بالله » وآنقرضت خلافتهم من الأندلس بعد ذلك بانقراضه فى سنة ثمـان وعشرين وأربعمائة .

الطائفة الثالثـــــة

(الخلفاء الفاطميّون ببلاد الغرب ثم بالديار المِصْرية)

وأوّل ناجمٍ نَجَم منهم ببلاد الغرب (أبو محمد عبيدُ الله) فى سـنة ست وتسعين ومائتين من الهجرة ، وتلقب بـ«المَهْدِىّ» ثم تلقب بنوه من بعده بألقاب الخلافة المضافِ فيها آسمُ الله كـ«القائم بأمر الله» و « المنصورِ بالله » إلى أن كان منهم

المعزُّ لدين الله أبو تَميم مَعَدٌّ، وهوالذى آنتزع الديارَ المِصْريةَ من أيدى الأَخْشيديّة، وصار إليها فى سنة تسع وخمسين وثلثمائة . وتداول خلفاؤُهم بها مثلَ هذه الألقاب إلىٰ أن كان آخرُهم العاضدَ لدين الله عبدَ الله وآنقرضتْ خلافتهم بالدولة الأيُّوبية علىٰ ماتقدّم ذكره فى المقالة الثانية فى الكلام علىٰ ملوك الديار المصرية .

الطائفة الرابعة

(الخلفاء الموحّدون الذين ملوكُ أفريقِيّة بتونُس الآنَ من بقاياهم)

وأوّلهم فى التلقيب بألقاب الخلافة إمامُهم محمدُ بن تُومَرْت البربرىّ، القائمُ ببلاد الغرب فى أعقاب الفاطميين المتقدّم ذكرهم، تلقب بـ«المهدىّ» وآل الأمرُ من جماعته إلىٰ الشيخ أبى حفصٍ أحدِ أصحابه، ومن عقبه ملوكُ تونُس المتقدّمُ ذكرهم فلم يتلقب أحد منهم بألقاب الخلافة إلىٰ أن ولى منهم أبو عبدالله محمدُ بنُ أبى زكرِيّا يحيىٰ فتلقب بـ«المستنصر بالله» وتبعه مَنْ بعده من ملوكها علىٰ التلقيب بألقاب الخلافة إلىٰ زماننا . ولذلك قال المقرّ الشهابىّ بنُ فضل الله فى كتابه "التعريف" فى الكلام علىٰ مكاتبة صاحب تونُس «لايَدّعى إلا الخلافةَ» وشبهتُهم فى ذلك أنهم يدّعون آنتسابَهُم إلىٰ أمير المؤمنين عمرَ بنِ الخطاب رضى الله عنه، وهو من صميم قُرَيْش .

الطائفة الخامسة

(جماعةٌ من ملوك الغرب ممن لا شبهةَ لهم فى دعوىٰ الخلافة)

كملوك الطوائف القائمين بالأَندَلُس بعد آنقراض الدولة الأَمَويّة منها : من بنى عَبَّاد وبنى هُود وغيرهم حيث كانوا يلقَّبُون بـ«المعتمد» وغيره .

النـــــوع الثـانى

(ألقابُ الملوكِ المختصةُ بالملك ، وهى صنفان)

الصنف الأوّل

(الألقابُ العامةُ ، وهى التى تقع بالعموم على ملوكِ ممالكَ مخصوصةٍ تصدُق على كلِّ واحد منهم ، وهى ضربان)

الضرب الأوّل

(الألقابُ القديمة ، والمشهور منها ألقابُ ستِّ طوائفَ)

الطائفة الأولى

(التّبابِعةُ ملوكُ اليمن)

كان يقال لكلٍّ منهم «تُبَّعٌ» . قال السُّهَيْلىّ فى "الروض الأُنُف" : سُمُّوا بذلك لأن الناس يَتْبَعونهم ، ووافقه الزمخشرىّ على ذلك . وقال ٱبن سيده فى "المحكم" : سُمُّوا بذلك لأنهم يَتْبَعُ بعضُهم بعضا . قال المسعودىّ فى "مروج الذهب" : ولم يكونوا لِيُسَمُّوا أحدا منهم تُبَّعا حتّى يملك اليمنَ والشِّحْرَ وحضرموتَ . وقيل : حتّى يتبعه بنو جُشَمَ بن عبد شمس ، أما إذا لم يكن كذلك فإنما يسمّى مَلِكا . وأوّل من لُقِّب منهم بذلك «الحارثُ بن ذى شمر» وهو الرائش . ولم يزل هذا اللقب واقعًا على ملوكهم إلى أن زالت مملكتُهم بملك الحبشة اليمنَ .

الطائفـــة الثـانية

(ملوك الفُرْس، وهم علىٰ أربع طبقات)

الطبقة الأولىٰ — القيشـداديَّة . كان يقال لكل من ملك منهم قِيشْـدَاد، ومعناه « سيرة العَدْل » وأوّلهم كُيُومَرْث، والفُرْس كلهم مطبقون علىٰ أنه مبدأ نَسْل البَشَر، وكأنهم يريدون به آدمَ عليه السلام .

وحكىٰ الغزالىّ فى "نصيحة الملوك": أن كيومرث ٱبنُ آدم لصُلْبه، وأن آدم عَهِد إلىٰ شيثٍ بأمر الدِّين وإلىٰ كُيومرث بأمر الملك . وبعضهـــم يقول إنه كامَرُ ابنُ يافثَ بن نوح عليه السلام .

الطبقة الثانية — (الكَيَانِيَّة)[1] . سُمُّوا بذلك لأن فى أوّل ٱسم كل واحد منهم لفظ كِى، وأوّلهم (كِيقْباذ) .

الطبقة الثالثة — (الأشْغَانِيَّة) . كان يقال لكل منهم «أشْغان»[2] . قال المسعودىّ: بالغين المعجمة ويقال بالكاف .

الطبقة الرابعة — (الأكاسِرةُ) . كان يقال لكل منهم «كِسْرىٰ» بكسر الكاف وفتحها، وربمـا قيل فيهم « الساسانيَّـة » نسبةً إلىٰ جَدِّهم ساسانَ بنِ أرْدَشير بن كِى بَهْمَنْ . وأوّلهم أردَشـير بنُ بابَكْ وآخرهم يَزْدَجِرد الذى ٱنقرض ملكُهم بانتزاع المسلمين الملكَ من يديه فى خلافة عثمانَ رضى الله عنه .

---

(١) فى العبر ج ٢ ص ١٥٩ "الكينية" .

(٢) فى الاصول بدون نون والتصحيح من المسعودىّ .

الطائفـــــة الثـالثة

(ملوك مصر من بعد الطُّوفان من القِبْط)

كان كلُّ مَنْ ملكها منهـم يسمَّى «فِرْعَوْنَ» قال إبراهيم بن وَصيف شاه في "كتاب العجائب" : والقِبْط تزعم أن الفراعنةَ مَنْ مَلَكها من العمالقةدُونَ القِبْط، كالوَليد بن دُومغْ ونحوه . ويقال : إن أوّل من تسمَّى بهـذا الأسم منهم (فرعان) آخر ملوكها قبل الطُّوفان ثم تسمَّى مَنْ بعده بـ«فِرْعَوْنَ» . قال المؤيد صاحب حماة في تاريخـه : ولم أدر لأىّ معنًى سمِّى بذلك . والمذكور في القرءان منهم هو الذى بُعث موسٰى عليه السلام في زمانِهِ .

الطائفـــــة الرابعة

(مـــلوك الروم، وهم طبقتـــان)

الطبقةُ الأولىٰ منهـما ليس لهم لقبٌ يعمُّ كل مَلك، بل لكلِّ ملك منهـم آسمٌ يخصُّـــه .

الطبقة الثـانية — القَياصِرةُ . كان يقال لكُلِّ مَنْ ملك منهم قَيْصَرُ . وأصل هذه اللفظة في اللغة الروميَّـة جاشَر بجيم وشين معجمة فعرّبتها العرب قَيْصَر ولهـا في لغتهم معنيان : أحدُهما الشَّعَر، والثانى الشيءُ المشقوقُ .

وٱختُلِف فيأوّل مَنْ تلقَّب بهذا اللقب منهم : فقيل أغانيوش أوّلُ ملوك الطبقة الثـانية منهم . سمِّى بذلك لأن أمه ماتَتْ وهو حمْل في بطنها فشُقَّ جوفُها وأُخْرِج فأُطْلِق عليه هـذا اللفظ أخذًا من معنَى الشقِّ، ثم صار عَلَمًا علىٰ كل مَنْ مَلَكهم بعده، وقيل أوّل مَنْ لقِّب بذلك يوليوش الذى ملك بعد أغانيوش المذكور، وقيل

أوّل منْ لُقِّب به أُنْشْطش ، واختلف فى سبب تسميته بذلك : فقيل لأن أمه ماتَتْ وهو فى جوفها فشُقَّ عنه وأُخْرِج كما تقدّم القول فى أغانيوش، وقيل لأنه وُلِد وله شَعَر تامٌّ فلُقِّب بذلك أخذا من معنى الشعر كما تقدّم . ولم يزل هذا اللقبُ جارياً علىٰ ملوكهم إلىٰ أنْ كان منهم هِرَقْلُ الذى كَتَب إليه النبيُّ صلى الله عليه وسلم .

وزعم القاضى شهابُ الدين بنُ فضل الله فى كتابه "التعريف" فى الكلام علىٰ مكاتبة الأدفُونش أن هِرَقْل لم يكن المَلِكَ نَفْسَه وإنما كان متسلِّم الشأم لقَيْصَر، وقَيْصَرُ بالقسطنطينية لم يَرِمْ؛ وإنما كتب النبىّ صلى الله عليه وسلم إلىٰ هِرَقْل لقربه من جزيرة العرب وبقى هذا اللقب عليهم بعد الإسلام إلىٰ أن كان آخرُ من تلقّب به منهم (إستيراق قيصر) ملك القسطنطينية فى خلافة المأمون بن الرّشيد .

الطائفة الخامسة

(ملوكُ الكَنْعانيِّين بالشأم)

كان كلُّ مَنْ ملك منهم لُقِّب «بجالُوتَ» إلىٰ أن كان آخرهم جالوتَ الذى أخبر الله تعالىٰ عنه بقوله ﴿ وقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ ﴾ .

الطائفة السادسة

(ملوك الحبشة)

كان كلُّ مَنْ ملك منهم يلقّب بـ«النَّجَاشىِّ» ولم يزَلْ ذلك لقبا علىٰ ملوكهم إلىٰ أن كان منهم النجاشىُّ الذى كتبَ إليه النبىُّ صلّى الله عليه وسلم وصلّى عليه النبىّ صلى الله عليه وسلم بعد موته . وهو الذى هاجر إليه مَنْ هاجر من الصحابة رِضوانُ الله عليهم الهجرةَ الأولىٰ . وٱسمه صَحْمة ويقال أَصْحَمَةُ، ومعناه بالعربية عَطِيَّة .

الضرب الثـانى

(الألقابُ المستحدَثةُ، والمشهور منها ألقابُ ستِّ طوائفَ)

الطائفة الأولىٰ

(مـــلوكُ فَـــرْغانةَ)

كان كلُّ مَنْ ملك منهـم يلقَّب « الأَخْشِيد » ولذلك لَقَّبَ الراضى بالله العباسىُّ محمدَ بنَ طُغْج صاحبَ الديار المصرية والبلاد الشاميَّة بـ«الأَخْشِيد» لأنه كان فَرْغانياً .

الطائفة الثانية

(مـــلوك أُشْرُوسَـــنَةَ)

كان كلُّ مَنْ ملكها يقــال له « الأَفْشِـين » . قال فى " ذخيرة الكُتَّاب " : وبه لَقَّب المعتصمُ بالله حَيْدَر بن كاووس بـ«الأَفْشِين» لأنه أُشْرُوسَنِيٌّ .

الطائفـــــة الثالثة

(مـــلوكُ الجَلَالِقةِ من الفرَنْج)

الذين قاعدة مُلْكهم طُلَيْطِلةُ وبَرْشَلُونَةُ من الأندلُس . يقــال لكلِّ مَنْ ملك منهم « أَدْفُونَش » بدال مهملة ثم فاء بعـدها واو ثم نون مفتوحة وشـين معجمة فى آخره . وهـذا اللقب جارٍ علىٰ ملوكهم إلىٰ زماننا ، وهو الذى تُسـمِّيه العامةُ « الفُنْش » .

الطائفـــــة الرابعة

(ملوك فَرَنْسَةَ، ويقال فَرَنْجَـة بالجيم)

وهو ملك الأرض الكبيرة بظاهر الأَنْدَلُس. يقال لكلّ من ملكها «رِيدافْرَنْس» ومعنى رِيد بلغتهم المَلِك، والأفْرَنْس اسم للجنس الذين يملّك عليهم. والمعنى ملك الأفْرَنْس. وهو الذى تسميه العامّة «الفَرَنْسِيس» وهـذا اللقب جارٍ على ملوكهم إلى الآن.

الطائفـــــة الخامسة

(ملوك البُنْدُقِيَّة من بلاد الفَرَنْج)

كلّ من ملك منهم يسمّونه «دُوك» بالكاف المشوبة بالجيم فيقال: «دُوك البُنْدُقِيَّة». وهذا اللقب جارٍ على مُلُوكهم إلى آخر وقت.

الطائفـــــة السادسة

(مـــلوكُ الحَبَشـــةِ فى زمانـا)

كلّ مَنْ ملك منهـم يقال له «حَطِّى» بفتح الحاء المهـملة وكسر الطاء المهملة المشدّدة. وهذا اللقب يُذْكَر فى مكاتَبَاتهم عن الأبواب السلطانية على ماسيأتى ذكره فى موضعه إن شاء الله تعالى.

الصـــــنف الثـانى

(من النوع الثانى الألقابُ الخاصـــة)

وهى التى يُخَصُّ كلُّ ملكٍ من ملوك الإســلام منها بلقبٍ ، وهو المعبَّر عنه عند الكُتَّاب باللقب المُلُوكىّ . ويختلف الحالُ فيه باختلاف البلادِ والزمانِ .

فأما بلاد المشرق فأوّل آفتتــاح تلقيب مُلُوكهم بالإضافة إلىٰ الدولةِ ، وكان أوّلَ من تَلَقَّب منهم بذلك بنو حَمْدانَ ملوكُ حلَبَ ، فتلقب أبو محمـــد الحسنُ بنُ حَمْدانَ فى أيام المتقى لله «ناصرَ الدولةِ» وتلقّب أخوه أبو الحسن علىٌّ «سيفَ الدولة» وعلىٰ ذلك جرىٰ الحال فى ملوك بنى بُوَيْه علىٰ ماتقدّم ذكره فى الكلام علىٰ أصول الألقاب ، وتوالىٰ ذلك فيهم إلىٰ آنقراض دولتهم . ثم وقع التلقيبُ بالسلطان فيما بعدهم من الدُّوَل كدولة بنى سُبُكْتِكِين ، وبنى ساسانَ ، وبنى سَلْجُوق ، إلىٰ أن غلبت التتارُ علىٰ بلاد المشرق فجرَتْ ملوكُهم فى التلقيب بألقابٍ علىٰ عادة ملوكهم .

وأما بلاد المغرب : فأوائلُ ملوكهم علىٰ عموم ملوكهم لجميعها وخصوصه ببعضها ما بين مدّعٍ للخلافة ، كبنى أُمَيَّةَ بالأندَلُس ، وأتباع المهدىّ بن تُومَرْت ، فيدور أمر أحدهم بين التلقيب بألقــاب الخلافة والآقتصار علىٰ آسمــه أو كنيته ، وما بين غير مدّعٍ للخلافة ، فيَقْتَصِر علىٰ آسمه أو كنيته فقط إلىٰ أن غلب يوسفُ بن تاشفِينَ فى أوائل دولة المُرَابِطين من الملثَّمين من البربر علىٰ بلاد المغرب والأندَلُس ، ودانَ بطاعة الخلافة العباســيَّة ببغدادَ ، فتلقّب بـ«أمير المسلمين» خضوعًا عن أن يتلقّب بـ«أمير المؤمنين» الذى هو من خصائص الخلافة ؛ وتبعه علىٰ ذلك مَنْ جاء بعده من ملوك الغرب من البربر : فتلقّب به بَنُو مَرِينٍ : ملوكِ فاس ، وبنو عَبْد الواد ملوك تلمْسانَ ، وبقِىَ الأمر علىٰ ذلك إلىٰ أن ملك فاسَ وما معها من بلاد المغرب

ابوعِنَان من أحفاد السلطان ابى الحسن، فتلقب بـ«أمير المؤمنين» وصارت مكاتَباته تَرِدُ إلىٰ الديار المصرية بذلك ، وتبعه مَنْ بعده من ملوكهم علىٰ ذلك .

أما ملوك تونُس من بقايا الموحِّدين، فلم يزالوا يلقَّبون بألقاب الخلافة علىٰ ماسبق ذكره فى الكلام علىٰ ألقاب الخلفاء .

وأما الديار المصرية، فمضىٰ الأمرُ فيها علىٰ نُوَّاب الخلفاء من حين الفتح الإسلامىّ وإلىٰ آنقراض الدولة الأخْشِيدِيَّة ولم يتلقَّبْ أحد منهم بلقَبٍ من الألقاب الملوكية . ثم كانت دولة الفاطميين فتلقَّبُوا بألقاب الخلفاء علىٰ ما مر ذكره . ولم يتلقَّبْ أحد من وزرائهم أربابِ السيوف لآبتداء أمرهم بالألقاب الملوكية إلىٰ أن وَلِىَ الوزارةَ المستنصرُ بدرٌ الجمالىّ وعظُم أمرُ الوزارة، وصارت قائمةً مقامَ السلطنة الآنَ فتلقب بـ«أمير الجُيُوش» وتلقب آبنُه فى وِزَارته بعده بـ«الأفضل» وتلقَّب آبن السّلار بعد ذلك بـ«العادل» وتلقَّب آبن البطائحىّ وزيرُ الآمر بـ«المأمون» ثم وُزِّر بعد ذلك الحافظ بَهْرام الأرمنىُّ النصرانىُّ فتلقب بـ«تاج الدولة» ثم وُزِّر بعده وزيرٌ آسمه رِضْوان، فلقبه بـ«الملك الأفضل» . قال المؤيد صاحب حماة : وهو أوّلُ مَنْ لُقِّب من وزرائهم بالملك، وجرىٰ الأمر علىٰ ذلك فى وِزَارتهم حتّٰى كان منهم الملكُ الصالحُ طلائعُ بن رُزِّيك وزيرُ الفائز ثم العاضد ؛ ثم وُزِّر للعاضد آخرا أسدُ الدِّين شِيرِكُوه عمُّ السلطان صلاح الدين يوسفَ بن أيوبَ ولُقِّب بـ«الملك المنصور» ثم وُزِّر له بعده آبنُ أخيه صلاحُ الدين، فلقِّب بـ«الملك الناصر» ثم آستقلَّ بالمُلْك بعد ذلك ، وبقى فى السلطنة علىٰ لقبه الأوّل . وتداول ملوكُ الدولة الأيُّوبية بعده مثلَ هذه الألقاب : كالملك العَزِيز آبن السلطان صلاح الدين، والملِك العادل أبى بكر بن أيوب ، والملك الكامل محمدٍ آبنه، والأفضلِ صاحب دمشقَ، والمعظَّم صاحب الكَرَك، وغيرهم إلىٰ حين آنقراض دولتهم ودخولِ الدولة التركيَّة . فتلقب أَيْبَك التُّرْكُمانىُّ أوّلُ ملوكهم

بـ«الملك المُعِزّ» وآستمرّ التلقيب بمثل ذلك فى الدولة التركية إلىٰ ان صارت المملكة آخرًا إلىٰ الظاهر بَرْقُوق، ثم آبنِه الناصر فَرَج، وهم علىٰ ذلك . وعلىٰ نحوذلك ملوك البلاد المجاورة لهذه المملكة : كمارِدِينَ، وحِصْنِ كَيْفَا ونحوهما .

الجملة الثالثـــــة

(فى الألقاب المفرَّعة علىٰ الأسماء، علىٰ ما آستقرّ عليه الحال من التلقيب بالإضافة إلىٰ الدِّين ، وهى علىٰ أربعة أنواع)

النـــوع الأوّل

(ألقابُ اربابِ السُّــيوف ، وهم صنفانـــ)

الصنف الأوّل

(ألقاب الجُنْد من التُّرْك ومَنْ فى معناهم)

وآعلم أن الغالب فى ألقاب التُّرْك من الجُنْد التلقيبُ بـ«سيْف الدِّين» لما فيه من مُناسَــبةِ حالهم وآنتسابِهم إلىٰ القوة والشِّــدّة : كَيَلْبغَا، ومنكلى بغــا ، وبى نجا ، وأسن نجا، وتغرى بردى، وتغرى برمش ، ونحو ذلك . وقد يخرج ذلك فى بعض الأسمــاء فيلَقَّب بألقاب خاصّة، كما يلقِّبون طيبغا، والطنبغا، وقرابغا «علاءَ الدين» وأيدُمُر وبيدُمُر «عزَّ الدِّين» ولاجين «حُسامَ الدين» وأرسلان «بَهاءَ الدِّين» وأقوش «جمــالَ الدِّين» وسَنْجَر «عَلَمَ الدين» ونحو ذلك . وفى المولدين يقولون فى لقب محمد : «ناصرُ الدين» ولَقَبِ أبى بكر «سيفُ الدِّيـــن» ولقب عُمَر «رُكْنُ الدين» ولقبِ علىّ «عَلاءُ الدين» ولقب إبراهــيم «صارم الدِّين» ولقب إسمــاعيل «تاج الدين» ولقب حسن وحســين «حُسَــام الدين» ولقب خالد «شُجاع الدين» ونحو ذلك .

الصنـــف الثـانى

(ألقابُ الخُدّام الخِصْيانِ المعبَّر عنهم الآنَ بالطَّوَاشِيَّة، وفى زمن الفاطميين بالأستاذِينَ)

ولهم ألقـابٌ تخصهم : فيقولون فى هِلال ومَرْجان « زَيْنُ الدِّين » وفى دِينـارٍ « عِزُّ الدين » وفى بَشِير « سَعْدُ الدين » وفى شَاهِين « فارسُ الدين » وفى جَوْهَر « صَفِيُّ الدين » وفى مِثْقال « سابق الدين » وفى عَنْـبر « شُجاع الدين » وفى لُؤْلؤ «بَدْرُ الدين» وفى صَوَاب «شمسُ الدين» وفى مُحْسِن «جمالُ الدين» ونحو ذلك .

النـــوع الثـانى

(ألقابُ ارباب الأقلام، وهى على صنفين)

الصنف الأوّل

(ألقابُ القُضاة والعلمـاء)

قد كان فى الزمن الأوّل لغالب أسمـائهم ألقابٌ لا يتعدَّوْنها ، كقولهم فى محمد : « شمسُ الدين » وفى أحمد « شهابُ الدين » وفى أبى بكر « زَيْنُ الدِّين » وفى عُمَرَ « سراجُ الدين » وفى عُثمانَ « فَخْـر الدين » وفى علىّ « نُور الدين » وفى يوسُـفَ «جَمَالُ الدين» وفى عبد الرحمن «زَيْن الدين» وفى إبراهيم «بُرْهان الدِّين» ونحو ذلك . ثم ترك أعيانُهم ذلك لأبتذاله بكثرة الآستعمال، وعدَلُوا إلى ألقابٍ أُخَرَ ٱبتدعوها على حَسَب أغراضهم فقـالوا فى محمد «بَدْر الدين» و «صَدْر الدين» و «عِزّ الدين» ونحوها، وفى أحمد «بهَـاءُ الدين» و«صدر الدِّين» و«صَلَاحُ الديـن» وفى علىّ «تقِىّ الدين» وفى عبد الرحمن «جَلَال الدِّين» ونحو ذلك ، ولم يتوقَّفُوا فى ذلك على لقبٍ مخصوص، بل صاروا يقصِدُون المخالفة لمـا عليه جادّةُ مَنْ تقدّمهم فى ذلك .

الصنف الثـانى

(ألقـاب الكُتّاب من القِبْـــط)

ولهم ألقاب تخصُّهم أيضا : فيقولون فى عبد الله « شمسُ الدين»[(١)] وفى عبد الرازق « تاجُ الدين » وربمـا قالوا « سَـعْد الدين » وفى إبراهيم « عَلَم الدين » وفى ماجِدٍ « مَجْدُ الدين » وفى وَهْبة « تَقِىّ الدين » ونحو ذلك .

النـــوع الثـالث

(ألقـاب عامة الناس من التُّجّار والغِلْمان السُّلْطانية ونحوهم)

وهم علىٰ سَنَن الفقهاء فى ألقابهم ، وربمـا مالَ مَنْ هو منهم فى الخِدَم السلطانية إلىٰ التلقيب بألقاب الجُنْد .

النـــوع الرابع

(ألقـاب أهـــل الذِّمّة من الكُتّاب والصَّـيَارف ومَنْ فى معناهم من اليهود والنصارىٰ)

وقد آصـطلحوا علىٰ ألقـابٍ يتلقبون بهـا غالبها مصدَّرة بالشيخ ؛ ثم منهم مَنْ يجرى علىٰ الرسم الأوّل فى التلقيب بالإضافة إلىٰ الدولة فيتلقب بولىّ الدولة ونحوه ؛ ومنهم من يحـذف المضافَ إليـه فى الجملة ويعرّف اللقب بالألف واللام فيقولون

---

(١) لعل هذا بعد اسلامهم كما يدل عليه ما بعد فى النوع الرابع .

« الشيخ الشمسىّ » و « الشيخ الصفِىّ » و « الشيخ الموَفَّق » وما أشبه ذلك . فإذا أسلم أحدهم أُسْقِطت الألف واللام من أوّل لقبه ذلك، وأُضيف إلىٰ لفظ الدين. فيقال فى الشيخ الشمسى «شمس الدين» وفى الصفىّ «صفى الدين» وفى ولىّ الدولة « ولىّ الدين » وما أشبه ذلك . وربما كان لقب الذمىّ ليس له موافقةٌ فى شىء مما يضاف إلىٰ الدين من ألقاب المسلمين، فيراعىٰ فيه إذا أسلم أقربُ الألقاب إليه، مثل أن يقال فى الشيخ السعيد مثلا إذا أسلم «سَعْدُ الدين» ونحو ذلك .

الجملة الرابعة

(فى أصل وضع الألقاب الجارية بين الكُتَّاب، ثم انتهائها إلىٰ غاية التعظيم ومجاوزتها الحدّ فى التكثير)

أما أصل وضعها ثم انتهاؤها إلىٰ غاية التعظيم فإنّ ألقابَ الخلافة فى ابتداء الأمر ـ علىٰ جلالة قَدْرها وعِظَم شأنها ـ كانت فى المكاتَبات الصادرة عن ديوان الخلافة وإليه، والولاياتِ الناشئة عنه «عَبْدَ الله ووليّه الإمامِ الفُلانىّ أمير المؤمنين» ولم يزل الأمرُ علىٰ هذا الحدّ فى الألقاب إلىٰ أن استولىٰ بنو بُوَيْه من الدَّيْلَم علىٰ الأمر، وغلبُوا علىٰ الخلفاء، واستبدّوا عليهم احتجبت الخُلَفاء ولم يبق إليهم فيما يُكْتَب عنهم غالبا سوىٰ الولايات، وفُوِّض الأمْرُ فى غالب المكاتَبَات إلىٰ وزرائهم، وصارت الحال إذا اقتضَتْ ذكر الخليفة كُنِى عنه بـ«المَواقف المقدّسة» و«المقاماتِ الشريفة» و«السرّة[1] النبويّة» و«الدار العَزِيزة» و«المحل الممجَّد» يعنون «بالمواقف» الأماكنَ التى يقف فيها الخليفةُ، وكذلك المَقامات، وبالسرة[1] الأنماط التى يجلس عليها الخليفةُ، و«بالدار» دارُ الخلافة، و«بالمَحَل» محلُّ الخليفة . قال فى "ذخيرة الكُتَّاب" : وليت شعرى أىّ شىء قَصَدَ مَنْ كَنَىٰ عن امير المؤمنين

(١) كذا هو بالراء المهملة فى الأصول وهو اصطلاح لهم .

بهـذه الكنايات ، وبدّل نعوته وصفاته المعظمةَ المكرّمةَ بهذه الألفاظ المحَقّرات ؟
وإذا آستُجيزَ ذلك ورُضِى به وأُغْضِى عنه كان لآخَرَ أن يقول «المجالِسُ الطاهرةُ »
و«المَقَاعِدُ المقدّسةُ» و«المَرَاكب المعظَّمة» و«الأسِرّة الممجَّدة» ومايجرى هذا المَجْرىٰ
ممــا ينبو عنــه السمع وينكره لآستِحْداثه واستِجْداده . علىٰ أنه لو توالىٰ علىٰ الأسماع
كتوالِى تلك الألفــاظ لم تنكره بعــدُ إذ لا فرق . قال : ولم يستَسِنّه النبىّ صلى الله
عليه وسـلم ولا آختاره لنفسه ، ولا آستحْدَثه الخلفاءُ من بعده . فمــا وجهُ العمل
بموضعه والاقتفــاءِ لأثره ؟ وكيف يجوز ان يكنىٰ عن الجمــادات، بمــا يُكْنىٰ به
عن الإنسان الحىّ الناطق الكامل الصفات . ولما آنتهىٰ الحال بالخلفاء إلىٰ التعظيم
بهذه الألقاب والنعوت المستعارة، تداعىٰ الأمر إلىٰ تعظيم الملوك والوزراء بالتلقيب
بـ«المَجْلِس العالِى» و«الحَضْرة السامية» وما أشبه ذلك . قال : وهذا ممــا لم يكن
فى زمانٍ، ولا جرىٰ فى وقتٍ، ولا كَتَب به النبىّ صلى الله عليه وسلم، ولا آستعمله
الخلفاءُ بعــده . ثم تزايد الحــال فى ذلك إلىٰ أن كنَوْا بـ«المَقَام» و« المَقرّ»
و«الجَنَاب» و«المَجْلِس» ونحو ذلك علىٰ ما سيأتى ذكره فيما بعدُ إن شاء الله تعالىٰ .

* * *

وأما مجاوزتها الحدّ فى الكثرة، فقد تقدّم أن اللقَب الواحدَ كان يُلَقّب به الشخصُ
دُونَ تعــدُّد ألقاب ، إلىٰ أن وافتْ أيامُ القادر بالله والتلقيبُ بالإضافة إلىٰ الدولة
فزيد فى لقَب عضُد الدولة بن بُوَيْه (تاجُ المِلة) فكان يقال«عضُد الدولة وتاج المِلّة»
وكان أوّلَ من زِيدَ فى لقبــه علىٰ الإفراد ، وان آبنَه « بهــاءَ الدولة » زِيد فى لقبه
فى الأيام القادِريّة أيضا « نظامُ الدين » فكان يقال : « بهاءُ الدولة ونِظامُ الدين »

ويقال : إنه زاده مَنْ بعدَ بهاءِ الدولة لفظَ «فى الأمة» فكان يقال : «بهاء الدَّولة فى الأمة ونظامُ الدِّين» ثم لُقِّب محمودُ بنُ سُبُكْتِكِينَ فى الأيام القادريَّة أيضا «يَمِينَ الدولة، وأمين المِلَّة، وكهف الإسلام والمسلمين، وَلِىّ أمير المؤمنين» وتزايد الأمرُ بعد ذلك فى تكثير الألقاب حتّى جاوز الحدّ وبلغ النهايةَ، وصارت الكُتَّاب فى كل زمن يَقْتَرِحون ألقابا زيادةً علىٰ ما سبق إلىٰ أن صارتْ من الكَثْرة فى زماننا علىٰ ماستَقِف عليه إن شاء الله تعالىٰ فيما بعدُ .

الجملة الخامسة

(فى بيان الألقاب الأصول وذكْرِ معانيها وآشتقاقِها؛ وهى صنفان)

الصنف الأوّل

(مايقع فى المكاتَبات والوِلَايات، وهى ثمانيةُ ألقابٍ)

الأوّل — الجانبُ . وهو من ألقابِ وُلاةِ العَهْد بالخلافة ومَنْ فى معناهم : كإمام الزَّيديَّة باليمن فى مكاتبته عن الأبواب السلطانية . ورُبَّما وقع فى الخِطَاب فى أثناء المكاتبة : فيقال «الجانب الأعْلىٰ» و«الجانب الشريف العالى» [والجانب الكريمُ العالى](1) و«الجانب العالِى» مجرّدا عنهما، رُتْبة بعد رُتْبة .

ثم الجانب فى اصل اللغة اسمٌ للناحية، والمراد الناحيةُ التى صاحبُ اللقب فيها، كُنِي بها عنه تعظيما له عن أن يُتَفَوّه بذكره؛ وكذا فى غيره ممـا يجرى هـذا المَجْرىٰ من الالقاب المكتتبة : كالمَقَام والمَقَرّ ونحوهما .

الثـانى — المَقَام بفتح الميم . وهو من الألقاب الخاصّة بالملوك . وأصل المَقَام فى اللغة آسمٌ لموضع القيام، أخذًا من قام يقومُ مَقَاما . وقد ورد [فى] التنزيل بمعنىٰ موضع القيام فى قوله تعالىٰ : ﴿فِيهِ آياتٌ بَيِّناتٌ مَقَامُ إبْراهِيمَ﴾ يريد موضع قدميه

(1) الزيادة ساقطة من الناسخ يحتاج إليها الكلام .

فى الصَّخْرة التى كان يقومُ عليها لبناء البيت ، ثم تُوُسِّع فيه فأُطْلِق علىٰ ما هو أَعَمّ من موضع القيـام من مَحَـلَّة الرجل أو مَدينته ونحو ذلك ، ومن ثَمَّ قال الزمخشرىّ فى الكلام علىٰ قوله تعالىٰ : ﴿إِنَّ المُتَّقِينَ فى مَقَامٍ أَمِينٍ﴾ إنه خاصّ آستُعْمِل فى معنىٰ العموم، يعنى أنه يُسْتَعمل فى موضع الإقامة فى الجملة . أما المُقامُ بالضم فاسمٌ لموضع الإقامة أخذًا من أقامَ يُقِـيم ، إذ الفـعل متىٰ جاوَزَ الثلاثةَ فالموضع منـه مضموم كقولهم فى المكان الذى يُدَحْرَجُ فيـه مُدَحْرَج كما نَبَّـه عليه الجوهرىّ وغيره . وقد قرئَ قوله تعالىٰ : ﴿يَاأَهْلَ يَثْرِبَ لاَمُقَامَ لَكُمْ﴾ بالفتح والضم جميعا علىٰ المعنيين . قال الجوهرىّ : وقد يكون المَقَام بالفتح بمعنىٰ الإقامة والمُقَام بالضم بمعنىٰ موضع القيام . وجعل من الثانى قوله تعالىٰ : ﴿ حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا ومُقَامًا ﴾ أى موضعا . وبالجملة فالذى يستعمله الكُتَّاب فى المَقَام الفتحُ خاصةً ، يكنون بذلك عن السلطان تعظيمًا له عن التفَوُّه باسمه . قال المَقَرّ الشهابىّ بنُ فضل الله فى "عُرْف التعريف" : ويقال فيه «المَقَام الأشرفُ» و« المَقَام الشريفُ العالى » ورُبَّما قيل فيه « المَقَام العالى » ولم يتعرّض لذكر «المَقَام الكَرِيم» ولو عُمِل عليه تأسِّيًا بلفظ القرءان الكريم حيث قال تعالىٰ : ﴿ ومَقَامٍ كَرِيمٍ ﴾ لكان حَسَنا .

الثالث — المَقَرّ — بفتح الميم والقاف . قال فى "عرف التعريف" : ويختص بكِبَار الأمراء ، وأعيان الوُزَراء ، وكُتَّابِ السّر ومن يَجْرِى مَجْراهم : كناظر الخاصّ، وناظر الجَيْش ، وناظر الدَّوْلة ، وكُتَّاب الدَّسْت ومَنْ فى معناهم . قال : ولا يُكْتَب لأحد من العلماء والقُضاة ؛ وكأنه يريد العُرف العامّ . والتحقيق فى ذلك أن الحال فيه يختلف بحسَب المكتوبِ عنـه ، فلا يقال فيما يُكْتَب عن السلطان إلا لأكابر الأمراء وبعض المـلوك المكاتَبِين عن هـذه المملكة : كصاحب مارِدِينَ ونحوه .

بل قد ذكر ٱبنُ شِيثٍ فى "مَعَالم الكِتابة" أن المَقَرّ من أجلّ ألقاب السلطان . وقد رأيت ذلك فى العهد المكتَتَب بالسلطنة للمنصور قَلاوُون من إنشاء القاضى محيي الدين بن عبدالظاهر . أما عَمَّن عدا السلطان كالنُّوّاب ونحوهم فإنه يُكْتَب به لأكابر أرباب السيوف والأقلام : من القُضاة والعلماء والكُتّاب . علىٰ أن ٱبنَ شيثٍ فى "مَعَالم الكِتابة" قد جعله من الألقاب المُلوكيَّة كالمَقَام ، بل جعلهما علىٰ حدٍّ واحدٍ فى ذلك . قال فى "عرف التعريف" : ويقال فيه « المَقَرّ الأشرفُ » و«المقَرّ الشريفُ العالى» و«المَقَرّ الكريم العالى» و «المَقَرّ العالى» مجرّدا عن ذلك . وأصله فى اللغة لمَوْضِع الٱستقرار ، والمرادُ الموضع الذى يستقِرُّ فيه صاحبُ ذلك اللقب . ولا يخفىٰ أنه من الخاصّ الذى ٱستُعْمِل فى العموم كما تقدّم فى لفظ المَقَام عن الزمخشرىّ . إذ يجوز أن يقال فلان مقرّه مَحَلَّة كذا وبَلْدة كذا ، كما يقال مَقَامه مَحَلَّة كذا وبلد كذا .

الرابع — الجَنَاب . وهو من ألقاب أربابِ السُّيوف والأقلام جميعا فيما يكتب به عن السلطان وغيره من النوّاب ومَنْ فى معناهم . قال فى "عرف التعريف" : وهو أعلىٰ ما يكتب للقُضَاة والعلماء من الألقاب . قال : ويُكْتَب لمن لا يُؤَهَّل للمقرّ من الأمراء وغيرهم ممن يجرى مَجْرىٰ الوزراء ، ويزيد علىٰ ماقد ذكره أنه يكتب به لبعض الملوك المكاتَبين عن الأبواب السلطانية . قال فى "عرف التعريف" : ويقال فيه «الجَنَاب الشريفُ العالى» و«الجَنَاب الكريم العالى» و«الجناب العالى» مجرّدا عنهما . وأصل الجَنَاب فى اللغة الفِناء أو ماقَرُب من مَحَلَّة القوم ، ومنه قولهم : لُذْنا بجَنَاب فُلانٍ وفلانٌ خَصِيب الجَنَاب ، فيعبَّر عن الرجل بفِنَائه وما قَرُب من مَحَلَّته تعظيما له ، ويجمع علىٰ أَجْنِبَة كمكانٍ وأَمْكِنَة وعلىٰ جَنَابات كَجَماد وجَمادات .

الخامس ــ المَجْلِس . وهو من ألقـاب أربابِ السُّـيوف والأقلامِ ايضا ممن لم يُؤَهَّل لرتبة الجَنَاب ؛ وربمـا لُقِّب به بعضُ الملوك فى المكاتبات السـلطانية . علىٰ أنه كان فى الدولة الأيُّوبية لايلَقَّب به إلا الملوكُ ومَنْ فى معناهم . ومكاتبات القاضى الفاضلِ والعمادِ الأَصْفَهانىّ وغيرهما من كُتَّاب الدولة الأيُّوبيَّة ومَنْ عاصرها مشحونةٌ بذلك ، حتّى قال صاحب "مَعَالم الكتابة" : وقد كانوا لا يكتبون المَجْلِس إلا للسلطان خاصَّةً . قال : ولم يكن السلطانُ يُكاتِبُ به أحدًا من الداخلين تحت حكمه والمنسَحِبِ عليهم أمرُه . ثم ذكر أنه كان يُكْتَب به فى زمانه إلىٰ كِبَار الأمراء والوزراء ووُلَاة العهد بالسلطنة .

أما فى زماننا فقد صار فى أَدْنىٰ الرُّتَب وجُعِل الجَنَابُ والمَقَرّ فوقه علىٰ ماتقدّم . ويقال فيه : «المجلس العالى» و«المجلس السامى» رُتْبةً بعد رُتْبة . ويقال فى المجلس السامى السامِىّ بالياء ، والسامِى بغير ياء ، رتبةً بعد رتبةً .

وآعلم أن العالِىَ والسامىَ آسمـان منقوصان كالقاضِى والوالِى وقد تقرّر فى علم النحو أنه إذا دخلت الألفُ واللامُ علىٰ الآسم المنقوصِ جاز فيه إثباتُ الياء وحذفُها فيقال القـاض والقاضى ونحو ذلك ، وحينئـذ فيجوز فى العالى والسامى إثبات الياء وحذفها ولكن الكُتَّاب لا يستعملونهما إلا بالياء .

فأما فى العـالِى فيجوز أن تكون الياء التى تُثْبِتها الكُتَّاب فى آخره هى الياء اللاحقةُ للآسم المنقوص علىٰ ماتقـدّم وتكونُ حينئذ سا كنةً ، ويجوز أن تكونَ ياءَ النَّسب نسبة إلىٰ العالى وتكون مشدّدة ، وكذلك فى السامى بالياء .

أما السامى بغـير ياء فيجوز أن يكون المراد حذفَ ياء النسب لا الياءِ اللاحقـةِ للآسم المنقوص ، لمـا تقدّم من أن الكُتَّاب لم يستعملوها إلا باثبات الياء ، وحينئذ

فتُحذف اليـاء من الألقاب التى تُنْعتُ بهـا . ويحتمل أن يكون المرادُ حذفَ الياء اللاحقةِ للآسم المنقوص وهو بعيد .

وأصلُ المَجْلِس فى اللغة لموضع الجُلُوس ، ويشار بذلك إلىٰ الموضع الذى يَجْلِس فيه تعظيما له علىٰ ما تقـدّم فى غيره . ولا يخفىٰ أنه ليس للمَجْلِس ما للمَقرّ والمَقَام من العُمُوم حتّى يعمّ ما فوق موضع الجلوس، إذ لا يَحْسُن أن يقال مَجْلِس فلان مَحَلَّة كذا ولا بَلَد كذا كما يحسن أن يقال : مَقرّه أو مَقَامه مَحَلَّة كذا أو بَلَد كذا .

السادس — مجلس ــ مجرّدا عن الألف واللام مضافًا إلىٰ ما بعـده ؛ وله فى الآصطلاح أربعُ حالاتٍ :

الأولىٰ أن يُضافَ إلىٰ الأمير : فيقـال « مَجْلِس الأمـير » وهو مختصّ بأرباب السيوف علىٰ آختلاف أنواعهم من التُّرك والعَرَب وغيرهم .

الثانية أن يُضافَ إلىٰ القاضى : فيقال « مجلسُ القاضى » وهو مختصّ بأرباب الأقلام من القُضاة والعلماء والكُتّاب ومَنْ فى معناهم .

الثالثة أن يُضاف إلىٰ الشيخ : فيقال «مجلسُ الشيخ» ويختصّ ذلك بالصُّوفيّة وأهلِ الصَّلاح ومَنْ فى معناهم .

الرابعة أن يضاف إلىٰ الصَّـدْر : فيقال « مجلسُ الصَّدْر » وهو مختصّ بالتُّجّار وأربابِ الصَّنائع ومَنْ فى معناهم، وربما كُتِبَ به فى الدولة الناصرية "محمد بن قلاوون" وما قاربها لكُتّاب الدَّرْج ومَنْ فى معناهم . والمراد بالصَّدْر صَدْر المجلس الذى هو أعلىٰ أماكنه وأرفعها، والمضافُ والمضافُ إليه فيه كالمتعاكسين، والتقدير صَدْر المَجْلس .

السابع — أن يُقْتَصر علىٰ المضاف إليه من مَجْلس الأمير، أو مجلس القـاضى، أو مجلس الشيخ، أو مجلس الصَّدْر ويقال فيه : «الأميرُ الأجَلُّ» و«القاضى الأجَلُّ» و«الشيخُ الصالحُ» و«الصدْرُ الأجَلُّ» .

الثـامن — الحضرة . والمراد بها حضرةُ صاحب اللَّقب . قال الجوهرى : وحَضْرةُ الرجُل قُرْبه وفِنَـاؤه . قال آبن قتيبة فى "أدَبِ الكاتِب" : وتقال بفتح الحـاء وكسرها وضمها وأكثر ماتُستعمل فى المكاتَبات . وهى من الألقابِ القديمة التى كانت تسـتَعْمَل فى مكاتبات الخُلَفـاء . وكان يقال فيها « الحَضْرةُ العاليَـةُ » و«الحَضْرةُ الساميَةُ» ، وتستعمل الآنَ فى المكاتبات الصادرةِ عن الأبواب السلطانية إلىٰ بعض المُلُوك . ويقال فيها : «الحضرةُ الشريفةُ العاليةُ» و«الحضرة الكريمةُ العاليةُ» و«الحَضْرة العليَّة» بحسب ماتقتضيه الحالُ . قال آبن شيثٍ فى "معالم الكِتَابة" : وكانت ممـا يُكتَب بها لأعيان الدولة من الوُزَراء وغيرهم، ولم يكن السلطانُ يكاتِبُ بها أحدا من الداخلين تحتَ حكمِه والمنسحبِ عليهم أمْرُه . وتُستعمَل أيضـا فى مكاتبات ملوك الكُفْر، ويقال فيه بعد الدعاء للحَضْرة : «حَضْرةُ الملك الجليل» ونحو ذلك علىٰ ماسيأتى بيانه فى موضعه . وقد تُستعْمَل فى الولايات فى نحو مايُكْتَب للبَطْرَك . فيقال : « حضرةُ الشيخ » أو « حضرة البَطْرَك » ونحو ذلك . قلت : وكثيرٌ من كُتَّاب الزمان يظُنُّون أن هذه الألقابَ الأصولَ أو أكثَرَها أحدثها القاضى شهابُ الدين بنُ فضـل الله وليس كذلك ، بل المجلسُ مذكورٌ فى مكاتَبات القاضى الفاضل ومَنْ عاصره بكَثْرة بل لاتكاد مكاتَبةٌ من مكاتَباته المُلوكيَّة تخلو عن ذلك . ومقتضىٰ كلام آبن حاجبِ النُّعمانِ فى "ذخيرة الكُتَّاب" أنه أوّل ما آبْتُـدع فى أيَّام بنى بُوَيْه ملوكِ الدَّيْلَم . والجَنَابُ موجود فى مكاتَبات القاضى الفاضل أيضا بقِلَّة .

وقد ذكره ابن شيث فى مصطلح كتابة الدولة الأيوبية . والمَقَرّ موجودٌ فى كلام القاضى محيي الدين بن عبد الظاهر . والمَقَام موجود فى مكاتبات مَنْ قبل القاضى شهاب الدِّين المذكور؛ نعم هذا الترتيبُ الخاصّ : وهو جعل أعلاها المَقَام، ثم المَقَرّ، ثم الجَنَاب، ثم المَجْلِس، ثم مَجْلِس الأميرِ أو القاضى أو الشيخ، لم أره إلا فى كلام المَقَرّ الشهابىّ المشارِ إليه ومتابعيه، ولا أدرى أهو المقترِح لهذا أم سبقه إليه غيره ؟ وقد أُولِعَ الفضلاء بالسؤال عن وجه هذا الترتيب، بل أخذوا فى إنكاره علىٰ مرتّبه من حيث إن هذه الألقابَ متقاربةُ المعانى فى اللغة، فلا يتجه تقديمُ بعضها علىٰ بعض فى الرتبة ؛ ولا يخفىٰ أن واضع ذلك من المَقَر الشهابىّ أو غيره لم يضَعْه عن جهلٍ علىٰ سبيل التشهِّى إذ لا يليقُ ذلك بمن عنده أدنىٰ مُسْكة من العلم . وقد ظهر لى عن ذلك أجوبة يستحسِنُها الذهن السليم إذا تُلُقِّيت بالإنصاف . ولا بدّ من تقديم مقدّمة علىٰ ذلك : وهى أن تعلَم أن الخطاب فى المكاتَبات، والوصفَ فى الولايات، مبنىٌّ علىٰ التفخيم والتعظيم ، علىٰ ما سيأتى بيانه فى موضعه إن شاء الله تعالىٰ . ومن ثَمَّ أُتِى فيهما بالألقاب المؤدِّية إلىٰ الرِّفْعة كما تقدّمت الإشارةُ إليه فى أوّل الكلام علىٰ الألقاب . ثم أثبتُوا هذه الألقابَ بمعنىٰ الأماكن كِنَاية عن أصحابها من باب مَجَاز المُجَاورة، وجعلوها رتبةً بعد رتبةٍ بحسَب ماتقتضيه معانيها اللائحةُ منها علىٰ ماسيأتى بيانه ، فجعلوا أدناها رتبةَ الأمير والقاضى والشيخ ، التى وقع فيها التصريح بذكر الشخص؛ وجعلوا فوق ذلك المجلسَ لتجرّده عن الإضافة إلىٰ ماهو فى معنىٰ القريب من التصريح، وجعلوا فوق ذلك الجَنَابَ الذى هو الفِنَاء من حيثُ إن فِناء الرجلِ أوسعُ من مجلسه ضرورةً، بل ربما ٱشتمل علىٰ المجلس وٱستضافه إليه؛ وجعلوا فوقَ ذلك المَقَرّ الذى هو موضع الاستقرار مع ما يقتضيه من شمول جميع المَحَلَّة أو البلد الذى هو مُقِيم فيه، من حيث إنه يَسُوغ أن يقال مَقَرُّه مَحَلَّة كذا أو بلدُ كذا، وتضمُّنه

معنى القَرَار الذى هو ضد الزَّوال على ماقال تعالى : ﴿ وإنَّ الآخِرَةَ هِىَ دارُ القَرَار ﴾ وجعلوا فوق ذلك المَقَـامَ لآستعماله فى المعنى العامِّ، الذى هو أعم من موضع القِيَام كما أشار إليـه الزمخشرى"، مع ما فى معنى القيـام من النَّهْضة والشَّهامة الزائدة على معنى الآسـتِقْرار، من حيث إن القعودَ دليـلُ العجْز والقُصُور . قال تعـالى : ﴿ وقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مع القَاعِدِينَ رَضُوا بأَنْ يَـكُونُوا مَعَ الخَوَالِفِ ﴾ وقال : ﴿ الَّذِينَ قَالُوا لإخْوانِهِمْ وقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا ما قُتِلُوا ﴾ فكان المَقامُ باعتبار ذلك أعلى من المَقَرّ، ويُوَضِّح ماذكرناه أنهم جعلوا المجلِسَ أدنى المراتب والمقامَ أعلاها .

أما تخصيصُه خطابَ الخليفة بالدِّيوان فلبُعْد تعلُّقه، مع كونه عنه تصدُر المخاطَباتُ وعليه تَرِد، على ماسيأتى فى موضعه إن شاء الله تعالى .

الصـــــنف الثـانى

(من الألقابِ الأُصولِ مايختص بالمكاتَبات دُونَ الولايات، وفيه تسعةُ ألقاب)

الأوّل — الدِّيوانُ . وقد تقـدّم الكلامُ على ضبطه ومعنـاه فى الكلام على ترتيب ديوان الإنشاء فى مقدّمة الكتاب، ويُصدَّر بالدعاء له فى المكاتَبة إلى أبواب الخلافة المقدَّسة، ويقال فيه «الدِّيوانُ العزيزُ» على ماسيأتى فى الكلام على المكاتبات فيما بعدُ إن شاء الله تعالى . قال المَقَرّ الشهابىُّ بنُ فضل الله فى كتابه "التعريف" : والمَعْنِىّ به ديوانُ الإنشاء إذ الكُتُب وأنواع المخاطَبَات إليه واردةٌ، وعنه صادِرة . قال : وسببُ الخِطاب بالدِّيوان العزيزِ الخُضْعانُ عن خِطاب الخليفة نَفْسِـه . ثم كُتَّاب الزمان قد يستعملون ذلك فى غير المكاتبات مثل أن يُكْتَب عن السلطان منشور إقطاعٍ لخليفة فيقـال : « أن يُجْرَى فى الديوان العزيز» ونحو ذلك على ما سيأتى فى الكلام على المناشير فى موضعه إن شاء اللهُ تعالى .

الثانى — الباسِطُ . وهو ممـا يُستعمَل فى المكاتبات بالتقبيل علىٰ ماسيأتى ذكره إن شاء الله تعالىٰ . وأصله فى اللغة فاعِلٌ من البَسْط ، والمراد بَسْط الكَفّ بالبَذْل والعطاء . ومنه قوله تعالىٰ : ﴿ولا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إلىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ البَسْط﴾ وهو من ألقـابِ اليَدِ ، ويشتَرِك فيه أربابُ السيوف والأقلام وغيرُهم . قال فى " عرف التعريف " : ويقال فيه « الباسطُ الشَّريف العالِى » و « الباسِـطُ الكريمُ العالِى » .

الثالث — الباسِطةُ بلفظ التأنيث . وهو بمعنىٰ الباسِط إلا أن الباسِـطة دُونَ الباسط فى الرتبة لِمِيزَةِ التذكير علىٰ التأنيث .

الرابع — اليَـدُ . وهى فى معنىٰ الباسطةِ إلا أنها دُونَها لفَوَات الوصف بالبَسْط فيها . قال فى " عرف التعريف " : ويقال فيها «اليَـدُ الشريفةُ العاليةُ» و«اليدُ الكريمةُ العاليةُ» واليد العالية مجرَّدة عنهما .

الخامس — الدارُ . وهى معروفة . وتجمع علىٰ آدُرٍ ، ودِيَارٍ ، ودُوْرٍ ، والمراد دار المكتوب إليـه ، تنزيهًا له عن التصريح بذكره كما فى الجَنَـاب وغيره . وكانت مما يُكْتَب به فى الزمن القديم فى ألقاب الخُلَفاء ويقال : «الدار العزيزةُ» وما أشبه ذلك ، وربمـا كُتِب بها فى القـديم أيضا للخَوَاتِينِ من نساء الملوك وغيرِهم . وممن كَتَب به لهنَّ العلاءُ بنُ مُوصَلايَا صاحب ديوان الإنشاء فى أيام القـائم العباسِىِّ ، وعلىٰ ذلك الأمرُ فى زماننا فى الكُتُب الصادرة إليهنّ من الأبواب السلطانية وغيرِها ، وإنمـا كُتِب إليهن بذلك إشارةً إلىٰ الصَّوْن لملازمتهن الدُّورَ ، وعدمِ البرُوز عنها .

السادس — السِّـتَارة . وكُتَّاب الزمان يستعملونها فى نحو ماتُستعْمَل فيه الدارُ ، ويكْنُون بها عن المرأة الجليلةِ القَـدْر ، التى هى بصَـدَد أن تُنْصَب علىٰ بابهـا السِّتارةُ حِجابًا .

السابع — الجِهَةُ . وهو مستعملٌ فى معنىٰ الدار والسِّتارةِ من المكاتبات، ويُعْنىٰ بها المرأةُ الجليلةُ القَـدْرِ . وهى فى أصـل اللغة ٱسمٌ للناحية ، فكَنَوْا بها عن المرأة الجليلة، كما كَنَوْا عن الرجل الجليل بالجَنَاب .

الثامن — البـابُ . وهو من الألقاب المختصـة بالعُنْوان فى جليل المكاتبات ؛ وأصلُ البابِ فى اللغة لمـا يُتَوصَّل منـه إلىٰ المقصود ، ويجمع علىٰ أبْوابٍ : كحـالٍ وأحْوالٍ، وعلىٰ بِيبَانٍ : كجارٍ وجِيرانٍ؛ والمراد بابُ دارِ المكتوبِ إليه، وكأنه أجَلَّ صاحبَ اللَّقَب عن الوصول إليـه والقُرْب منه ، لعُلُوّ مكانِه ورِفْعة مَحَلِّه . ويقال فيه « البابُ الشريفُ العالى » و « البابُ الكريمُ العالى » و « البابُ العالى » مجرّدا عنهما ؛ وٱسـتعماله بلفظ الجمع علىٰ أبواب أعلىٰ منه بلفظ الإفراد لمـا فى معنىٰ الجمع من الشَّرَف . أما الجمع علىٰ بِيبانٍ فلا يستعمله الكُتَّاب أصلًا .

التاسع — المُخَيَّم . وهو من الألقاب المختصة بالعُنْوان للسافر، والمراد المكانُ الذى تُضْرَب فيه خِيامُ المكتوبِ إليـه ، أخذا من قولهم خَيَّم بالمكان إذا أقام به، أو خَيَّمه إذا جعله كالخَيْمة . والخَيْمةُ فى أصل اللغة ٱسم لبيتٍ تُنْشِئه العرب من عِيدانٍ ثم تُوُسِّع فيـه فاستُعْمِل فيما يُتَّخَذ من الجلود والقُطْن المنسوج ونحوه ؛ ويُوصَف بمـا يوصَفُ به الباب : من الشريف، والكريم، والعالى .

قلت : وقد يُستعمَل بعضُ هـذه الألقـاب كالدار والسِّتارة والجهــة فى غير المكاتبات من الولايات وغيرها ولكن بقِـلَّة ؛ والغالب ٱستعمالُهـا فى المكاتبات ، فلذلك خَصَّصتُها بها .

الجمـــــلة السادسة

(فى بيان الألقاب المفرّعة على الأصول المتقدّمة ، وفيها مَهْيَعان)

المَهْيَع الأوّل

(فى بيــان أقسامها ، وهى على نوعين)

النوع الأوّل

(المفْــرَدة ، وهى صــنفان)

الصنف الأوّل

(المجرّدةُ عن ياء النسبِ)

كالسلطان ، والمَلِك ، والأمير ، والقاضِى ، والشيخ ، والصَّدْر ، والأجَلّ ، والكَبِير ، والعالِم ، والعامِل ، والأَوْحَد ، والأكمل ، وما أشبه ذلك .

الصنف الثـانى

(الملحــقُ بها ياءُ النسب)

كالسلطانىّ ، والمَلَكىّ ، والأميرِىّ ، والقَضَــائىّ ، والقاضَوِىّ ، والشَّــيْخىّ ، والصَّدْرِىّ ، والأجَلّىّ ، والكَبِيرِىّ ، والعالِمِىّ ، والعامِلىّ ، والأوحدىّ ، والأكملىّ ، ونحو ذلك .

ثم الألقابُ الملحقة بها ياء النسب تارةً يُراد بالنسب فيها النسبُ الحقيقىُّ على بابه : كالقَضَائىّ ، لأنه منسوبٌ إلى القَضاء الذى هو موضوعُ الوظيفة التى مَنَاطُها فصلُ

الحُكُومات الشرعية على ماتقدّم؛ وتارةً يُراد به المبـالغةُ كالقاضَوِىِّ، فإنه منسوب إلى القاضى نفسِه مبالغةً . وفى معناه الأميرىّ نسبةٌ إلى الأمير، والوزيرىّ نسبةٌ إلى الوزير، والشيخىّ نسبةٌ إلى الشيخ، والكبيرىّ نسبة إلى الكبير، والعالمىّ نسبة إلى العالم، وما أشبه ذلك .

والأصل فيه أنّ عادةَ العرب أنهم إذا أرادوا المبالغةَ فى وصف شىءٍ أدخلُوا عليه ياء النسب فى آخره للبالغة فى وصفه فيقولون فى الأحمر اذا قصدوا المبالغة فى وصْفه بالحمرة أَحْمَرِىٌّ ونحو ذلك على ماهو مقرّر فى كتب النحو المبسوطةِ كالتسهيل ونحوه. ثم منها مايستعمل بالتجريد عن ياء النسب أو إثباتها : كالعالم، والعالمىّ ؛ ومنها ما يستعمل مجرّدا عنها فقط كالقُطْب والغَوْث من ألقاب الصُّوفيّة؛ ومنها مايستعمل باثباتها فقط كالغِيَاثِىِّ . وبكلِّ حالٍ فالألقـاب التى قد تثبُتُ ياء النسبِ فى آخرها وقد لا تثبت كالأمير والأميرىّ إن كانتْ من ألقاب المجلس السامىّ بالياء فما فوقه من المجلس العالى والجَنَاب العالى، والمَقَرّ والمقام على مراتبها تثبُت اليـاء فى آخرها، وإن كانت من ألقاب المجلس السامى بغير ياء فمـا دونه من مجلس الأمير ومجلس القاضى، ومجلس الشـيخ، ومجلس الصَّدْر؛ والأمير، والقاضى، والشيخ، والصدر، لم تثبت اليـاء فى آخرها . والألقابُ المضافةُ إلى الدين، مثـل « ناصِرِ الدِّين » و «شمسِ الدين » و « نُور الدين» و «عز الدين» و «وَلِىِّ الدين» و «سَيْف الدين» وما أشـبه ذلك إن كانت فى ألقاب مَنْ تثبت الياءُ فى ألقابه من المجلس السامىّ بالياء فما فوقه حُذِف المضاف إليه وأُدْخلتِ الألفُ واللامُ على المضاف وأُلحِقَتْ به ياءُ النَّسب ، فيقـال فى ناصر الدين «الناصِرىّ» وفى شمس الدين «الشَّمْسِىّ» وفى نورالدين «النُّورِىّ» وفى عز الدين « العِزِّىّ » وفى وَلِىّ الدين « الوَلَوِىّ » وفى سيف الدين « السيْفِىُّ » وما أشـــبه ذلك .

النـــوع الثـانى

(المركّبـــة)

وهى المعبَّر عنها بالنُّعُوت . وأكثر ما يكون التركيب فيها بالإضافة ؛ ثم تارةً تكون باضافةٍ واحدةٍ نحو « ممَهِّد الدُّوَل » وتارةً تكون باضافتين نحو « سيِّد أمراء العالَمين » وتارة تكون بثلاثِ إضافاتٍ نحو « حاكِم أمورِ وُلاةِ الزَّمان » وربما زِيد علىٰ ذلك ، وتارة تكون بوَصْف المضاف ، نحو « بقِيَّة السُّلالة الطاهرةِ » وتارة تكونُ بالعطف علىٰ المضاف إليه : إما بعَطْفٍ واحد ، نحو « سيدُ الملوكِ والسلاطين » وإما بأكثر ، نحو « ناتج الممالِكِ والأقاليم والأقطارِ » وتارة تكون بجارٍّ ومجرور بعد المضاف إليه ، نحو « سيِّدُ الأُمَراء فى العالمين » وربما توسط النعتُ بين المضاف إليه والجارّ والمجرور ، نحو « سيد الأُمَراءِ الأشرافِ فى العالمين » . وقد يكون التركيب بغير الإضافة إما بالجارّ والمجرورِ ، نحو « المجاهِدُ فى سبيل ربِّ العالمين » وإما بغير ذلك مثل المُعَفِّى آلِ ساسانَ وغير ذلك مما يجرى هذا المجرىٰ .

[وٱعلم أنه إذا كان لقبُ الأصل مفردًا نحو المَقرّ والجَنَاب ، جاءتْ ألقابُه ونعوتُه مفردةً فيقال « المَقرّ الشَّريف » و « الجَنَاب الشريفُ » و « المَقرّ الكريم » وفى نُعُوته « سيدُ الأمَراء فى العالمين » ونحو ذلك .

ثم إن كان مذكَّرًا جاء بصيغة التذكير ، كما تقدّم فى ألقاب المَقرّ](1) .

وإذا كان لقب الأصل فيه مؤنَّثا كالجِهــةِ فى ألقاب النساء ، أتت ألقابُه ونعوتُه مؤنَّثةً تبعًا له ، فيقال فى ألقاب الجهة « الجهة الشريفةُ أو الجهةُ الكريمةُ العاليةُ » وفى النعوت « سيدةُ الخَوَاتينِ فى العالَمين » ونحو ذلك .

(١) هذه الجملة التى بين القوسين غير موجودة فى الاصول ، فنقلناها عن الضوء للؤلف لتتم الفائدة .

وإن كان اللقب في الاصـل مجموعا ، نحو « مَجالس الأَمَراء » كما يكتب في المُطْلَقات ، جاءت الألقابُ والنُّعوتُ مجموعةً فيقال في الألقاب الأَجلَّاء الأكابِرُ وما أشـبه ذلك ، وفي النعوت إن كان ذلك اللقب آسم جِنْس نحو « عَضُد المُلُوك والسلاطين » أو مصدرًا ، نحو « عَوْن الأُمَّة » جاز إبقاؤه علىٰ الإفراد كذلك : لأن المصدَر وآسمَ الجنس لا يثَنَّيان ولا يُجْمَعان ؛ وإن لُوحِظ فيه معنى التَّعَدُّد ، جاز الجمع فيقال « أعوانُ الأمة » و « أعضَادُ المُلُوك والسلاطينِ » ونحو ذلك . وقد أشـار إلىٰ ذلك المقـرّ الشهابيّ بن فضـل الله في كتابه " التعريف " في الكلام علىٰ كتابة المُطْلَقات فقال ونحو عَضُد وأَعْضاد .

تم الجزء الخامس . يتلوه إن شاء الله تعالىٰ الجزء السادس

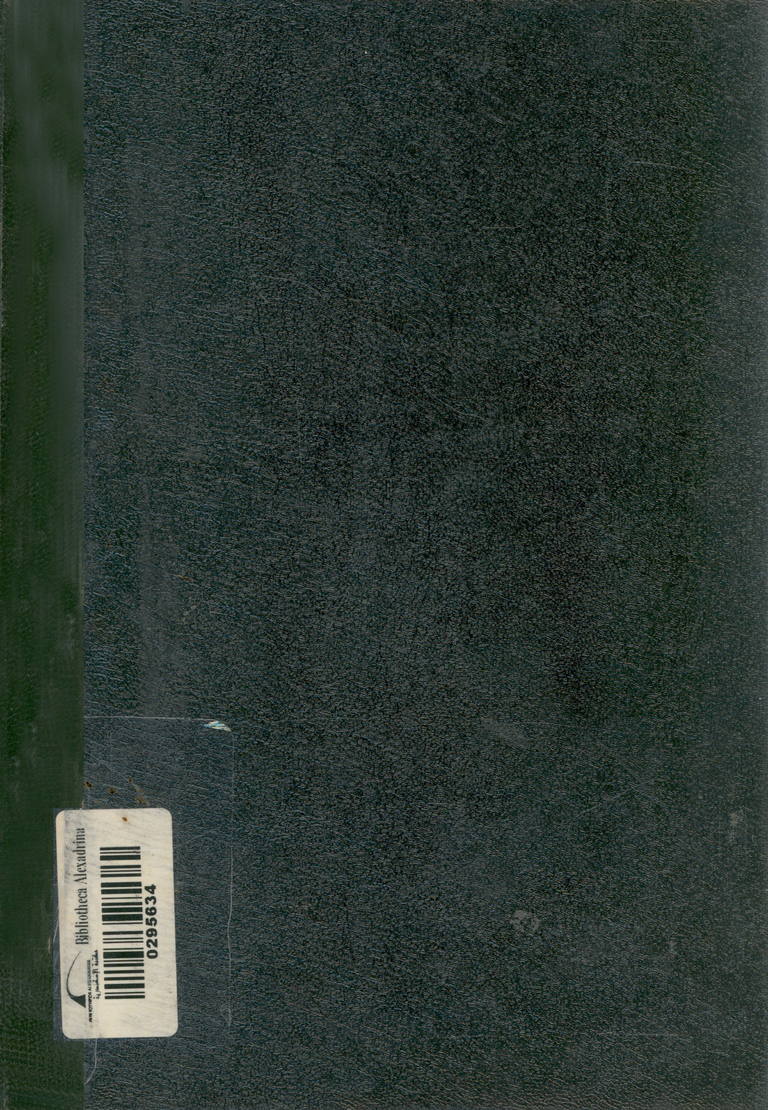
وأوله المَهْيَـــع الثـانى

(في ذكر الألقاب والنعوت المستعملة عند كُتَّاب الزمان ، وبيان معانيها ، ومَنْ يقع عليه كل واحد منها من أرباب السُّيوف وغيرهم ، وهي نوعان)

والحمد لله رب العالمين . وصلاته علىٰ سيدنا محمد خاتم الأنبيـاء والمرسلين

وآله وصحبـــه والتابعين وسلامه

وحسبنا الله ونعم الوكيل



Bibliotheca Alexandrina
0295634